مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز

كيري مانيسكالكو

مملكة المرعبين





مملكة المرعبين

مملكة المرعبين

كيري مانيسكالكو

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى 2024

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.



KINGDOM OF THE FEARED

KERRI MANISCALCO

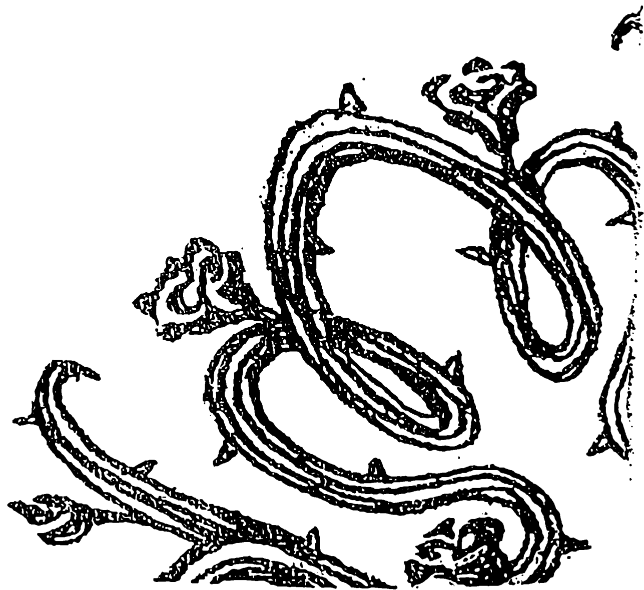


أيها القارئ، ثق بقلبك، فهو الذي سيرشدك إلى وجهتك.

مملكة
المرعيين

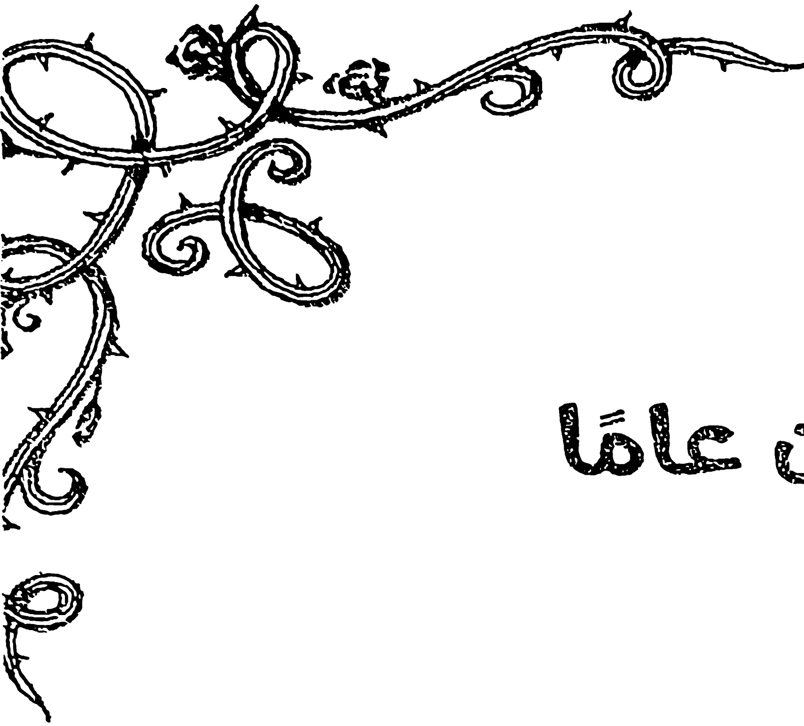
"هناك ما يشبه الدراجة يُحرك رغبتي
وإرادتي، إنه الحب الذي يحرك الشمس
وسائر النجوم".

— دانتي إليجيري، "رحلة الفردوس".



قديمًا، كان الناس يظنون أن نبوءة المرعبتين خرافة وقصة انتقام إلهي تنوقلت عبر القرون. لقد كانت تمثل تحذيرًا من الفوضى والدمار الذي قد يجلبه (راث) «الغضب» و(ديث) «الموت» إذا أُطلق العنان لهما. ولا بد أن العدويين تذكرا تلك القصة قبل أن يلعنا بعضهما في نوبة غضب. ففي تلك الليلة المشئومة، التقى سحران قويان ليمنعا الطرفين من النطق بالحقيقة كاملة؛ بل من تذكرها في بعض الأحيان. وكان للعنات عواقب أكثر فداحة مما يتوقع المرء. فعلى مدى سنوات، راح الجن والساحرات ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي يُكشف فيه كل شيء. وتحسبًا لتلك الساعة التي قد تحين عندما تنتصف أية ليلة، كان يجب الاحتفاظ بمخزون من طعام الآلهة ورحيقهم، مع طلب الرحمة من السماء.

— من أوراق كتاب تعاويذ دي كارلو السري.



قبل عشرين عامًا

قلما اتفقت عشيرة الساحرات الحكيمات على شيء، باستثناء أمرين اعتبرنهما من أرفع القوانين. أولًا: لا يجب استدعاء الشيطان على الإطلاق، وثانيًا: لا يجوز استخدام المرايا السوداء في العِرافة.

لكن صوفيا سانتوريني، التي كانت تعد من أفضل عرافات الجزيرة، رأت أن بعض القواعد وُضعت لتُكسر، ولا سيما حين باتت رؤاها الجديدة تلح عليها بأفكار مؤرقة. وكانت تلك الأفكار المُلحة المتعلقة بنبوءة اللعنة المرعبة هي ما دفع صوفيا لسرقة كتاب التعاويذ؛ إذ كان هو الوحيد الذي يشرح كيفية العِرافة باستخدام السحر المظلم. في الواقع، يعتمد مصير عشيرة الساحرات على ما ستفعله صوفيا، سواء عوقبت على ذلك فيما بعد أم لا.

وعلى الرغم من ذلك، لم يُبدِ مجلس الساحرات *قدرًا كبيرًا* من التشاؤم، فلم يكن بحاجة لهذا. لقد أحست صوفيا بتحول السحر بالطريقة نفسها التي تشعر من خلالها الطيور بتغير الفصول؛ إذ تنساق تلك الأخيرة وراء فطرتها كي تحلق بعيدًا وتنجو بنفسها. كانت عاصفة هوجاء تتجمع في الأفق؛ لكن لم يكن لصوفيا أجنحة. وحتى لو كانت لها أجنحة، لم تكن لتهرب دون عائلتها.

بدا أن كسر قاعدتين بهدف إنقاذ عشرات الساحرات أمر صائب. كما أن أية معلومات تجمعها صوفيا عن اللعنة قبل أن يبدأ «الأشرار» الانتقام ستفيد عشيرتها، ومن المؤكد أن الساحرات الحكيمات سيتفهمن الأمر.

ووضعت صوفيا المرآة السوداء على أرضية معبد الإلهة ديث، وبجانبها كتاب التعاويذ، ثم جمعت تنورتها وركعت، فسَرَت في جسدها قشعريرة لا علاقة لها ببرودة الحجر التي تسربت من قماش تنورتها القطنية الخفيفة. وراحت تحدق في المرآة المحرمة التي ذكّرها سطحها الداكن بمياه بحيرة هادئة قصدتها، ذات يوم، لجمع بعض أحجار المياه العذبة المستخدمة في عمل التعاويذ.

لكن ضوء القمر لم يكن يلمع فوق ذلك السطح مباركًا دربها؛ بل بدا بالأحرى وكأنه يطرد أي ضوء يجرؤ على الاقتراب منه. ولعله كان هناك جان يترصد بأسفل الأعماق السحيقة، متحينًا فرصة الهجوم.

أطلقت صوفيا زفرة تخلصت بها من خوفها؛ فقد آن أوان تنفيذ المهمة التي جاءت من أجلها، كي تعود مع أهلها إلى موطنها. وبعد أن أزاحت الخنجر الضئيل من جيب تنورتها، وجهت نصله نحو طرف أصبعها ووخزته، فبرزت منه قطرة دم تشبه في حمرتها عين شيطان.

وبعد أن نهضت صوفيا، تقدمت نحو المذبح في وسط الغرفة: إذ لم يستطع أحد أن يمارس السحر في معابد الآلهة دون أن يُقدم فروض الطاعة.

وعلى جانبي المذبح، كانت النار التي سبق أن أشعلتها تقرقع في أواني القرابين، وكانت الأدخنة تتصاعد على شكل دوائر في الهواء، وكأنها تشير إليها بولوج العالم السفلي. كانت صوفيا واثقة من أن هناك أعينًا ترقبها من وراء الظلال لترى ما إذا كانت ستجرؤ على عبور تلك الحدود المحرمة أم لا.

وراحت صوفيا تحدق في جنبات الغرفة الهادئة لتجد جمجمتين بشريتين كانت قد سرقتهما من الدير. كانت تلك الأيام الشريرة تدعو لارتكاب أفعال أعظم شرًّا. ولم يكن أمام صوفيا مجال للتراجع.

فوضعت أصبعها المجروح فوق أول أواني القرابين، وراحت تشاهد قطيرات الدم وهي تغلي، والدخان وهو يتصاعد حين يلتقي باللهب. وانتقلت صوفيا على الفور إلى الجانب الآخر من المذبح، وكررت الحركة نفسها مع الإناء الثاني.

وهكذا اقتنعت بأنها قدمت للإلهة ما يكفي من فروض الطاعة كي تمنحها الحماية، فالتفتت واستعادت الجمجمتين، متجاهلة بصمة أصبعها الملطخة بالدماء التي تركتها على العظم. وركعت مرة أخرى، واضعة الجمجمتين باتجاه شَمال المرآة وجنوبها، ثم فتحت كتاب التعاويذ وبدأت التلاوة.

مرت بضع لحظات مَشوبة بالتوتر دون أن يتغير سطح المرآة؛ ثم بدأ الدخان يدور داخل سطحها. بدأ بطيئًا، ثم راح يتسارع مثل رياح الجحيم التي سمعت هبوبها من بعض مجموعات الشياطين، مصيبًا النفوس البائسة التي انتهى بها المصير إلى هناك بمزيد من الرعب.

«احمني أيتها الإلهة!»

مالت صوفيا نحو المرآة، علّها تعرف عن أعدائها ما استطاعت إليه سبيلًا، فأية معلومة قد تكون قيّمة، ولا سيما أن اللعنة كانت تمحو كل ذكرياتها عنهم ببطء كلما اكتمل القمر. وبينما كانت تُحدق في المرآة، انفتحت إحدى نوافذ العالم السفلي، لتعطي صوفيا أول صورة لعالم الجان.

«أريني كيف أُبطل اللعنة».

فانتفضت المرآة وكأن السحر أقر طلبها ووافق على أن يهبها أمنيتها. وبدلًا من الدخان، راحت صور غريبة تومض فوق الزجاج المعتم، وسرعان ما أدركت صوفيا أن السحر يكشف لها قصة عبر سلسلة من

الصور، فأطلقت زفرة صامتة. وحتى تلك اللحظة، كانت الصور شبيهة برؤاها المعتادة، على الرغم من استخدامها السحر المحرم.

وكان السحر يدفع الصور لتترك المرآة وتدور حولها، فأعطاها الانطباع بأنها كانت تقف هناك لحظة وقوع الأحداث. لقد رأت عرشًا مظلمًا وجنًا متوحشًا.

وبدأت الأشياء المألوفة تلوح؛ لكن لا بد أن السحر لم يُفلح؛ إذ كانت هناك صور معينة غير متوافقة مع تاريخهم أو مع معلومات صوفيا عن النبوءة. كانت تشاهد كيف قامت ساحرة بلعن شيطان، ولا بد أنها كانت «الساحرة الأولى». كان انتقامها وكراهيتها شديدين بشكل جعل صوفيا تشعر بهما من خلال رؤيتها للمشهد في المرآة . تلا ذلك أنها رأت بئرًا غريبة بها آلاف من البلورات التي تمثل أحجار الذكريات. ثم تغير المشهد فجأة مجددًا. وفي هذه المرة، رأت صوفيا كوخًا صغيرًا مُطلًا على البحر وبه ساحرة شابة ممسكة حجر ذكرى في إحدى يديها، وخنجرًا في يدها الأخرى. كانت تعرفها جيدًا. كانت الساحرة الأولى هناك أيضًا، وكانت تعطي الساحرة الأخرى الحجر الذي سيمحو كل ما تتمنى نسيانه، ثم تلاشت الصور؛ إذ كانت تحتاج للمزيد من السحر كي تظهر بوضوح.

صاحت صوفيا: «انتظري!».

كانت تحاول جاهدة أن تعرف المزيد، فأمسكت الجمجمة الموضوعة ناحية الجنوب وهمست بتعويذة جعلتها تتحطم، فتناثرت شظايا العظم في جميع أرجاء السطح المعتم، لعل المرآة تستخدمها لإظهار المزيد من الصور، وقد كان؛ لكنها رأت ما لم تكن تتوقعه، فقد رأت صوفيا جزيرتها، وصورًا أخرى غير واضحة لمدن وأزمان غير مألوفة تتدفق وتستولي عليها وتحل محلها. لا بد أن هذه الصور كانت خادعة وغير صحيحة.

ومع ذلك... إذا لم تكن، فإن كل ما قالته عشيرة الساحرات لهم كان أكذوبة، بما فيه موطنهم.

لعلَّ الأمر غير منطقي؛ بل لم يكن حقيقيًّا. أصرت صوفيا على حل اللغز، فمدت يدها نحو الجمجمة الأخرى. كانت هناك ياقوتتان مكان عينيْ تلك الجمجمة، وهي هبة إضافية من الإلهة التي تحكم عالم الأموات. حطمت صوفيا الجمجمة، ووجدت نفسها تنتقل إلى عصر آخر ورأت فيه تلك الساحرة الشابة نفسها... وفجأة هبطت يد خشنة على كتف صوفيا قاطعة رؤياها.

اشتد خفقان قلبها، وراحت صوفيا تتراجع حتى عاد معبد الإلهة ديث إلى بؤرة نظرها. وإذ ارتعبت صوفيا من الشيء، أو الشخص، الذي قطع عليها الرؤية، أمسكت الخنجر وهمت بالوقوف، ليقع نظرها على الشخص الذي قاطعها. ألقى الشخص ذو الرداء قناعه على معطفها، ليكشف عن وجه صارم مألوف. وكادت صوفيا تسقط وهي تنزل النصل، وظلت في لحظة رعب أنها استدعت العدو. قالت: «أهذا أنتِ؟ شكرًا للإلهة. لقد عرفتُ شيئًا غير معقول عن لعنتنا ومدينتنا. أعرف من هي ابنة الساحرة الأولى، أو هذا، على الأقل، ما أعتقده. لن تصدقي ما اكتشفته».

كانت صوفيا شديدة التشبع بأثر السحر المظلم، كما كانت في حالة صدمة شديدة بسبب الحقيقة التي عرفتها، وهو ما جعلها تغفل عن وميض الخطر في عيني الساحرة الأخرى. قالت لها: «ولن تصدقي أنتِ أيضًا».

«لا أفهم...».

وبحركة سريعة من معصمها ولعنة قاسية، ألقت الساحرة تعويذة أطاحت بصوفيا إلى الوراء. فارتطمت جمجمتها بالمذبح، لينبلج أمامها وميض نجمي لامع أصابها بالذهول. وقبل أن تستجمع صوفيا تركيزها وتلقي تعويذة حماية لنفسها، تشتت عقلها تمامًا كما تشظت

المرآة التي داستها الساحرة الأخرى، ما تسبب في اختفاء الحقيقة التي كانت تتراءى عبر سطحها المظلم.

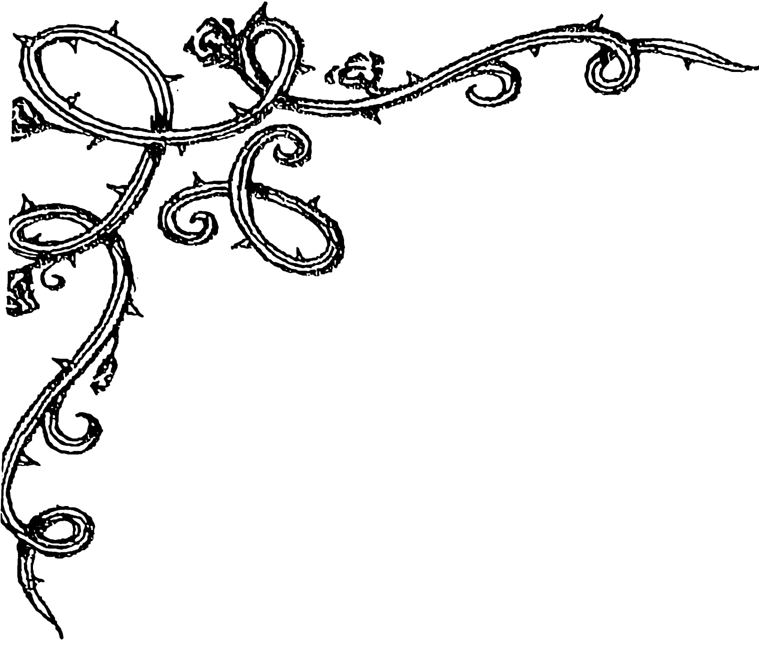
اندهشت صوفيا صارخة، لكنها اكتشفت أنها غير قادرة على عمل أي شيء سوى التلفظ بكلام غير مفهوم. وسرعان ما عادت ترى تلك الصور الغريبة التي كشفتها لها المرآة.

ولم تتذكر صوفيا السبب الذي جعلها تصرخ طالبة النجدة.

راحت تحدق دون أن ترى شيئًا. وفي تلك الأثناء استعادت الساحرة الأخرى كتاب التعاويذ الأول وراحت تشق طريقها ببطء عبر المعبد، دون أن تلقي نظرة عابرة على صديقتها. وظلت صوفيا تردد عبارات، وأناشيد، وأدعية.

أو ربما كانت في الواقع تردد العبارة التي تمثل المفتاح الذي يطلق كل شيء:

«كما بالأسفل كما بالأعلي».



الأول

توهجت الشموع فجأة في حجرة نوم أمير الغضب راث.

رغم ما بذلته من جهد كي لا أبتسم في وجه هذا الشيطان، خانتني شفتاي حين انفرجتا دون إرادة مني. كان الأمير يراقبني من موقعه في الشرفة، وتحول انتباهه، حين انفرجت شفتاي، نحو فمي وظل مركزًا عليه لبرهة أطول مما يجب.

وقد ولّد تحديقه نوعًا مختلفًا من الدفء بداخلي، مختلفًا عما شعرت به حين اندلعت النيران في المدفأة التي بدت وكأنها مزدانة بالذهب، وراحت تُحدث أزيزًا وطقطقة جنونية. كان شعورًا ممتعًا، ولا سيما بعد البرودة التي تسللت إلى عظامي واستقرت فيها. لقد حطمت رؤيتي لأختي في مرآة الأقمار الثلاثية شيئًا جوهريًا بداخلي،

بيد أنني لم أرد أن أعره اهتمامًا في تلك اللحظة.

أطلت الوقوف بجانب سرير راث، بعد أن ألقيت سترتي على الأرض. كنت أعرف أن النيران لم تكن تشتعل في حجرته بفعل الخطيئة التي كُني باسمها (الغضب)؛ بل بسبب الرغبة التي كان يجد صعوبة في كبح جماحها، إنها العاطفة التي أججتها حين اخترته ووافقت على أن أصبح زوجته ومليكته الشريرة، رغم معرفتي به. لقد سرق روحي بالفعل، والآن

صرت أقدم له جسدي. لم تكن هناك ألعاب ولا روابط سحرية تجعلني أقترب منه؛ بل تناسيت فيتوريا والألم الذي كان يخترق قلبي كلما فكرت في أنني أخدع شقيقتي التوأم.

اكتوت عيناي بدموع لم تُذرَف وأنا أفكر في شقيقتي، وحاولت يائسة أن أتحكم في عواطفي. وهذا سيجعل راث يستشعر ألمي، ويجعلني أدخل في نقاش لا أود الخوض فيه. وعلى هذا الحزن أن ينتظر إلى أن أقابل شقيقتي في الجزر المتحولة الغامضة في اليوم التالي، وأستمع لما تود قوله.

لكن حتى ذلك الحين، لم أرغب في قضاء دقيقة أخرى وأنا أفكر في سبب ادعائها الموت. كيف استطاعت أن تؤذيني بهذه الطريقة البشعة طوال تلك الفترة؟! لقد قضيت شهورًا أبكي على فيتوريا، وأشتعل غضبًا من أجلها، وأستعد للانتقام لها.

لكنني كنت أريد راث في تلك الليلة فحسب، إنه ملك الجان، الأكثر مهابة بين أمراء الجحيم السبع، وقائد الحروب، بل الشيطان عينه، إنه الخطيئة والغواية متجسدتين، إنه كابوس للبعض، ولكنه كان حلمًا جميلًا بالنسبة إليَّ الآن وإن لم يقترب مني ذلك الشيطان اللعين في الحال، لأطلقت أنا نفسي العنان لجحيم عواطفي.

«هل ستظل واقفًا بالخارج طوال الليل يا صاحب الجلالة؟». رغم أنني رفعت حاجبي، لم يرد راث إلا بنظرة عابرة من عينيه الناريتين، فهو مخلوق عنيد شكاك. من سواه في مثل هذا الموقف يترك الشك يتلاعب به بعدما خلعت سترتي بجوار سريره؟ لم يكن ممن يطلقون لشهواته الحسية المنحطة العنان وفقًا لرغبة أنثى. بادرته: «إذا كنت تريد دليلًا آخر على قراري...».

ولكنه قاطعني: «إيميليا».

كانت طريقته في النطق باسمي كافية لجعل الخذلان يقتلني، فقد بينت لي نبرته أننا نحتاج إلى أن نتحدث، وكان الحديث هو أسوأ ما

يمكن أن يحدث الآن. كان الحديث سيُفضي للبكاء، وسيجبرني على الإفصاح بتأثير رؤيتي لفيتوريا عليّ. كان من الأفضل أن أنسى نفسي بين أحضانه المُخدرة.

قلت بهدوء: «لا، أرجوك. أنا فعلًا بخير».

بدا الشيطان قلقًا غير مقتنع. لقد أخبرني ذات يوم أن استسلم للرغبة وأن أمنع نفسي من الشعور بالاحتياج؛ لكنني شعرت بكليهما في تلك الليلة، ولم أعبأ بأن هذا سيجعلني ضعيفة. وددت ألا يعيدني إلى جناحي بمفردي، فلم أكن أطيق الوحدة، كنت بحاجة للمواساة والمؤانسة، وكان هو من سيمنحني بعض السكينة.

وفي تلك الأثناء، راحت الستائر الشفافة التي تفصل مخدعه عن الشرفة تتطاير بفعل نسائم الشتاء وكأنها تجذبه إلى مليكته؛ بل كأن المملكة نفسها تريد أن نتحد. وكانت الشموع التي ترتجف بهدوء، والستائر المتطايرة برقَّة، تجعل المخدع ينضح بالشاعرية. لقد كانت تلك الغرفة مخصصة لجميع ضروب الهمس؛ كالهمسات التي يتبادلها العشاق برقَّة، وهمس الأردية وهي تنساب فوق الأجساد. وددت لو اختبرت مثل هذه الهمسات مع الأمير.

لكن راث اعترف لي ذات مرة بأنه يؤمن بقوة الأفعال لا الأقوال. وبهذه الفكرة في رأسي تقدمت إليه. لقد ظل في الخارج بلا حراك يراقبني وأنا أنحني وأخلع حذائي. لم أعلم ما إذا كان قد انتبه لشعوري تجاه فيتوريا وأساء تفسيره، أو ما زال يشك في رغبتي باستكمال الخطوة التالية لزواجنا. كانت العلاقة الحميمة هي إحدى الخطوتين المطلوبتين لنصبح زوجين. وكنت *أرغب* في استكمال ارتباطنا.

فالطريقة التي تقابلنا بها للمرة الأولى حيث استعديته في باليرمو، ثم ربطته بي فجأة إلى الأبد، وتعهد كلانا بكراهية الآخر، جعلتني أتفهم أنني سبب هذا التخوف.

لم تكن أحداث تلك الليلة لتخطر ببالي قبل شهور معدودة. كان هذا قبل أن أعترف بأن قصتنا ستتخذ منحى جديدًا. كان شوقي إليه ملتهبًا كلون تلك الزهور الوردية المُذهّبة التي يمكنني استدعاؤها إلى أطراف أصابعي وقتما أردت، وهو شيء ظننته مستحيلًا، ولغز آخر كان عليّ حله بجانب لغز حقيقتي؛ لكن، كان كل هذا لينتظر الآن، فكل ما أردت أن أفكر فيه الآن هو دعوة مليكي إليَّ.

بدأت رقاقات الثلج تتساقط حوله، مغبرة شعره الداكن ومنكبيه العريضين؛ لكنه لم ينتبه. لم تكن العناصر القاسية لمملكة الشتاء تضايقه، ربما حصنته قوته الجسدية من الشعور بالبرد على الإطلاق.

رأيت نظرته الحادة وأنا أخلع بنطالي وألقي به فوق الرداء. وحين لاحظ راث هذا، توقفت أنفاسه. فضم قبضتيَّ يديه حتى صارت مفاصلها بيضاء بسبب الانفعال. لم يكن هذا هو رد الفعل الذي توقعته.

قطبت حاجبيّ، واسترجعت كل كلمة في حديثنا بدقة. فبعد أن خدعني وجعلني أعقد عهد دم معه - كي يضمن عدم استغلال أي من أخويه لي حين عبرت إلى العالم السفلي للمرة الأولى - سألته هل ما زال يعتبرني مِلكه؟

والآن، وأثناء وقوفه بلا حراك في الثلج، ودون التقدم كي يتبعني إلى مخدعه الشاعري الدافئ، خشيت أن أكون قد أسأت فهمه، فقد قال إنه لم يحتج إلى وقت ليفكر في الأمر، وهو ما يعني، من الناحية العملية، أنه لم يعتبرني *ملكه*.

سألته: «هل غيرت رأيك؟»، فحدق راث في وجهي، وتجمدت تعبيرات وجهه: «لقد اخترتِني بإرادتكِ. كنتِ تعرفين من أكون وما بمقدوري فعله».

لم تكن هذه أسئلة؛ لكنني أومأت بالإيجاب: «نعم».

«ألم يكن هذا القرار يتعلق بأختك؟».

راح يرقبني بعناية، وكنت أعلم أنه يحاول ملاحظة أي تحول بسيط في مشاعري. لم يكن راث ليجبرني على العلاقة الحميمة إذا أدرك أن هناك قوة أخرى غير رغبتي هي التي تسوقني إلى ذلك؛ لكن كانت تلك من المرات الأولى منذ أن تقابلنا، التي لم أقدم له فيها شيئًا سوى الحقيقة؛ لأننا إذا كنا نرجو أن تتقدم علاقتنا فعلينا أن نتوقف عن خداع أحدنا الآخر.

«كنت أريدك ليلة الحفل الذي أقامه جلاتوني، وأيضًا قبلها... أتتذكر حين أفقتني بالسحر عندما كنا نتدرب لمجاهدة خطيئة الشَّرَه؟ أردتك أن تأخذني وقتها أيضًا. كانت هاتان المرتان قبل أن أرى فيتوريا». أجبرت نفسي على إبقاء عينيَّ مثبتتين على عينيه كي أثبت له جديتي: «وقد أدركت الليلة أنك خلال كل هذا كنت بجانبي. ربما لم تكن أساليبك مثالية بمقاييس البشر، لكن كل ما فعلته كان لمساعدتي. *أريدك*، وليس لهذا علاقة بأي شخص آخر».

بعد وقفة طويلة استشعرت فيها الرفض، ولج من الشرفة إلى المخدع، مقربًا المسافة بيننا. وجالت عيناه من عينيَّ إلى شفتيَّ ثم إلى جسدي.

ثم صارت نظرته متوحشة مخيفة حين توقفت عند ساقيّ اللتين كانتا تتوقان للركوع أمامه. وسمعت زمجرة خافتة منه تؤكد أنه كان يشعر برغبتي.

كنت أرجو بصدق أن *أ*حرر الوحش الكامن بداخله، وأختبر كل شيء حميم يحلم به.

لمعت على وجهه ابتسامة واعدة، مشيرة إلى أنه على أتم استعداد للوفاء بتلك الوعود.

ورغم برودة جسمه بفعل العاصفة، لم أشعر بأية برودة وهو يقترب مني، فمع نظرته الحارقة والطريقة التي يتبع بها منحنيات جسدي،

وكأنـه يخطـط لـكل ما ينـوي عملـه، كان الأمـر يكفـي لأن أذوب في التو واللحظة.

رفـع ذقنـي لأنظـر إليه وقـال: «أطلعيني علـى كل رغباتـك الخفية يا إيميليـا، وكل حلـم تتمنين أن يتحقق». ثم راحـت أصابعه تداعب مناطق النبض فـي عنقي قبل أن يشـرع فـي تقبيلي، فلم تتركنـي القبلة إلا أكثر شـوقًا إليـه، ثـم تراجـع للخلـف ومرر يديـه برقة علـى كتفي واسـتطرد: «أتعهـد بأن أحقق كل رغبة لديكِ»، فانصب تركيزي على جسـده القوي. قلت له: «لديّ بضع أفكار».

كشفت لي نظرته الجديدة أنه كانت لديه هو أيضًا أفكار.

قـد نختلف على أي شـيء؛ لكننا كنّا متفقيـن على هذا. جذبته نحوي كي يقبلني مُجددًا، راغبة في الاستمتاع بهذه اللحظة إلى الأبد. وسرعان مـا غمرتنـا العواطـف الجياشـة. كنـت أريـد أن تصبـح أولـى لحظاتنـا الحميمة متأججة كانتمالاتنا.

كان راث يريـد أن يحقـق كل رغبـة خفيـة لديَّ، وكنت أرجـو أن يكون مسـتعدًّا لذلـك فعـلًا. كانـت قبلاتـه تشـعرني بأنـه قائد يخوض حربًا، وقـد كان قائـدًا بالفعـل؛ لكنـه لـم يُوقع أي أسـير. كانت قبـلات امتلاك واسـتحواذ، وقـد اسـتجبت لها على الفـور وبالطريقة نفسـها. كان راث، وكل جزء من روحه الشريرة، وكل نبضة من قلبه *مِلكًا* لي.

وبينمـا كنـت أحـاول نزع ردائـه، ابتعد عني بابتسـامة ماكـرة قائلًا: «الفضيلـة مملـة بطبيعـة الحـال؛ لكن الصبر سيُثبت جـدواه الآن. كنت أرجـو أن تكونـي أكثـر مهارة في هذا الموقف. فحسـبما أتذكر، سـألتني ذات مـرة عمـا إذا كنت أريد معرفة إلى مدى قد يبلغ بكِ الشـر». نظرتُ إليه، محاولة إخفاء ابتسامتي، وتابع: «هل هذا أقصى ما في وسعكِ؟».

فأجبتـه: «أتتحداني؟». بينما أرفع كتفـي، مدركة ما كنت أفعله بدقة ومستمتعة بما أثرته بداخله من رد فعل. يا له من شيطان مخادع! سألته: «وماذا لو كان هذا أقصى ما بوسعي؟ ماذا ستفعل؟».

«اجلسي على السرير، يا سيدتي».

كان صوته هادئًا؛ لكن نبرته كانت آمرة. فتراجعت بجرأة حتى وصلت إلى السرير واتكأت عليه. وقد سبق وتخيلت كيف يمكن أن يكون ملمس هذا الفراش، وها أنا ذا على وشك اكتشافه.

هز رات رأسه، مشيرًا إليّ بالرقود. تسارعت نبضات قلبي ترقبًا بينما أستلقي على السرير الكبير ذي الشراشف الحريرية. كان الإحساس رائعًا: مزيجًا من النعومة، والشر، والطيش غير القابل للترويض.

وكان رات يتصرف بصفته سيد مملكته بحق.

نظر في عينيَّ، وهو ما كان يمثل تحديًا بحد ذاته، كي يتأكد أنني على استعداد لاقترابه مني.

كان رات مخيفًا ومحيرًا، وكان مماثلًا لي في شوقه.

فعضضت شفتي السفلى، وقد غلبني شوقي وأنا أنظر إليه باهتمام واستمتاع. بدا رائعًا بينما أتأمل بقية جسده. كان طويلًا، مفتول العضلات، ذا بشرة برونزية بدت متوهجة بالحيوية. كان نموذجًا للقوة الذكورية بوسامة فتاكة. وإذ تقدم نحوي، تحول انتباهي من الثعبان اللامع المرسوم على ذراعه إلى الوشم المرسوم على ساقه اليسرى، كان على شكل خنجر متجه إلى أسفل منقوشة على سطحه أزهار. لم أستطع تمييز الأشكال الهندسية على مقبضه.

رمقني الشيطان بنظرة متعجرفة، وكأنه يعلم تمامًا أثر غوايته عليَّ. *فلتحل عليه لعنتك أيتها الإلهة!* اقترب مني و...

لا!

فجأة حدثت فرقعة عنيفة شقت الهواء وكأنها سوط إله غاضب، واختفى المخدع، ورات، ليحل محلهما شرفة خالية، وغرفة باردة مظلمة. أية نقلة عنيفة تلك! أخذت بضع لحظات حتى أدركت أنها كانت حقيقة وليست محض خيال. رحت أرمش بسرعة، محاولةِ التكيف مع

تلك الظلمة المفاجئة. وكانت الأشباح تتجول فيما كنت أظنه مكانًا صغيرًا، وتتلوى فوق بعضها البعض في هياج.

سَرَت قشعريرة في بدني، بينما ازداد الهواء برودة.

لا بد أنني دخلت في إحدى الرؤى الوهمية كالعادة. لقد رأيت بعضها من قبل؛ لكن أيًّا منها لم يكن بهذا الوضوح، ويبدو أن تلك الأوهام كانت تتشكل بعد أية لحظات حب أقضيها مع راث. رحت ألعن هذه المقاطعة غير المرغوب فيها، كارهة أن يتسبب ماضي أحدهم في إفساد متعة حاضري.

حاولت تدفئة صدغي؛ لكنني عجزت عن تحريك يديَّ، ولحظت غلالتين تتيدان معصميّ. وحين شددتهما، وجدتهما مربوطتين في السقف. كانت السلاسل تصدر قمقمة مع كل حركة، وكان صوتها يثير أعصابي المنهكة. نظرت إلى أسفل. في تلك الرؤية، كنت عارية كما ولدتني أمي. *اللعنة*! لقد تركت حلمًا لألج إلى كابوس.

أطلقت زفرة طويلة لأرى أنفاسي تتحول إلى سحب صغيرة بيضاء. يا للعجب! فبعكس سائر الرؤى الوهمية التي راودتني، كان لي سيطرة على هذه الرؤية؛ ولا أشعر بأنني أرى ذكرى أو مشهد من الماضي بعيني شخصًا آخر.

حاولت التركيز: إذا لم يكن هذا وهمًا أو ذكرى، فماذا عساه يكون، بحق الجحيم السابع؟ سمعت صوتًا مميزًا لحذاء يخدش الأحجار. جعل قلبي يخفق بعنف؛ إذ عصف بي خوف شديد. سألت: «أهذا أنت يا راث؟». أشعل أحدهم كبريتًا بالقرب مني، وسمعت حفيف ملابسه وشممت رائحته. ثم ارتعش وميض خافت في أقصى أطراف الغرفة. وجدت أن من أشعل الشمعة اختفى بطريقة غامضة، فهززت السلاسل مجددًا، جاذبة إياها بكل ما أوتيت من قوة؛ لكنني لم أتحرك قيد أنملة. لم أكن لأتمكن من الهروب إلا لو قُطعت يداي أو أطلق المُختطِف سراحي.

حاولت درء هذا الرعب، محدقة في الحجرة شبه المظلمة، ومحاولة تحديد المكان أو السجان. كانت غرفة حجرية، وكنت موثقة في كوّة كبيرة بها.

في منتصف الحجرة الرئيسية، كان هناك مذبح منحوت من الحجر الباهت نفسه الذي بُنيت به الجدران والأرضية. وكان القش والأعشاب المجففة منثورة على الأرض. ذكَّرني المنظر بالدير في وطني؛ حيث كانت صديقتي كلوديا تستغل الموتى في عمل السحر؛ لكنه لم يكن ديرًا.

أعاد التفكير في تلك الغرف إلى ذهني ذكريات الجواسيس الخفيين المأجورين الذين لاحقوني هناك ذات مرة. لقد شعرت بأن الوقت توقَّف حين قابلت أحد شياطين الغابة، ورحت أقاوم القشعريرة. فإذا لم أكن قابلت أيًا من هؤلاء الشياطين المرعبين مجددًا، لكنت عشت حياة طيبة سعيدة.

هززت السلاسل مجددًا وقلت: «أظهر نفسك، أيًّا ما كنت!».

لكنني لم أتلقّ إجابة سوى صدى قعقعة السلاسل. ومع ذلك، أقسم بأنني سمعت صوت أنفاس شخص بالقرب مني. لم أرَ أي نفثات؛ لكنني كنت أعلم أنني لست بمفردي. لم يكن راث ليتلاعب بي بخدعة كهذه، وخاصة أننا كنا مقبلين على شيء كلانا يريده، وهو ما جعلني أستبعد أن يكون الأمر حيلة ماكرة من هذا الشيطان.

استجمعت شجاعة زائفة وقلت: «أتخشى التحدث معي، حتى وأنا مقيدة؟».

«لست خائفًا». كان صوتًا حادًّا غريب اللكنة، فانحشرت أنفاسي.

لقد سمعت هذا الصوت من قبل؛ لكنني لم أتذكر أين. لم يكن هذا أنير، نائب راث. ولم يكن أيًّا من إخوته. كانت اللكنة تنتمي لجزيرتي في عالم الفانين. كنت واثقة من ذلك.

«إن لم تكن خائفًا، فليس هناك سبب لإخفاء نفسك عني».

«إنني أنتظر الأوامر».

«ممن؟». لم يجبني سوى الصمت.

كان من الصعب أن أتظاهر بالقوة وأنا عارية ومقيدة وأتحدث إلى شبح قام باختطافي؛ لكنني حاولت. « أيًا كان سيدك، فسيأتي عاجلًا. لا حاجة لك للاختفاء».

«لا تقلقي بشأني».

تلك عبارة ينطقها كل قاتل قبل أن يضرب عنق ضحيته، فشعرت بغصة. كنت أحتاج إلى أن يواصل الحديث كي أعرف هويته، وكنت أعرف أن استفزازه قد يجعله يستجيب، حتى لو لم يُرد ذلك. لقد استخدمنا أنا وراث الأسلوب نفسه مع بعضنا البعض على مدى الأشهر القليلة الماضية، ويجب أن أشكره الآن على تدريبي.

سألت: «هل أمرك سيدك بالبقاء في الظل؟».

«كلا».

«حسنًا، فهمت».

«ماذا؟».

«أنت مجرد شخص منحرف يستمتع بمشاهدة ضحاياه وهو يعرف أنهم لا يرونه، في المقابل. أخبرني، هل تراودك أفكار منحرفة عني؟ لماذا لا تقترب مني؟ *اقترب لأقوم بخنقك*». وعلى الفور تجسد أمامي رجل يتوقد غضبًا. لم يكن شيطانًا، لكن هذا لم يُرِحني. تنفست بعمق وقلت: «أنت دومينيكو نوتشي».

نظر إليَّ الشاب الذي كان يبيع كرات الأرز مع أسرته في باليرمو نظرة حادة، وانبلجت مخالب مميتة من أطراف أصابعه، ثم انسحبت لتذكرني بأنه لم يعد أكثر إنسانية مني. كدت أنسى أن الرجل الذي ظننته على علاقة سرية بشقيقتي كان من المتحولين. بعبارة أدق، كان من المستذئبين، كان مخلوقًا مزاجيًا. وبناءً على ما أتذكر من حكايات أبيه، فقد قمت باستفزاز كائن تحول حديثًا. لم أعرف إلى أي

مدى يستطيع التحكم في الذئب الذي بداخله؛ لكنني أراهن على أنه لا يستطيع التحكم فيه كثيرًا.

راح دومينيكو يحدق فيّ بعينين تلمعان بلون قرمزي باهت غريب، رغم لونهما البني الداكن الأصلي، وبهذا أكد شكوكي بأنه على وشك التحول.

حبست أنفاسي، وانتظرت أن يسدد إليّ ضربة قاتلة. اقترب مني مكشرًا عن أنيابه، والغضب يشع منه كالشمس الحارقة. تنفس الذئب بعمق مرات عدة، ثم حرك كتفيه أكثر من مرة ليكسر حدة التوتر، وحرك مخلبه فخرجت بعض الأشباح والتفت حولي وهيأت لي نوعًا من أردية النوم.

سألته: «أين نحن؟»، متجاهلة غرابة الثوب الذي استقر فوق جسدي، وأن المستذئب قد سحره بتعويذة صغيرة همس بها.

«في مملكة الظلال».

بدأت أستوعب الأمر بهدوء. لقد كبرنا على حكايات الجدة ماريا عن المتحولين وغيرهم من الكائنات المسحورة. ووفقًا لحكايات جدتي، كانت الذئاب تخوض حروبًا خارقة للطبيعة مع نفسها ومع الشياطين في عالم الأرواح. لا بد أن هذا العالم كان مملكة الظلال.

لطالما تصورت أن عالم الأرواح مسكون بالأشباح؛ تلك الكائنات الأثيرية التي تخترق الجدران، وتسكن الأماكن كما تُصورها الروايات القوطية؛ لكن الأمر كان مختلفًا عن خيالاتي. كان دومينيكو ذا جسد كامل، وكنت أشعر بثقل الأغلال الباردة تجرح بشرتي.

كما شعرت بشيء لم أشعر به من قبل: إنه أزيز السحر الخفيف في المعدن. لم تكن هذه أغلالًا عادية؛ بل مسحورة لتقمع قواي السحرية.

أرسلت نخزة خفية لمصدر سحري، فحدث ما توقعته بالضبط: لقد اصطدمت النخزة بحاجز منعني من استدعاء النار.

كان لديّ شعور مخيف بأنني أعرف سيده، وأن تقييد سحري في حضوره سيكون خطيرًا. نظرت إلى خاطفي. لم يحدث أن سمعت أن الذئاب تنقل أي شخص معها إلى عالم الأرواح، وحتى الآن، لم أكن لأصدق أن هذا ممكن، خاصة بالنسبة لمستذئب حديث التحول. لا بد أن دومينيكو قوي جدًّا، ولعله من قادة المستقبل.

سألته: «أما زال جسدي المادي في الدوائر السبع؟». راح دومينيكو ينظر إليَّ، وكانت عيناه تفقدان بعضًا من لمعة التحول، وأجاب: «نعم».

لم أكن متأكدة من إمكانية هذا. كما أشارت نظرة المستذئب إلى أنه لن يجيب عن أي سؤال متعلق بذلك، ولأنني أعرف مدى خطورته إذا تحول إلى ذئب، توقفت عن استفزازه. لقد أعطاني المعلومات المهمة التي أحتاج إليها.

كان جسدي باقيًا في مخدع راث، ولا بد أن الشيطان كان يبحث عن طريقة ليستعيدني الآن. فإذا لم أتمكن من الفرار بنفسي، كان عليَّ ببساطة أن أتحين الفرصة المناسبة كي يأتي لروحي ويطلق العنان لقواي، فأي أحمق يعتدي على عروسه المنتظرة في منزله الملكي كان يستحق أن تُستنزَل عليه خطيئة الغضب التي يحمل اسمها. كدت أبتسم وأنا أتخيل المجزرة التي سيُحدثها أثناء تطبيقه العدالة؛ لكنني منعت نفسي.

قلت: «البرد قارس هنا».

«ليس بالنسبة لي».

أردت تدليك ذراعيَّ بيديَّ كي أفرض الدفء على «الكيان» الذي كنت بداخله؛ لكنني لم أستطع بسبب الأغلال. راح دومينيكو يراقبني عن كثب، وكانت عيناه تلمعان بالوعيد، فأية حركة خاطئة قد تجعله يفترسني بفكيه، مهما كانت الأوامر التي صدرت إليه. كان أكثر توترًا من المرة الأولى التي تقابلنا فيها، ربما كان هذا بفعل التحول. سمعت ذات مرة أن الذئاب الصغيرة تنضج بعد سنوات.

لم أستطع تحمل نظراته الصامتة، فابتلعت لعابي وقلت: «حين رأيتك في الدير بعد مقتل فيتوريا، ظننتك تصلي من أجلها؛ لكنني اكتشفت بعد ذلك أنك ذهبت إلى هناك لأنها كانت أولى مرات تحولك. ألم تشك في هويتك قبل ذلك؟»، فارتجفت عضلة في فكه وقال: «أتعرفين ما تكونين يا إيميليا؟».

لم يفُتني أنه استخدم «*ما*» بدلًا من «*مَن*». كانت لديّ شكوكي، لكنه لم يكن بحاجة لمعرفتها.

«أعرف أنني سجينتك. وأعلم أن راث سيطاردك ويمزق أوصالك إذا لحق بي أذى». ابتسمت، وارتسم على شفتيّ تعبير شرير. بدا أن الذئب أدرك أنه رغم أنه قيدني وكبّل سحري، فهو لم يكن الحيوان المفترس الوحيد في الغرفة. تابعت: «ولا يوجد عالم واحد تستطيع الاختباء فيه قبل أن يعثر عليك، هذا إن لم أصل إليك أنا أولًا، فهو سيكون أكثر رحمة بك. تذكّر هذا».

«مرحبًا يا أختاه».

رغم أنني لم أكن شديدة الثقة بقدومها، كان من شأن سماعي صوت أختي أن يجعل قلبي ينقبض ويتألم. فتحول انتباهي إلى الطرف الآخر للحجرة، ليستقر على فيتوريا.

تسللت أختي إلى الغرفة كشبح من الماضي، إذ كانت ترتدي ثوبًا طويلًا أبيض ينسدل خلفها وكأنه معلق بنسائم خيالية. كان وجود فيتوريا يشبه الحلم؛ لكنها كانت حقيقية، مثلي أنا ودومينيكو. نظرت إليها بإمعان، باحثة عن أية إصابة، رغم إدراكي أنها هي التي كانت تتحكم في المستذئب، لا العكس.

ترقرقت الدموع في عينيَّ حين فهمت ما يحدث. فيتوريا موجودة بالفعل، وعلى قيد الحياة. كان من الصعب أن أصدق أنها لم تمت منذ ساعة أو اثنتين. ورغم خداعها، أردت أن أحتضنها وألا أتركها أبدًا. كانت معجزة من الإلهة.

«فيتوريا».

خرجت هذه الهمسة من فمي، وبمجرد أن سمعت أختي التو
صوتي، ارتعشت شفتاها بابتسامة مألوفة. لو لم أكن مقيدة، لركعتُ ء
ركبتيَّ. كانت رؤيتي إياها في مرآة الأقمار الثلاثية في وقت مبكر شـ
أثار في نفسي شعورًا غريبًا، لكن رؤيتها هنا أمامي أمر مربك. ضا
مني الكلمات بينما راحت شقيقتي تدور حولي وتنظر إليَّ بفضول.

«لنحل قيودك ونر ما تعلمتِه من حيل سحرية». لمعت عينـ
البنفسجيتان لتذكّراني بأنها تغيرت تمامًا. لم تعد الفتاة ذات الـ
البنيتين المطابقتين لعينيَّ. لم تعد الفتاة التي كانت تهوى صـ
مشروباتها وعطورها. كانت تلك المرأة الغريبة مخلوقًا مختلفًا. و..
هذا هو ما جعل الشعر المنسدل على كتفيَّ ينتصب. «تعلم الإلهة أن لدي
حيلًا يمكنني مشاركتها».

وهنا تحرك دومينيكو بسرعة خارقة للطبيعة وأمسك شعري، مديرًا
رأسي جانبًا بقوة، ثم وجه أنفه نحو عنقي واستنشق عطري بعمق، وكأنه
يحفظ رائحته كي يتتبعني إذا حاولت الهروب. انكمشت؛ من الألم
المفاجئ؛ لكنني نجحت في كتم صرختي.

صرخ هو، وكان صوته غير آدمي حين قرب فاه من أذني. «إذا
ارتكبتِ أية حماقة، فسأنتزع قلبكِ يا ساحرة الظلال».

فزجرته فيتوريا قائلة: «اهدأ أيها الجرو، ليس هذا أوان اللعب
بخشونة».

وقبل أن أستوعب ألم تلك العبارة أو أتساءل عن كم الآلام التي
قد تُضاف إلى التقييد، دفعني دومينيكو جانبًا. وبحركة أخرى بطيئة
من يده، انفتحت أقفال أغلالي، لتقع السلاسل على الأرض وتُصدر
صوتًا يُنذر بالشر كالصوت الذي يصدره سيف الجلاد الذي يتقدم نحو
المحكوم عليه بالإعدام.

كانت هذه هي الحال، وكانت تلك هي اللحظة التي كنت أخشاها ولم أكن مستعدة لها على الإطلاق.

كان قلبي يخفق بشدة، فالتفتت نحو المستذئب الهائج لأواجه توأمتي الميتة الحية، محاولة التماسك إذ راحت عينانا تتلاقى وتتباعد.

لقد أقنعتني فيتوريا لشهور بأنها ماتت أبشع ميتة، وجعلتني أعثر على جسدها منزوع القلب، مكسورًا داميًا في مقبرة. لقد دمرت حياتي وكياني إلى أقصى درجة. كان خداع فيتوريا جُرحًا لن يندمل، وسيترك أثرًا لن يمحى من روحي وقلبي.

ورغم وقوفها أمامي الآن، حية تُرزق، لم يكن هناك أمل في العودة لما *كنّا عليه*. لقد مر بيننا الكثير، فما كنّا *لننسى* ونواصل طريقنا، وهو الأمر الذي يُرثى له أكثر من أي شيء، ومهما كانت رغبتي في حدوث العكس، فقد تغير كل منا بشكل لا رجعة فيه. ولم أكن متأكدة مما إذا كانت فصول حياتنا الجديدة ستتوافق مع بعضها بعد ذلك أم لا.

ولكي أتجاوز آلام قلبي، رحتُ أفكر في أميري، وكيف أفسدت شقيقتي عليَّ تلك الليلة أيضًا. وبدلًا من الأسى، رحت أفكر في الثورة *والغضب* اللذين أردياني إلى جحيمي الخاص. لقد اختفت جميع المشاعر إلا واحدًا.

فإذا كان بمقدوري الشعور بالقلق بدلًا من الغضب الكامل، كانت ابتسامة الانتصار التي علت وجه أختي ستتحول إلى ومضة توتر. ويبدو *أنها* كانت على وشك اكتشاف أنها لم تكن الوحيدة القادرة على غرس الخوف. لقد آن الأوان لتخشاني فيتوريا.

توغلت في مصدر سحري. شاعرة بالراحة وأنا أغوص في بئر القوة الهائلة التي تمور تحت جلدي، فإذا أرادت أختي أن ترى ما أستطيع فعله، لأريتها إياه بكل سرور.

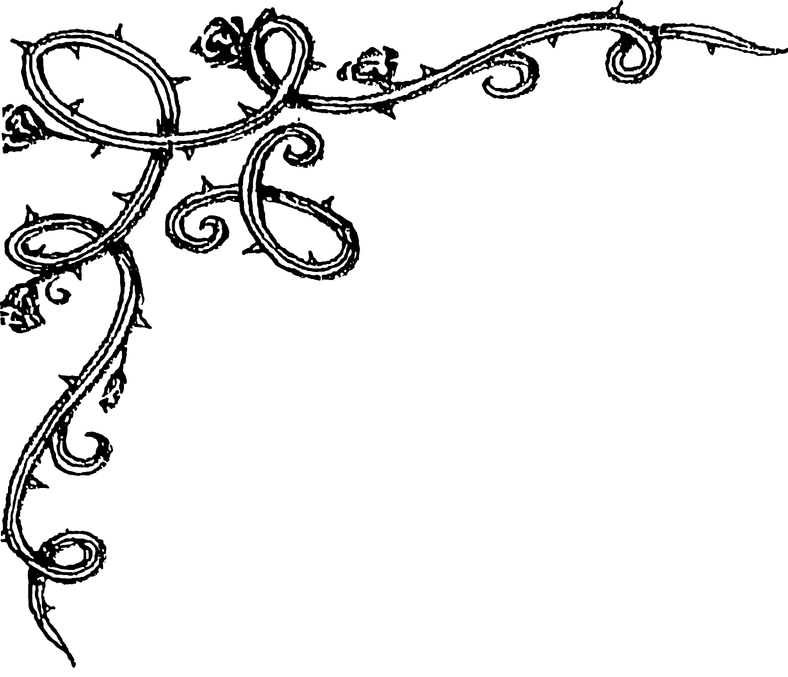
«لديكِ خمس دقائق لتدافعي فيها عن نفسكِ». رحت أتحدث بنبرة أبرد من الهواء المحيط بنا؛ بل أكثر برودة من أسوأ دوائر الجحيم.

أكاد أقسم بأن الأشباح انتظرت قبل أن تتناثر في العدم، مختبئة من تصفية الحسابات التي استشعرت اقترابها.

سألت فيتوريا: «وماذا سيحدث بعدها؟».

كانت ابتسامتي كابوسًا جميلًا. وللمرة الأولى، بدا على فيتوريا القلق والحيرة، وكأنها أدركت للتووجود خطأ جسيم في خطتها، فمَن يخلق الوحش عليه ترويضه، وهذا مستحيل.

«بعدها، يا أختي العزيزة، ستقابلين الساحرة التي أجبرتِني على أن أتحول إليها».



الثاني

«اخرسي، وإلا قطعت لسانك». وهنا تقدم دومينيكو خطوة إلى الأمام، مكشرًا عن أنيابه ومزمجرًا لأنني هددته؛ لكن فيتوريا رفعت يدها لتوقفه. كنت في شدة الغضب، فلم أفاجأ بسرعة تراجعه؛ استجابة لأمر بسيط غير منطوق.

بادرتني فيتوريا متسائلة: «ألم تصبحي أكثر قوة وجرأة؟ فقد خرجتِ من ذلك الجُحر الصغير الآمن حيث كنتِ تختبئين كي تعيشي حياة يحكي عنها الرواة قصصًا. فهل تُنشد مواويل عن *الساحرات* المملات اللاتي يقضين الوقت في أعمال المطبخ، متباكيات على رجال مقدسين يماثلونهن ضجرًا مثل أنطونيو؟ أظن أن قصة حب عظيمة مع ملك الجان أمر أكثر إثارة، ولا سيما إذا دارت أحداثها في مخدعه. يجب أن تشكريني يا إيميليا على تخليصك من حياتكِ السابقة. لقد خُلقنا أنا، وأنتِ، وأنطونيو، وسي، وفاين من أجل أشياء أعظم».

تساءلتُ وأنا أستشيط غضبًا: «أي ملل؟ لقد كنت *أحب* حياتي وأهوى الطبخ. اعذريني إن كنتِ تجدين ما كان يروقني منفرًا. منذ متى وأنتِ تكرهين سي وفاين؟ لقد كنتِ تحببين عائلتنا والوقت الذي نقضيه في

الطهو معًا. هل نسيتِنا أثناء بحثك عن... أيًّا كان هذا الشيء، كيف فعلتِ ذلك بنا؟ كيف فعلتِ ذلك بي؟».

تهدج صوتي عند السؤال الأخير، وجاهدت لأسيطر على غضبي وأستجمع تركيزي مُجددًا. راحت فيتوريا ترقبني عن كثب وقالت: «لقد فعلتُ ما كان ينبغي فعله *لأجلنا*. قد لا يبدو الأمر هكذا؛ لكنني أقسم بأن كل ذلك كان من أجلك ومن أجلي. إن اللعنة...».

ثم امتنعت عما كانت تود قوله.

فقلت: «نعم، اللعنة». ولوحت يديَّ في الهواء واستطردت: «تلك اللعنة الفظيعة التي لا يستطيع أحد التحدث عنها. لقد انتهت علاقتي بالسحر وجميع الكائنات المشعوذة التي تشارك فيه! لماذا ادعيتِ الموت؟ كيف كان هذا سيفيدني؟».

بَدت وكأنها تنتقي ما تريد التفوه به بعناية: «معظم النار لا تأتي إلا من أصغر الشرر».

كانت غامضة كالعادة حين يتحول الحديث إلى اللعنة. سألتها: «لماذا تحتاجين إلى كل تلك النار؟».

تحولت نظرتها إلى كتلة صماء من الكراهية. وللحظة، لم تشع مقلتاها بلمعة بنفسجية؛ بل بلون أحمر يشبه الياقوت. أجابت: «أريد أن أشاهد أعداءنا يحترقون، وأستعيد أملاكنا بحكم قوتنا ونسبنا، وأحطم آخر الأغلال التي طالما قيدتنا تحطيمًا مطلقًا».

«وماذا عن عائلتنا؟ أهم أعداؤك؟ هل كانوا يستحقون أن يفجعوا عليكِ بينما يدفنونكِ في ذلك السرداب؟ هل كان يجب أن يصدقوا أنكِ متِّ وتتعفنين مع أسلافنا؟».

«نعم، رغم أنني أشك في أنهم صدَّقوا أنني كنت أتعفن. فهمت أنهم أدخلوا تلك الكذبة في عقلك، رغم أنكِ المفضلة لديهم، أم لعلكِ الأكثر مهابة؟!» كان هذا ما تظن فيتوريا أنه الحقيقة، ثم تابعتْ: «وهم ليسوا الوحيدين الذين سيخافوننا. لقد عملت بنصيحة واحدة من نصائح

عائلتنا العزيزة؛ ألا وهي: اجعل أصدقاءك مقربين، واجعل أعداءك أقرب».

نظرتُ إلى تلك الغريبة التي كان لها وجه أختي. لقد حلت القسوة والظلام محل النور الذي كان يشع ذات يوم من فيتوريا. كانت أختي مرحة ودودة، وقادرة على تكوين الصداقات، والرقص لساعات. كنت معجبة بصفاتها تلك، ووددت لو تحليتُ بها، لكنني لم أستطع تقبل هذه النسخة القاسية.

سألتها: «ماذا لو لم أرغب في أن أصبح من المرعبين؟».

ابتسمت فيتوريا ابتسامة سريعة حادة ملؤها الوعيد: «هناك طيور بلا أجنحة يا أختاه».

تنهدت قائلة: «هل تحدثتِ مع أمير الحسد؟ أقسم أنكِ صرت تشبهينه بعد أن تجرع الكثير من شراب التوت الشيطاني الذي تُليت عليه تعويذة الصدق».

التمعت عيناها بذكرى: «إنفي؟ لقد لهوت معه كي أشاهد فقط تلك العينين الخضراوين تشتعلان بخطيئته المفضلة. فمصاصو الدماء عشاق رائعون؛ لأنهم كائنات ليلية، إنهم بارعون في مزج اللذة بالألم. بعد أن تنتهي من اللهو مع شيطانكِ، عليكِ بزيارة بلاط مصاصي الدماء، واللهو مع واحد أو اثنين. لقد زرت أميرهم مؤخرًا ولم أشعر بخيبة الأمل، فالأشياء التي يمكنه فعلها بتلك الأنياب...».

وهنا زمجر دومينيكو، فألقت عليه أختي نظرة ماكرة. من الواضح أنه لم يكن يعرف أن تلك المرأة عبثت مع بعضِ أعدائه الفانين. لم يكن لديَّ علم بوجود بلاط لمصاصي الدماء، ولم أكترث لاسأل ومادام أمر مصاصو الدماء هؤلاء وبلاطهم لا يمثل أهمية في اللحظة الراهنة، لن اتطرق إلى السؤال عنهم.

«أنا...». كنت أود أن أمحو من عقلي فكرة ممارسة أختي علاقة مع مصاص دماء معين. كنت قد قابلت مصاص الدماء أليكسي بكل أسف،

وكان مُرعبًا. لم يحدث هذا في سياق ظلاميٍّ محرم ولا في رؤية وهمية. وقد بدا مستعدًّا لتمزيق أي قلب وشرب دمائه حتى يجف، كنوع من أنواع التسلية.

رحت أتساءل: «لماذا أنتِ هنا الآن؟ ألم يكن من المفترض أن نلتقي غدًا في الجزر المتحولة؟».

رفعت فيتوريا أحد كتفيها وحولت عينيها عني: «أردت أن أوصل الرسالة بنفسي في حال عدم حصولكِ على الجمجمة».

لم أصدقها؛ لكنني لم أطالبها بكذبة صريحة. كانت أختي تخفي سرًّا آخر، ويبدو أنه كان متعلقًا بمملكة الظلال إذ كنّا داخلها. وربما كان اختبارًا لتعرف ما إذا كان دومينيكو يستطيع إحضاري هنا دون أية مشكلة؛ مما يعني أن وقتنا كان محدودًا، وكنت محتاجة لإجابات.

«كيف تظاهرتِ بأن قلبكِ اقتُلع؟».

«لم أفعل».

«لقد رأيت دماءك وثقبًا كبيرًا في صدرك. واضح أن هذا كان سحرًا أو وهمًا، إلا إذا كنتِ لا تحتاجين إلى قلب تعيشين به. لا تقفي هكذا وتواصلي الكذب عليَّ. لقد كذبتِ بما فيه الكفاية لأشهر عدة. من حقي أن أعرف الحقيقة يا فيتوريا».

انخفضت الحرارة فجأة، وراحت بلورات الثلج تتلوى على الجدران، وتطقطق كألسنة لهب متجمدة، وتنتشر بسرعة. وراحت الشمعة ترتجف بفعل الهواء المفاجئ حتى انطفأت. وهنا عمَّ الظلام المكان، وراح شريط نحيل من الدخان يلف في الهواء، وبدأت رائحة الكبريت تتغلغل في الجو البارد، كان هذا نذيرًا أرسله أحد آلهة الجحيم. وكنت أعرفه جيدًا.

خطا دومينيكو إلى الأمام، ولف يده حول عضد أختي وجذبها تجاهه. «حان وقت الرحيل. لقد اخترق حراسات الظلال».

بدأ قلبي يخفق. كنت أعلم من يكون. لقد جاء راث من أجل روحي، ودكَّ حدود مملكة الظلال؛ إذ كانت الخطيئة التي يحمل اسمها قوية، فارتجت الأرض التي كنّا نقف فوقها حين اقترب. شعرت بغضبه بوضوح؛ إذ فعل بي شيئًا غريبًا في هذه المملكة. توقفت فجأة عن التفكير في خيانة أختي أو الشعور بالألم. غمرني الدفء في المكان نفسه الذي غرس فيه البرد مخالبه. لقد جعلتني خطيئة راث أشعر بالحيوية والمتعة، كما جعلتني أرغب في التخلي عن التهذيب واللياقة، وأصبح قوة أولية تحركها الغرائز الدنيا.

تصنعت فيتوريا الابتسام، وقالت: «تذكري يا أختاه أن تستمتعي بمذاق الحب دون أن تسقطي فيه، تلك هي نصيحتي الوحيدة لك».

«ولماذا يجب أن أعمل بها؟».

«أنا لحمكِ ودمكِ». كان دومينيكو قد جذبها إلى الجانب الآخر من الغرفة، ثم لوَّح بيده فانفتحت بوابة لامعة أمامهما. توقفت فيتوريا ونظرت إليَّ قائلة: «بعض العلاقات لا يمكن قطعها يا إيميليا، وبعض القرارات لها عواقب مماثلة للموت. صدقي شخصًا يعرف الكثير عن تلك الأمور».

أخافني أول جزء من نصيحتها، فقد قال لي راث جملة مشابهة في ليلة اكتشافي حقيقة تقديمه لي علامته الملكية، فرحت - وأنا شاردة - أتحسس عنقي بأناملي، ولمست حرف S شبه الخفي، وكان السحر يبعث رعشة خفيفة ممتعة سَرَت في الكيان الذي كنت فيه.

تساءلت: «ما معنى هذا؟ توقفي عن العبث يا فيتوريا».

فقالت: «إذا اخترتِه، فستتنازلين عن جزء من نفسكِ. أراكِ غدًا. لا تتأخري». لم تكن إجابتها إلا لتثير مزيدًا من الأسئلة.

سألتها: «لماذا يجب أن نتقابل في الجزر المتحولة؟ توقفي! لماذا لا تخبرينني بما تريدين؟».

«عليكِ أن تنتظري لتعرفي».

رمتني فيتوريا بقبلة في الهواء، ثم عبرت البوابة مع المستذئب بسرعة. يبدو أن دومينيكو، الذي كان ذكرًا قويًّا أدرك أن ثمة خطرًا أكبر دخل هذه الأرض، وكان الانسحاب خيارًا ذكيًّا، أو لعله تنازل عن كبريائه لينقذ أختي التوأم. لم أكن واثقة من شعوري بعد أول لقاء لنا. كان هناك زحام من المشاعر المتناقضة؛ لكنني شعرت بالامتنان لوجود حليف مخلص معها، كانت بحاجة إليه.

«إيميليا».

ظهر راث في الغرفة بعد لحظة، وكان جسده متحفزًا ينذر بحرب وشيكة على أعدائنا. حدَّق في البوابة الموشكة على الانغلاق بنظرات شذرة، ثم حدجني بنظرة حادة كنصل الخنجر الذي يحمله، مهددًا بمعاملة كل من يؤذيني بالعنف نفسه.

نظرت إلى أسفل ولاحظت أن رداء الأشباح اختفى لحظة وصول راث، لأصبح عارية مُجددًا؛ لكنني لم أشعر بالخوف.

«هل آذوكِ؟». كان صوته حادًّا كمن يدخر كل طاقته للمعركة. ربما هرب دومينيكو؛ لكن راث كان سيطارده. علت وجهه نظرة باردة قاسية تنذر بالوعيد.

فهززت رأسي بالنفي، فقد تغويني نفسي بقول نصف الحقيقة، وليس كل الأذى يصيب الجسد. «أرادت أختي التأكد من أنني تلقيت رسالتها عن الغد. أين تقع الجزر المتحولة؟».

«خارج اليابسة مباشرة». راح الشيطان يدرس أركان الغرفة قبل أن تستقر عيناه على الأغلال. وفي لحظة، اختفى نصله ووجدته أمامي يتفحص معصميَّ برقَّة. أثارت البقع الحمراء التي كادت تتحول إلى كدمات، غضب راث بشكل مخيف، فرفع صوته بالوعيد. وصار الهواء شديدة البرودة، فراحت أسناني تصطك ببعضها البعض.

«إذا أوثقكِ أي شخص مرة أخرى، فسأتحول إلى جميع الكوابيس التي سمعها البشر عني، وربما أكثر».

ضرب الجليد الجدران وغطى السقف؛ إذ راحت حرارة الجو تهبط، وراحت كتل الأحجار تتشقق وتسقط على الأرض. إذا لم يتحكم راث في مزاجه بشكل عاجل، فسنُحبس في الجليد أو نُدفن تحت الأحجار.

«لكن ماذا لو طلبت *منك* أن توثقني؟».

وهنا بدأ التعبير القاسي على وجه راث يتلاشى، وهو ينظر إليّ. لم يكن يتوقع ذلك. وهذا جيد، فربما نستطيع الخروج من هذه المملكة قبل أن نتحول إلى تماثيل جليدية. حررت نفسي من قبضته الخفيفة، ولففت ذراعيّ حول خصره، وشعرت بقلبه يخفق بسرعة، وسرعان ما غمرني الدفء.

«لا حاجة للوعيد، يكفي أن تخبرني بأنك تحبني وإنك سعيد لسلامتي».

مرت لحظة صمت شعرت فيها بأن راث يحاول جاهدًا السيطرة على نفسه. وكانت إرادته القوية كفيلة بكبح القوة الهائلة التي كانت تصارع للتحرر والهجوم. لم أتخيل أن سيطرته وتحكمه المطلقيْن اللذين فرضهما على الخطيئة التي يحمل اسمها، يمكن أن يخنقا غضبه ويحولاه إلى خضوع. صار الهواء دافئًا بعض الشيء، رغم برودته القارسة.

ضمني راث كي أصير أكثر قربًا منه، وكأنه يُطمئن نفسه بأنني آمنة وسليمة. وقال: «أو ليس الوعيد لكل من يعاديك علامة على حبي؟».

ضحكت قائلة: «لا يستطيع أحد أن ينكر أنك شيطان أفعال وليس أقوال»، وتراجعت للخلف قليلًا فرأيت السعادة تحل محل الغضب البارد في عينيه، ومع ذلك ظل شيء من الغضب يعلو وجهه ولم يكن ليختفي بسرعة.

«أرجوك، خذني إلى البيت. لقد كانت ليلة طويلة، أحتاج إلى حمام ساخن وزجاجة شراب توت شيطاني بأكملها».

رغم الأحداث التي وقعت، والإنذار الذي وجهته لي فيتوزيا، كنت تواقة للتقرب إلى مليكي؛ إذ كان هذا ما سيهدئ روعي أكثر من أي شيء آخر، ويمنح عقلي وجسدي وروحي الملعونة السكينة.



نقلَنا راث إلى مخدعه، موحدًا روحينا مع جسدينا، وتلفتُّ حول الغرفة المغلفة بالجليد. كان السقف، والجدران، والمدفأة - *كل شيء* ما عدا السرير - متجمدة، وكان الجليد *سميكًا جدًا*، فبدا مائلًا إلى الزرقة. كنت أرى أن مملكة الظلال سيئة، فجاء هذا المنظر ليعلمني أن هناك ما يمكن أن يكون أسوأ.

دفعت نفسي بحذر شديد من موضع رقادي، ورفعت حاجبًا متسائلًا. راح راث يمرر يده على شعره، فإذا بي أرى جروحًا على مفاصله لم ألحظها من قبل.

سألته وأنا أشير إليه بالاقتراب: «أكان يجب عليك أن تحارب الذئاب؟ أرجوك أرني هذا». تردد في تنفيذ طلبي، ثم مد لي يده المجروحة. «لماذا لا يُشفى هذا الجرح؟».

«لقد اخترقت الممالك».

كان يتحدث بأسلوب كيّس، وإن لم أكن أعرفه منذ أشهر، لفاتتني الأمارات الخفية على مقاومته عواطفه. كان فمه مشدودًا، وفكه المنحوت متوترًا. وكانت هناك لمعة قاسية في نظرته تنم عن وعيد باقتراف أعمال مروعة، وتكشف عن قرب موعد تدميره للمملكة. سَرَت قشعريرة في جسدي، ثم لاحظت أن الظلام الذي كان مسيطرًا على عقله اختفى.

قال: «لا بأس، يمكنني إصلاح ما حدث هنا بسهولة».

«لا يهمني *المخدع*! هل *أنت* بخير؟».

ابتسم لي أمير الشياطين، وقال: «أنا بخير الآن».

لم يحدث أن رأيته يفقد صوابه ويستعرض قوته بهذا القدر، ورحت أتساءل عن قسوة رد فعله، وعما قد يعجز عن إخباري به، أو ما لا يود أن يخبرني به. شعرت بأنه يحتاج إلى وقت كي يفكر في الأمر، ومنحته ابتسامة صغيرة، في المقابل.

سأل: «هل أنتِ واثقة؟».

«أنا واثقة». وبسرعة خارقة رتب الغرفة، وأمر بملء حوض الاستحمام؛ ولكن، عندئذ، دق أحدهم الباب. لو كان بإمكاني أن ألقي على أحدهم تعويذة قاتلة وقتها، لفعلت.

وقلت بصوت فيه أنين: «أتوسل إليك ألا تفتح».

بدا راث متحيزًا؛ لكنه لبى طلبي. وبعد اختياره حارسًا كي يمنع الجميع من دخول مقره الخاص، حملني وذهب بي إلى حجرة الاستحمام، وأغلق الباب وراءه.

لم أكن قد رأيت هذه الحجرة من قبل؛ لكنني انبهرت بجمالها وأناقتها، وبأرضياتها رمادية اللون، وجدرانها السوداء الرخامية ذات العروق الذهبية، وشموعها التي تقطر شمعًا أبنوسي اللون. وكان حوض الاستحمام في منتصف الغرفة على شكل قدم مخلبية، ويتسع لعدة أشخاص.

كما كانت هناك ثريا سوداء ضخمة تتدلى على ارتفاع بسيط، قريبة من حوض الاستحمام ومكملة لهيئة الغرفة. كانت الغرفة مظلمة ومريحة تمامًا. وهذا ما كنت أحتاج إليه بعد تلك الليلة العصيبة.

وضعني الأمير في حوض الاستحمام، ثم عاد ومعه كأس من شراب التوت الشيطاني المثلج. كانت بذور التوت الفضية تتلألأ مثل النجيمات في ضوء الشموع. ولأول مرة، وبعد مرور وقت خِلته ساعات، تنفست الصعداء وشعرت بالطمأنينة.

سحب راث مقعدًا ووضعه بجانب الحوض وراح يرقبني وأنا أرتشف شرابي وأغمر نفسي حتى الكتفين في المياه الدافئة الرائعة. «هل تريدين التحدث عن أختكِ؟».

تنهدت وقلت: «ليس بشكل خاص. لا أفهم لماذا تريد مقابلتي في الجزر المتحولة. سيكون من الأسهل أن نتحدث هنا. هل ترى لهذا أي سبب؟».

لم يُجب راث على الفور، ثم قال: «ربما لديها شيء تود أن تريكِ إياه».

«قد تكون محقًّا؛ لكن كان بإمكانها أن تخبرني بذلك؛ لكن هذه طبيعة فيتوريا؛ بل لعله أحد طباعها التي لا أزال أميزها فيها». أخذت رشفة أخرى من الشراب ورحت أتلذذ بالنكهات الرائعة التي تداعب لساني. سألته: «كيف شققت طريقك نحو مملكة الظلال؟».

«أنا ملك العالم السفلي، وعالم الأرواح تحت سيطرتي. وحتى لو لم يكن، أتظنين أن مستذئبًا واحدًا سيمنعني من الوصول إليكِ؟».

رُحتُ أستفزه قائلة: «لست واثقة من أن شيئًا سيمنعك. كيف هو شعورك بأنك لا تُقهر؟».

بدا راث شاردًا متأملًا، وهو يسحب منشفة من إناء مجاور لحوض الاستحمام ويغمسها في الماء، ثم سكب عليها زجاجة صغيرة من الصابون، وأشار لي بأن أستدير وقال: «ارفعي شعرك».

وأجبت طلبه سعيدة برغبته في تدليلي، فراح يمرر المنشفة المبللة بالصابون على كتفي وينظف جسدي برقة، ثم يعود فيغمسها في الماء. إن راث، شيطان الحرب القوي، يعتني بي. وغمرني شعور عظيم بالجدوى.

اكتشفت أن من يستطيع أن يجعل مخدعه يتجمد بسبب احتدام غضبه، يستطيع أيضًا أن يكون رقيقًا وحنونًا، على الأقل معي. وأشك أن أحدًا سواي رأى هذا الجانب من الشيطان. لقد جعلني هذا أقدّر ما يفعله لأجلي أكثر.

سرت فيَّ القشعريرة حين شرع يدلك رقبتي وظهري بعناية، وشعرت به وهو يرفع ذراعي بحنو، وقد انتبه لجروح معصميَّ الملتهبة. شعرت ببعض البرودة في الهواء، وأدركت أنه كان يحاول كبح جماح غضبه كي لا يؤثر في حرارة الجو مُجددًا.

ثم سمعته يقول: «هناك خنجر مسحور قد يقتلني».

اعترتني برودة محت على الفور استمتاعي باللحظة، فاعتدلت والتفتُّ، متسببة بحركتي المفاجئة في تناثر الماء على الأرضية النظيفة. هتفت: «ماذا؟».

«لقد ابتكرت الساحرة الأولى أغراضًا مسحورة. وتشير سجلاتنا إلى ثلاثة أغراض؛ لكننا لم نتأكد بعد من العدد الفعلي. فقد ثبت أن واحدًا منها فقط يشكل خطرًا حقيقيًّا على أمير الجحيم، إنه خنجر الدمار».

لقد زاد هذا الطينَ بلة. «أرجوك، قل لي إنه صار في حوزتك».

ثبَّت راث عينيه في عينيَّ، وكأنه يقصد تقوية أعصابي؛ لكن العكس هو ما حدث؛ إذ تنهد الأمير وقال: «لم نستردَّ أي غرض، فقد اختفت جميعها حين اختفت الساحرة وجواسيسها».

«قد تلقى مصرعك».

أومأ برأسه إيماءة التأكيد. إن مجرد التفكير في إطفاء أحدهم جذوته كان كافيًا لأن يملأني بالرعب. لقد قضينا شهورًا نجادل ونقاوم انجذابنا لأحدنا الآخر. وقد انتهى كل هذا. والآن أعلم أن مخلوقًا أنانيًّا كريهًا قد يأخذه مني. ظننت أنه لا يُقهر؛ لكن هذا الخنجر المسحور جعله مستضعفًا. جعل هذا كل شيء بلا قيمة، باستثناء الوقت الذي نقضيه معًا. كانت خناجر غرمائه وخصومه من الشياطين ستجرحه؛ لكنها لم تكن *لتقتله*.

ربما جعلني ظهور أختي في حياتي مُجددًا، وكونها قادرة على عمل أي شيء مثل التظاهر بأنها قُتلت، أشعر بالهزيمة. أو لعلها كانت

تختبرني في تلك الليلة حين أحضرتني إلى تلك المملكة. وربما أرادوا معرفة الوقت الذي سيستغرقه راث في تتبعي والوصول إليَّ.

لم أكن أعلم ما إذا كان يمكن إيذاؤه في تلك المملكة حين كانت روحه منفصلة عن جسده؛ لكنني كنت متأكدة من شيء واحد؛ وهو أنني لا أثق بأختي.

فإذا وصل ذلك الخنجر إلى يد فيتوريا، فقد تهاجم راث. لقد حذرتني من التفكير في الزواج منه. وقد فهمت أنها ستضمن عدم حدوث ذلك. لم أكن أعرف أعداءها؛ لكنني كنت أعلم أنها ستفعل ما بوسعها لتدميرهم. وإذا كانت تعتقد أن زواجي من راث سيجبرني بأية طريقة على التنازل عن جزء من نفسي تحتاج إليه في خططها، فسيتحول إلى عدو لها.

وإذ استجمعت قوتي، أخذت الشيطان على حين غرة، وجذبته إلى حوض الاستحمام بملابسه. كنت أحتاج لأن أشعر به، وبأنفاسه النابضة بالحياة. ارتميت في أحضانه، ووضعت يدي على صدره، فإذا بي أسمع قلبه وهو يخفق بسرعة.

إذا أخذه أحد مني... وهنا، تأجج سحري وصرت مستعدة لإحراق تلك المملكة وكل من يعيش فيها. لقد استيقظت القوة بداخلي، تمامًا كالوحش الذي يزداد شراسة كلما ازداد يقظة، وكان يريد أن يتحرر، وينهش، ويخرب. ولم أوقفه عند حده.

تصاعدت براعم ألسنة من اللهب ذات لون وردي مذهَّب في الهواء فوقنا، وراحت تتكاثر كما تتفتح براعم زهور ذات جذور، وسيقان، وأشواك، وكأنها حديقة من الجمرات واللهب. وفجأة لم أعرف ما إذا كانت عيناي مفتوحتين أم مغلقتين. كل ما رأيته هو دخان وردي مذهَّب؛ فقد اتخذ غضبي شكل السحر. أخذت نفسًا قويًّا وزفرت، وأنا شبه مقتنعة بأن أنفاسي ستتحول إلى لهب ودخان. راحت أشجار كروم ذات

أشـواك ضخمـة حادة تلتف حول الحوض، وتزحـف أعلى الجدارن. وفي ثوان، أحاطت بنـا...

نظرت إليه وهدأ غضبي بعض الشيء. شعرت بغصة في حلقي الذي صار جافًا، ثم تنفست بعمق محولة انتباهي إلى الشيطان. نظر راث إليّ نظرة مرتبكة، فأخذ يربت عليّ، وكأنه يعرف أنني ما زلت شبه خاضعة لتعويـذة غضبـي. رحت أرقـب يديه اللتيـن تربتان على يـدي، وكانت كل لمسة تجعل أنفاسي أكثر انتظامًا.

وكما استعر غضبي، تباطأ وتلاشى آخذًا معه موجة السحر. وتحولت الأزهار المشتعلة ببطء إلى جمرات، ثم تفحمت، لينجرف رمادها بفعل ريـاح سـحرية لا بد أن راث اسـتدعاها. كمـا تراجعت الكـروم إلى حيث كانـت. لـم أكن أعلم أن هذا شـيء بمقدوري عمله؛ لكـن راث لم يُبدِ أية دهشة.

رحتُ أرقـب المخدع في صمت وهو يعود إلى حالتـه الطبيعية، رغم أن أحاسيسـي كان تغلـي وتمـوج كبحر عصفت به ريـاح هوجاء. تباطأت لمسـات راث، ثـم توقفـت يـداه علـى خصـري. رحنـا نحدق فـي بعضنا البعض، غير معترفيْن بأنني فقدت رباطة جأشي.

«ظننـت أن موتـي لـن يقلقـك، كمـا كانت الحال فـي السـابق». كانت نبرته هادئة ومستفزة؛ لكنني شعرت بأنها تُخفي بعض التوتر.

«وهل يجب أن أقلق؟».

صحيـح *هل يجب هذا؟* نظـرت إلى أسـفل، ولاحظت أننـي مستقلية بجانبه، وأن يديّ تقبضـان على ملابسه. كنت أبدو متوحشة.

ربمـا كان عليه هو أن يقلق، فبصعوبة أحكمتُ السـيطرة على نفسـي حيـن دخلتُ فـي تلك المنطقـة المظلمة المملـوءة بالغضب. وبـدا الأمر وكأننـي تجـردت مـن الإنسـانية وصـرت قوة غاشـمة لا تسـتهدف سـوى التدمير.

ومع ذلك، حين فحصت نفسي بدقة، وجدت أن راث مستمتع بهذا الجانب الخشن مني. خففت من قبضتي على ملابسه وقلت: «أريد أن أعثر على هذا الخنجر».

وهنا تحولت الابتسامة التي كانت تعلو شفتيه إلى ضحكة شريرة.

«صحيح أنني مولع بجموحكِ؛ لكن هذه اللعبة شديدة الخطورة. نستطيع اللعب بخنجري، فلن يؤذيني السحر الذي تشبّع به».

«لا تستخفَّ بالأمر، فإذا حصلت فيتوريا على الخنجر المسحور قبلنا...».

«يتحتم عليها أن تجتاز عددًا كبيرًا من الجان أثناء بحثها عنه، فهناك جواسيس إنفي الذين يتنصتون على أية همسة تتعلق به في جميع أرجاء المملكة، فإذا كان الخنجر في الدوائر السبع، فسيعثر عليه».

«لأن إنفي - دون سائر الشياطين - هو بالتحديد من أثق به لحيازة خنجر قد يقتلك».

رحت أعد حتى عشرة في صمت. كان الأمراء ينسون بسرعة أنهم يطعنون وينزعون أحشاء بعضهم البعض. قد تمر آلاف القرون دون أن أنسى كيف غمر دم راث يديَّ بعد أن طعنه إنفي بخنجره.

«أخي لديه عيوب كثيرة؛ لكنه ليس قاتلًا». دس راث خصلة مبتلة من الشعر خلف أذني. وبينما كان بإمكانه إثبات ادعائه دون أدنى شك، لم أستطع. فقد تذبح أختي عائلتنا كلها إذا حقق لها هذا هدفها المنشود. يبدو أنني كنت معفاة من الانتقام، وهذا يعني أنها كانت تحتاج إليَّ في تنفيذ خطتها الآن على الأقل. قال: «سأشعر بالبصمة السحرية للخنجر حين يقترب، فلست مجردًا من الدفاعات يا سيدتي. سيتردد الكثيرون قبل الهجوم عليَّ».

إلا إذا كانوا واثقين من أن السلاح الذين يملكونه سيدحره.

«إلى أي مدى يقترب؟». لاحظتُ جفلة طفيفة لم يستطع إخفاءها بسرعة، وامتلأتُ بالرعب مجددًا، فصحتُ: «فهمتُ. يجب أن يكون شديد القرب كي تشعر به. تبًّا!».

نهضتُ وخرجتُ من حوض الاستحمام وجسدي يقطر ماء. لم تعد فكرة الاسترخاء جذابة بالمرة. كنتُ أود أن أنبش كل شبر من هذه المملكة كي أعثر على ذلك الخنجر المسحور. بدت الدهشة على راث؛ لكنه لم ينبس بكلمة. تجاهلت الأمر وأسرعت إلى مخدعه، والماء يقطر من جسدي على الأرضية النظيفة.

كانت ملابسي النظيفة في الغرفة المجاورة، ففتحت الباب المؤدي إلى الممر الذي يربط بين غرفتينا دون تفكير، فأسقط الرجل الواقف على الجانب الآخر قبضته التي كان متأهبًا للضرب بها، ليتحول جلده من اللون الأصفر إلى القرمزي.

فقال أنير متذللًا: «بحق دماء الشياطين! نبهي الناس قبل أن تسيري هكذا». ولوَّح إليَّ بيده مؤكدًا: «هكذا!».

ورأيت نائب راث يحملق في السقف وكأنه يطلب المعونة الإلهية، وحين أعاد انتباهه إلى أسفل، راح يحدق في اتجاه أعلى كتفي؛ لكنني شعرت بدفء من خلفي يشير إلى قدوم راث.

سأله وهو يضع رداء على كتفيَّ: «هل هناك مشكلة؟».

فأجاب أنير وقد ذهبت عنه حمرة الخجل: «نعم يا صاحب الجلالة، وصلَنا التماس من بلاط جريد برؤيتك على الفور».

خالجني شعور مرعب راح يتقافز على جلدي كحشد من العناكب بينما أحزم الرداء حول خصري. سألت: «ماذا حدث؟».

فأجاب أنير وهو يُنقِّل نظره بين الشيطان وبيني: «لقد اختُرِقتْ دائرة جريد، وقعت جريمة قتل».

الثالث

لم يبدُ على مملكة جريد مظاهر وقوع أي حادث بشع.

حسنًا، لم يكن هناك أبشع من اصطفاف مرتادي منتدى المقامرة كي يُسمح لهم بالولوج إلى جُب الإثم هذا، المُشبّع بخطيئة الطمع.

وقفت بجوار راث في البهو الرئيسي الذي وصلنا إليه، وانتظرنا ريثما يأتي أحدهم ليرافقنا. أحكمت قبضتي على السياج البرونزي المزخرف، وتطلعت إلى قاعة الاستقبال التي تقع أسفلنا بطابقين.

أثناء رحلتنا القصيرة بالعربة، والتي اجتزنا فيها نهر الظلمات كي نصل إلى مملكة جريد، طلب مني راث ألا أتحدث؛ لأن الجان الفضوليين لن يتورعوا عن مراقبتنا، متحينين فرصة ظهور الملك، ورأى راث أن أفضل شيء هو تركهم متحيرين، فلم يكن جريد يرغب في انتشار خبر جريمة القتل؛ لهذا أشار إليها في خطابه بأنها «حدث مؤسف تمامًا». كان يريد أن يركز رعاياه على إشباع أطماعهم فحسب؛ إذ كان دائم الاهتمام ببسط سلطته.

استغللتُ لحظات الصمت في معاينة مملكة جريد؛ إذ كنت مهتمة بمعرفة كيف شكلت الخطيئة مملكة شيطانها. كانت هناك أربعة أدراج ضخمة متلاقية في منتصف الحجرة تساعد المرتادين على الولوج من

كل حدب وصوب، رغم أن الحجرة السفلية كانت مجرد مكان ينتظر منه أعضاء البلاط وصول قوارب الجندول.

كانت المياه نبيذية اللون تتسرب في الاتجاهات المختلفة، وكانت هناك لافتة تعلو كل قناة تشير إلى قاعة لعب مختلفة يستطيع المرتادون اختيارها للهو والترفيه. وكنّا نرى من مكاننا المياه التي تسري حول الأدراج وكأنها قلب بشري نابض بحجراته. لم يسبق لي الذهاب إلى البندقية؛ لكن شيئًا في القنوات والقوارب ذات القيعان المسطحة ذكّرني بتلك المدينة الشهيرة.

لكن كان هناك استثناء؛ إذ كان كل شيء هنا محتجزًا بين أسوار القلعة الضخمة، ومعبرًا عن الثراء الفاحش، فلم يكن جحيم المقامرة الذي زرته في باليرمو شيئًا، مقارنة بفخامة بلاط خطيئة الطمع هذا. ففي عالم الفانين، كان جب جريد بناية خفية تحت الأرض، يتغير مكانها حسب الهوى، وهو ما جعله أهلًا لأن يُعد «جحيمًا» بحق. وكان السُّذَّج من أمثال والد دومينيكو يتعرضون للاحتيال والسيطرة هناك على أيدي أساطين المقامرة بفعل تأثير الشيطان المهيمن على الجميع.

هنا، كانت القصة مختلفة كل الاختلاف. كانت المصابيح اللامعة والبلاطات الأنيقة باردة مثل تعبيرات المرتادين المحايدة. لم يبدُ أحد وكأنه معرض لخطر فقدان براءته. كانت جميع أنواع الوحوش الضارية يدور بعضها حول بعض، وكان كل منها أكثر خطورة من الآخر. وكان الرجال والنساء يرتدون أفخر ثيابهم، وكان الحرير، والقماش المطرز، والزركشة تعكس ثراءهم. وحتى إذا لم تكن ملابسهم الفاخرة تستفز فيمن يراها الطمع، فهناك مجوهراتهم الثمينة المتلألئة. كان نصف حليهم كفيلًا بأن يوفر المال الكافي لإطعام قرية بأسرها لعام كامل.

اندهشت لأن البعض لم يكتفوا بارتداء الأحجار الكريمة؛ بل دمجوها بجلودهم. كان الألماس واللؤلؤ ومختلف أنواع الأحجار الثمينة تلمع من شفاههم، وأنوفهم، وحواجبهم؛ بل رأيت بضع نسوة لحمن

الأحجار الكريمة على أيديهن وسواعدهن يتزين بها بدلًا من القفازات، ورأيت غيرهن من الشيطانات وقد تلألأت على صدورهن المجوهرات المدموجة بها.

إلا أن الشياطين لم يدَعوا لهن فرصة التفوق عليهم؛ إذ رأيتهم يرفلون أسفل الدَّرج نحو صفوف المقامرين وينتظرون قوارب الجندول وقد رصعوا أجزاء كبيرة من أجسادهم بالمجوهرات، بينما يبتسمون بفخر. اتضح لي من كل هذا أن هناك خيطًا رفيعًا فاصلًا بين الطمع، والشهوة، والحسد. وقد علمت أن هذا ينطبق على معظم دوائر الشياطين؛ إذ كانت الخطايا والرذائل دائمة التداخل، بيد أن طريقة التعبير عن هذه وتلك كان تختلف اختلافًا طفيفًا.

وقبل أن أبادر راث بالسؤال عن المجوهرات المدموجة بالجسد، دخل حارسان من الجن الشرفة، وأشارا إلينا بأن نتبعهما. كان أحدهما ذا جلد أخضر باهت وعينين دائريتين كأعين الزواحف، وكان الآخر مغطى بالفراء القصير، وله عينا غزال بلون الأبانوس السائل.

كان للثاني أيضًا قرنان كبيران ملتفان حول رأسه، فشعرت بغصة في حلقي؛ إذ تذكرت المرة الأولى التي قابلت فيها هذين الحارسين؛ حيث قضيت الليلة التي التقيت فيها جريد في المكتب السيار الخاص بمقامريه بمفردي، ولم يكن معي أحد سوى دومينيكو نوتشي الأب وهذين الحارسين.

كانت تلك هي بداية عهدي بالجان الأقل شأنًا. غير أنه مقارنة بالجني إيبر المتعطش لدماء الساحرات، كان هذان الاثنان أكثر تهذيبًا.

أومأ راث إليهما، ثم أشار إليَّ بأن أتقدمه. ورحنا نهبط دَرَجًا سريًّا متعرجًا قادنا إلى نفق خاص ينتظرنا فيه جندول بجوار مرسى هادئ. وكانت المشاعل تعكس ظلالًا على الجدران الحجرية الشديدة الإظلام؛ ما يجعل المكان مناسبًا لإخفاء الجواسيس.

هز الجني الشبيه بالزواحف ذقنه باتجاه الجندول وقال: «سيأخذكما هذا القارب المسحور إلى صاحب السمو. لا تحاولا النزول منه حتى يصل إلى مرساه».

وبعد أن انتهى الجني من تحذيره، أمال الحارسان رأسيهما قليلًا، ثم اختفيا ليصعدا أعلى الدَّرج. بدا على راث بعض الغضب وهو يستقل القارب الذي كان يشبه بقية القوارب، بيد أنه كان أكثر فخامة.

بادرته بالسؤال وقد تحول انتباهي إلى الظلال المزعجة: «ما هذا؟».

حدَّق راث في القناة والقارب لبرهة أطول، ثم قال: «إن قوة جريد تدفع القوارب، والماء الذي تشعله الشياطين يعزز خطيئته، أو بعبارة أدق، يعكسها. إنه نظام يساعد على تقليل استهلاك الطاقة قدر الإمكان في مملكته، وهو لا ينفك يستخدم سحره».

«إذن، هذا يشبه السير في ممر الخطايا مع التركيز على الطمع، أليس كذلك؟».

فأجاب راث بثقة قائلًا: «بلى، ستحتاجين إلى السيطرة على جميع مشاعرك. كانت دروسي وتدريباتي قوية؛ لكن هذا الدرس سيكون أقوى بسبب المياه المتشيطنة. سوف تستشعر المياه رغباتكِ الخفية وتستهدفها كما استُهدفتِ في ممر الخطايا».

وفجأة تحول القارب البسيط والممر المائي إلى ظلال مخيفة: «ليتني عرفت هذه المشكلة في وقت مبكر، ربما كان يجب أن أتناول شرابًا مقويًا».

«لم أظن أن أخي سيطلب مقابلتي في قلب منتداه، فلديه بناية يستخدمها لعقد الاجتماعات خارج مبنى القلعة». مد راث يده إليَّ ليساعدني على ركوب الجندول، ثم تبعني واستأنف: «تستطيعين مقاومة هذا يا إيميليا. فأنتِ قوية وحاصلة على تدريب عالٍ. تذكري أن ما ستختبرينه هو قليل من السحر. عليكِ بعدها السيطرة على مشاعركِ».

لم يكن راث يبالغ. كان ممر المياه المتشيطنة يعزز القوة السحرية لأي شيء أرغب فيه. وفي تلك اللحظة كنت مشتاقة لقضاء وقت حميم مع راث؛ بل كنت أتوق لذلك طوال الليل، وكانت المياه تعرف الأمر.

أسرعت بالجلوس على المقعد المقابل لراث، ورحت أرتب ملابسي محاولة أن أشغل نفسي عما يضطرم داخلي. كنت قد اخترت ثوبًا ذا تنورة من التل وردية اللون، وصدرية مخملية سوداء، أربطتها موشاة بورود ذهبية ووردية. كانت متواضعة وفقًا لمعايير الأناقة الشيطانية؛ لكنها كانت ناعمة وجميلة، وراقني الشعور الذي غمرتني به. ربما كان في هذا بعض المبالغة؛ لكنه كان شعور أميري أيضًا.

بدأ القارب يبتعد عن المرسى وينساب فوق المياه التي بدت هادئة، بينما كان راث يتأمل ثيابي. ربما كان السبب سحر المملكة، أو رابطة الزواج التي جمعتنا، أو طبيعة المياه الشيطانية المؤججة للرغبات؛ لكن في جميع الأحوال كان توقي لأميري يزداد اشتعالًا كلما أطال التحديق فيَّ. كل ما كنت أفكر فيه هو أن أكون في مخدعه.

ضممت ركبتيَّ وحاولت أن أعد الأمواج التي كان الجندول يحركها؛ لكن ذلك كان ضد رغبتي. إذ كان التفكير في الأمواج يجعلني أتذكر قبلات راث، فأغمضت عينيَّ؛ لكن هذا جعلني أستعيد ذكرى أحضانه.

كنت أريد متنفسًا وبسرعة.

ناداني راث مُحذرًا: «إيميليا»؛ لكن هذا لم يجدِ نفعًا في تهدئتي ولا في كبح جماح رغبتي؛ بل جعلني أكثر توقًا إليه، ثم أمرني: «تنفسي».

زفرت ببطء وأنا أفكر في سبب دعوتنا للمجيء إلى هذا المكان، إنها جريمة قتل. كان هذا كفيلًا بأن يخمد جذوة الشوق؛ لكن نظرة واحدة إلى وجه راث المتوتر كشفت لي أنه كان يقاوم أيضًا أي روعة! كان فشلي في السيطرة على عواطفي يتسلل إليه، وإذا أطلق لنفسه العنان فسنجد أنفسنا في أزمة.

وجهت تركيزي نحو الممر المائي وسطح الأمواج الحمراء. كان عدد الشعلات أقل في هذا المكان من النفق، مما جعل المساحة المظلمة أكبر. كنت على وشك النجاح في السيطرة على مشاعري؛ لكنني لاحظت الإثارة على ملامح راث. كان هذا كافيًا لإطلاق العنان لرغباتي.

ظللت مثبتة نظري عليه، وبدأت أخلع قفازي، ثم وقفت، فاهتز القارب بخفة لحركتي. ركعت أمامه. كانت القوة التي ملأتني أقوى من أي سحر استدعيته من قبل، وكانت عيناه تلمعان بشيء أكثر خطورة ورعبًا.

«ماذا تفعلين؟».

«أغزوك يا صاحب الجلالة».

«إيميليا». قبل أن يذكرني بأنها ليست فكرة صائبة، اقتربت منه لأقبِّله. فزمجر: «بحق دماء الشياطين!». وضم قبضتيه وهو يجاهد نفسه ويهتف: «سوف تدمرينني».

تذكرتُ ما رأيته في بلاط جلاتوني عند حضوري مأدبة الذئب، فتشبثت به، وحاولت من جديد بمزيد من الجموح. كانت أنفاسه تأسرني.

لم يحرك راث ساكنًا؛ لكن التوتر الذي ساد جسده جعلني أفهم أنه يحاول السيطرة على نفسه. لم أرغب في مشاركته السيطرة على المشاعر! إنها لحظة إطلاق العنان لمشاعرنا! نظرتُ إليه وكأنني آمره بالاستسلام لأشواقه، بأن يريني مدى شره؛ لأن هذا ما أريده وما يريده هو أيضًا.

رحت أُقبل راث، وراقني فقدان هذا الشيطان العتيِّ السيطرة على نفسه. صحيح أنني راكعة؛ لكنني كنت من يمتلكه، وكان يعلم ذلك.

شدَّد قبضته على شعري بمزيج من الخجل والغضب وهو يقبلني. لم أعبأ بكوننا في مملكة شيطان غريم، وأن أحدهم قد يتلصص ليرانا في هذا الوضع. كان قربه هو كل ما يهمني، ولم أعبأ بمن يراقبنا من

وراء الظلال. احتضنته بمزيد من القوة، مشجعة إياه على الاقتراب مني وعدم حرماني منه. تأجج توقي له لدرجة جعلتني لا أبالي بأن يترك كدمات على جسدي؛ بل أردت أن أترك مثلها على جسده.

وفجأة؛ سمعنا صوت نحنة يأتي من بعيد.

انتبهت وتيبست في مكاني. كان أمير الشهوة (لاست) متكئًا على المدخل المؤدي إلى ممر ضيق، عاقدًا ذراعيه؛ لكنني لم أرَ الباب ولا الأمير، ولم أكن أعبأ كذلك بالبحث عنه؛ إذ كان راث مستحوذًا على كل انتباهي.

قال لاست، وهو يحاول أن يبدو غير مكترث رغم ما شهده: «إذا كنتما قد انتهيتما، فلم تعد جريمة القتل ذات أهمية». شعرت بحرارة الخجل تلهب وجنتيّ. توجه لاست ببصره إلى أخيه وهزَّ رأسه بتعجب وقال: «توقف عما تفعله واتبعني. سيكون لديك وقت كافٍ لملاطفة عروسك لاحقًا. لقد أرسلني جريد لأعرف سبب تأخرك. يكاد يفقد صوابه. تعلم قدر الانزعاج الذي يسببه شعور أحدنا بخطيئة الآخر».

رد راث بصوت متثاقل كتعبير وجهه قائلًا: «اتركنا الآن. سنصل إلى هناك بعد قليل». لكن لاست رد بسرعة: «لا يمكنني بكل أسف. لا أريدك أن تُفضَح مجددًا».

كان تأثير الطمع قد تلاشى؛ لكن الرغبة لم تتلاش. كنت ميالة لتجاهل لاست وجريد، وتواقة لإنهاء ما بدأته مع راث. كنت أريد أن أعرف ما خطط له أميري. «هل...؟».

علت ابتسامة خبيثة شفتيه وهو يقول: «رأيتكما؟ نعم! وأنا مبهور بقدراتكِ يا ساحرة الظلال. وهذه إشادة كبيرة، ولا سيما أنها صادرة عن سيد اللذة».

صحت: «ليس هذا ما أردت السؤال عنه!». وحدجته بنظرة كريهة أثناء مساعدة راث إياي على الخروج من القارب، ثم سألت: «هل استخدمت تأثيرك علينا؟».

هزّ لاست رأسه وقال: «لم أكن بحاجة لهذا، فقد راح كلاكما يسعى وراء لذته بطريقته. كان ذلك المشهد الصغير من صنعكما. لقد ناديتكما مرات عدة، إذا كان هذا ما تريدين سماعه، ولما لم تردّا، افترضت أنكما تريدان جذب انتباهي، فصمتُّ ووقفت أتفرج. هل تريدين تقبيلي أنا أيضًا؟».

تضرج جسمي كله بالحمرة القانية وصحت به: «أنت مقزز».

فقال لاست: «لا يدل خجلك إلا على رغبة في عمل العكس. وإذا كنت متحيرة، فاعلمي أن اللذة عندئذ ستصبح مضاعفة. ذكّريني بأن أرسل لك هدية من بلاط لاست لاحقًا».

وضع أمير الشهوة يديه في جيبيه، واستدار، وراح يسير في الممر وكأنه في نزهة مسائية.

وما لبث أن نادانا قائلًا: «أسرعا. علي بعضنا أن يرضي رغباته الأكثر انحطاطًا. يبدو أن القتل يحرك شهوة بلاط راث؛ لكن الأمر لا يدهش أحدًا في الواقع».

الرابع

قال الأمير جريد بتجهم، وهو يجلس خلف مكتبه المُذهَّب: «لقد تأخرتما».

انتظرنا لحظة عند عتبة غرفته ورحنا نتفحص شاغليها، وهم: جريد، ولاست، والحارسان الجنيان. لمس رات ظهر يدي بأصابعه، ثم أسرع إلى حجرة مكتب جريد، وجلس على أحد مقاعد الجناح الخلفي المخملية دون أن ينبس ببنت شفة. لم يتغير تعبير وجهه؛ لكنني شعرت بجموده. لقد تحول العاشق الدافئ إلى أمير مستبد.

بدا رات ملكًا جالسًا على عرشه بمعنى الكلمة، ولم تكن السلطة التي تشع منه نابعة بالكامل من السحر؛ بل من يقينه وعلمه بأنه يملك كل شبر تخطو عليه قدماه، حتى لو كان في بلاط مملوك لأحد إخوته. وهنا تذكرت تلك الكلمات التي تفوه بها رات حين كنّا نلعب الورق ذات مرة؛ إذ قال لي: «*أؤمن بسلطتي، إذن أنا موجود*».

كان الآخرون يؤمنون بالشيء نفسه، فتسمرت عينا جريد عليه؛ لكنه لم يهاجمه.

هممت بدخول الغرفة، ثم توقفت أتأمل الأمراء، وأفكر في العداء الذي راح يشع من كل منهم، عداء خفي لكن أثره يظهر في كل شيء.

لقد ظهر في طريقة تصرف كل منهم كأنه يمتلك المكان لنفسه، معلنًا بصمت أنه لن يخضع لأي من الآخرين. كان جريد يكبح بصعوبة جماح غضبه، فيما يتقد غضب راث؛ ما جعل له اليد العليا.

تلاشى الصمت، وازدادت حدة التوتر بين الأخوين اللذين راحا يحدقان في بعضهما البعض. لمعت عينا راث حين قبض جريد بقوة على كأسه وبدا كأنه يستعد لإلقائه في وجهه؛ لكنه أعاد التفكير مرة أخرى حين لاحظ العبوس المخيف الذي علا وجه شيطان الحرب.

بادره راث بنبرة عقلانية: «هل قلت شيئًا؟»، غير أن ثمة خطورة كانت تلوح من طريقته في الميل إلى الأمام، وكأنه أراد أن يُشعر أخاه بأنه على وشك البوح بسر. كان مظهره الأنيق يخفي عنفًا متأججًا؛ بل أكثر همجية من أن يظل مخفيًّا تحت ستار الرُّقي.

لا بد أن جريد شعر بالخطر نفسه؛ إذ راح يتنفس ببطء، ثم زفر وقال: «لقد وصلني خبر وصولك منذ أربعين دقيقة؛ لكن ترك مضيفك ينتظر أمر غير مهذب، ولا سيما في ضوء ما نمر به من ظروف».

وهنا أطلق لاست ضحكة مكتومة، وهو متكئ على رف ضخم يقع بين اللوحات الممتدة بين السقف والأرضية. لكنه لم يُعلِّق على سلوك أي من أخويه، فاعترتني الدهشة لأنه لم يبُح بسبب تأخيرنا.

فبعد أن أفسد لاست سعادتي وعكَّر صفوي حين كنت في باليرمو، أصبح أقل إخوة راث قربًا إليَّ. لم يلحظ لاست هذا؛ بل لم يعبأ بأن ما فعله بي ليس الأسلوب الأمثل لتكوين صداقة. ولو لم يخرجني راث من ذلك المكان المظلم الذي تركني فيه لاست في ذلك اليوم، لبقيت فيه إلى الأبد.

قال راث: «من حسن حظك أن جميعنا هنا». وأخيرًا، جلس راث، متجاهلًا سخرية لاست من كلماته. وهنا تنفست الصعداء دون أن أعي أنني كنت قد حبست أنفاسي لفترة طويلة، وهززت رأسي. تبًّا لتلك

الشرذمة من المراهقين! تابع راث: «إن جريمة قتل في دائرتك أتفه من أن يعبأ بها بلاط راث. كان يمكن أن ينتظر هذا الأمر حتى الصباح».

فوضع جريد كأسه وقال: «لا أتفق معك. أحضر الجمجمة المسحورة يا ثيو».

دخل جني ذو جلد أزرق وعينين زرقاوين لامعتين وأنياب تشبه أنياب مصاص الدماء من لوحة سرية مخفية داخل حائط الكتب المحيطة بالمكتب. وكان يحمل شيئًا مألوفًا بين يديه: جمجمة بشرية. وبعكس الجماجم التي حصلت عليها، كانت هناك ياقوتتان حمراوان داكنتان محل عينيها. وقد جعلها ذلك أكثر إثارة للفزع.

شعرت بغصة في حلقي؛ إذ كنت أخشى ما سيحدث، فبعد أن وُضعت الجمجمة على حافة مكتب جريد، عادت إليها الحياة بطريقة خارقة، وراحت تتحدث بصوت اقشعر له بدني؛ لكنه لم يشبه صوت أختي هذه المرة؛ كان أشبه بكابوس حقيقي.

«*الساعة تدق، وتعلن العد التنازلي للرعب، فإما النزول عن الكبرياء، أو إراقة مزيد من الدماء، ولكي أنتقم منك، أعلمك أن الدور التالي سيصيب أعلى الرءوس، يا أمير الطمع العزيز*».

حدَّق جريد في راث مجددًا، وقال: «لا بد أن هذه المخلوقة المتوحشة اكتشفت أمر تحالفنا. لا شك أنها تثق بأنني كنت أنوب عنك طوال الوقت، ومن ثم أرادت أن تلقنني درسًا على خيانتي إياها، فهذا - أشار بذقنه إلى جني آخر له رأس ضفدع، فتقدم إلى الأمام على الفور وهو يجر عربة يعلوها كفن - هو ما تبقى من ثالث أعلى قادتي».

وأزاح الجني الضفدع الكفن من فوق الجثة، وعلى الفور اشتممت رائحة كريهة ورأيت منظرًا مرعبًا، فأسرعت بتغطية فمي بيدي. لم تتبقّ للجنية أي معالم، باستثناء قطع من اللحم الدامي، وبعض العضلات والعظام. بدا أن أسنانًا ضخمة مدببة نهشت تلك العظام، وراحت معدتي تتلوى.

صرخت: «أيتها الإلهة!».

فتحول انتباه الأمراء نحوي؛ لكنني لم أبادلهم التحديق. رفضت إبعاد نظري عن الجثة. كنت على وشك أن أصبح ملكة، ولم يكنِ التهرب من الجانب المرعب للحكم يليق بأية ملكة، ولا سيما المتوجة على بلاط راث؛ بل كان عليها أن تتقبله.

بدأت أسأل: «ما الذي تعتقدون أنه هاجم...». لم أستطع تمييز جنس الضحية من تلك الرفات.

فانتقل جريد ووقف بجانب الرفات وقال بصوت هادئ: «فيستا». كانت تلك هي المرة الأولى التي أراه فيها يتصرف بشكل إنساني، فعلى خلاف جميع من قابلت من أمراء، ظننته لم يعبأ بلعب أي دور سوى دور أحد أمراء الجحيم. تابع: «كانت قائدة جيشي. كانت متميزة ومرغوبة من كثيرين».

سألته: «لماذا كانت مرغوبة؟».

فأشار جريد بأخذها قبل أن يجيبني قائلًا: «بسبب موهبتها الفائقة في التخطيط والقتال».

لم أجرؤ على التعبير عن فكرتي بصوت عالٍ؛ لكن بحسب ما بدا لي فإن موهبتها القتالية لم تنقذها من مصيرها.

أثناء نقل الرفات إلى الخارج رأيت جنيًّا لا أعرفه يدلف إلى الغرفة. خلع قفازًا ملطخًا بالدماء وألقى به في سلة المهملات. بدا شعره انعكاسًا للون بين الفضي والذهبي، وكأنه كان أكثر كسلًا من أن يُتعب نفسه باختيار أحدهما، ثم جذبتني العينان الفطنتان اللتان كانتا تتفحصانني عن كثب. كانتا زرقاوين شديدتي البهتان. ما أشبههما بالثلج! ثم حوَّل انتباهه ببطء نحو الأمراء.

تحدث بلكنة هادئة قائلًا: «إن شكوكنا في محلها، إنها هجمة مستذئب».

سأله راث وقد أتى ليقف بجواري: «هل أنت متأكد؟».

فأجاب الجني ذو العينين الزرقاوين: «إما مستذئب أو أحد خدم العالم السفلي»، ثم سأل: «هل أطلقت خدمك في بقية الدوائر مؤخرًا؟» لم يُجب راث إلا بحملقة مخيفة. فتابع الجني: «لم يتبادر هذا إلى ذهني، فهناك بضعة مخلوقات تتمتع بالقوة والقدرة على إحداث تلك العلامات القوية في العظام، وحيث إننا نعلم المشتبه فيه الأساسي وبمن ترتبط، يصبح استنتاجنا منطقيًا، ولا سيما إذا وضعنا في الحسبان هاتين الياقوتتين. ومع ذلك، لا أستطيع استبعاد أن يكون هناك وحش آخر. إن مخالب، وليس النصل، هي التي أحدثت التهتكات».

وهنا زمجر لاست وقال: «يا للجحيم! أكان يجب أن تتحدث وكأنك تتلو نصًا طبيًا؟».

تحول اهتمامي عن أفكاري وانتبهت للشياطين. فنادرًا ما يتحدث الأمراء مع بقية الجان بازدراء، وهذا يعني أن هذا الجني ذا العينين الزرقاوين أحد أقربائهم. كان هناك أمير واحد لم أتعرف إليه بشكل رسمي، على الرغم من أن فضولي ساقني لإلقاء نظرة خاطفة عليه في بلاط جلاتوني أثناء مأدبة الذئب.

رحت أدقق النظر في الجني ذي العينين الزرقاوين مجددًا.

بادرته قائلة: «أنت أمير الكسل (سلوث)»، فأمال رأسه دون أن يوضح. «ظننتك...».

وهنا قاطعني لاست: «بل أكثر الأمراء كسلًا. ثقي بأنه هكذا، فكل ما يفعله هو التسكع حاملًا كتبه، فبيته ما هو إلا مكتبة ضخمة فوضوية، ولا توجد أي عربدة ولا صورة مخلة في دائرته كلها. لا أذكر أبدًا أنه انخرط في فجور، أو مارس العلاقة الحميمة، على الأقل خلال السنوات العشر الماضية. إنه عار على الشياطين في كل مكان».

ابتسم سلوث لأخيه ابتسامة بطيئة مقززة، وقال: «تتحدث الكثير من الكتب في مجموعتي عن العلاقة الحميمة، وأعرف من الطرق التي تجعل الجسد يرتجف؛ من اللذة أكثر منك».

فأجاب لاست: «قد تعرف *الطريقة*؛ لكن *الممارسة* العملية شيء مختلف تمامًا. عليك ترك الكتب وبذل بعض الجهد في الأمر».

«ما زلت أستطيع القراءة وفي الوقت نفسه...».

وهنا قاطعهما راث: «كفى!» قبل أن يطير خنجر في الهواء ويرشق في كتف لاست.

أخرج لاست الخنجر وقال: « تبًا لك يا جريد»، بينما يرمق جريد الذي تقدم بعدوانية شديدة: «أتريد أن تتشاجر يا أخي؟». خلع سترته وعيناه تلمعان، وراح يشمر عن ساعديه ويقول: «هيا! هيا!».

وقف راث أمام أخيه محاولًا إيقافه بجسده الضخم، وقال: «تراجع يا لاست، فإما أن تجعل وجودك مفيدًا، أو أن تبتعد بكل تفاهاتك».

«لقد ألقى جريد خنجره في وجهي، وليس هذا أمرًا تافهًا. لقد جئت لأقدم له خدمة. من الأفضل أن أقضي وقتي في العربدة والشراب بدلًا من الإنصات لتلك الجماجم اللعينة وملاحظات سلوث الغبية».

فقال راث: «ما زلت واقفًا بيننا، وهذا يعني أن جريد لم يُصبك في مكان حيوي»، ثم استدار إلى جريد دون أن يمنح لاست فرصة للرد، وسأله: «أين وجدتم جثة فيستا؟».

وبعد لحظة من الصمت، أجاب جريد: «في حمامها. كانت قد انتهت من التدريب وكانت تستحم قبل لقائنا على العشاء. وحين تأخرت علمت أن هناك خَطبًا ما، فلم تعتد فيستا التأخر على أي شيء»، ثم أسرع بأخذ الكأس التي تركها على مكتبه وابتلع ما بها من شراب جرعة واحدة، ثم بسرعة رهيبة رمى الكأس باتجاه الجدار وشاهدها تتهشم. وتابع: «كانت فيستا استثنائية؛ لا نظير لها. أنت *تعلم* من فعل ذلك. لقد وضعت ياقوتتين محل عيني الجمجمة كي تبعث رسالة. أقسم بشرف بلاطي أنني سأطالب بانتقام دموي. إذا لم تمنحني هذا، فإن بلاط جريد سيعلن عداوته لك ولبلاطك».

استدار راث نحوي ببطء، وقال: «إيميليا».

كانت نبرته الهادئة، وتحويل لاست وسلوث أعينهما عنا، متحرجين، علاوة على نظرة جريد القاسية والإصرار على أن مستذئبًا هو الذي فعلها... كلها كانت أدلة ضد أختي.

لم أكن متأكدة مما ينطوي عليه الانتقام الدموي؛ لكنني لم أستطع تركهم يؤذون فيتوريا دون أدلة، وفي الوقت عينه كنت أعلم أننا لم نرغب في أن يشن جريد حربًا علينا.

تطلع راث فيَّ، وإذا بي أجد تعبير وجهه استحال إلى قناع بارد يتناسب مع أحد أمراء الجحيم، ثم استدار نحو أخيه، وسأله: «ما مدى احتمالية أن من قام بتلك الجروح وحش وليس متحولًا يا سلوث؟».

«احتمالية ضئيلة. لا توجد لديَّ نسب مؤكدة؛ لكن من غير المحتمل أن يكون مخلوق آخر قد اخترق الجدران أو الحراسات المحيطة بالقلعة دون أن يلاحظه أحد. وقد يجد المتحولون الذين يعبرون الممالك بشكل خارق فرصة أفضل في نقل أنفسهم عبر هذه الجدران».

وأضاف جريد: «قال إنفي إن تلك المخلوقة المقيتة لم تجد مشكلة في تخطي حراساته. لقد شقت طريقها إلى جناحه، وقدمت عرضًا مسليًا؛ لكن إنفي شك بأن وجودها مع أليكسي هكذا علانية كان حيلة لتشتيت انتباهه. لا يمكن الجزم بالخدعة الخبيثة التي كانت تدبرها. كان يبحث ليرى ما إذا كان هناك شيء قد سُرق؛ لكنه لم يُبلغ عن أي شيء».

فقال سلوث: «لن يكون إنفي ودودًا هكذا إذا فُقد منه شيء».

هززت رأسي وأنا أسأل نفسي: هل هذه أدلة كافية لإدانة أختي؟ ثم التفتُّ إلى جريد قائلة: «كانت فيتوريا حليفتك، فلماذا تهاجم بلاطك؟ وما شروط اتفاقكما؟».

لم يَبدِ جريد استعدادًا للرد على سؤالي؛ لكن راث نظر إليه نظرة قاسية جعلته يعيد النظر في تجاهل مليكته المنتظرة. تغاضيت عن تلك

الإهانة مؤقتًا، وأنا أؤكد لنفسي أنني لم أكن لأسمح بهذا السلوك غير اللائق مرة أخرى.

«كانت أختك تريد حليفًا في الدوائر السبع لأسباب لن أفصح عنها أمام شياطين منافسين. وتضمّن جزء من الشروط تعهدًا بعدم أذية أي ذئب. وقد بدا هذا الشرط عادلًا لأنها عقدت تحالفًا معهم، وطلبت منهم الشيء نفسه في المقابل. كنت مهتمًا بفكرة ترويض تلك الوحوش بسبب ما يمكنها تقديمه، فنحن على خلاف، بطبيعة الحال. لهذا كانت تلك المجازفة جديرة بالأخذ في الحسبان».

فتفرست فيه وقلت: «لا يبدو أن فيتوريا لديها سبب لتناصبك العداء. لماذا عساها تخلف وعدها؟ ما زلت تقول إن فيستا كانت استثنائية؛ لكن إذا لم تكن عازمًا على البوح بسبب استثنائيتها، بالإضافة إلى مواهبها القتالية، فهل هذا شيء كانت أختي لتكتشفه؟».

«لن أتنازل بالتصرف كمن يفهم الطريقة التي يعمل بها عقل فيتوريا المنحرف. لقد اكتشفت أختك أنني أتجسس لصالح راث وانتقمَت. أظن أن الأمر بهذه البساطة».

نظرت إلى أميري وأنا غير قادرة على إخفاء دهشتي وسألته: «هل كلفته بالتجسس على أختي؟».

فقال راث، دون أن يُبدي أسفًا: «أردت أن أضع جواسيس ليكشفوا لي أي تهديد محتمل عليك».

فقال جريد: «أرأيتِ؟ حتى خطيبك يعرف كيف يراقبها بعناية، فهي حقود حقيرة». بدا جريد متأهبًا للثأر بطريقته وهو يحملق فيَّ، وتابع: «لقد أرسَلَت الجمجمة المسحورة لتسخر منّا. فلم تقتل ثالث نوابي فحسب؛ بل *شوّهتها* ليتعذر التعرف عليها. تستحق أختك الموت بسبب ما اقترفته من جرائم. وإذا لم يصادق أخي على موتها، فسأقبض عليك وعلى أسرتك، ولن أتوقف حتى تُمحى آخر قطرة من دمائها الفاسدة

من هذه المملكة. لقد سببت لي فيتوريا أذى كبيرًا، والآن سأرد لها ما فعلت كي نصبح متعادلين».

خفق قلبي رعبًا. لقد كانت الأدلة دامغة؛ لكن كان بإمكان أي شخص جعلها تبدو كذلك، فابتعدت عن الأمراء، إذ كنت أحتاج إلى لحظة للتفكير، ثم قلت: «لم تتحدث الجمجمة بطريقة أختي».

طعن جريد في كلامي قائلًا: «وكيف تعرفين أسلوب الجماجم المسحورة في التحدث؟ هل أرسَلَت تهديدات إلى بلاط راث أيضًا؟».

استدرت وكان الأمل يحدوني وأنا أنظر إلى راث. لقد اعترفت لي فيتوريا في وقت مبكر بأنها أرسلت إليَّ جمجمة واحدة مسحورة، على الأقل. لم أكن متأكدة مما إذا كان راث يود مشاركة أحد أسرار بلاطه؛ لكنه لم يشر لي بأن أحتفظ به لنفسي.

«لقد وصلتني جماجم مسحورة مؤخرًا؛ لكنها لم تمثل تهديدات. وكان لكل جمجمة صوت يشبه صوتها بشكل مخيف؛ لكن هذا الصوت لا يشبهه، كما أنه لم يسبق لها إرسال أية جمجمة ذات ياقوتات». وهنا نظرت في عينيّ راث مجددًا وأردفت: «ما زلنا نحتفظ بالجماجم، أليس كذلك؟ سنبحث عنها ونحضرها هنا كي يتمكن الجميع من الاستماع إلى صوتها».

وهنا احتج جريد قائلًا: «لا يُثبت هذا شيئًا، قد تستطيع جعل أي شخص يسجل الصوت بدلًا منها في هذا الموقف. ربما فعلت هذا لغرس بذور الشك داخلنا، كما أنها مشهورة باستخدام الياقوت».

«كل هذه أسباب تجعلنا نخمن أن شخصًا لفق التهمة لها».

احتج جريد مجددًا وسألني: «من؟»، فرددت عليه قائلة: «أهناك شخص يريد إيذاء فيستا؟ هل هناك من يريد إيذاءك بالاعتداء عليها؟ وكيف تأكدت من أن هذا الرفات يخص ثالث نوابك؟». لفتت هذه الأسئلة انتباه أميري مُجددًا.

تابعتُ: «لم يتبقَّ شيء يجعلنا نتعرف عليها، وبالإضافة إلى العثور على هذا الرفات في حجرتها، كيف أمكنك التأكد من كونها فيستا وليس إحدى وصيفاتها؟ أو كيف عرفت جنس صاحب هذا الرفات حتى تحكم؟».

وهنا دار جريد حول مكتبه وقال: «أنا...»، ثم التفت إلى سلوث وسأله: «هل حلَّلت الدم؟».

«نعم، لكن هناك أمزجة مختلفة، جني ومستذئب، وهو ما جعل التحديد صعبًا، رغم أن رائحة المستذئب كانت الأقوى. ليس هذا غريبًا لأن مكونات دمائهم أقوى من أي مخلوق آخر. السيدة إيميليا على حق. لم أستطع تحديد الجنس».

وجهت نظري نحو سلوث وقلت: «هذا يعني أنك لا تستطيع أن تعرف بشكل قاطع أن فيستا ماتت ولم تُختطف أو تهرب بمحض إرادتها، أليس كذلك؟».

تنفس سلوث ببطء وقال: «هذا صحيح، على الرغم من أنني أستبعده».

سألت جريد: «وماذا عن دماء المستذئب؟ لماذا جعلت قائدة جيشك شيئًا آخر غير الدماء الشيطانية هو ما يُكشَف؟».

تجهم جريد وقال: «أظن أن هذه دماء من اعتدى عليها. إن هذا دليل جديد على أن المستذئبين يطيعون أوامر أختكِ».

قلت له: «لا تستطيع التأكد بشكل قاطع مَن أخذ الأوامر ممن، فهذه مجرد تكهنات»، ثم عدت لأواجه راث مخاطبة إياه مباشرة: «أرجو أن تفعل هذا مستندًا إلى حقائق، لا على احتمالية أن من ارتكب الجريمة ذئب. تقول إنها مشهورة بالياقوت؛ لكن أي شخص يعلم هذا قد يلفق لها الأمر بسهولة، بما في ذلك جريد».

قال جريد بصوت يشبه الزمجرة: «تتجاوزين حدودكِ يا ساحرة الظلال».

«إذا لم تكن تُخفي شيئًا، فلن تُغضبك هذه التكهنات يا صاحب السمو؛ لأن الجماجم التي أرسلتها لي مؤخرًا لا تحتوي على أي ياقوت، فمن الغريب أن تحتوي جمجمتك عليه. فإذا كنت أبحث عن الحقيقة مثلك، لاعتراني الفضول بشأن فيستا وما كانت تفعله في الساعات التي سبقت موتها. فهل سمع أحد أي شيء غير طبيعي أو رأى شيئًا غريبًا خارج حجرتها؟».

فقال جريد باقتضاب: «كلا».

فسألت بإلحاح: «هل كانت فيستا على خلاف مع أي شخص في البلاط؟».

فنظر حاكم المملكة إليَّ نظرة قاسية وقال: «كانت قائدة جيشي، وكانت شديدة البراعة ومخلصة في أداء واجبها. لم تهتم بإرضاء أي شخص في البلاط، كانت تطمح للمهابة، لا للحب».

«مع احترامي يا صاحب السمو، فقد اخترق أحدهم دفاعاتها وتغلب عليها، فإذا كان إيذاؤها بهذه السهولة، فمن يجزم بأن الشيء نفسه لا يمكن أن يحدث لك؟». رحت أدير نظري في الغرفة لكن لم ينظر أحد في عينيَّ سوى راث.

أشار جريد إلى سلوث الذي أمال رأسه وقال: «لقد قرر أخي أن المخلوقات الأعلى احتمالية في خرق الحراسات واقتحام جناحها دون أن يُكشف، هم المتحولون. لقد اتخذت أختك المريعة أحدهم عشيقًا لها. ومن الواضح أنها تريد إشعال حرب داخلية، وإلا فلماذا تتعب نفسها بعقد تحالف لم تكن عازمة على الالتزام به؟ تحتاجين للاعتراف بالحقيقة والتوقف عن رمي الأبرياء بالتهم. لقد ماتت فيستا، وأختك هي المسئولة. هذه هي الخلاصة. إن عوطفك البشرية تشوش على قدرتك على رؤية الأشياء الواضحة».

قد تكون أختي متهَمة باقتراف أشياء فظيعة؛ لكنها من دمي، وسأدافع عنها حتى أكشف الحقيقة؛ بل إن هذا شيء يجب عمله من

أجل كل من يُتهم بارتكاب جريمة نكراء. وإذا اكتفى جريد بقيادة ما لا يوصف إلا بكونه مطاردة للساحرات، دون أي دليل على التهمة، فسيكون الخطر مفزعًا حقًّا. كما كانت مجاراة إخوته إياه تثير جنوني. شعرت بتركيز أميري عليَّ فاستدرت نحوه.

كانت نظرة راث تخترقني؛ لكنني لم أستطع تفسيرها؛ وحيث أطال التحديق فيَّ، تسلل الرعب إلى قلبي. لم يكن زوجي المستقبلي هذا يطيل النظر إلى عينيَّ؛ بل كان شيطانًا مرعبًا يفرض سيطرته عليهم جميعًا.

دار جريد حول مكتبه، وقبض بيديه على أحد جانبي الخنجر الذي استعاده بعد أن قذفه باتجاه لاست وقال: «ماذا قررت يا أخي؟ أتعلن الحرب على بلاط جريد أم على تلك الشنيعة التي تدعوها عروسك أختًا؟».

بدا على وجه راث تعبير بارد ماكر جعلني أرغب في الركوع أمامه وطلب الرحمة؛ لكنني أجبرت نفسي على التحديق في عينيه والسيطرة على مشاعري. بدا وكأنه على وشك اتخاذ قراره، فقررت أن أدافع عن أختي مجددًا:

«على الملك القائد أن يتخذ القرارات الصعبة، حتى لو كانت غير محببة. ولكي يحكم بالعدل، عليه أن يستند إلى الحقائق، لا العواطف».

وهنا انقبضت عضلة في فكه.

لم ينظر راث إلى أي من إخوته حين قال: «إن الاعتداء على أحد أعضاء بلاط جريد والذي تسبب في إحداث إصابة جسدية بالغة أفضت إلى الموت يعني إعلان فيتوريا نيكوليتا دي كارلو الحرب علانية على الدوائر السبع، وبناءً عليه فقد صارت عدوًّا للمملكة. فإذا شوهدت في أية بقعة من المملكة، يحق لأي أمير التصرف وفقًا لما يراه مناسبًا؛ لضمان سلامة شعبه. وبموجب هذا، يقبل بلاط راث طلب بلاط جريد بالانتقام الدموي. وإذا تبين إيواء أي عضو رسمي في بيوت الخطايا

السبع للمتهمة دون إبلاغي باحتجازها، فسيوقّع عليه حكم الإعدام أيضًا».

أومأ جريد إلى شخص لم أعبأ بالتطلع إليه وقال: «أريد كتابة عهد دم. قد يستغرق هذا وقتًا؛ لأننا نحتاج لاستخدام لغة مقبولة في بلاط كل من لاست، وسلوث، وجريد، وراث. أما الآن، فلتتفضلوا في جناح الضيوف، أو استمتعوا بأحد أروقة اللعب العديدة لدينا».

أومأ راث واستدار نحوي. لم يكن تعبير وجهه ينم عن الأسى ولا المغفرة؛ بل بالأحرى عن الواجب والعدالة المجردة من المشاعر.

كنت أتقد غضبًا وعيناي تقدحان شررًا بينما أعود إلى مصدر السحر. تحولت عشرات الورود في جميع أرجاء الغرفة إلى ألسنة لهب، فتراجع لاست وسلوث، وقد علا وجهيهما وميض خوف. وجعلتهما حرارة اللهب المستعر يتصببان عرقًا.

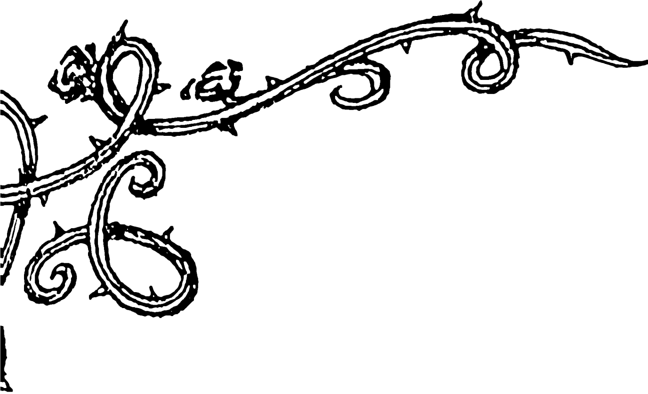
كانت المرة الأولى التي يولِّد فيها سحري نارًا مدمرة. وراقني ذلك؛ لأنني أردت أن أراهم يحترقون. راحت النار تصدر طقطقة وفرقعة، وكأنها تحتاج إلى مكان تتجه إليه وتدمره.

نظرت إلى اللوحة التي كان لاست يقف بجوارها، فاستجاب السحر على الفور، وراح كل برعم من براعم النار يرشق في اللوحة ويضرم فيها النار.

صرخ جريد آمرًا، فأتى جني يحمل جرة ماء من الخزانة الجانبية؛ لكنه لم يُضطر لعمل أي شيء إذ أمرت اللهب بالانسحاب في هدوء، ورحت أنظر في أعينهما المفتوحة، ورائحة القماش المتفحم تملأ الهواء. ربما كانت أختي مُحقة. وربما حان الوقت كي تخشانا الشياطين كنوع من التغيير.

قلت: «أعتذر، فقد تملَّكني الغضب».

ثـم درت علـى كعبـيَّ، ورحـت أتبـع الخـادم الـذي كان يرتجـف خـارج الغرفـة. لقـد عادت لـي أختي للتو، ولم أكن لأسـمح لأي ضـرر بأن يلحق بهـا، حتـى ولو تجمَّد الجحيم. فرغـم كونها مخادعة متآمـرة، فإنها من دمي، وكنت سـأحميها بكل قطرة من دمي، سـواء أكانت أهلًا لإخلاصي أم لم تكن.



الخامس

بادرني راث بمجرد أن دخلنا حجرة الضيوف التي خُصصت لنا - بعد أن أبعد الحراس حفاظًا على خصوصية نقاشنا - قائلًا: «لن أطلب منكِ أن تقفي ساكنة؛ لكن عليكِ توخي الحذر».

رددت قائلة: «كيف استطعت...؟».

ثم تسمرت في مكاني بعدما استوعبت ما قاله للتو، واستدرت نحوه أحدق فيه بتعجب. لم أصدق أنه كان يطلب مني تجاهل أمره الملكي. نظر إليَّ بحزم، ففهمت أنه كانت لديه خطة غير معلنة، ورحت أذكِّر نفسي بعبارته الدقيقة: *إذا تبين إيواء أحد الأعضاء الرسميين في دوائر الخطايا السبع للمتهمة دون إبلاغي بأنه قام باحتجازها، فسيوقَع عليه حكم الإعدام*. كان راث يعلم جيدًا أن عدم إتمام زواجنا يعني أنني لم أصر بعد من الأعضاء الرسميين لأي من الدوائر، ومن ثمَّ لم يكن أمره الملكي لينطبق عليَّ.

شعرت بحرارة الدموع التي لم أذرفها تحرق عينيَّ. لقد كان شريكي ومدافعًا عن مصلحتي في السراء والضراء، غير أن هذا كان يعني شيئًا مهمًا: لن يتمكن راث من مساعدتي بشكل مباشر في التحقيق، وإلا نقض عهده. وحينئذ، زال غضبي.

«سيطالب إخوتك بإعدامك إذا اكتشفوا خطتك».

ابتسم ابتسامة مخيفة وقال: «لن تكون المرة الأولى، ولا حتى الأخيرة. تنسين أن غضبهم لا يزيدني إلا سلطانًا. إنني أرحب بمبادرتهم بالحرب».

فأسرعت واحتضنته، فالتفت ذراعاه نحوي وضمني. تنهدت بارتياح وقلت له: «يا لك من شيطان رائع ماكر! إنني سعيدة بأنك لي، حتى لو وددت أحيانًا خنقك».

رد راث وقد بدت عليه السعادة، لا القلق، من استعراض قوتي وقال: «أو إحراقي؟».

«آسفة لو تسبب فقداني السيطرة على غضبي في مشكلة لك».

رد قائلًا: «لن يتسبب في أي شيء، وحتى لو حدث، فإن غضبكِ يروقني».

بعد أن أحكمت السيطرة على غضبي، بدأت أركز على ما أعرفه عن جريمة القتل. لم أقتنع بتفاصيل القصة؛ لكنني لم أستطع تحديد السبب، فسألت راث: «هل لديك معلومات عن فيستا؟».

فأجاب: «لا أعرف سوى أن جريد كان يبحث عنها خصوصًا لبضع سنوات قبل قدومها إلى بلاطه، فنحن لا نشارك أسرار مجالسنا الخاصة؛ لذلك لا أعرف الكثير».

«وهل يعرف إنفي؟».

تنفس راث ببطء وقال مفكرًا: «ربما أخبره جواسيسه؛ لكن لديَّ جواسيسي الخاصين، بيد أنهم لم يكتشفوا لماذا أراد جريد أن تقود فيستا جيشه».

«أليس هذا غريبًا؟».

«قد يكون من المنطقي أنه كان طامعًا في استغلال مواهبها أو سحرها؛ لأن خطيئته تدفعه نحو الاستحواذ على الأشياء التي تشعل النهم، بما فيها الجان».

لكن سلوث ذكر أنه كان هناك نوعان مختلفان من الدماء.

«هل *كانت* جنية؟».

أجاب راث وهو يضع ذقنه على رأسي، مبادرًا بتقبيلها: «ليس لديَّ مبرر لأصدق شيئًا مختلفًا. فيم تفكرين؟».

«ربما لم تكن جنية بالكامل، وإلا فلماذا لا يرغب جريد في إعطاء مزيد من المعلومات عن سبب خصوصيتها وعدم وجود بديل لها؟ ولماذا كان هناك الكثير من دماء المستذئبين؟».

«أثناء مثل هذه الصراعات الدامية، يُخلّف كل من المعتدي والضحية دماءً».

«أعلم ذلك؛ لكن فيستا مُزقت إربًا، فحتى لو أحدثت للذئب أضرارًا جسيمة، لكانت هي التي ستنزف معظم الدماء، أي أن دماء *الجان* ستكون هي المهيمنة».

«كلام منطقيٌّ؛ لكن قوة دماء المستذئب تغمر حواسنا؛ إذ تشبه رائحته رائحة المواد القابضة. إذا اشتممتِ رائحة النشادر مثلًا، وجربت التعرف على أية رائحة أخرى، فستجدين أن رائحة النشادر هي السائدة».

«اللعنة! كل ما يستطيع أحدهم عمله للإفلات من جريمة قتل هو أن يغمر مسرح الجريمة بدماء مستذئب».

«وهذا أحد الأسباب التي تجعل المستذئبين يتجنبون الشياطين ومصاصي الدماء، إذ كانوا يطاردونهم للسبب نفسه».

التوَت شفتاي بامتعاض. لا عجب أن الذئاب تمقت الشياطين ومصاصي الدماء.

تغاضيت عن هذا الجزء المروع من القصة، ورحت أفكر في خيارات عملية للقضية المطروحة وقلت: «إذا تحدثنا مع عائلة فيستا، فقد نتوصل إلى بعض المعلومات عمن قد يرغب في أذيتها. فمن كانت تقضي معه

وقتًا عدا جريد في غير أوقات تدريب الجيش؟ فإذا عرفنا ما كانت تفعله خارج أوقات عملها، فقد نصل إلى طرف خيط يمكننا اتباعه».

راح رات يربت على ظهري بحنو ويقول: «سأرى ما يمكنني كشفه أثناء التوقيع على عهد الدم. وبالمناسبة، سنحتاج إلى إيجاد عذر تفوّتين به حضور مراسم التوقيع، فإذا وقعتِ على هذا المستند، فلن تُجدي مكائدي نفعًا».

اتكأت على صدره وقلت وأنا أفكر: «حسنًا، يعلم الجميع أنني كنت غاضبة منك وقت انصرافنا. لماذا لا نذهب الآن إلى إحدى صالات القمار وأحتسي الكثير من شراب التوت الشيطاني؟ سأتظاهر بالثمالة، وإذا سكرت فعلًا، فيمكنك إزالة الثمالة بسحرك، كما فعلت في اختبار الشره. سيسبب هذا فضيحة كبيرة بما يكفي لإغاظتهم جميعًا، ثم يمكننا بعدها العودة إلى جناحنا والنوم».

تراجع رات ونظر في عينيَّ وقال: «إذا أردتِ افتعال فضيحة، فأطلقي العنان لنفسكِ كي تجذبي أنظار رواد صالة القمار في بلاط الخطيئة. يجب أن تكون فضيحة جديرة بجذب الانتباه، وهو أمر شديد الصعوبة هنا. يجب ألا يقل في تأثيره عن تدمير جزء من القلعة، أو إطلاق العنان لخطيئة أخرى. لست واثقًا بأن هذا ممكن. هل أنتِ مستعدة لهذا التحدي؟».

وبينما يطرح *عليَّ* السؤال؛ شعرت *بأنه* يتساءل عما إذا كان بوسعه هو نفسه فعل هذا الشيء. ربما كان *هذا* هو المدخل. تذكرت قاعة الاستقبال الخاصة بجريد التي انتظرَنا فيها مرافقونا، وواتتني فجأة فكرة شريرة. كنت شديدة الثقة بأنني أستطيع إثارة ضجة كبيرة، وكان مزاج أميري الاستثنائي يضمن لي ذلك.

لم أكن بحاجة لافتعال فضيحة؛ بل بالأحرى أن أثير رات.

«ابحث عن لاست أو سلوث في إحدى صالات اللعب ثم أرسل لي إخطارًا بمكانك. يمكنك إعطاء انطباع بأنك تريد منحي فرصة للهدوء، وسأدخل بشكل مثير».

«لكن...».

«ثق بي يا سامائيل». حين همست باسمه الحقيقي، صار شديد الهدوء. كنت أثق به لأنني أعرف حقيقته. وقد آن الأوان كي يرد لي الجميل. تابعت: «كل ما عليك فعله هو التظاهر بأنك متأثر بأدائي كالباقين. فإذا عرفتَ خطتي قبل الأوان، فلن تفسد المفاجأة فحسب؛ بل ستجعل كذبك بشأن الأمر مستحيلًا. اذهب الآن». وقفت على أصابع قدميَّ وقبَّلته بسرعة قبل أن أدفعه نحو الباب وأنا أقول: «أسرع بإرسال إحدى الوصيفات إليَّ».



أسرعت إلى صالة اللعب المُعتمة وأنا أتمايل بحماس، ثم التقطت كأس توت شيطاني من صينية. أخذت رشفة ولويت شفتيَّ الملونتين بإغراء وأنا أدير نظري في الغرفة. اصطفت طاولات لعب الورق المغطاة باللباد بطول الصالة، وكانت مكتظة بسادة المملكة وسيداتها. كانت جميع المفروشات الخشبية داكنة ذات نحت أنيق، وكانت شديدة الفخامة بما يغري المقامرين بأن يجلسوا ويمكثوا وقتًا طويلًا، كما كان الطعام والخمر يقدَّمان بوفرة؛ لضمان ألا يترك الجان مقاعدهم بحثًا عن المشروبات.

كانت الأبسطة مزخرفة بشكل مثير للإعجاب؛ لكنها كانت متناغمة مع أجواء صالة القمار السحرية المظلمة. وكانت الشعلات تومض ومضات خافتة من كل ركن، مما جعل المكان مريحًا. كان جريد يريد إلهاء السادة عن العالم خارج مملكته. وبالقرب من منتصف الصالة

كانت هناك منصة قد اعتلاها بعض الجان راقصين. وكانت طاولات عدة قد اصطفت أمامها مانحة السادة الفرصة للجلوس ومشاهدة العرض المثير؛ لكن كانت المنصة شبه خالية، فيما عدا بعض الجان الذين كانوا يشربون وحدهم أسفلها. إذا لم تفلح فكرتي الأولى، فقد تكون المنصة هي خياري الثاني.

وفي الجانب الأيمن، كانت هناك حانة طويلة لامعة عليها طوابق من زجاجات الكحول والنبيذ الجاهزة للشرب. كانت ظنوني في محلها؛ إذ راح تأثير جريد يدفع تصرفاتي. كنت أريد جذب الانتباه، ومن ثمَّ فقد لبى ندائي كل ما يمكّنني من ذلك، وبدلًا من تقييد السحر رحبت به واستخدمته وقودًا لمهمتي الخاصة.

كان راث قد دخل مكتب جريد بثقة، فقررت أن أحاكيه في صلابته وقوته رغم شدة خفقان قلبي.

رصدت هدفي في طاولة كان روادها يرمون النرد ويلعبون، ثم توقفت لأرقب شاغليها قبل أن يلمحوني. بدا على الجان الجالسين حولها الرقي، كنت أرجو أن يكونوا من طبقة النبلاء، فبالإضافة إلى الفضيحة التي كنت أنوي إحداثها، كنت أريد السؤال عن أي شخص يعرف فيستا. لم أكن أكتفي باستبعاد أختي من دائرة الشك؛ بل كنت أريد معرفة الحقيقة. لقد تعجل جريد باتهام فيتوريا. وقد أثار هذا شكوكي رغم عدم إثارته شكوك بقية الأمراء.

اتجهت نحو لاست وأنا مستمتعة بإحساس جدائلي المزينة باللؤلؤ وهي تتأرجح خلفي. كانت تنورتي كلها من اللؤلؤ، لم يكن بها أي قماش؛ بل مئات من اللآلئ التي كانت بالكاد تصل إلى منتصف ساقيَّ. وكلما مشيت خطوة أو انتفضت ساقاي، انجذب السادة إليَّ أكثر. كان الجزء العلوي من ملابسي مماثلًا في التبرج الجريء، إذ كان مصنوعًا من قلادة تتدلى منها سلاسل من اللؤلؤ متصلة بشرائط السترة وصدريتها.

لم أكن ارتدي في واقع الأمر إلا نصف مشد مصنوع بالكامل من الأحجار الكريمة أبرز مفاتني.

لم يكن لباس كهذا شيئًا مخجلًا هنا؛ لكن رد فعل راث إزاء خطتي هو ما كان سيثير القيل والقال بين الجان. لقد علمت باللحظة التي لمحني فيها راث بين زمرة من المقامرين، وكانت نظرته لي حارقة محسوسة. تجاهلته تمامًا وسرت نحو لاست، فهبطت حرارة الجو درجة أو اثنتين؛ لكنني لم أهتم، كان على راث أن يلعب دورًا، وكان عليَّ أن ألعب دورًا آخر. كانت حياة أختي تتوقف على إعفائي من التوقيع على معاهدة الدم وجمع المعلومات كي أبرئها من الاتهام.

اتكأت على الطاولة بجوار لاست، بحيث يستطيع من يقف بجواري أن يرى مفاتني من أسفل اللآلئ، وقلت: «هل يحالفك الحظ يا صاحب السمو؟». وكما توقعت، راح لاست يتطلع إلى جميع المواضع التي يجب ألا ينظر إليها.

كنت أشعر بكل ذرة من خطيئته، رغم أنه بدا وكأنه يكبحها. كان يخشى أخاه حقًّا. أظن أن رشق خنجر في صدره كان كفيلًا بترك هذا الانطباع، وكان عليَّ التغلب على هذا العائق. كنت وراث نحتاج لخطيئة لاست كي تنجح الفضيحة.

ابتسم وقال: «يبدو أنه بدأ يحالفني»، ثم استدار نحو الطاولة. كان الجني المجاور له يرتدي كمًّا من الذهب، وكان يسترق النظر إليَّ. كان هو الآخر يرتدي خاتمًا منقوشًا في يده اليمنى، لا بد أنه كان من علية النبلاء، ولهذا كان مناسبًا تمامًا لهذه اللعبة.

ابتسمت للاست بدلال وأنا أتكئ عليه وقلت له: «مَن صديقك؟».

تراجع لاست عن دوره في اللعب وتتبع نظرتي ثم أجاب: «إنه دوق ديفون، أحد كبار مستشاري جريد».

فابتسمت ابتسامة عريضة وقلت: «أنا سعيدة بلقائك يا صاحب الفخامة. أنا...».

ابتسم ديفون وقال: «لا يوجد جني هنا لا يعرفك يا سيدة إيميليا». لقد جعل صدقه الأمر شديد السوء. تابع متسائلًا: «هل سبق لكِ المشاركة في لعبة كبرياء الأموات؟».

رحت أراقب جنيًا آخر ينفخ في النرد ويلقي به على الطاولة، وأجبته قائلة: «لا تستهويني المشاركة في الألعاب القائمة على الحظوظ».

رفع بصره إلى أعلى ثوبي، وكشفت، نظرته عن اهتمامه بما إذا كنت أفضِّل نوعًا مختلفًا من الألعاب، وبادرني قائلًا: «هل تودين اللعب معي إذن؟».

كنت أفضِّل اقتلاع عينيَّ، لكنني قلت: «سأكتفي بالمشاهدة الآن. لعلك موهوب في إقناعي بشيء آخر يا صاحب الفخامة».

كان غضب راث يجعل الهواء أكثر برودة.

حشرت نفسي بين لاست والدوق، جاعلة جسدي يحتك بذراع الدوق، ثم استدرت نحو لاست وهمست له قاصدة أن يسمعني ديفون. قلت: «حدثتني في وقت سابق عن هدية من بلاط لاست». تجرعت رشفة من شرابي، ثم رميت كأسي وأخذت كأسًا أخرى ممتلئة. لم يلحظ أحد أنني لم أنتهِ من الكأس السابقة، اقتربت من لاست وتحدثت بصوت منخفض: «لقد أثرت فضولي؛ أهي مثل هديتك السابقة أم تراها ستعجبني؟».

استدار لاست نحوي وقد نسي اللعب تمامًا وراح يتفحصني قبل أن يجيب: «بل هي أفضل». لا بد أن ما رآه في وجهي أقنعه بأن يلعب. قال: «يمكنني أن أمنح اللذة دون مقابل. أتودين تذوق جرعة؟».

نظرت إلى الدوق الذي تظاهر بعدم استراق السمع، وقلت: «هنا؟!»؛ لكن ديفون بدا تواقًا لسماع الرد وهو يميل إلى الأمام في مقعده.

أومأ الأمير لاست إلى المنصة التي كان يرقص عليها العديد من الجان والجنيات. رأيت جنيًا جسمه مغطى بالكامل بالأحجار الكريمة، ويستمتع بالنظرات الموجهة إليه وهو يرقص.

راح لاست يراقبني عن كثب وقال: «تستطيعين الانضمام إليهم كي تختبري قوة خطيئتين في وقت واحد، فما يرتدونه من زينة على أجسادهم تشعل كل الحواس».

قطعت تركيزي مع لاست ووجهته بسرعة نحو الدوق وقلت: «أفضّل البقاء هنا. أما زلت تستطيع إعطائي جرعة أم أن ذلك سيشتتك عن اللعب؟».

وهنا، وقبل وصوله إلى جانبي بثانية، اجتاحني غضب راث كعاصفة باردة هوجاء. ولم يقتصر ذلك عليَّ؛ إذ تحرك مقامرون كُثر بعيدًا عن الطاولات، تاركين اللعب وأكوام العملات.

ثم شعرت بأصابع دافئة تتحسس معصمي وبصوت ينطق باسمي: «إيميليا».

قلت: «توقف». ورغم أن جسدي كان يرغب بشدة في العكس، فقد أبعدته وأنا أقول: «إنني مشغولة بحوار ممتع مع أناس لم يدينوا أختي»، ثم حولت انتباهي إلى الدوق، وابتسمت له ابتسامة مهذبة وقلت: «أيها الأمير راث، رحّب بدوق ديفون».

جز راث على أسنانه وقال: «تبًّا لديفون!».

ابتسم لاست لأخيه وقال: «إذا استمررت على هذا المنوال فستختبر السيدة إيميليا تحدي ثلاث خطايا في وقت واحد».

أرعب راث مقامرًا آخر بينما يقول: «إلا إذا قطعت رأسك اللعين وقدمتها لخدمي». لحسن الحظ، لم يثبط هذا ديفون. لا بد أن الإلهة كانت تحرسني؛ لأن الشكل المفضل من الخطايا لدى ديفون في هذا البلاط كان لفت النظر، وكان استعراضنا الصغير يشبع نهمه بمهارة.

وأخيرًا، قابلت نظرة راث الغاضبة. كان رائعًا حين يطلق العنان لسحره، كان يلعب دوره بمهارة، وكان سيتحول إلى وحش، ولم أكن أطيق صبرًا على انطلاق ذلك الوحش الكامن بداخله.

قلت: «أستميحك عذرًا، فقد جربت ما يكفي من الخطايا لليلة واحدة. أرجوك أن تعود إلى طاولتك». هكذا أنقذت نفسي قبل أن أكذب؛ إذ كنت أعرف أن لاست يستشعر الكذب بسهولة، تمامًا مثل راث. استدرت نحو لاست؛ لكنني تعمدت النظر إلى ديفون وأنا أقول: «هلا أعطيتني جرعة الآن أم يجب أن أنتظر؟».

أبعد لاست انتباهه عن المكان الذي كان راث يحوم فيه حولي، ثم مال نحوي وهمس في أذني: «يبدو أنك ستثيرين الشغب إذا حصلتِ على هديتكِ الآن».

«أود المجازفة»، ثم ملت على الدوق لكنني تعثرت، وسمحت له بمساعدتي على النهوض. كانت إحدى يديه على ظهري. شعرت بتأثير لاست السحري حين لمسني؛ لكنني كنت مستعدة له، واجتذبت قوة خطيئته إليَّ، واستخدمتها في بسط رغباتي بدلًا من السماح له بالتغلب عليَّ.

وهنا أبعد دوق ديفون يده على الفور؛ لكن شعوري بلمسته لم يخمد. كان شعوري بخطيئة لاست، هذه المرة، تمامًا مثلما كان في المرة الأولى؛ لكنه في هذه المرة كان أقوى. ربما يرجع ذلك لوجودي في بلاط جريد، ورغبتي الصريحة في جذب الانتباه.

ارتفع صوت الموسيقى التي لم أكن منتبهة إليها، وصار قرع الطبول حماسيًّا، وعنيفًا، وشهوانيًّا. لقد آن أوان تنفيذي خطتي. جلست على ركبتيَّ ديفون، فشهق مندهشًا رغم فرحته بذلك، وكأنني جائزة لم يبذل أي جهد ليفوز بها، ولهذا بدا متباهيًا.

بادرني قائلًا: «سيقتلني رفيقكِ، أليس كذلك؟».

«ليس هذا محتملًا يا صاحب الفخامة، ولا سيما أننا جئنا للتحقيق في جريمة قتل».

لم تضيع جرعة لاست وقتًا في الغواية، راح الشعور السحري المنبعث منها يسري فيَّ، قد يُصعِّب هذا عليَّ التركيز في جمع المعلومات؛ لكنه كان سيجدي نفعًا في الجزء الثاني من خطتي.

اتكأت على الدوق، بينما يواصل سحر لاست مفعوله بداخلي. كان السحر شبيهًا بقطرات من السائل الدافئ التي تتدحرج أعلى ظهري وأسفله، وتسري في دمائي ببطء.

اعتدلت على ساق الدوق، وقد تشتت انتباهي قليلًا بين ردود الفعل التي شعرت بها في مواضع مختلفة من الغرفة.

بادرته قائلة: «إن ما حدث لها شيء مُخزٍ، أليس كذلك؟».

شعرت بأنفاس ديفون تتقطع مع حركتي بينما يسأل: «أتقصدين فيستا؟».

همست له وعيناي مغلقتان: «نعم. هل كنت تعرفها؟». لتحل لعنة الإلهة على قوة لاست. كم كان سحره رائعًا!

هنا شعرت بلسعة دفء لا علاقة لها بسحر لاست؛ ففتحت عينيَّ، لأجد راث قد استولى على مقعد في الجانب المقابل لطاولة اللعب، وثبَّت نظرته النارية عليَّ وعلى الدوق الذي كنت أجلس فوق ركبتيه.

ابتسمت لأميري خلسة. كان وجود راث ومراقبته إياي يجعلانني أشعر بأنه الوحيد الموجود معي في الغرفة. لقد كنت أتوق لجذب انتباهه هو في المقام الأول، وكنت راغبة في إشعال شهوته وغضبه معًا. كنت في شدة الاشتياق إليه. يبدو أن ما مررنا به في الجندول لم يكن كافيًا، وكانت رغبتي المحمومة نحوه تعاودني بقوة لتمتزج بشكل مخيف مع سحر لاست المثير.

أجاب ديفون عن السؤال الذي أوشكت على نسيانه: «كانت معرفتي بفيستا سطحية». كنت أريد استعادة تركيزي، لهذا كان عليَّ أن أتوقف عن النظر إلى راث أثناء اعتمال سحر لاست بداخلي. وأردف ديفون: «لكنها بدت مشتتة في الآونة الأخيرة».

تساءلت: «كيف؟».

وهنا سمعت ضحكة لاست الهادئة من جهة اليسار تتبعها موجة من سحره. كان الشيطان الوغد بذلك إما يقتلني بسحره الشهواني أو يساعدني على إثارة الشغب، الذي حذرني منه. اندفع أنين خافت من شفتيَّ. لقد كان سحره مذهلًا بحق الإلهة! شعرت بلآلئ تنورتي تتحرك فوق جسدي بطريقة عجيبة، وكأنها تسعى لإثارة المزيد من هذا الشعور الرائع. وحين لاحظ الدوق حالتي، أطلق عدة لعنات؛ لكنه أبقى يديه على طاولة اللعب كي يراهما راث.

أعدت تركيزي نحو أمير الشياطين مجددًا، والنشوة تعمل عملها بداخلي. كنت أود أن أجلس على ركبتيه هو. قبض راث على ذراعي المقعد وكأنه يحاول السيطرة على نفسه. لم أكن أعلم ما إذا كان الغضب أم الرغبة هي التي جعلته يثبِّت انتباهه بإحكام عليَّ؛ لكنني لم أعبأ؛ فقد غدت لعبتنا أكثر إثارة.

سألت الدوق: «لقد ذكرت، يا صاحب الفخامة، أن فيستا بدا عليها التشتت. أتتذكر كيف كان ذلك؟».

وهنا أفسح لي الدوق مكانًا في مقعده كي أجلس عليه وقال: «كانت قد خسرت العديد من المقامرات، على غير العادة، لدرجة أن البلاط بدأ يلاحظ ما يحدث ويتهامس حوله. لم يحدث أن فقدت فيستا تركيزها قط. كما سمعت أنها كانت تطرح أسئلة غريبة مؤخرًا حول رائحة الدماء المختلفة وتفاصيلها المعقدة».

«كنت أظن أن جميع الجان يستطيعون معرفة معلومات عن الدم».

«لهذا السبب أثار هذا فضول البعض. كانت تكلِّف الحراس بالتقصي عن أية مشاحنات دموية أثناء المناوشات. وكان هناك كم كبير من دماء المستذئبين التي لطخت الساحات».

كان هذا الأمر يثير غضب المستذئبين الذين أريقت دماؤهم، وهو ما يعزز مصداقية لشكوك جريد في كونهم مسئولين عن الاعتداء. سألته: «ألم يذكر أحد هذا الأمر لجريد؟».

«لقد عاقب سموه كل من ذكر فيستا بشكل سلبي، وقد علمت بكل هذا من نميمة البلاط».

كان يميل نحوي بشدة، فابتعدت عنه قليلًا، وعلى الفور سمعت زمجرة من الطرف الآخر للطاولة. كان راث على وشك الاعتداء على الدوق، وكانت كل عضلات جسده مشدودة؛ لكن إرادته الصلبة هي الشيء الوحيد الذي كان يوقفه. لقد كان مذهلًا بحق الإلهة. إن هذا المزيج المحموم من النهم والسحر والغضب لدى راث أجج رغبتي في الاقتراب منه.

كان مليكي يبتلع ريقه بصعوبة، وينظر إليَّ شذرًا بعد أن استشعر أمارات رغبتي. لم أكن واثقة من أنه لاحظ أن تلك الرغبة موجهة نحوه، في بادئ الأمر. لم يكن الدوق بكل تأكيد يثير أي شيء داخلي. كان السحر يؤجج مشاعري نحو راث وحده؛ لكن غضبه المُستعر جعلني أدرك أنه أخطأ الحكم. يبدو أن الفضيحة كانت على وشك أن تتفجر؛ لذا آن الأوان لجمع ما توصلت إليه من معلومات قبل أن يفقد راث السيطرة على نفسه.

لذا عدت وسألت الدوق: «هل كان هناك أي شيء آخر غريب بشأن فيستا قبل موتها؟ وكيف يتعامل أفراد أسرتها مع الأمر؟».

بدأ الدوق يلهث وهو يراني أبتسم له بإغراء. أجاب: «ليست لها أسرة. لم تكن فيستا من أهل هذه الدائرة. وقد اعتبر الأمير جريد هذا الأمر سرًّا بينهما؛ لكن الخبر انتشر في البلاط مقابل رشوة. لم يكن فيستا هو اسمها الحقيقي، وفقًا لما سمعته».

أثار الأمر اهتمامي، فسألته: «أتعرف اسمها الحقيقي؟».

«كلا، لم تذكره قط».

«ألم يكن لها رفيق؟».

مرر الدوق لسانه على شفتيه وقال: «كان الكثيرون يغازلونها في الأعوام الماضية؛ لكنها لم تترك واجباتها قط. كانت تعتقد أن جريد سيتخذها قرينة؛ لكنه كان ينكر ذلك دائمًا، وكذلك هي».

عدت أسأله: «وهل سبق أن مارسا الحب؟».

وهنا التفتُّ إلى راث وشردت قليلًا أتخيل اليوم الذي سنمارس نحن الحب فيه، وكادت تنسيني الخطة، ثم غمرت خطيئة جريد المكان؛ إذ مد الدوق يده يدلك ذراعيَّ، ورحت أتساءل عما إذا كان لاست قد أرسل إليه بعض السحر المشجع أم أن هذا بتأثير جريد وحده.

أجاب: «لا أدري».

«هل سمعت بأي شيء آخر مثير للاهتمام؟».

«أفضِّل ألا أفكر في ذلك في الوقت الحالي يا سيدة إيميليا». مال الدوق نحوي وأسبل جفنيه يريد أن يقبلني.

وفجأة انخفضت الحرارة وتعالت صيحات الفزع من أعلى المنصة، فاستدرت لأرى ما حدث، وإذ بي أجد الجليد يغمر المنصة، وكان الراقصون والراقصات ينزلقون وهم يحاولون الهرب. كنا على وشك إكمال الفضيحة، لكن هذا لم يكن كافيًا للتأثير في بلاط كهذا، كان يجب أن يفقد راث صوابه، وأن يترك العنان لطبيعته الشيطانية.

دفعت نفسي نحو الدوق واتكأت على طاولة القمار، مولية ظهري لراث، ثم وضعت ساقًا على ساق ببطء وعقدتهما بشكل مثالي بحيث أغوي ديفون أكثر. اهتز كأسي فجأة ثم انشرخ، وانسكب الشراب على الطاولة.

لم يلاحظ ديفون هذا؛ إذ كان تركيزه مسلطًا تمامًا عليَّ. ثبَّتت نظري عليه، رغم أنني كنت مركزة فعليًا في الحشد المتواجد خلفنا.

سمعت ضجيجًا في صالة اللعب، لم يكن مزعجًا بحيث يوقف المقامرة أو الاستعراضات الواقعة بين الطاولات؛ لكنه كان كافيًا لتُغرق

المشروبات طاولات القمار. صليت للإلهة صلاة صامتة، راجية أن يتحرك راث بسرعة. لقد عرفت معلومات كافية من ديفون الذي كان سيُقبّلني هذه المرة دون شك.

قال ديفون متأوهًا: «السيدة إيميليا، اقتربي! اقتربي!».

وسمعت راث يقول: «كفى!»

كان صوته أعلى من الهمس قليلًا؛ لكنه جعل القشعريرة تسري في بدني. راح الهواء ينبض بالطاقة وكأن عاصفة ستهب. كان هذا هو التحذير الوحيد الذي أصدره. فجأة سمعنا فرقعة مدوية شقت الهواء وأخرست صوت قرع الطبول. وتجمد الدوق وهو يقف أمامي، وتحولت نظرة التوتر التي عَلَت وجهه إلى نظرة فزع، ثم تراجع على الفور لينجو بنفسه بعد أن سقطت قطعة من السقف فجأة وكادت تقتله. راح المزيد من قطع الجبس تهطل كالمطر، وتحيط بي كالدائرة لتحميني من الفوضى الوشيكة.

التفتُّ إلى أعلى لأجد السقف يتشقق بالفعل، والشقوق تزداد اتساعًا. راحت ثريات الكريستال تهتز، وبدأت المنصة تهبط كأن الأرض تبتلعها. وصار الجان يصرخون، تاركين عروضهم الماجنة ومسرعين بالاختباء. جلست في منتصف الدائرة غير القابلة للاختراق، ورحت أشاهد طاولات القمار وهي تكتسي بالجليد؛ واحدة تلو الأخرى. كان الجليد كثيفًا وثقيلًا لدرجة أنه كان من الممكن أن يحطم الخشب المزخرف.

«مرحى!». لقد أفلحت لعبتنا؛ بل نجحت بتفوق.

تفككت إحدى الطاولات المجاورة، وسرعان ما تلتها أخرى. كان الأثاث يتحطم ويتحول إلى رماد في كل أرجاء صالة القمار، أو يتهشم تحت الجليد الثقيل ليتحول إلى شظايا؛ لكن طاولتي ظلت سليمة. كانت بمثابة بقعة الهدوء الوحيدة في تلك العاصفة الهوجاء من الغضب.

كان غضب راث يدمر الغرفة بأكملها، قطعة تلو الأخرى. بدت زفراتي كالسحب؛ إذ كانت الحرارة تهبط بشكل مخيف؛ بل صارت

البرودة قارسة، وكأننا دخلنا عالمًا جليديًا كليًا، كان عالمًا قاسيًا مميتًا، تمامًا مثل نظرة الغضب التي صوبها أميري نحو الدوق. صرت أرتجف، ولمحت ديفون وقد تبول على نفسه.

ثم تقدم راث نحوي وقذف بي فوق كتفه كالهمجي، وكانت يده الكبيرة تغطي ظهري وهو يحملني إلى خارج الغرفة التي لحقها الدمار.

كان راث يرتجف لكبحه جماح غضبه. لم أتصور ما يمكن أن يفعله بعد ذلك، وما يمكنه تدميره، فلم يكن هذا سوى نقطة في بحر سحره.

ثم لفت انتباهي لاست الذي كان يضحك في خضم الفوضى، فتذكرت اللعبة، وبدأت أضرب ظهر راث وأنا أصيح: «أنزلني!».

لم يستجب أمير الشياطين، ولم أتوقع منه ذلك؛ إذ كان مركِّزًا على خطيئته وهو ينقلنا خارج صالة القمار التي أضحت تضج بالصراخ، وتهب بها العواصف الثلجية العنيفة. كانت رقاقات الثلج شديدة البرودة تلمس جلدي وكأنها لدغات. إن راث إحدى قوى الطبيعة حقًّا.

وقد استخدم راث قوته الخارقة ليعيدنا إلى غرفتنا في ثوانٍ.

أوقفني على قدميَّ، ثم ابتعد عني ريثما يستعيد بعض هدوئه. لقد نجحت خطتنا بتفوق. وأفسدت خطيئة راث إحدى صالات القمار الخاصة بجريد، وحصلنا على معلومات عن فيستا. لقد كان نجاحًا ساحقًّا، وإن لم أعتقد أن هذا هو رأي الدوق المسكين.

بادرت راث متسائلة: «حسنًا، أتظن أن المشهد كان مصدقًا؟».

لا بد أنه كان كذلك .... كانت حياة فيتوريا متوقفة عليه.

استدار راث بعد أن ألقى تعويذة على الغرفة ليخفي صوتينا، ووجَّه انتباهه نحوي. لقد كان يشبه بالفعل حيوانًا بريًّا انحلَّ وثاقه، فراح يلف حول نفسه وكأنه يتأكد من عدم وجود قفص جديد.

فنظرت في عينيه وسألته: «هل استمتعت بالعرض يا صاحب الجلالة؟». تطلعت إليه ولا يزال سحر لاست يعتمل داخلي، ثم أردفت:

«كان باستطاعتك أن تسمح للدوق المسكين بإنهاء ما بدأه، فقد كان النبلاء الملتفون حول الطاولة معجبين بما يحدث حقًّا».

قال بصوت يغمره التوسل لا التحذير: «إيميليا».

لم يتبقَّ أمامه سوى لحظة حتى يذوب مثلي.

سألت: «هل كنت شريرة بما يكفي لخداع أحد أمراء الجحيم؟».

«بل بالأحرى... أكنت شريرة بما يثير الشيطان؟».

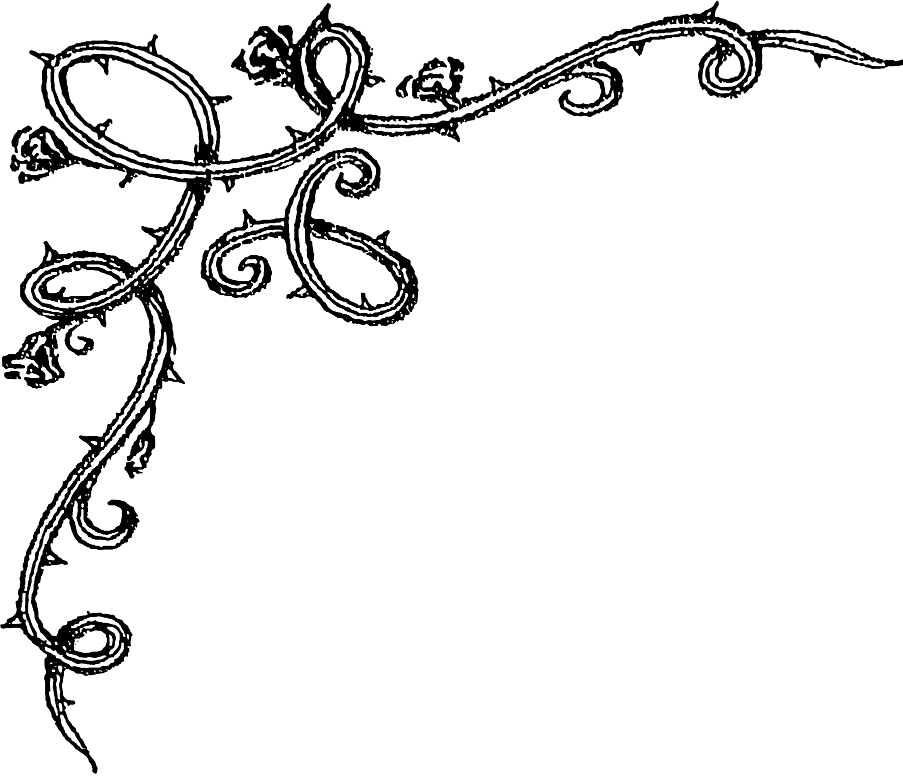
اقتربت من راث الذي كان يلعن آلهة لم أسمع بها. بدا وكأنه قاب قوسين أو أدنى من الانقضاض عليَّ. شعرت بالتوتر ينهش كلينا.

سار راث خطوة نحوي وثبَّت نظره عليَّ.

لقد انطلق الصياد ليمارس هوايته: «قولي إنكِ ترغبين في هذا».

تفرست فيه ببطء ودقة. لم أنسَ أن الغضب أثار رغبته فيَّ، ولم أنسَ أيضًا ما أثاره داخلي.

جذبت قميصه وضممته إليَّ بقوة وقلت: «أريد الآن الشيطان لا الأمير. أرني لماذا يصفونك بالشرير، واعلم أنك لن تجرؤ على التراجع».



السادس

قبل أن ألتقط أنفاسي، احتضنني راث وشعرتُ بأصابعه تربت على ظهري. شعرت بأنفاسه الساخنة وهو يقول: «إذا كنتِ قد غيرتِ رأيك...».

لكنني فاجأته بقبلة عنيفة قبل أن أجيب: «لو توقفت *لثانية* واحدة، فسأختبر ولعك بلعبة السكاكين أيها الشيطان».

أجاب راث بابتسامة تعدني بالكثير مما لاح عليه باشتياق بينما يتفرس فيَّ. أحببت نظراته إليَّ وكأنني أسمى أمانيه. لقد ملكتُ قلبه حقًا.

اتكأت على الحائط وأنا أمرر يديَّ على ذراعيه القويتين وأحتضنه بقوة.

ثم بدأ يقبِّلني قبلات بطيئة جعلت شوقي إليه يزداد بجنون.

أمسكتُ شعره فضحك بهدوء، فاتكأتُ عليه وضحكتُ أنا أيضًا. كنت بحاجة إلى الشعور بقربه. وقفت على أصبع قدمي وهمست: «لا تتركني الليلة».

أدركت من نظراته أنه لم يكن يريد ملكة خاضعة؛ بل كان بالأحرى يتوق لندٍّ له، وهو ما أردته أنا أيضًا.

أبعد خصلة من شعري كانت قد تدلت على وجهي وكأنه يتأكد من أنني بالفعل بين يديه ويقول: «لقد قضيت كل ذلك الوقت وأنا أفكر فيم أريد أن أفعل. كنت أتخيل رد فعلك وصوتك إذا قتلت ذلك الوغد ثم خطفتكِ وهربت بكِ».

كانت قوة مشاعره المتأججة في عينيه تفوق احتمالي.

فقلت له: «أرجوك».

وهمس: «إيميليا».

من طريقته في النطق باسمي والخضوع الذي يملأ نبرة صوته، تيقظ شيء بداخلي. كان شعورًا أقوى من أن أعبر عنه بالكلمات. كان هذا المخلوق الدموي الرائع *مِلكًا لي*. وكنت سأدمر الأرض وما عليها إذا عارضني أحد وأبعدني عنه.

وتابع: «أخبريني الآن».

تساءلت بصوت مختنق لاهث قائلة: «بماذا؟». قرب راث فمه من أذني وأجاب: «بأنني خطيئتك المفضلة».

جذبني راث نحوه من جديد. كان خشنًا بعض الشيء، ولا تخلو حركته من الوحشية والبدائية؛ لكنني وجدته رائعًا.

«قولي إنكِ مِلك لي». كانت عاطفة راث المتأججة أكثر حدة من خطيئته. كنت أذوب شوقًا إليه. فضممته بقوة وقلت: «أنت كل ما أحب. أنت *مِلك* لي». كنت أريد منحه ما يمنحني إياه من شعور.

وفي خضم تلك اللحظات المشبوبة بالحب، التحم الماضي بالحاضر فجأة، وباغتتني رؤية.

في بلاط شيطان آخر، كان راث يقف أمامي إلى جوار جدار في ردهة معتمة. انجذب انتباهي إلى وشم على شكل ثعبان مرسوم على يده، وسرعان ما سمعت أصوات أناس آخرين خارج ذلك الممر السري، ودبَّ الخوف في قلبي إذ قد يباغتنا أحدهم في أية لحظة. لم يرغب أيّ منّا في رؤية أحد؛ لكن خوفنا من انكشاف أمرنا وما يقترن به من هلع لم يكن ليثنينا عن الابتعاد لحظة.

وإذ بلغ شوقي إليه أوجه، لاحظت ضوءًا خافتًا يشع من يدي. وبدأ وشم يظهر على بنصري الأيسر. رحت أتنفس بصعوبة وأمعن النظر في يده التي استقرت على خصري، فرأيت وشمًا على الأصبع نفسه لدى راث. فابتسمت وأنا أفكر فيما قاله لي من قبل.

إنه العهد الأبدي.

غطيت يده بيدي، وشبكنا أصابعنا، واستسلمنا لأشواقنا.

اختفت الرؤية فجأة، وعدت إلى الحاضر مجددًا، لا بد أنها لم تستغرق وقتًا طويلًا، وإلا لكان أميري سيلاحظ هذا. كانت أنفاس راث تدفئ عنقي.

قلت: «لا تبتعد عني، بحق الإلهة».

«لن أفعل».

تحدث راث بلهجة من يقطع عهدًا، ثم مال نحوي وقبَّلني برقَّة.

التقطت أنفاسي وأنا أحدق في الوشوم التي ظهرت على أصبعينا في اللحظة الحاضرة كذلك. وأخيرًا تمكنت من فهم الكلمات؛ إذ كان الضوء مركزًا عليهما.

كانت الحروف ذات اللون الوردي المذهَّب مكتوبة بشكل عمودي أفقي بداية من أسفل ظفري حتى مكان التقاء أصبعي بيدي.

S
E
M
P
E
R
T
V
V
S

كانت الحروف شبيهة بالنقوش الرومانية؛ لكنني تمكنت بعد لحظة من فهم العبارة.

إلى الأبد مِلكك.

اقترب راث وأراح كفه اليسرى على كفي، كاشفًا عن الوشم الوردي المُذهب الذي كان بطول أصبعه. *إلى الأبد ملكك.*

التحم الماضي بالحاضر في ذهني من جديد. وللحظة لم أستطع التمييز بينهما.

لكنه أعاد انتباهي إلى اللحظة الحاضرة حين ناداني بصوت خافت: «إيميليا». أدرت رأسي نحو الوشم شاعرة بأنني لا أستطيع التوقف عن التحديق فيه، ثم ضممت يده برقّة وزفرت زفرة طويلة. لم يكن هذا وهمًا ولا ذكرى من الماضي. كانت العبارة نفسها منقوشة على جلدي في هذا الزمان وهذا المكان.

رفعت يده وثنيتها وقلت: «هل هذا بسبب رابطة الزيجة؟». تطلع في وجهي وقال: «نعم ولا، في الوقت نفسه! هل تذكرتِ شيئًا؟». فأجبته: «أنا... لست متأكدة. لقد رأيتنا في زمن مضى في الحالة نفسها التي نحن عليها في اللحظة الحالية»، ثم ذهبت إلى السرير وجلست وأنا أحدق في الكتابة. «كنّا في ردهة معتمة، نمارس الحب، ثم ظهرت هذه الكلمات».

«هل تذكرتِ أي شيء آخر على الإطلاق؟». «شعرت وكأنك قلت الكلمات نفسها في تلك الليلة». دلكت جبيني، وشعرت فجأة بعدم ارتياح وقلت: «أيتها الإلهة. لقد رأيت نفسي، أليس كذلك؟ لم تكن الساحرة الأولى، ولا زوجة برايد المفقودة. ولم يكن هذا تناسخًا أيضًا. كنت *أنا* نفسي فعلًا. ولكن... كيف؟».

جثم راث أمامي، ووضع يديه برفق على ركبتيَّ. كان يريد طمأنتي ودعمي، وبدا كأنه يستطيع مساعدتي على درء سيطرة اللعنة عني. تلك اللعنة! تسارعت دقات قلبي، فأغلقت عينيَّ بقوة. تلك اللعنة...

كان *هناك* شيء آخر يراود ذاكرتي. كنت مشتتة، ولم أستطع التركيز. كنت كمن يفتح عينيه تحت الماء. كانت هناك ذكرى تلحُّ عليَّ، ففتحت عينيَّ وركزت على الوشم الجديد فوق أصبعي.

رحت أتساءل: «هل كان هذا الشيء دائمًا هنا؟ هل كان بريق السحر يطمسه؟».

فأجاب راث: «لدي نظرية تفسر ما حدث، ولكن...»، ثم خَفَت صوت راث، ربما بفعل اللعنة أيضًا!

تساءلت والغرفة تدور بي: «من أنا؟ *ماذا* أكون؟ هل تتذكر؟».

أجاب راث بعد وقت طويل، حتى إنني جفلت حين عاد يتحدث: «لم أتذكر لوقت طويل، وحين كنت أتذكر، كانت الذكرى تأتيني مشوهة».

شاب التوتر صوتي وأنا أسأل: «والآن، هل تذكرت من أكون؟».

تعلقت نظرة راث النارية بنظرتي وهو يومئ ببطء. انتظرت، وجسدي كله مشدود، حتى قال: «أنتِ التي حاولت جعلي أكرهها إلى الأبد؛ لكنها فشلت»، ثم أمسكني بلطف وقوة في الوقت نفسه، فلم يكن يريد إيلامي، وبدا كأنه لا يريد التخلي عني أبدًا.

إلا إذا أردت أنا ذلك. «*تذكري*».

راحت تلك الكلمة تُعاد وتُكرر في عقلي، وتدور كشيء أفلت زمامه؛ فقد نطقها بهيبة وسلطان مطلقيْن. كان هناك شيء في الطريقة التي أمرني بها أن أتذكر... كان هناك سحر. لقد أمرني بقوة السحر.

كان راث يبث شيئًا من قوته بداخلي. ربما كان هذا بفعل رابطة الزواج. شعرت بأثر ضئيل لسحر راث في الهواء، وكذلك في أعماقي، فتمسكت به. كنت أود أن أفهم - في المقام الأول - كيف يمكنني أن أكون حبيبة وعدوة في الوقت نفسه. كيف نسيت ذلك؟!

كان قلبي ينبض بسرعة وقوة شديدتين. كان هناك شيء يعتمل بداخلي، شيء متوحش يزمجر، راغبًا في أن يُطلق سراحه.

بـدا لـي أن قوانـا تندمجان وتخلقان سـحرًا جديدًا قويًـا. كان نبع القـوة أكبـر مـن أن تتم السـيطرة عليه. كانـت تلك القـوة مزيجًا من النـار، والجليد، والغضب، والعاطفة.

وفجـأة صـارت جميع التعاويـذ، أو اللعنـات، أو الأشـياء الموصدة داخـل عقلـي ركامًـا. وصرخـت حيـن غمرنـي السـحر وأشـعلني مـن الداخل.

ثـم رحت أبحـث عن راث الذي كان بقربي وممسـكًا بـي، وناديته: «سـامائيل». لا بد أنه استشـعر تلك الثغرة في ذكرياتي، ذلك الشـيء الـذي كان يسـيطر عليها ويطمسـها، وما لبث أن حـوَّل قوته إلى حربة وصوَّبها نحو ذلك الشيء.

قال لي بصوت يغمره سـلطان السـحر نفسـه: «أخبريني من أنتِ. تذكري».

شعرت وكأنني أغرق، وأصارع، محاوِلة التنفس، والتفكير، وإيجاد الهـواء. تملَّكني الهلع، وشـعرت فجأة بأنني علـى حافة الموت. وفجأة دوَّى إنذار في رأسي.

لم يحن وقت موتي بعد.

أغلقت عينيَّ وتوقفت عن المقاومة؛ فقد انتابني شعور داخلي بأن عليَّ الاستسلام للقوة التي تصرخ في سجنها وترجه. ثم تخيلت نفسي أطفو، بعد أن كنت أغرق، وانحسر الرعب، وطفت الذكرى المطموسة على السطح، ثم انطلقت.

فتحت عيني لأجد راث يتنفس بعمق. كان رد الفعل بسـيطًا جدًا، وكان عاديًـا بالنسـبة لأي شـخص غيـره، لكننـي عرفـت أنهـا بدايـة النهايـة، فلم يعد السـحر يخفـي الحقيقة التي رحت أحارب بقوة كي أكشفها.

قلـت بصوت منهك، وكأنني كنت أصرخ لسـاعات: «لقد تذكرت». مـن يدري، ربمـا كنت أصرخ بالفعل. الزمن نفسـه لا يبدو لي أنه يمر

بتسلسل منطقي. بدا أميري مرهقًا؛ لكنه متفائل. تابعت: «لقد عرفت من أكون».

كان راث ممسكًا خنجره، فنهض واقفًا، وأشار إليَّ بعمل الشيء نفسه، ثم سرنا نحو مرآة معلقة بجوار غرفة الاستحمام. أومأ الشيطان إلى المرآة وقال: «أخبريني بما ترينه ومن ترينه».

وإذا بحدقتين لامعتين لونهما وردي مُذهَّب تنظران إليَّ. كان هذا دليلًا على قوتي الحقيقية. ومع ذلك، لم يكن ما حدث ليفاجئني إلا بقدر ما. فربما كنت أعلم في قرارة نفسي أن اللعنة لم تتوغل داخلي، وأن هناك سببًا يجعلني متوافقة مع الخطيئة المفضلة لديَّ.

عدت أتذكر ما قالته لي سيليستيا ليلة لقائي بها في غابة «بلود وود». أخبرتني تلك العجوز الشمطاء بأن راث هو مرآتي. شككت في الأمر آنذاك؛ لأنني لم أفهم كيف يمكن أن يتحقق.

والآن، كانت الحقيقة تحدق فيَّ وتنتظر. قلت: «أرى غضبًا».

«وماذا أيضًا؟».

كنت أرى غضبي وناري، وتلك القوة العابرة الرهيبة التي بالكاد خدشت سطحها. كان كل هذا مِلكًا لي. أجبت: «أرى الإلهة التي تحكمه».

«إنني أرى ندي ومليكتي».

أعطاني راث خنجره وقد التوت شفتاه في ابتسامة ساحرة. بدا أكثر هدوءًا، وأقل قلقًا، وكأن كابوسًا انزاح عنه. لم أكن متأكدة مثله؛ لكنني لم أخبره بذلك. كانت هناك أشياء كثيرة لا أتذكرها بعد، فرغم وجود بعض من قوة راث بداخلي، لم تكن اللعنة قد زالت بالكامل.

راحت ذكرياتي تنساب عبر الشق الذي صنعناه، وكان لديَّ شك كبير في أن كثيرًا من الحقائق المزعجة لم تزل محتجبة.

جذبني راث نحوه وضمني. كم رجوت أن يكون محقًّا حين قال إنه حتى ولو لم تزُل اللعنة بالكامل، فقد تحسنت الأمور بعض الشيء!

قرب وجهه من وجهي هامسًا: «سَعِدتُ بعودتكِ يا صاحبة الجلالة».

السابع

قال راث وهو يرتدي ملابسه: «يجب أن أوقع عهد الدم». كان يتصرف بشكل طبيعي، وأشعرني هذا بالدهشة، ولا سيما بعد ما اعتراني عقب تحققي من هويتي، وبعد ما فعلناه، ناهيك عن الفضيحة التي حدثت ونتائجها المحتملة من تدمير راث جزءًا من قلعة أخيه وترويع الدوق. خُيّل إليّ أن الدوق سيشعر بخزي هائل بعدما تبول على نفسه أمام بقية النبلاء. بدت الساعات القليلة الأخيرة وكأنها هذيان حمى استغرق سنوات. سمعت صوت راث يتابع: «نستطيع مناقشة كل شيء بالتفصيل حين نعود إلى وطننا. هل يناسبكِ ذلك؟».

رحت أحدق في صورتي في المرآة. لم أكن ساحرة؛ بل إلهة الغضب. وإن لم أشهد الحقيقة لَما صدقتها، ثم عاد اللون البني الداكن إلى حدقتيّ عينيّ كما كانتا. وكانت تلك تذكِرة جديدة بأنني لم أتحرر من اللعنة بعد. أجبته: «نعم».

راح راث يرقبني، وقد انتبه للحظة التي نظرت فيها إلى الخنجر. لم يكن خنجر المملكة، كما ظننت؛ بل كان أصغر قليلًا وأخف من خنجره.

كما لم يكن للثعبان عينان بنفسجيتان؛ بل كان الحجران الكريمان اللذان يزينانه ورديين داكنين. وكانت هناك كروم تزين المِقبض وتلتف

بأناقة حول الأفعى، تمامًا كالكروم التي استدعيتها في وقت مبكر في حوض الاستحمام.

بادرني قائلًا: «هذا مِلكك»، وكأنه يرد على سؤال لم أنطق به. رحت أبحث عن ذكرى لذلك الخنجر؛ لكنني لم أجد. سار راث نحوي ورفع ذقني حتى التقت عيني بنظرته الثابتة، ثم قال: «لم تُتَح لي فرصة تقديمه لكِ من قبل؛ لكنه لكِ. لقد قمت بتصميمه بنفسي».

حولت انتباهي إلى الخنجر مجددًا. كان ملمس الخنجر وحجمه يروقانني؛ كان خنجرًا مثاليًا، تمامًا مثل الملابس التي كانت تنتظرني في خزانتي حين وُجدت في هذا العالم أول مرة. كان راث يعرفني منذ مدة لا تعلمها سوى الإلهة. لم أكن ساحرة في عمر الثامنة عشرة؛ بل كنت كائنًا خالدًا بلا عمر. لم أستطع استيعاب معنى ذلك كله، فأبعدت تلك الأفكار وركزت على السلاح في يدي. كنت أحمل سلاح مملكتي.

وشعرت بالقلق ينهش أعصابي.

سألت: «والآن، وبعد أن أتممنا زواجنا، هل سينطبق عليَّ المرسوم الذي اتخذته بشأن فيتوريا؟».

أجاب، وقد بدا كمن ينتقي كلماته التالية بعناية: «لن تصبحي عضوًا رسميًا في مملكتي إلا بعد عهد دم. يعطي هذا المرسوم كل مملكة السلطة أن تفعل ما تراه مناسبًا. وهذا يسمح لي بفعل ما أفعله دون الحنث بالقَسم. سنعثر على فيتوريا قبل إخوتي. لن تُضطري للقَسم بعهد دم إلا إذا أردتِ. في واقع الأمر، سأرتب مسألة أن نفعل ذلك معًا».

لو لم أكن أعلم أنني أحبه بالفعل، لكنت وقعت في حبه في تلك اللحظة وإلى الأبد. عدت أنظر للخنجر مجددًا، وراودني إدراك جديد.

سألته: «أليست فيتوريا إلهة الموت؟».

أجاب: «بلى».

كدت أضحك بهستيرية؛ لكنني خنقت ضحكاتي، وشعرت بغصة؛ بيد أنني رفضت أن أبكي. لقد صليت لإلهة الموت والغضب مرات عدة بعد «موت» فيتوريا. وكانت هي الإلهة الأقرب إليَّ أثناء سعيي للأخذ بالثأر.

والآن عرفت السبب.

لكن الأمر كان أكثر تعقيدًا مما أتخيل، فلم تكن هناك إلهة واحدة؛ بل اثنتان: إلهة الموت، وإلهة الغضب.

وحتى حين رأيت لون عينيَّ يتغير بفعل قوتي، وجدت صعوبة في تقبل الأمر. لقد نشأت في عائلة بشرية فانية، وعشت حياة عادية في باليرمو قبل «موت» أختي، واستدعيت ملك الجحيم دون قصد.

أو ربما لم يحدث هذا دون قصد، ربما لم تترك فيتوريا التعويذة المطلوبة لاستدعاء راث في مكان أستطيع العثور عليه فيه مصادفة. كل ما كنت أحتاج إليه هو معرفة السبب.

هل كانت تعتقد أنه المفتاح الذي سيطلق سراح بقية ذكرياتي؟ وإذا كان هذا ما ظنته، فلماذا تأمرني الآن بعدم الزواج منه؟ أكان السبب في ذلك اعتقادها أنني يجب أن أتنازل عن شيء مني مقابل الانضمام إلى مملكة ما؟ كانت هناك أجزاء غير مكتملة من القصة؛ فبعض أفعالها لم تكن متفقة مع أقوالها.

في اللحظة الراهنة، لم أستطع أن أتخيل كيف تم التستر على حياتينا كإلهتين. ربما نبع هذا من السحر؛ لكنني لم أسمع بمثل هذه التعويذة قط. وبدت كل ذكرى أحملها عن حياتنا حقيقية. وإذا كان هذا وهمًا، فلا بد أن أحدًا ذا قوة هائلة هو الذي صنعه.

لعلَّه أحد على شاكلة الساحرة الأولى.

رحت أفكر في الجدة ماريا والأسرار التي كانت تخفيها عنَّا، والقصص التي كانت ترويها عن الأشرار، والساحرة الأولى، وعروس الشيطان. أخبرتنا الجدة بأنه حين يتعلق الأمر بالأشرار، فإن طبيعة

الأشياء تختلف عن مظهرها؛ لكن ربما كان المجرم الحقيقي أكثر قربًا منا طول الوقت.

كان مجرد *التفكير* في الأمر يُشعرني بالتوعك؛ إذ يصعب استيعاب هذا القدر الكبير من الغدر. بيد أن شيئًا لم يعد يفاجئني الآن.

لقد تبين لي أن من أحبهم حبًا غير مشروط مشكوك فيهم أخلاقيًا، والمخلوقات التي اعتدت كراهيتها لم تكن فظيعة على الإطلاق. كان عالمي ينهار حولي، وينقلب رأسًا على عقب. شعرت بأن هناك صدعًا انفتح وسار يبتلعني تمامًا. وهنا تقدم راث نحوي وربت على ذراعي.

نظرت إليه وقلت: «لا أستطيع... لا أستطيع تذكر المزيد. هل سأستعيد كل ذكرياتي أم سيظل الماضي مشوشًا؟».

لم يُجب راث؛ لكنه استدعى رداء مخمليًا من الهواء، وقفازًا بأزرار جانبية، ومعطف سفر، ووضعها على السرير. كانت الحواف مطرزة بكروم وزهور.

وكان لونها أسود وورديًا مذهبًا.

على ما يبدو، كانت مزيجًا من ألوانه وألواني.

وهنا أجبرت نفسي على التركيز فيما أتى بنا إلى هنا، وفي نتائج الفشل الجديدة، فقلت له: «لقد ذكر الدوق أشياء مثيرة للاهتمام عن فيستا. هل سمعت أيًا منها؟».

أجاب راث مؤكدًا: «سمعت معظمها. لم تكن فيستا من أهل هذه المملكة. ومن المفترض أن أخي جريد كان يريد الزواج بها. كانت مشوشة في الفترة الأخيرة. لم تستطع اشتمام الدم؛ لكنها كانت تسأل عنه بالتفصيل. وكانت أماكن وجودها تشهد وجود كمٍّ غريب من دماء المستذئبين؛ لكن، مع الأسف، ليس هذا سوى أقاويل. ومع ذلك، تثير تلك الدماء فضولي، فمن غير المعتاد أن يعجز قائد جيش عن الاستدلال على معلومات يستطيع أي شخص أن يجمعها بسهولة وفاعلية

من اشتمام المكان؛ لكن الأهم والأكثر إثارة للحيرة هو تواتر ظهور دماء المستذئبين».

«إذا كانت تعيش حياة تعيسة هنا، فقد تُبين هذه التحريات محاولتها تزييف مقتلها، فإن كنت في مكانها ولم أستطع اشتمام المعلومات التي يشتمها شيطان، لرغبت في معرفة أدق التفاصيل لاختلاق خدعة قابلة للتصديق. وربما كانت تلك الحوادث التي ظهرت فيها دماء المستذئبين تمهيدًا لما ستفعله. ربما كانت اختبارات تُجريها لتعرف الكم الكافي من تلك الدماء للتشويش على حواس الشياطين».

لقد أثبتت أختي لي أن اختلاق جريمة قتل أمر ممكن. وكنت سأشك في حقيقة مقتل فيستا حتى أجد دليلًا دامغًا يثبت لي العكس. وهنا واتتني فكرة جديدة؛ لكنها كانت لغزًا محيرًا أيضًا يتطلب وقتًا للحل.

سألني راث: «ما الأمر؟».

فأجبته: «الأمور غير منطقية. لقد قررت فيتوريا التحالف مع جريد. ومن المفترض أن يكون ذلك سببًا لتوحيد مملكته مع المستذئبين؛ لكن من الغريب، أن تُقتل قائدته في تلك الظروف الغامضة، ولا سيما أن فيتوريا خبيرة في اختلاق حالات الموت القابلة للتصديق، فإذا كانت فيستا موهوبة، كما ادعى جريد، فمن الصعب أن يصدق أحد أنه من السهل التغلب عليها. لم يستطع الحراس تفسير مسألة عدم سماع أي شخص بالاعتداء؛ لكن على سبيل الجدل، دعنا نستبعد المستذئبين من الموضوع ونتساءل عمن عساه يستطيع الوصول إلى جناحها الخاص؟ لم يذكر أخوك أن هناك جلبة حدثت خارج غرفتها. لم تكن هناك خدوش ولا اقتحام، وهذا يعني أنها كانت تعرف من تسمح له بالدخول. لا بد أن هناك كثيرًا من التفاصيل في هذه القصة. هلا استجوبت أخاك لتعرف رده؟».

أجاب راث: «بالطبع؛ لكن قد تكون هناك فرصة لنعرف من أختكِ مزيدًا من التفاصيل. هناك احتمال ألا يتعاون جريد مع مملكة منافسة، حتى ولو كان هو الذي طلب مساعدتنا».

ارتدى راث قفازًا جلديًا ليخفي وشوم زواجنا وقال: «بعد أن تنتهي من ارتداء ملابسكِ، ستجدين عربة في انتظاركِ بالخارج. أراكِ هناك قريبًا يا زوجتي».

ورغم الفوضى التي سادت كل شيء، أجبته باسمة: «حسنًا يا زوجي».

كان هذا جميلًا؛ بل رائعًا؛ إذ شعرت كأنني أعود إلى موطني.

اقترب مني أمير الشياطين وقبلني بعاطفة مشبوبة أذابتني، ثم انصرف. لم تكن خدعتنا قد انتهت بعد. كان عليه أن يلعب دورًا آخر. كنت أرجو أن يكون جريد مستاءً بسبب الدمار الذي لحق صالة اللعب، فلا يصر على توقيعي أو وجودي، خاصة أنه كان يرغب في إبعادي عن راث قدر الإمكان؛ كي لا أثير حفيظة أخيه مجددًا، فيدمر ما تبقى من قلعته. كنت واثقة من أن الدوق يُسِرّ إليه بأمور حساسة أيضًا، فلم يكن النبلاء يعبأون بأن يُستَخف بهم.

لقد جعلني هذا أتساءل عن الدافع وراء قتل فيستا. كنت أحاول استبعاد أي احتمالية في هذه المرحلة. كان سلوك جريد أغرب من المعتاد، لهذا صرت أكثر شكًّا فيه.

لملمت شتات نفسي وأسرعت بارتداء ملابسي. وفي اللحظة التي خرجت فيها متجهة نحو باب العربة، والثلج يتساقط، ظهر راث. كانت حركة راث الهادئة مثيرة للقلق بالنسبة لحجمه، شيطان شرس بدائي يتظاهر بالتهذيب.

ساعدني راث في ركوب العربة - تلك العربة الأنيقة ذات اللونين الأسود والذهبي التي يجرها فرسان الهلاك الأربعة وخيول راث الشيطانية المستأنسة - ثم ضرب سقفها بقبضته، معطيًا الجياد السوداء ذات الأعين الحمراء والأسنان المعدنية إشارة الانطلاق.

ثم أزاح الستائر المخملية جانبًا وهو يتطلع إلى ما حولنا من مناظر نجتازها، بتجهم متزايد. وعلى يسارنا كان النهر الأسود يمخض، وأمواجه ذات الرُّبا الداكنة تغلي مثل ماء في قِدْر.

هنا انتابني شعور بالقلق. كانت المياه أكثر هدوءًا حين وصلنا. وكان الدرس الذي تعلمناه من الجدة ماريا هو البحث عن أية علامات على وجود مشاكل.

كان التوتر يتصاعد دون شك.

شرعت أتساءل عما إذا كان هذا المنظر ذا صلة بعهد الدم الذي وقَّعه الأمراء للتو. ربما كانت الدوائر السبع تعد العدة القضاء على أختي. ورغم وعد راث بأننا سنجدها قبلهم، فربما كان الخطر يدق بابها بالفعل.

قابل راث نظرة التساؤل لديَّ بإيماءة خفيفة من رأسه. لم نبتعد عن البلاط المنافس إلا قليلًا، ومن المحتمل أن يكون جريد قد جعل جواسيسه يرابطون بالقرب من حافة بستان قلعته النظيف المغطى بالثلوج. ومثل كل السحر، كان للتماويذ التي يستخدمها راث في الحفاظ على خصوصية غرفتنا حدود. ولأننا كنا في مركبة متحركة، كان من الصعب على السحر أن يلحق بها. أومأت له بأنني فهمت، ثم حولت انتباهي إلى النافذة. كنت في حاجة ماسة لأن أسأله عما إذا كان قد جمع مزيدًا من المعلومات من جريد عن فيستا؛ لكننا كنا على وشك الوصول إلى مملكتنا، وهناك سأستطيع مناقشته بحرية في أي شيء. كان عليَّ أن أكبح فضولي المتقد الآن.

جلسنا في سكون يشوبه التوتر أثناء تحرك العربة في الطريق الطويل المؤدي إلى رافد صغير. وبعد مرور ما شعرت بأنها ساعة من الزمن - لكنها كانت نصف ساعة أو أقل - صعدنا الربوة المؤدية إلى الجسر الذي يربط الأرض بين مماكة برايد ومملكة راث.

وحين بلغنا أعلى الربوة، أصبح راث في حالة تأهب كامل. أردت أن أعرف ما إذا كان يستشعر وجود فيتوريا، أو إن كان هناك سبب لتوتره؛ لكنه رمقني بنظرة تشير إلى أن الكلام لم يكن آمنًا في تلك البقعة. رحت أقلب عقلي باحثة عن أي تهديدات أعرفها، فلم أستطع إيجاد شيء. خلع راث قفازه وأخرج خنجره وغرس سنه في كفه بقوة، فخرجت قطرة من دمه. كان معدن النصل وعينا الأفعى المرصعتان بالجواهر تلمع، وكأن قربانه سرها ودب الحياة فيها. التأم جرحه في ثوان معدودة. إن للخالدين ميزات بديعة. رحت أتساءل كيف أكون إنسانة فانية إذا كنت من الإلهات؟ وأخيرًا خرق راث الصمت:

«إذا اقترب أي شخص من العربة، وحدث أي خَطب لأي سبب، فحركي معطفكِ وأسرعي إلى قلعتنا. سيتود أنير الجيش، بينما أتصدى لهم وأشغلهم».

«أحرك معطفي؟ أهو مسحور؟».

فاومأ وتابع: «مُدّيه بشيء من قوتكِ وسيعكس العالم من حولكِ، فيجعلكِ تختفين. لن يُخفي رائحتك: لكنه سيمنحكِ وقتًا للهرب».

قلت: «وهل تتوقع أن أتخلى عنك إذا هوجمنا؟».

«نعم، فأنا الآن القائد، وأنتِ أحد جنودي. ستفعلين ما آمركِ به».

رفعت حاجبيَّ وسألته: «أهذا صحيح؟ لا أتذكر أنني أقسمت أو تعهدت بأي شيء».

تحدثتُ بنبرة عقلانية لا أثر للعاطفة فيها؛ لكن مليكي لم يكن أحمق. كانت نظرة راث لي كفيلة بأن ترسل أجناده الجان إلى حيث يشاء.

لم أكن من جنوده؛ بل كنت زوجته. وإذا كان هذا المتغطرس يظن أنني سأتركه لأي عدو متربص، فقد جانبه الصواب كليًا.

لقد أثبتت حدقتا عينيَّ الورديتان المذهَّبتان اللتان اشتعلتا بفعل قوتي، وقدرتي على نفث النيران التي صارت تحرق الأشياء المادية،

أنني لم أكن أفتقر للقوى السحرية المخيفة، وأنني كنت سأظل بجانبه أحارب حتى آخر أنفاسي إذا ساء الوضع.

«أنا خالد يا إيميليا».

فأجبته: «وماذا أكون؟». ما دمت إلهة، وما دمنا قضينا معًا سنوات في الماضي، فلا بد أنه لم يخبرني بشيء، ولا بد أنني سأسبر غور هذا الشيء حين نصل إلى البيت.

اشتبكت نظرة راث بنظرتي. كانت نظرات ملؤها نار مشتعلة وغضب عارم. لم يكن ليكسب هذا الجدال، إذ كنت قد اتخذت قراري. فمهما جادلني، لم يكن ليُثنيني عن البقاء معه.

بعد لحظة انتظار، استسلم.

«إذا وقع أي خَطب، فسأحاول *استدعاءنا* من مكان آخر إلى أرضنا. ابقي قريبة وأخرجي خنجرك. سددي ضرباتكِ بسرعة. ما دام اجترأ أحد على مهاجمتنا في وضح النهار بالقرب من بلاطي، فتأكدي أنه لن يتردد في إيذائك».

«أتعتقد أنها فيت...؟».

شق عواء الهواء، وارتد الصوت في العربة. ثم دوَّى عواء آخر، تلاه عواء ثالث ورابع. وسرعان ما امتلأت الأجواء بجوقة من العواء ارتدّت إلى الجبال البعيدة وراحت تدوي في كل مكان.

سَرَت القشعريرة في بدني.

كانت ذئابًا. عرفتُ من الصوت أنه لمستذئبين كبار الحجم. كان هذا ردًّا على تساؤلي عمن كان هناك؛ لكنه ترك سؤالي عن *السبب* دون إجابة. راحت الخيول تتذمر وتصهل. لم يكن صوتها يشبه صوت أي حصان عادي.

بدا راث، للوهلة الأولى، هادئًا مُركزًا؛ لكنني ما لبثت أن رأيت لمعة حماس في عينيه. لقد خُلق راث ليحارب ويخوض المعارك. كان راث

ممن يهبُّون وينطلقون حيث يختبئ الآخرون خوفًا ورعبًا، فقال لي وهو يبتسم بتأنٍّ وخيلاء:

«المتحولون غاضبون».

كان ذلك الشعور المحبب إلى الشيطان يشعل مخزون قوته السحرية الضخمة. بادلته ابتسامًا بابتسام. شعرت بالارتياح مرة أخرى. سنكون على ما يرام. أسدل راث الستائر الخلفية ليخفينا عن الأنظار. يبدو أنه لم يكن مهتمًّا برؤية أعدائه.

دوّى العواء مجددًا؛ لكنه كان أقرب وأقوى هذه المرة، وأكثر امتلاء بروح القيادة. إن دومينيكو هنا. لم أفهم سبب وجود الذئاب في الدوائر السبع. وبعد إصرار جريد أنهم هاجموا قائدته، راح الخوف ينشب مخالبه فيَّ رغم حماس زوجي. حين تذكرت طريقة تعامل دومينيكو مع أختي، وكيف كان يطيعها بسرعة في الابتعاد عني، لم أتخيل أنه قد ينقلب عليها.

ضرب راث سقف العربة بقبضته المغلقة، فأفزعني. توقفت بنا العربة فجأة. لقد حانت اللحظة الحاسمة. دبت فيَّ طاقة يغمرها التوتر.

لو كان المستذئبون ودومينيكو هنا لأملتُ ألا تكون أختي بعيدة عنهم. فإذا كانت بعيدة، وإذا كانوا قد خططوا للهجوم بأنفسهم، لكان كل ما علينا هو تحييد المتحولين، وإحضار فيتوريا وأخذها إلى بلاط راث. ولن يعرف أي من بقية الأمراء أننا وجدناها وأخفيناها.

حرك راث ذقنه نحو الباب، مشيرًا إليَّ بفتحه، فأمسكت مقود خنجري بيدين مبتلتين من العرق وقلب يخفق؛ من الخوف. تمنيت أن أجد أختي وأتحدث معها، لعلّنا نحقن الدماء معًا. من المؤكد أنها كانت ستتراجع إذا رأتني. بعدها سنتناقش في أمر فيستا، وسأحصل على إجابة بشكل أو بآخر.

قال راث: «تذكري أن تبقي بالقرب مني، وأن تضربي بسرعة».
انتظر الأمير ويده على مقبض الباب، ثم هز رأسه وجذبني من خصري وقبلني بسرعة قائلًا: «إذا لقيتِ حتفكِ الآن، فسأتبعكِ وأعيدكِ إليَّ».

فأجبته: «يبدو هذا تهديدًا».

«بل هو وعد، يا سيدتي».

فأحطت وجهه بكفي وقلت: «وأنا أحبك أيضًا. إذا كنت مستعدًّا، دعنا نقتل بعض المستذئبين».

اكفهر وجهه وقال: «إن سفك الدماء يثيرني، تمامًا كما أثارني استعراضكِ الصغير بالأمس. سآخذكِ إلى المخدع فور انتهائي من المعركة، ولن نخرج منه إلا بعد مرور وقت طويل. أرجو أن تكوني قد حزمتِ تنورتكِ اللؤلؤية». ثم ابتسم ابتسامة مغوية.

لحظتها زال عني كل التوتر والذعر، وأدركت أن راث استهدف بحديثه أن يجعلني أفكر فيما سيحدث بعد المعركة ويعطيني شيئًا أركز عليه. كان قائدًا جيدًا، وكنت لأمزق آلاف الذئاب كي أعود به سالمًا.

كانت ابتسامته تقطر بالتباهي الذكوري، وكان أهلًا له. بعد أن استشعر جاهزيتي، أمسك خنجره وفتح الباب بغتة وقفز منه بحركة سريعة. أسرعت بالقفز وراءه وقد أشهرتُ خنجري.

لكن سرعان ما زالت عني النشوة بسبب المنظر الذي لاح أمامنا.

كان هناك نحو مائة ذئب ضخم شرس، وقفت كلها فوق الجسر بجانب بعضها البعض، معترضة طريقنا نحو مملكة راث؛ لكن لم يكن هذا ما جعل قلبي يثب ويهدر في صدري؛ بل منظر عشرات الذئاب التي كانت تحوم في نصف دائرة حولنا، وكانت مخالبها بطول ثلاثة أمتار. كانت كلها متأهبة للانقضاض إذا سقط أحد إخوتها.

يا للعنف! لم يكن لديَّ شك في أن راث سيتغلب على معظمهم بمفرده؛ لكنهم كانوا كثيرين!

لقد حشدت أختي جيشًا. وكأن أفكاري استدعتها، ظهرت فيتوريا فجأة خلف صف من المستذئبين شديدي الشراسة. لقد اختفت ابتسامتها المعتادة، ولاح ضوء خبيث في عينيها. كانت المخلوقة التي تتطلع إلينا باردة مجردة من الإنسانية، مخلوقة خالدة. كانت نصفي الآخر، وقد روَّعني هذا حتى النخاع.

بادرتني فيتوريا: «اتفقنا على أن نلتقي ونتحدث، اليوم، يا أختاه. لقد مللت الانتظار، فاستدعيت بعض الأصدقاء لاصطحابك إلى الجزر المتحولة». ثم تحول تركيز فيتوريا إلى راث وقالت: «أنصحك بأن تتركها تمضي في هدوء».

ارتجت الأرض، وكأن غضب راث زعزع قلب المملكة، ثم قال: «استسلمي لبلاط راث بسلام وبإرادتكِ، وسأترك جراءكِ الأليفة تعيش».

فالتوى فم فيتوريا بابتسامة ماكرة شريرة وهي تقول: «يا لشهامتك! ويا لحماقتك أيضًا! يبدو أنك لم تسمع بما أستطيع عمله. دعني أرك».

قلت، وأنا أحاول الاحتفاظ بهدوء نبرة صوتي: «فيتوريا. تعالي معنا».

و«لماذا يجب أن آتي؟».

«لأنكِ متهمة بالقتل، وهناك مكافأة لمن يأتي برأسكِ».

«أهذا كل ما في الأمر؟».

استوقفتني نظرتها اللامكترثة وقلت: «نعم، أعتقد أن هناك مزيدًا من التفاصيل. أرجوكِ استسلمي وتعالي لنتحدث. أريد أن أستمع إلى القصة منكِ. دعيني أبرئ ساحتكِ من أي اتهام».

«ولماذا أهتم باعتقاد أحد أمراء الجحيم أنني قاتلة؟ لا يمكن أن أثق بأي منهم. إنهم مخادعون ويتباهون بخداعهم. لقد تحملت الامتثال لقواعدهم مدة طويلة، وقد اكتفيت بهذا!».

رفعت أختي ذراعها اليمنى وثنت مرفقها وكأنها تُمسك كرة. كانت بعيدة عني، فلم أستطع فهم ما تهمس به من كلمات؛ لكنني رحت أرقبها برعدة وهي ترتل بهدوء. رأيت ضوءًا بنفسجيًا لامعًا يخرج من تحت مرفقها المنثني، ويدور ببطء حول ساعدها ومعصمها، ثم يستقر حول يدها.

راح رات يسب، ثم وقف أمامي ليحميني بجسده. أمعنت النظر حوله وأنا مرعوبة إذ صارت أصابع أختي أطول، وبرزت منها مخالب طويلة سوداء كالليل الحالك وأكثر حدة من الخناجر. بدت ذراعها متفحمة وكأنما أمسكت بها نيران الجحيم وانتزعت من داخلها سحرًا ما كان يجب أن يخرج. راحت الشرايين الداكنة تزحف وراء مرفقها وكأنها تمتزج بدمائها، ثم انطفأ الضوء البنفسجي.

رفعت أختي يدها ذات المخالب، وهي تتباهى بطرفها الشيطاني المخيف. لم يَسَعني عمل أي شيء سوى مشاهدتها وقد صارت من المتحولين وقالت: «تعالَ يا حبيبي دومينيكو».

تحرك الذئب ذو اللون الأزرق المائل إلى الرمادي، إلى يمينها، وهو يعوي بهدوء وانحنى أمامها. كان في حجم الدب، وعيناه بنفسجيتان باهتتان.

ودون إنذار، ضربت فيتوريا الذئب بيدها المسحورة، فانبثق صوت عظام تنسحق وعضلات تتمزق، وقد خرق ذلك السكون المخيف في مشهد مثير للغثيان. لم أصدق ما يحدث. بعدها جذبت فيتوريا ذراعها، ممسكة قلبًا ما زال ينبض ورفعته إلى أعلى، على مرأى من الجميع. خر دومينيكو ميتًا وبدا مثل كومة من الفراء الملطخة بالدماء.

قلت هامسة: «ماذا فعلتِ؟»، وأحشائي تتلوى؛ من فرط الوحشية. أي مذبحة! لقد رأيت جروحًا كهذه من قبل في أجسام ساحرات. لم نعرف أنا ورات ما الذي اقتلع قلوبهن. لقد خمَّن أنه حيوان؛ حيث لم يجد أثرًا لشيطان. ووقتها كنت مقتنعة بأن الفاعل أحد أمراء الجحيم.

والآن رحت أهز رأسي ببطء، غير مصدقة أن أختي تستطيع ارتكاب تلك الفعلة الشنعاء المجردة من الرحمة. لقد قتلت عشيقها، وقتلت ساحرات في جزيرتنا؛ لكن السبب يظل غامضًا؛ لكنني عرفت مَن الفاعل الآن، وشعرت بالاشمئزاز وبادرتها: «لقد قتلتِ أولئك الفتيات».

لم يكن أنطونيو هو الفاعل، ولا أحد ملائكة الموت؛ بل أختي الشقيقة.

في تلك اللحظة، لم يعد لديَّ أدنى شك أنها هي التي قتلت فيستا.

نظرتْ إليَّ فيتوريا نظرة ماكرة وقالت: «يستطيع أي شخص أن يقتل يا أختي العزيزة. أتريدين معرفة السبب الحقيقي وراء خوفهم مني ورغبتهم في حبسي؟».

فأجبتها متوسلة دون أن أعبأ بذلك: «أرجوكِ. توقفي، أرجوكِ. تعالي معنا».

«لا يتوسل إلا البشر الفانون».

ثم حولت فيتوريا انتباهها نحو الذئب الميت الملقى عند قدميها، وثنت أصبعين من يدها الأخرى وأشارت أن «تقدم»، وإذ بجسد دومينيكو الميت يرتفع، ثم اتجهت برأسها ونظرت إلى القلب الذي كان ينبض ببطء في يدها ودسّته في صدره، ثم سحبت يدها المسحورة ليلتئم الجرح على الفور.

وهنا اختفى فراؤه الدامي، وحل محله فراء ذئب آخر نظيف، وسرعان ما تلاشت جميع علامات الموت عنه، وانفتحت عينا دومينيكو اللامعتان، وزمجر مكشرًا عن أنيابه.

لم يكشر عن أنيابه للمخلوقة التي ذبحته؛ بل في وجوهنا جميعًا. لم أستطع سوى التحديق، وأنا غير مصدقة أن أختي لم تقتل مخلوقًا فحسب؛ بل *أعادته* إلى الحياة.

نظرت أختي إليَّ مجددًا وقالت: «نحن جميعًا من آلهة الجحيم يا إيميليا. نحن المرعبتان. لن تستطيع الساحرات، ولا المتحولون، ولا

حتى أمراء الجحيم الوقوف في وجهينا متى اتحدنا. ها هي قوتكِ تستيقظ. لقد آن أوان استرجاع مُلكنا. آن أوان العودة إلى موطننا».

كان بلاط راث هو موطني الاختياري. شعرت بشيء مظلم بداخلي يتقد ليحميني.

سألتها: «ألهذا السبب حذرتِني من راث؟ هل أردتِ أن أنضم إليكِ؟».

«بالطبع، فأنتِ لا تنتمين إلى الشياطين؛ بل إلى أختكِ.. دمكِ».

«وماذا لو رفضت الذهاب معكِ؟». وشددت يدي على مقبض الخنجر.

ظلت أختي صامتة لبرهة، وأصابني طول صمتها بالقلق.

قالت: «سنجد طريقة أخرى لتحرير قوتكِ من قفصها السحري»، ثم حولت فيتوريا نظراتها إلى راث، وبدا المكر يشع من عينها، والأرض تهدر تحت قدميها. خاطبته: «أنت الوقود السام». وفجأة جذبت خنجرًا من الهواء. كان نصله يشع برموز سحرية غريبة. فيما كان راث صامتًا بشكل غير طبيعي. وأردفت فيتوريا: «وأنا الشعلة التي عليكِ إشعالها».

لم ينتظر زوجي أن تبدأ الضرب.

ففي دوامة من الغضب أطلق العنان لقوته العاتية.

وعلى الفور هجمت الذئاب.

الثامن

كان راث يقاتل بضراوة وعزة، وراح يخترق ممرًا دمويًا بين أعدائنا وكأنه كابوس، يقتل وينكل دون رحمة ولا هوادة.

كان يقتل كل ما يقفز أمامه، وقبل أن يقع أحدهم على الأرض يكون قد انتقل إلى غيره ليقضي عليه.

لم يولد راث ببنية تؤهله للقتال؛ بل كان ما يتمتع به حصيلة عمل شاق. كان كسلاح شُحذ إلى حد الكمال لتأدية هذا الغرض. وللحظة لم أستطع تحويل عيني عن ذلك المقاتل.

حين كان يضرب، كانت الذئاب تتساقط ولا تعاود النهوض. راحت الدماء تتناثر على الأرض الجليدية. وكانت آثار المعدن ورائحة الأدرينالين النفاذة تثقل الهواء. لم تمر سوى بضع ثوانٍ إلا وكان شيطان الحرب قد أسقط عشرات المستذئبين. وتجمد عشرات آخرون؛ فقد غلّف الجليد أجسادهم أثناء الهجوم.

ثم تجلت حقيقة قوته الجهنمية؛ إذ أطلق راث نبضة من السحر عبرت الأرض كالبرق. كانت إشارة دون شك، وهنا انطلقت الخيول المسحورة تكسر أصفاد العربة واللجام، وهجمت على الذئاب تغرس فيها أسنانها المعدنية، وتمزق لحمها، وتهشم عظامها بسهولة.

اندفعتُ إلى القتال مخترقة الطريق وسط الحشود. كانت ذاكرتي الجسدية توجه تصرفاتي، وكأنني اعتدت القتل بعنف وبدم بارد. وباعتباري ربة الغضب، كنت واثقة من أنني تلقيت الكثير من المران، حتى لو لم أتذكره.

كنت أضرب الذئاب المتجمدة بمقبض خنجري، متجاهلة الأشلاء واللحم الملطخ بالدماء الذي راح يتمزق مع الجليد. كان جسدي مؤّارًا بالقوة والغضب؛ لكن كان هناك عائق؛ لعله الجدار الذي بُني حين سرق إنفي سحري.

كانت اللعنة لا تزال تكبحني. ولأول مرة، طفى غضبي، الناجم عن إخفاء الحقيقة عني، عمدًا على خوفي من معرفة الحقيقة كاملة. لقد أقسمت لنفسي سرًّا بأنه إذا قُدر لنا النجاة من هذه المعركة، فسأفعل كل ما باستطاعتي لأعود إلى ذاتي الحقيقية.

لن أستسلم لمشاعر العجز، ولن أظل حبيسة بعد الآن.

بدأ الثلج يتساقط، وراحت السماء الداكنة تزداد عتمة وتنذر بكل شر، فإذا كان راث قد أمر الثلج والجليد بأن ينفذا أوامره، كان من المنطقي أن يتحول العالم السفلي إلى سهل جليدي متجمد. لم يكن هناك شيء يعوق قوته. لقد انصاعت الأرض لإرادته. كنت أرجو أن يرهب هذا أعداءنا؛ بل كنت أريد أن يُبتلعوا جميعًا.

اندفع راث ينكل بالمزيد من الذئاب حتى وصل إلى حافة الجسر. في تلك الأثناء كانت قد هبط مزيد من الذئاب من مملكة الظلال، فألقى الشيطان دفقات من قواه خلفه، فتجمد كل ما كان يتحرك سواي أنا وخيوله الجهنمية. وفي خضم المعركة رحت أبحث عن أختي.

لقد اختفت فيتوريا؛ لكنني شعرت بوجودها في محيط المكان. كانت تراقبنا من بعيد. وأيًا كانت خطتها، لم تكن خطة رشد. كنت بحاجة للوصول إليها وإقناعها بالتوقف، أو تجريدها من قوتها بنفسي. وهنا

قفز ذئب وكانت أنيابه تصطك، ثم تجمد وسقط على الأرض على بُعد قدم مني. أغرقت الدماء وجهي؛ لكنني لم أتوقف لأزيلها.

ثم جذب صوت حركة خافت انتباهي، فالتفت ورأيت ذئبًا كان سيهاجم راث من الخلف، فضربته بسرعة وقوة. لقد كان شديد القرب منه؛ ما جعلني استشيط غضبًا وأكاد أنفجر. بقيت بالقرب من مليكي، وصار غضبي كطبول الحرب التي تُقرع في تزامن مع نبضات قلبي.

حاولت الذئاب الإيقاع بالشيطان؛ لكنه كان مَنْ يوقع بهم حينًا، وأتولى أنا تلك المهمة حينًا آخر. كانت خيوله تزمجر عن يميني، وتنهش الذئاب وتركلها.

شعرت وكأننا نقاتل لساعات؛ إذ غمرت الدماء الأرض، وكان معطفي يتشربها وكأنها قرابين. كنت أشكر هذه الدماء؛ بل أرحب بالمزيد منها: المزيد من الموت، والمزيد من الغضب، والمزيد من *الثأر*.

صار خنجري يلمع باللون القرمزي بفعل ما لطخه من دماء، وكأنه يشرب كل ما أقدمه له من قرابين. وما إن وصلنا إلى منتصف الجسر حتى سمعت صوتًا أكثر فظاعة من أصوات المستذئبين والخيول مجتمعة. كان يزمجر وينبح كأنه كلب مسعور. اكتشفت أنه كانت هناك بالفعل كلاب مسعورة كثيرة.

وهنا سمعت صوت أقدام تدب وترج الأرض: فهناك، على حافة الجسر الخارج من مملكة راث، وقفت أربعة من الكلاب الشيطانية، وأخذتُ ألعنها في صمت. لم يكن راث يمزح حين أطلق على الكلب الذي قابلته في ممر الخطايا جروًا. كان ذلك الكلب في حجم المُهر. أما تلك الوحوش ذات الرءوس الثلاث فكانت في حجم الأفيال. وكانت أعينها ذات اللون الأزرق الثلجي تلمع. رفعت الذئاب الأقرب إليها حوافرها، وقد تشتت انتباهها بين راث وتلك الكلاب.

لقد زادت المعركة صعوبة على أختي والذئاب بفضل قوى راث.

لم تفوِّت الكلاب ثلجية اللون لحظة أخرى، وانضمت إلى الاشتباك. راقبتها إلى أن لاحظت تخضب فرائها الفاتح بدماء ضحاياها، ثم استأنفتُ مذبحتي الخاصة. شددتُ قبضتي على خنجري ورحتُ أدور وأضرب وكأنني أؤدي رقصة معروفة منذ الأزل، رقصة كانت المعركة بمثابة موسيقاها، والموت رفيقي في أدائها. كانت الرغبة في الثأر تتملكني وتسيطر على روحي.

وكان راث يقاتل بالحماس نفسه الذي بدا عليه، دون أن يظهر عليه أي تعب. أما الذئاب فلم تستطع الاستمرار على المنوال نفسه؛ إذ تعثر بعضها خارج الطريق، وقد خرج من أفواهها زبد أبيض كثيف وهي تلهث تعبًا.

بدا انتصار راث وشيكًا وهو بين كلابه الشيطانية وخيوله المسحورة. تفاديت ذئبًا قفز فوقي ونحرت عنقه، فتناثرت دماؤه على وجهي وبللت شعري أثناء سقوطه على الأرض.

«إيميليا!».

التفتُّ بفعل صرخة أختي التي تقشعر لها الأبدان. ولم أستطع مقاومة غريزتي في البحث عنها وحمايتها. كنتُ مخطئة، ففي لحظة تحوَّل العالم إلى جحيم بسبب سلوكي النابع من رابطة الدم بيننا؛ إذ أرداني مستذئب على الأرض، ونشب فكه في عنقي، وراحت مخالبه تمزق معطفي، وتمزق لحم صدري، وتعالت صرخاتي.

ثم اختفى الذئب؛ إذ نزعه أحدهم من فوقي وألقى به فارتطم بالجسر بعنف، لينسحق عنقه وظهره ويصدرا صوتًا شديد الارتفاع طغى على معارك الخيول والكلاب الشيطانية المحاربة.

ارتجف الذئب بعنف ثم سكنت حركته، فزفرتُ ثم جززتُ على أسناني حين سمعتُ عواء آخر. كان جرح صدري يئزُّ مع كل نبضة في قلبي. لم يكن الألم قد اشتد بعد. لا شك أن هذا كان بفعل الأدرينالين، بيد أنني كنت أشعر بدوار خفيف.

وقف راث بجواري، وراح يتفحص ما حل بجسدي من إصابات، وعيناه تقدحان شررًا ذهبيًا. انخفضت الحرارة وصار البرد قارسًا؛ إذ بلغ غضبه أشُده.

كان من الأفضل أن تتراجع أختي والمستذئبون قبل أن يبيدهم راث. اقترب راث مني ثم نزل على ركبتيه. كان الدم يسيل من مقدمة قميصه، ثم نظر إلى أسفل بذهول، وكأنه لا يصدق الأمر. كان هناك نصل خنجر طويل يبرز من صدره.

وعلى الفور انتفضتُ متجاهلة آلامي الناشئة عن جروحي، وصحت وأنا أمسك به: «راث!»، ثم أحطته بذراعي محاولة حمايته. قلت له: «ستسير الأمور على ما يرام. سأخرج الخنجر وستُشفى». ورحت أتحسس جرحه بيد مرتعشة.

كانت فيتوريا تقف خلف راث تجذب الخنجر من ظهره دون ندم وتقول: «تعلمين أن الكثيرين يبحثون عن خنجر الدمار...». فتطلعت إلى أختي عبر الجرح الذي كان ينزف نزفًا شديدًا. سبق أن قال راث إن النصل المسحور قد يقتله، وكانت أختي قد سددت إليه طعنة في القلب بنصل قاتل. كانت جروح راث تلتئم في لحظة. وكان قد أخبرني أنه سيشعر بهذا الخنجر حين يقترب منه؛ لكنه كان مشتتًا، هذه المرة، بسببي.

أخذ لون جلده البرونزي يبهت شيئًا فشيئًا؛ لكن لم يكن هناك نظير لغضبه حين ثبت نظره عليَّ وقال: «ممطفك».

نظرتُ إليه نظرة مفادها أن الخنجر أثر حتمًا في قواه الذهنية. يستحيل أن أتركه على هذه الحال ولو انطبقت السماء على الأرض.

ثم حولت بصري إلى أختي وقلت: «عالجيه. عالجيه الآن!».

بدت فيتوريا وكأنها تفكر في طلبي، ثم هزت كتفيها وقالت: «لا».

تسارعت أنفاسي وأنا أقول: «أترفضين طلبي يا فيتوريا؟».

فأشارت إلى أحد الذئاب؛ لا بد أنه دومينيكو. حينئذ غرس الذئب أنيابه في كتفي، مصيبًا جرح صدري وهو يجذبني إلى الخلف. غمرني

الألم، واستغل المستذئبون هذا التشويش ليصنعوا حاجزًا بيني وبين زوجي.

تحاملت على آلامي وتقدمت نحو الذئاب المزمجرة وأنا أهدر: «كفي عن هذا يا فيتوريا. توقفي. سأفعل ما تريدين».

فأجابتني: «ربما أريد أن أراه وهو ينزف. كيف يجعلكِ هذا تشعرين؟ أتشعرين بالحنق يا إيميليا؟».

ركلت فيتوريا راث في ظهره عند مكان الطعنة، فراح يسعل دمًا.

«أم تراك تشعرين بالغضب؟». وضربت جبهته بمقبض الخنجر ضربة قوية تكفي لقتل إنسان. نكص راث فزعًا والدم ينهمر على وجهه؛ لكنه لم يجبن. كان به خَطب ما، وإلا لهاجمها. تابعت فيتوريا: «أم هل تراكِ ثائرة؟».

صرختُ فيها: «توقفي!»

سألت فيتوريا: «ما الذي سيجعل سحرك يستيقظ؟»، ثم جذبته من شعره ودفعت رأسه بعنف إلى الخلف مُبرزة عنقه وقربت الخنجر منه قائلة: «هذا؟».

أيًا كانت طبيعة هذا الخنجر، فقد ألحق به إصابة فادحة. إذا غرسته فيتوريا في عنقه، ماذا لو فقدتُه... وفجأة انفجرت. كانت القوة القديمة، ذلك الوحش النائم بداخلي، قد استيقظت برؤية دم راث. لم أعبأ بكبح جماح هذا الوحش، أو أحاول السيطرة عليه.

لقد أطلقت له العنان.

غمر الغضب أحاسيسي تمامًا، فأصبحت كتلة من اللهب الوردي المذهَّب. أصبح الهواء شديد الحرارة. عندئذ برزت دائرة حماية حولي، وحول راث، وفيتوريا، ودومينيكو، ثم احترق كل شيء باستثناء خيول راث وكلابه.

راحت الذئاب تعوي. وشبَّت النيران في الذئاب بطيئة الحركة. اخترقت رائحة الفراء المحترق الكريهة حاجزي، ثم تلتها رائحة اللحم

المتفحم المثيرة للغثيان. راحت فيتوريا تتابع المشهد باهتمام شديد؛ لكنها لم تنبس ببنت شفة حين تصاعد لهيب قوتي.

تحول الثلج والجليد إلى بِرك، وراحت مياه النهر تغلي تحتنا، والذئاب البعيدة تختفي عائدة إلى مملكة الظلال. وبدأت أحجار الجسر الذوبان. وفي ثوانٍ، كنا سنسقط في ماء يغلي ليذوب لحمنا من فوق عظامنا.

لم أعبأ بهذا، ما دمتُ سأقتل أختي معي. لم يكن هناك ما يكفي لإشباع رغبتي في الثأر. سأقتلهم جميعًا وسأ... وهنا فوجئت بوابل من البَرَد؛ حيث أخذت المئات من حباته تضربني بلسمات أفاقتني من حالتي.

ضم راث أصابعي بأصابعه، وقبض عليها قبل أن ترتخي قبضته. تجاهلت القوة السحرية المتدفقة مني، وركعت على ركبتيَّ لأضمه إليَّ.

قالت فيتوريا بعد أن ألقت الخنجر جانبًا: «بالطبع كان من المستحيل العثور على خنجر الدمار، لهذا السبب اضطررت للجوء إلى السم بدلًا منه. فللإلهة الموت امتيازات. لقد استغرق ضبط المكونات بعض الوقت؛ لكنني صنعت سمًا قويًا يصلح للقضاء على مخلوق لا يموت».

استغرق الأمر لحظة كي أستجمع عقلي، وأسيطر على عواطفي، وأستوعب كلامها، ثم حولت انتباهي إلى أختي وسألتها: «ألم تعثري على خنجر الدمار؟».

تنهدت فيتوريا بيأس وقالت: «ليس بعد. ومع ذلك فقد أفلحت كذبتي. كان كل شيء محسوبًا».

لهذا السبب لم يشعر راث به. كان الأمر كله أشبه بخدعة حقيرة. وهنا تملَّكني الغضب مجددًا؛ لكن قبل أن أطلق لنفسي العنان، رفعت أختي ذراعها وحركت يدها وكأنها تضغط على شيء وقالت: «نامي».

تباطأ خفقان قلبي، وشعرتُ بالنزع إذ أدركت أنه لا توجد طريقة أساعد بها راث ولا نفسي الآن. ارتطمت رأسي بالأرض محدثة فرقعة. ورحت أحدق بثبات في زوجي الذي بدا كأنه نهض وراح يصرخ باسمي.

كان وجهه هو آخر ما رأيت قبل أن تُظلم الدنيا.



استيقظت على صوت طقطقة النيران. ومع ذلك كانت هناك رطوبة باردة تغشى الهواء بدلًا من الدفء. كانت هناك رائحة تشبه رائحة الأرض المنبوشة أو القبور، إنها رائحة الأرض نفسها التي كانت تأخذنا الجدة إليها حين يكتمل القمر كي نجمع التراب لمباركة تمائمنا ودرء الشر.

زوجي.

فتحت عيني لأجد سقفًا مغطى بالجذور، فنهضت فزِعة. كانت ظلمة كظلمة القبور، وكانت الجذور المتشابكة في السقف تبين أن هناك شجرة عملاقة فوقي. جلتُ ببصري في الغرفة الخاوية... كانت زنزانة. وكان هناك جدار مكون من قضبان لصيقة ببعضها البعض؛ ما جعل التسلل عبرها صعبًا. أما بقية الجدران فكانت ترابًا مكدسًا، والأرضية من الحجر غير القابل للخرق.

وكانت آلام صدري تحرقني كالنيران.

المعركة. راث. الذئاب!

تذكرتُ كل شيء دفعة واحدة ففزعتُ، ورغم آلام الجرح، نهضتُ فورًا من فوق فراشي المصنوع من القش، وأمسكتُ القضبان محاولة خلع أحدها.

وهنا شق ألم مبرح ذراعيَّ، فتركتها على الفور. كانت القضبان مسحورة. كنت أرجو أن تكون هذه مجرد عقبة صغيرة، وليست بداية عوائق لا تنتهي. استدعيتُ نيراني السحرية، وصوبتها نحو المعدن، فأحاطت به البراعم الوردية الملتهبة، ليشتعل المعدن بلون قرمزي، ثم... يخمد. كانت تلك القضبان اللعينة محصَّنة ضد السحر.

رحتُ أجربها مجددًا؛ لكن ارتداد موجة السحر جعلني أندفع للخلف بقوة.

كان هذا مريعًا. كان سحري يغذي التعويذة، فكلما صارعت كي أفلت، صار سجني أكثر إحكامًا. كانت حيلة قذرة لتحل عليها لعنة الإلهة. صحتُ: «فيتوريا!».

«هل تتذكرين ليلة تنصتٌ عليّ وأنا أتحدث عن النجوم السبعة يا ساحرة الظلال؟».

أفزعني سماع ذلك الصوت، فركزت على ما ظننته ظلًا مخيفًا قابعًا في أحد أركان زنزانتي وقلت: «إنفي؟».

مال أمير تلك الخطيئة إلى الأمام، جاعلًا ضوء الشعلة الوحيدة في الردهة تبين ملامح وجهه الوسيم، وقال: «لستِ الوحيدة التي خاب أملها يا صغيرتي. كنتُ أفضل أن يكون أخي هنا كذلك».

«كيف حالك؟».

نظر إليّ إنفي بضيق وقال: «لم تستطع أختكِ إبعاد يدها الشريرة عني». وهنا راح يتحسس صدره - في موضع القلب - بذهن شارد. كان قميصه ممزقًا وكأن فيتوريا خلعت قلبه بالفعل. لاحظ خوفي ونظر إليّ نظرة ماكرة وقال: «لا داعي للقلق. لقد نما مجددًا. إنه أسود وشرير كما كان؛ لكنه موجود».

«لست مهتمة بمعرفة ذلك».

هز كتفه وقال: «إنه الخلود، الجروح تلتئم، والقلوب تنمو مجددًا، والحياة تسير».

بدت العبارة بشعة حين نطقها بهذه النبرة الباردة.

«إذن، لم تُرد فيتوريا موتَك، فلماذا تخلع قلبك وتحبسك في زنزانة؟!».

«ربما لم تلاحظي الأمر؛ لكن أختكِ سادية ومضطربة عقليًا. وبرؤية هذا الجرح الشنيع في صدرك، أرجح أنك تعرفين هذا بالفعل». نهض

إنفي ونفض الغبار عن سرواله، ثم تجهم وهو يتطلع إلى يديه المتسختين وقال: «يبدو أنها مهووسة بي، ويحق لها هذا؛ فأنا وسيم بشكل مستفز. وكان رفضي محاولاتها التقرب مني وعرضها التحالف معي هو ما أثار غضبها».

«صحيح أنك مستفز؛ لكنني لست واثقة من بقية كلامك». من المثير أن أختي سعت إلى إنفي أثناء تحالفها مع جريد، إلا إذا كان العكس هو ما حدث.

سألته : «هل كنت أول أم ثاني من يقع عليه اختيارها لعقد التحالف؟».

«الثاني. ومع ذلك فأنا واثق من أنها كانت تتمنى لو أتتني أولًا، فمميزاتي أكبر من مميزات جريد».

«أشكّ في هذا يا صاحب السمو».

ابتسم لي هذه المرة، كاشفًا غمازاته الصبيانية. لقد رأيتها مرة واحدة من قبل، وهي التي جعلتني أقل حنقًا عليه.

«يبدو أن أختكِ ليست الوحيدة التي تملك مخالب حادة. صدقي ما تشائين يا صغيرتي؛ لكن تذكري أنني لا أستطيع الكذب». حوَّل نظره إلى العلامات الموجودة فوق صدري. لو لم أكن أكثر دراية لظننت أنه قلق عليَّ. تابع: «يحتاج هذا الجرح إلى عناية. يبدو أنه أصيب بالتهاب، وستصعد الرائحة الكريهة من الزنزانة إلى أعلى درجات الجحيم».

نظرتُ إليه نظرة غاضبة وقلت: «حسنًا؛ لكن لماذا تصر على أن تناديني ساحرة الظلال؟». لم يكن هناك علاج، ولا ضمادات، فلا جدوى من الإسهاب بالحديث عن أمر لا يمكنني أن أفعل شيئًا إزاءه. إذا كان الجرح قد أصيب بالتهاب حقًّا، فالرائحة الكريهة هي آخر شيء يقلقني. تابعت: «أنا أعلم ماذا أكون .. من أكون».

أجاب بنبرة خالية من الاقتناع وهو يجلس على الأرض مجددًا: «حقًّا؟».

تنفست بعمق وتذكرت آخر صورة رأيت عليها راث كي أشمل خطيئتي وأسمح لها بالتحرر من سجنها، ثم أطلقتها وقلت: «أخبرني بما تعرفه».

رفع إنفي حاجبيه وقد بدا عليه بعض الإعجاب وقال: «عيناكِ... لم تعودي إنسانة فانية. يبدو أن الخلود انتصر. لا عجب في ذلك! لكن من الغريب أنكِ لم تشفَيْ بعد».

أطلقت غضبي في زفرة طويلة. وهنا راح إنفي يتفحص ملامحي دون أن يعلق على عودة اللون البني الداكن لحدقتي عيني، فرفعتُ كتفًا ثم أشرتُ إلى عينيَّ قائلة: «لستُ خالدة بالكامل».

«قد لا تمتلكين قوى كاملة؛ لكن الفناء يخضع للخلود في النهاية. إنه أقوى القوتين. قطرة واحدة من الخلود أقوى من دلو مملوء بالفناء».

كاد هذا يكون منطقيًا، باستثناء أن راث قاتل بشراسة أكثر من مرة كي يحميني من «الموت». كنت على وشك التوصل للسبب، فقلت: «دعنا لا ننحرف عن المسار. لقد سألتك عن ساحرات الظلال. أرجوك أخبرني بمعنى هذا».

فأدار إنفي رأسه مفكرًا.

«ظلال لأنك تملكين مجرد ظل أو أثر من قوتكِ الحقيقية. وساحرة لأنكِ صرتِ هكذا بسبب الضعف الشديد الذي أصاب قواكِ كإلهة، فالساحرات حفيدات الإلهات».

«لماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟».

«لم تسمح لي اللعنة بذلك، فليس لون عينيك الشيء الوحيد الذي يتغير».

رحت أفكر في الرابطة السحرية بيني وبين راث، فهي ما سمح له باختراق عقلي وتحطيم ما كان يتحكم في ذكرياتي. سألتُ: «أتعتقد أن زواجي من راث له علاقة بهذا؟».

نظر إليَّ إنفي وكأنني أثرت فضوله فجأة.

«هل قبل كلاكما الرابطة؟».

رفعتُ يدي لأكشف له الوشم الجديد وقلت: «لقد ظهر هذا على أصبعينا نحن الاثنين بعد أن ...».

فالتمعت ابتسامة على شفتيه وقال: «لقد أتممتما الرابطة في بلاط جريد. أناب مندهش من فقدان راث السيطرة في بلاط منافس، فذلك شيء أقسم ألا يفعله مجددًا».

حولتُ بصري عنه ورحتُ أفكر في الأحداث التي قادت إلى ممارستنا الحب بشكل عفوي، وقلت: «لقد انهار جزء من قلعة جريد، وكانت مشاعر راث متأججة بعض الشيء».

جذبت قهقهة إنفي انتباهي مجددًا إليه.

«أظن أن لأخي العزيز ومزاجه علاقة بهذا. وهو ما يفسر بالتأكيد سبب دعوته إياك في ذلك الزمان والمكان. أحسنتِ يا ساحرة الظلال الصغيرة».

«لم أنوِ إحداث هذا».

«حين نحرك أي شيء، نادرًا ما نتحكم في نتائجه، مهما كانت نياتنا الأصلية».

مال إنفي إلى الخلف، وقد أسند مرفقيه إلى ركبتيه، وعقد ذراعيه بشكل عفوي. كانت أكمام قميصه مثنية حتى المرفق، كاشفة عن عضلات مفتولة بشكل مدهش. كان هناك مقاتل يختبئ وراء خبرته في السخرية والاستخفاف الذي ارتداه كدرع.

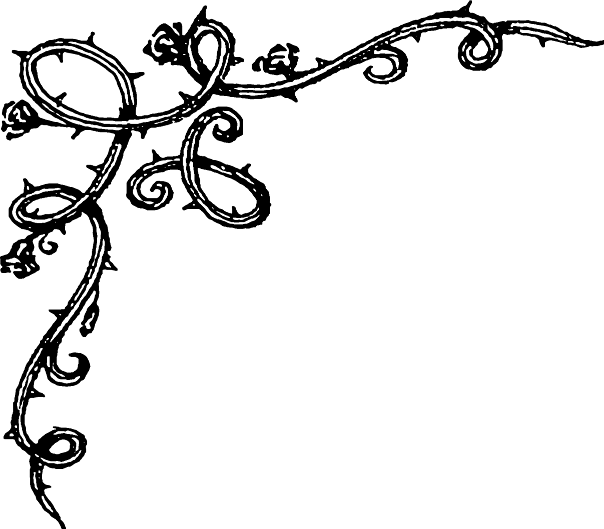
كان شعره الداكن أشعث؛ بيد أنه كان يبدو أكثر كسلًا ووسامة.

التقت عيناه الخضراوان بعينيّ، وكان ثمة تحذير داخلهما وهو يقول: «لا تسيئي فهم الملل وتظنيه صداقة أو حتى عملًا خيريًا».

ابتسمت وقلت: «لا أعتبرها صداقة ولا خيرًا»، ثم اكتست ابتسامتي بمسحة من الحزن، وتابعت: «كنتُ أسميه ودًا، لكنك قد تقتلع رأسي».

وهنا بدا عليه الضيق وقال: «أملك صفات كثيرة، الود ليس واحدًا منها. أنا أناني بالتأكيد، وكل ما أقوله يخدم هدفي الحقيقي. لا تنسي هذا».

وهنا رأيتُ فيتوريا في الردهة خارج الزنزانة تتقدم نحونا. قالت: «في الواقع، إن ما يثير الشفقة هو أنك تصدق ما تقوله».



التاسع

وقفت أختي خارج الزنزانة تتطلع إلينا بقسوة وبرود في ثوبها الأزرق الثلجي. بدا لي أن سمات الإنسانية زالت عنها؛ لكنني رحت أقاوم اعتقادي بأنه لم يتبقَّ منها شيء سوى بقايا كامنة داخل روحها الخالدة التعسة. صوبت نظرها نحوي وقالت: «أنتِ تتضحين بالأمل. لا يليق بكِ هذا يا أختاه».

«أين راث؟».

راحت تتفحصني من رأسي إلى قدميَّ، متحاشية النظر إلى جرحي. توقف انتباهها عند ساعدي، وراحت تتفحص الأفعى والورود التي أصبحت علامة دائمة على جلدي ممتدة إلى ما بعد مرفقي. إن راث يحمل الوشم نفسه.

التوَت شفتاها بازدراء وقالت: «ألا تظنينه غريبًا أن يستثمر محيط وجودك من تلك الوشوم المريعة المتطابقة، بينما لا تستطيعين أنتِ فعل الشيء نفسه؟». ضممت شفتيَّ رافضة الإجابة، فظهرت عليها علامات الاستنكار وهي تتابع: «أتمنى أن أعرف لماذا يتخذ السحر مسارًا واحدًا فقط».

لم أعد واثقة من أن هذه هي الحقيقة؛ لكن الواقع يقول إنه لم يظهر عليَّ أي تحول بعد أن أتممنا رابطتنا جسدًا وروحًا.

وهنا تحرك إنفي بسرعة خارقة ووقف بجواري وقال مخاطبًا فيتوريا: «حسنًا، أتمنى أن أعرف سبب انزعاجكِ بهذا الشكل، بيد أن كلًّا منا لا يحصل على ما يريده الليلة». التوى فمه بابتسامة قاسية حين زمجرت فيتوريا في وجهه مكشرة عن أنيابها، وقال: «أفصحي عن سبب زيارتك واذهبي كي نواصل التآمر على قتلكِ في هدوء».

«لن تؤذيني أختي أبدًا».

ألقى إنفي رأسه إلى الخلف وضحك قائلًا: «هذا مُسلٍّ. دعيني أتأكد من استيعابي ما قلته، فقد شوهتِ حبيبها، وجعلتِ أتباعك يجرحونها، ووضعتِها في قفص، وتظنين أنها لن تدبر المكائد لتجده وتدمركِ إذا وقفتِ في طريقها؟».

احتجت فيتوريا وقالت: «لن تفعل، فهي دمي». ومع ذلك فقد بدا عليها قدر من الشك وهي تنظر إليَّ.

وهنا انتصب ظهر إنفي واختفى تعبير المرح عن وجهه وقال: «أما هو فقدرها، وهي قدره. *كما بالأسفل كما بالأعلى*. إنهما التوازن: النور والظلمة، سقط واحد من عل، وخُلق الآخر في العالم السفلي». شعرت بشيء داخلي يتوافق مع المكان. بدت كلماته صحيحة وأنا أسمعها، وكأنها مفتاح يدخل في مزلاج.

«ألم تستمعي إلى ما قلته حين اقتحمتِ مملكتي وخدعتِ نائبي؟ لا تستطيعين أن تهزمي الحب، فهو قوة أشد بأسًا وفتكًا من أي سحر تمتلكينه أو خوف تبثينه، حتى في هذه اللحظة».

جعلتني كلماته أهدأ، وأعادت إلي ذهني ذكرى مهمة، فقد قالت الجدة إن الحب أقوى سحر، وإنه سيرشدني دائمًا إلى حيث أريد. كنت واثقة وقتها من أنها تعني حبي لأسرتي؛ لكن الآن، اهتزت تلك الثقة،

ولا سيما أنها قالت هذا بعد أن أشارت إلى وسمي بعلامة أحد أمراء الجحيم.

ردت فيتوريا بغضب: «القدر كالحب، كلاهما كالمرأة الخائنة. يمكن التأثير فيه بالمحفزات المناسبة، تمامًا كما فعلت مع برايد».

سألها إنفي: «هل تأثر حقًّا؟ لست واثقًا مثلك».

«لن أسمح لأختي بأن تُقيد بأغلال حمقاء كالحب أو القدر».

فاستدار إنفي نحوي وقال: «أود أن أراكِ توقفينها».

كنت قد مللت من تحدثهم عني وكأنني غائبة، فلم أكن مجردة من قوتي رغم أنني اختُطفت. سأحول هذا اللقاء إلى مصلحتي: قبل أن ترد أختي، ألقيت سرًّا بتعويذة الحقيقة، فما زلت ساحرة غير أن سحري صار قريبًا من سحر الإلهات، فانطلقت التعويذة واستحوذت على أختي بقوة.

حينئذ تحدثت بصوت مفعم بالسلطان، وجعلني ارتداد القوة أكثر ترويعًا من أي أمير شيطاني. سألت: «أين راث؟».

كادت عينا فيتوريا تجحظان وهي تحاول مقاومة أمري السحري، فرحت أغذي التعويذة بمزيد من القوة وأنا أشاهدها ببرود بينما يقطر الدم من أنفها ويتساقط على ثوبها الأنيق. راحت أسنانها تصطك ببعضها، وقطرات العرق تبلل جبينها. كان كل شيء يحدث بسرعة؛ لكنني كنت على استعداد لتحطيم رأسها واعتصار عقلها كي أحصل على ما أريد. كان إنفي يضحك بجانبي وهو يشعر بوحشيتي المتنامية.

التفتَت نحوه، ورمقته بنظرة حادة، ثم سمعتها تقول: «في معبدي».

اتسعت فتحتا أنف فيتوريا في حنق. كانت قوية؛ لكنني كنت أستشيط غضبًا، تابعتُ: «الجزر المتحولة».

«هل قتلتِ قائدة جريد؟».

«كلا».

«هل استأجرتِ أحدًا ليقتلها؟».

كشـرت فيتوريـا عـن أنيابهـا مجـددًا؛ لكنهـا نجحـت فـي الاحتفاظ بالإجابة لنفسها.

كان السـحر قد بدأ ينحسـر، ولم أكن متأكدة إن كانت كذبت بشـأن قتل قائدة جريد أم لا؛ لكن هذا منحني بصيص أمل أنها لم تفعل، قلت: «أشكرك يا أختاه. لم يكن هذا مؤلمًا، أليس كذلك؟».

راحـت تترنـح بعيدًا عـن قضبان زنزانتي، وكان تعبيـر وجهها مخيفًا حين أبعدت الدم عن أنفها وقالت: «ستندمين على هذا».

حرصـت علـى تقليـد نظرتها البـاردة السـابقة، وكان صوتـي مملوءًا بالحقـد حين قلت: «وسـتندمين أنتِ أيضًا على حبسـي هنا وإبعادي عن راث».

وهنا انتفض إنفي وقال: «لقد أنذرتكِ، فقد أشعلتِ النار، لعلّك كنت تعنين قولك بأنك ستستمتعين بلسعها».

تجاهلـت تلك المشـاحنة الجانبيـة وحدقت في أختي متسـائلة: «هل أنتِ مَن أرسل الجمجمة المسحورة لجريد؟».

«يستطيع كل من يمتلك التعويذة الصحيحة أن يسحر جمجمة، حتى لو كان أحد أمراء الجحيم».

لـم تكن إجابة مباشـرة؛ لكنها جعلتنـي أتسـاءل مجـددًا عما إذا كان جريـد وراء وضع الجمجمـة. فحتى تلك اللحظة، لم أجد ما يثبت أنه لم يرسلها إلى نفسه.

وقـال إنفـي: «نعـم، حتى صغـار أمراء الجـان يسـتطيعون عمل خُدع استعراضية مثل الإلهات».

«هل هاجمت الجان أيًا من ذئابك؟ وهل ضاع أحدهم أو فُقد، بعيدًا عن الانقلاب الذي قدتِه ضدي أنا وراث؟».

«إذا آذى جني ذئبًا تحت رعايتي فلن تقوم له قائمة».

«حتى لو كان هذا الجني أحد كبار مسئولي بلاط تحالفتِ معه؟».

حولت فيتوريا نظرتها إلى إنفي وقالت: «إذا واصلت التهكم عليَّ، فسأقتلع قلبك للمرة الثانية أيها الشيطان».

فقلت بحزم: «هل سُرق أو ذبح أحد ذئابك، الأسبوع الماضي أو نحوه، يا فيتوريا؟».

نظرت إليَّ وسألتني: «لماذا تريدين كل هذه المعلومات؟»، فصررت على أسناني؛ من الغيظ. كانت هذه حيلة خادعة يستخدمها راث حين يتجنب الإجابة عن الأسئلة.

«لقد علمت أن دماء المستذئبين تشوش على حواس الشياطين. وكان هناك الكثير منها يحيط برفات قائدة جريد. ألا تتذكرين فيستا؟ لا بد أنكما التقيتما حين عقدتِ هذا التحالف مع بلاط جريد».

«لم أعر اهتمامًا لتابعة جريد».

علق إنفي قائلًا: «تبدين متألمة بعض الشيء. هل رفضتْ عروضكِ هي الأخرى؟».

كنت أريد الإلحاح عليها؛ لكن أختي لم تكن لتتحدث أمام شيطان، فسألتها: «لماذا أتيتِ بي إلى هنا يا فيتوريا؟».

حولت نظرها عن إنفي وتطلعت إليَّ. «أريدك أن تقبلي قوتك بالكامل. لقد حان وقت التخلي عن طبيعتك الفانية، ومعاقبة أعدائك، واستعادة بلاطنا».

«كيف أتخلى...».

وهنا توقفت متراجعة عما أردت قوله؛ إذ لاحت ذكرى بداخلي تحاول التحرر.

بلاطنا... حولت انتباهي إلى إنفي الذي بدا مهتمًا بالصراع الذي يعتمل بداخلي، فقد تحدثت في بلاطه عن سبعة عوالم ظلامية؛ لكنه عدَّل كلامي مؤكدًا أنها *ثمانية*. *كنت* مركزة على النبيذ المسحور بتعويذة الحقيقة وقتها فتجاهلت الأمر؛ لأنني لم أشأ إضاعة الفرصة لجمع ما أريد من معلومات.

أغلقت عينيَّ لبرهة، وسمحت للذكرى بأن تتبلور.

نظرت إلى أختي إذ تذكرت اسم البلاط الثامن وقلت: «بلاط الثأر (فنجينز). لا أتذكر شيئًا عنه».

فقالت فيتوريا مراوغة: «سنتحدث عن هذا الأمر في وقت لاحق».

ضحك إنفي وقال: «لا تترددا في مشاركة أسرار بلاطكما، فأنا وإخوتي لدينا فضول لمعرفتها».

سألت إنفي باهتمام: «ألم تذهب إلى هناك مطلقًا؟ ولا راث؟».

«كلا، ولم يُفلح جواسيسي ولا جواسيس بقية أمراء الجحيم في التسلل إلى تلك الدائرة».

سألته وأنا أتطلع إلى أختي مجددًا: «أليس هنا؟». وهنا جالت بخاطري صورة جبال مغطاة بالجليد، مخيفة، ومنعزلة، ثم أردفت: «هذا ما كنتِ تعنينه بقولك أن نستعيد ما لنا بحكم الأصل». فأومأت فيتوريا دون أن تضيف شيئًا. كنت ممتنة لهذا. لم أستطع تذكر أي شيء مميز عن بلاطنا، وكنت بحاجة لاستيعاب المعلومات الجديدة عني بالتدريج. كما كانت لديَّ ثقة بأن هذا سبب رفضها انضمامي إلى مملكة راث، كانت تريدني أن أحكم مملكة خطيئتنا. وكان يجب أن أتنازل عن ذلك لصالح بلاطنا المنافس. «لقد ذكرتِ شيئًا عن التخلي عن بشريتي الفانية، فكيف يمكنني أن أحقق ذلك؟».

«كل ما عليكِ عمله هو أن تتركيني أقتلع قلبك الفاني الذي أعطاكِ أحدهم إياه».

وهنا بدا الوقت وكأنه توقف بينما أهتف: «*ماذا؟*».

اقتربت فيتوريا من الزنزانة وقالت: «سأعمل على أن يكون الأمر سريعًا وغير مؤلم تقريبًا». مالت نحو صدري، وأشارت إلى آثار المخالب الملتهبة وهي تقول: «ستلتئم هذه الجروح على الفور بلا عدوى أو ندبات».

وضعت يدها على صدري ثم تراجعت. كانت جادة، كانت أختي تريد اقتلاع قلبي. «أنا لا... ماذا تعنين أن أحدهم *أعطاني* قلبًا بشريًا فانيًا؟».

«أعني أنكِ مُنعتِ من الوصول إلى الحقيقة. لقد أُعطيتِ شيئًا فانيًا على أمل أن تنساب الإنسانية إلى نسيج روحك. كانوا يريدون ترويضك. من تظنينه فعل مثل هذا الشيء؟». مالت فيتوريا نحو القضبان مجددًا، وسمعت هسهسة سحر القضبان تصطدم بجلدها. لم يبدُ أنها لاحظت أي ألم أو كانت تعبأ به.

«تعرفين، أو على الأقل تشكين. ومع ذلك، لا تريدين أن تقبلي ما فعلوه بنا، أو بالأحرى ما *فعلته*. لقد أخذوا قوتنا لأنها كانت مصدر خوفهم الكبير. كانوا يخافون من نقمتنا».

فهززت رأسي وقلت: «لا». بيد أن إنكاري لم يكن له أساس.

كنت أعلم أنني أكذب على نفسي، وأن أختي تقول الحقيقة، ومع ذلك لم أستطع أو أسمح لنفسي بالاعتراف بهذا سرًّا ولا علانية. «لم تفعل الجدة هذا، ولم تستطع. لماذا تفعل؟». «إنها تعويذة ربط، يُقصد بها التقييد، ويلقيها أكثر أنواع السحرة ظلامية. تتطلب التضحية بالبشر».

قلت: «الجدة تكره السحر الأسود». ونظرت إلى إنفي الذي كان صامتًا، على غير العادة. كانت عيناه تلمعان بالحزن قبل أن يشيح ببصره. كان يصدق أن هذا حقيقي، شعرت بمرارة في حلقي، وأنني على وشك التقيؤ. أصررت قائلة: «لم تقتل أي إنسان؛ بل لم يُسمح لنا باستخدام العظام ولا السحر الأسود».

سمعت همسة في عقلي تقول: *ربما لأننا كنا سنكتشف بهذا الحقيقة بسرعة أكبر*. لم تنبس فيتوريا ببنت شفة، وكأنها تعطيني فرصة لاستيعاب ما كانت جدتنا تخفيه عنا.

وتحطم قلبي البشري الفاني المسروق. تمنى بعض مني لو اقتلعته أختي على الفور.

وفجأة قفز إنفي أمامي وهو يهز رأسه ويقول: «كلا. يجب ألا تفكري في الأمر، لستِ مستعدة، ثقي بي».

«لماذا؟».

بدا كأنه لا يريد الإجابة، ربما لأنه لم يعتد مشاركة المعلومات بتلك الحرية؛ لكنه تراجع.

«هناك احتمال ضئيل ألا تنجي من التحول».

«لقد قلت للتوإن الغلبة للخلود».

«أقول الكثير من الأشياء التي *إخالها* حقيقية؛ لكن هذا لا يجعلها حقائق».

فقاطعته فيتوريا قائلة: «لكن، ها أنا ذا. لقد عدت سليمة».

فقال بسرعة: «لقد نجوتِ بالطبع؛ لأنك تسودين على الموت».

تعلقت عيني بنظرة إنفي. فلوكان أحدهم أخبرني منذ ستة أشهر أنني سأفضل كلام أحد أمراء الجحيم على كلام أختي لظننته مجنونًا. ورحت أفكر في فكرة راث عن أخيه، وكيف أنه ليس قاتلًا. فإذا كان زوجي يثق به، فعليَّ أن أثق به أنا أيضًا.

لم أفهم ما كان يعنيه بعبارة «لستِ مستعدة»؛ لكنني كنت أعرف على الأقل *أنني* لم أكن مستعدة لاتخاذ ذلك القرار.

وسواء أكانت تعويذة ربط أم لا، فقد كان قلبي يروقني حيث هو.

سألت فيتوريا: «إذا كان قلبي هو العائق الوحيد الذي يقف أمامكِ، فلماذا لا تنتزعينه؟».

فقال إنفي: «ليس ذلك باستطاعتها. عليكِ أن تقرري التخلي عنه...».

سألته وأنا أتفحص وجه أختي: «أو؟ ما العاقبة؟».

زفرت فيتوريا وقالت: «أو تموتين، تمامًا كما يرغبون. لم يكن من المفترض أن نتذكر من نكون. ففي الليلة التي خلعنا فيها تمائمنا، تصدعت لعنتنا. لهذا السبب حذرتنا من تبادلها. لم تكن لتنبه الشيطان؛ بل كانت ستبدأ سلسلة تفاعلات تطلق سراحنا، وهي إحدى نبوءاتهم. لا أحد يريد إطلاق سراح ربات الانتقام، ولا سيما إذا أخطأوا في حقهن».

سألتها: «وكيف عرفتِ؟».

«لقد همس لي أحد كتب التعاويذ بأسراره. وما إن خلعت تميمتي وأعطيتكِ إياها حتى انطلقت قدرتي الكامنة، وصارت أقوى بمرور الوقت. كما صار صوت الهمس يرتفع ويصبح أكثر إلحاحًا بأن أتحرك. وذات يوم قادني الهمس إلى كتاب التعاويذ الأول. وهكذا تعلمت كيف أزيل تعويذة ربطي».

كان هذا حقيقيًا. لقد قرأت في مفكرتها أنها تتحدث عن الهمس ورغبة فيتوريا في الفهم. فابتعدت عن قضبان الزنزانة وانهرت على السرير، فتصاعدت منه ذرات الغبار.

كانت الجدة تعلم بهذا طوال الوقت. لم تكن تعلم فحسب؛ بل كانت هي التي ربطتنا بهيئتنا الفانية. وكانت تعلم أننا سنموت في النهاية؛ لأننا سنظل مرهونتيْن ببشريتنا، إذا لم نقرر فك تعويذة الربط بإرادتنا. إن عدم إلمامنا بالتعاويذ الدفاعية منطقي الآن، فهي سبب ذلك. شعرت بأنني أكرهها، أردت أن أواصل الإنكار لكن الأدلة كانت قوية.

«لكننا كنا طفلتين وكبرنا. كيف حدث ذلك؟».

وهنا فاجأتني فيتوريا بسؤالها: «هل تتذكرين الذهاب إلى ذلك الكوخ في الغابات مع صديقة الجدة؟». فأومأتُ بقلق متزايد. تابعتْ: «كيف وصلنا هناك؟ كيف عدنا إلى البيت؟ لماذا كان المكان قارس البرودة ومغطى بالثلوج؟ كان شديد الشبه بالمكان هنا، أليس كذلك؟».

كنت أفكر مؤخرًا في الشيء نفسه، وشككت في الغرض الحقيقي لتلك الزيارة، وكيف لم أستطع تذكر تفاصيل صغيرة مثل السفر إلى هناك والعودة إلى البيت. كل ما تذكرته هو القفاز الكشمير، والمرجل ...

شعرت بدمعة تترقرق من عيني وأطبقت فكيَّ. فلم تكن ذكرياتنا، ولا حياتنا، ولا أي شيء حقيقيًا. كانت كلها سحرًا، وأكاذيب، وخيانة؛ لكنها بدت حقيقية رغم كل شيء.

سألتها: «ماذا عن والدينا؟ هل كانا يعلمان؟».

وهنا ظهر شيء شبيه بالشفقة في عينيّ فيتوريا وقالت: «سأعود لاحقًا لأرى ما قررتِه. وأشير عليكِ ألا تترددي لوقت طويل في اتخاذ قرارك. لن يقاوم راث السم إلى الأبد، فرغم شدة بأسه لن تطول مقاومته للسم السحري الذي صنعته ربة الموت»، ثم نظرت إلى جرحي مجددًا وقالت: «يجب أن يلتئم، وإلا فالقرار لكِ».

«كيف؟».

«إذا متِّ ميتة طبيعية، فسأعيدك، دون قلبك البشري الفاني».

«يمكنك أن تحضري لي ضمادات ومستلزمات».

ثنت فيتوريا رأسها وقالت: «أنتِ محقة. بوسعي عمل هذا لكنني لن أفعل».



لبثت راقدة على السرير لبضع دقائق، محدقة في الفراغ ومحاولة استيعاب كل ما عرفته. اقترب إنفي، كانت نظرته متعجرفة بعض الشيء، وبدا عليه بعض الضجر، والكثير من سوء الظن، كما عهدته.

سألني: «هل تتذكرين نجوم الأخوات السبع؟».

«لقد طرحت عليَّ هذا السؤال من قبل».

«ولم تجرئي على الإجابة».

قلت له بصوت متقطع: «لعلك لم تلاحظ أن أحدهم قاطعنا».

فقال بصوت يغمره الضيق: «هل سترقدين عابسة طوال المساء، أم ستركزين على مهمتك الحالية؟». وأنَّى لي أن أجرؤ على عدم الانتباه لأسئلته الملكية!

فبجانب جريمة القتل التي لم أثق بأنها جريمة قتل حقيقية، كان هناك ثأري من فيتوريا، وتسمُّم راث، وكل ما عرفته عن أسرتي، كان

كل هذا كثيرًا عليَّ بتتابعه هكذا خلال هذه الفترة القصيرة. كان عالمي يتهاوى ويتحطم أسرع من صالة اللعب في بلاط جريد، وكان على إنفي أن ينسحب عائدًا إلى ركنه ويتركني أفكر لبضع دقائق. كنت بحاجة لوضع مجموعة من الأهداف القابلة للتحقيق؛ لكن، في اللحظة الحالية، كنت أحاول جاهدة أن أستجمع، من رأسي، ولو فكرة واحدة.

فقال: «دعيني أنشط ذاكرتك. لقد ذهبتِ للبحث عن الأخوات السبع، ثم وجدتهن، ووجدتِ مرآة الأقمار الثلاثة التي كنت أبحث عنها. هل تتذكرين المكان؟».

جلست وأنا أطرف بعيني مضطربة بينما تتجدد آلامي. قلت: «لماذا يكون...». بدأ جلدي يلتهب وكأن حمى قد ألمت بي. ورحت أنظر إلى الجذور المتدلية من السقف، محاولة استيعاب ما كان إنفي يرمي إليه. فشعرت بانقباض في قلبي، وقلت: «كانت هناك شجرة في ممر الخطايا. كان عليَّ أن أسقيها بالدماء كي ينفتح الباب السري في جذعها».

واصل إنفي متسائلًا: «أتعلمين لماذا أرسلتُك بحثًا عن المرآة؟». بان الإلحاح في نبرة صوته. هززت رأسي وأجبت: «لأن مفتاح فك السحر في الشجرة يتطلب سفك دم أحد آلهة الجحيم. يحتاج لدم إلهة. لا يستطيع أحد عبور ذلك الممر. وأعني بهذا لا أحد، مهما بلغت قوته».

طَنَّ الألم في رأسي بينما أتابع: «حتى لو نجح راث في الهروب، فلن يجدني. إن باب الخطايا يقطع رابطتنا. وحتى لو وجد الشجرة، فلن يستطيع فك سحرها».

«للشجرة جذور، وهي تتحرك في كل اتجاه. لهذا يتعذر على أي شيطان تعقُّبها. ويعني هذا أنه يجب علينا وضع خطة للهروب». حدَّق في جرحي باشمئزاز، وقال: «ونحتاج لتضميد هذا بأقصى سرعة قبل أن تصبحي عديمة الفائدة».

فتنهدت وقلت: «اهتمامك بي مؤثر جدًّا». فأومأ إنفي غير منتبه للسخرية في نبرتي. تابعت: «لا أستطيع إذابة القضبان. وأشك أنني

أستطيع إشعال الطريق كي نخرج. أستطيع أن أخبر أختي أنني وافقت على إعطائها قلبي البشري؛ ولكن إذا وصلت إلى قلبي قبل أن نُخضعها، فستصبح موافقتي كافية لأن تقتلعه فعلًا. ماذا تقترح؟».

راح إنفي يتمشى في الزنزانة الصغيرة، ممررًا يده في شعره. بدا كأنه توصل إلى فكرة لكنه كان يجادل نفسه في صمت. وأخيرًا، توقف واستدار نحوي. كان تعبير وجهه باردًا، وعيناه شبيهتين ببئرين ينضحان بالكراهية، وقال: «أختك تريدني».

فهمت ما يقصده وسألت: «ماذا ستفعل؟ هل ستعرض عليها علاقة حميمة؟».

فأجاب: «نحن قاب قوسين أو أدنى من الحرب يا إيميليا. سأجعلها تفقد وعيها، إذا لزم الأمر، وسأستخدم خطيئتي وأوظفها بحرفية تجعلها تحقد على أية عشيقة أتخذها بعدها. قد يوفر لكِ هذا وقتًا للتسلل خارج الزنزانة».

كنت أكره حتى التفكير بالتمادي في شيء يجعله على وشك اختبار خطيئة زوجي، فسألته قائلة: «ماذا عنك؟ إذا نجحتَ في الإفلات، فستُسجن معها. لا يوجد دليل على أنها *قتلت* قائدة جريد. وأخاف مما ستفعله بك إذا خنتها».

فأجاب مقتبسًا كلماتي: «اهتمامكِ بي مؤثر جدًّا». رميته بنظرة مستنكرة فقال: «حسنًا، سأتحرك بالقرب من باب الزنزانة، ثم أدفعها نحو السرير بالقوة التي تحبها، وأغلق الباب قبل أن تدري ما نفعله. وإذا حالفَنا الحظ، فلن أُضطر للمسها».

«لا يعجبني ذلك. هناك...». وهنا أفزعنا صوت سعال ضعيف، فرمقت الأمير بنظرة اتهام، فهز كتفيه.

«كيف لم تلاحظ وجود شخص آخر هنا؟».

«ليس تجديد القلب مهمة سهلة. لقد استيقظت قبلك بوقت قصير».

فأسرع إنفي نحو القبضان، وحملق في الظلام يسأل: «من هناك؟».

وهنا دوى سعال آخر. لم يكن الأمر مريحًا.

قلت وأنا أنهض لأقف بجانب إنفي: «أأنت راث؟».

«إيميليا؟».

فانقبض قلبي بقوة. لم يكن هذا زوجي. لم أستطع التمييز؛ ما إذا كنت أكثر ارتياحًا أم أكثر قلقًا حيال سلامته؛ لكنني تعرفت على ذلك الصوت.

«أأنت أنطونيو؟». فسعل مرة أخرى ليصير الصوت أقرب، وكأنه في زنزانة مجاورة. «هل أنت مسجون أيضًا؟».

تحولت ضحكته الخافتة إلى سعال وهو يجيب: «لقد وعدتني بأن أرى أمي مجددًا إذا فعلت ما تأمرني به. كانت تريدني أن أتظاهر بأنني قتلت أولئك الفتيات. لقد أقسمتْ بأنها ستعيد أمي إذا أديت دوري، تمامًا كما فعلت مع الذئب. ظننتها ملاك الموت. فمن يستطيع إعادة الموتى إلا الملائكة؟ وظننتها ستعيد الساحرات أيضًا. لم أكن أعلم... لم أكن أعلم أنها تريد الثأر من عائلاتهم».

أغلقت عينيَّ. كانت تصرفاته منطقية. لقد تغيرت أحواله بعد موت أمه؛ إذ التحق فجأة بالأخوة المقدسة ثم انسحب منها. لم يكن الأسى مجرد ظل يتبع الناس أينما ذهبوا؛ بل كان أسوأ الرفاق، فالأسى عاطفة تجعل الفرد يذبل ويخبو؛ من الحزن والدموع، أو تحوله إلى وحش متعطش للثأر تواق للدماء، باحث عن العدل المتمثل في القصاص. وكأن سفك الدماء يعيد العزيز الذي فُقد، إلى الحياة. كنت أعلم ذلك جيدًا، فقد كانت الجذوة نفسها التي تشعل طريقي الحالي.

كانت فيتوريا قاسية حين تركته يتعلق بهذا الأمل مستحيل التحقق؛ بل كانت معدومة المشاعر؛ لكنني حاولت التمسك بفكرة بقاء، ولو جزء نبيل في شخصيتها، بأن يكون هناك *شيء* إنساني داخلها يجعلني أغفر لها. كانت هناك رابطة بيننا غير قابلة للكسر؛ لكن إن لم تكن بيننا مثل هذه الرابطة، فلعل جريد كان محقًا. ربما لم يكن مقدرًا لها النجاة.

«لقد خدعتْنا جميعًا يا أنطونيو، خدعتني أنا أيضًا».

حدجني إنفي بنظرة تؤكد *أنه* لم يُخدع، فأشرت إليه بأن يظل صامتًا كي لا يسبب مشاكل. رفع يديه في استسلام ساخر وعاد إلى ركنه ليحيك المؤامرات. *لتهبني الإلهة القوة كي أتعامل مع أمراء الجان المتعجرفين المتغطرسين.*

سألت صديقي القديم بعد أن لاذ بالصمت: «هل تريد العودة إلى موطنك الآن؟ تعلم أن الوقت لم يفُت».

قال: «موطني»، وكأنه يجرب مذاق الكلمة ليعرف ما إذا كانت شديدة المرارة على لسانه ثم أردف: «أهي خدعة جديدة؟». وقبل أن أفكر في رد يعزيه، أضاف: «إن دومينيكو لا يتركها أبدًا. وحتى حين تنزل هنا، يقف عند نهاية الممر حارسًا. وليس دومينيكو وحده، فهناك آخرون كثيرون. لقد أحضروا ذئبة أخرى. إنها لا تقترب من الزنزانة؛ ولكنني أراها تراقب. تبدو أكثر وحشية من الآخرين، وهي أشبه بالكلب البري الذي لا يطيق الحبس. يبدو دومينيكو عصبيًّا حين تقترب، وقد صار هذا هو الحاصل طوال الوقت مؤخرًا».

«كيف عرفت أنها جديدة؟».

«لقد سمعتهم يتهامسون ليلة وصولها. كانوا يتحدثون عن عدم قدرتها على الارتحال بين الممالك، فاضطر دومينيكو وبقية الذئاب لاسترجاعها».

حين نظرت إلى إنفي وجدته متوترًا، فحتى لو نجحت خطتنا واستطعنا حبس فيتوريا في الزنزانة، كنا سندخل في معركة مع الذئاب. ولم يكن هذا ليسبب أية مشكلة لولا جرحي المتقيح، وعدم وجود سلاح معي. ولم أكن واثقة من تأثير قوة إنفي؛ لكنني رحت أتساءل عما إذا كان وجوده في مكان مغلق بسحر إحدى الإلهات يثبط قدراته.

وبالنظر إلى رد فعله البائس، وجدت أن موقفه سيئ. إذا كانت هناك ذئبة تجعل الآخرين في حالة تأهب بسبب عدم قدرتها على الارتحال

إلى مملكة الظلال، فأنا لا أرغب في مواجهتها. رحت أدقق النظر بين القضبان مجددًا.

وسألته: «أتعلم ما إذا كانت الذئبة الجديدة ما زالت موجودة؟».

وهنا قطع صوت مريع الصمت. كان صوت طحن عظام، تلاه صوت انسحاق، ثم ظهرت فيتوريا وبيدها قلب مخلوع يقطر دمًا. فتجمَّد دمي؛ من الرعب. لا يمكن أن تكون قد...

«ها نحن لم نعد مضطرين لسماع ضجيجه، ويمكنه رؤية أمه مجددًا، فهذا ما أراده». هويت على ركبتيَّ وأخذت أتقيأ، فنزلت أختي على ركبتيها ونظرت في عينيَّ، وقلب أنطونيو ينبض في يدها. «إذا كنتِ ترغبين في ممارسة الحب معه قبل أن يموت، فيمكنني إعادته. نسيت أنكِ كنتِ ميالة إليه. سيعود صحيحًا إذا قررتِ الآن. أنا واثقة بأن هذا لن يعوق أداءه، على الرغم من أنه إنسان فانٍ. لهذا فلا يُعد مبهرًا، حتى في أفضل حالاته».

صرخت فيها: «ماذا دهاكِ؟».

فأجابت: «أفعل ما خُلقت لفعله بالتحديد يا إيميليا، فمتى تفعلين الشيء نفسه؟».

حين كنت أقاتل الذئاب تعهدت بأن أفعل كل ما يطلق العنان لقواي بالكامل؛ لكن لا بد أن هناك طريقة أخرى لتحقيق ذلك. حين عدت إلى بلاط راث، كنت أبحث في جميع كتب التعاويذ اللعينة عن حل.

وقفت فيتوريا مبدية استياءها، واستدعت جرة زجاجية من الهواء، ووضعت القلب داخلها، ثم أحكمت غطاءها كي تحفظه. اختفت الجرة كخيط دخان، لتنضم إلى بقية مجموعتها المخيفة. ذكَّرني ذلك بحلم، فقد أُصبت ذات ليلة بانخفاض في درجة حرارتي، وراح راث يعتني بي حتى استرددت صحتي. رأيت في ذلك الحلم قلوبًا داخل جرار.

والآن علمت من أين أتت. كانت ذكريات من مكان وزمان مختلفين، ربما كان معبدها، أو مكانًا تحتفظ فيه بمجموعتها. ربما كانت هناك غرفة مرعبة في مملكة خطيئتنا تضع فيها غنائمها.

أردفت أختي قائلة: «إنني أسيطر على الموت. أنتِ من تشعرين بالتشوش حيال هويتكِ وهدفكِ *يا ربة الغضب*. أتظنين أن آل *فينجنس* لم يكونوا أشرارًا؟».

«وعدته بأن تعيدي إليه أمه».

قالت فيتوريا: «لقد أساء صديقنا الصغير الفهم، لقد قلت له إنه سيرى أمه مجددًا، ثم قمت أنا ودومينيكو بعرض لعبة القلب عليه. وقام أنطونيو بعمل الباقي. ليس الخطأ من جانبي، إذ لم يطلب التوضيح. لقد وفيت بوعدي، أظن أنني جمعت شمله على أمه الآن. فما مشكلتك ما دمتِ لا تريدين ممارسة الحب معه؟ لم يكن شيئًا سوى أداة فانية، ولم تكن لديه مشكلة في دهسك حين يتناسب هذا مع احتياجاته. أتعرفين كم كان سهلًا أن يوافق على خطتي، رغم علمه أنه كان سيؤلمك وقتئذ؟».

حدقت في أختي، أو بالأحرى في تلك المخلوقة الغريبة! لقد جعلتني رؤيتها بهذا البرود والقسوة، والقدرة على القتل بسهولة أصدّق أنها ربما قتلت فيستا. كنت أتخيل هذه النسخة من أختي واقفة تتفرج على الذئاب وهي تنهش الشيطانة، تاركة رائحة دمائها في كل مكان. وربما أولت الذئب الجديد الذي ذكره أنطونيو هذا الشرف. أنطونيو... وتقيأت مرة أخرى؛ إذ لم أستطع النظر إلى دمه الذي يغطي يد أختي.

فقلت لها متوسلة: «أعيديه»، ووقفت وأنا أزيل آثار الغثيان عن شفتيَّ وأقول: «أقسم بدمي أنني لن أساعدكِ على استعادة مملكتنا إن لم تفعلي».

فلمعت عينا فيتوريا بشيء بدا كأنه نصر.

«أتعطينني قلبك مقابل قلبه؟».

فتوقفت؛ لأنني لم أرغب في التخلي عن قلبي البشري؛ لكنني لم أكن لأسمح بموت صديقي القديم. لقد وضعتني فيتوريا في موقف صعب، وكانت تعلم ذلك، فتنفست بعمق وقلت: «أنا... ».

وهنا تكلم إنفي بعد صمت طويل وقال: «لقد أثرتِ فضولي. كيف تشعرين وأنت تعلمين أن أمك تفضل إيميليا؟ ليس لديَّ أم؛ لكن يخيَّل إليَّ أنه شعور بغيض يستدعي خطيئة تحمل اسمي (الحسد)».

شعرت بلسعة خفيفة من خطيئة إنفي. كانت ضئيلة جدًا، لدرجة أن أختي لم تدرك أنه استخدم السحر. ضاقت عيناها وهي تقول: «لكي يتحقق هذا، كان على أمنا أن تُبدي اهتمامًا بوجودنا، فقد خلقتنا ثم انتقلت إلى نزوتها التالية. هل تَراها هنا؟». لم تهتم فيتوريا حتى بالتظاهر بأنها تتلفت بحثًا عنها. ومع ذلك، فقد تسبب استخدامها كلمة خلق في جعلي أرتجف. هذا يعني أننا لم نولد من أم وأب. وكان هذا أمرًا غريبًا آخر عليَّ أن أتعود عليه، رغم أن الانزعاج لم يبدُ على أختي ألبتة. «ليست العجوز الشمطاء هنا، فلديها الكثير من الأشياء المهمة لتعملها، والأرواح التي تعذبها، وأي شيء آخر تنغمس فيه».

ابتسم إنفي وكأنه قطة برية ضخمة على وشك الانقضاض وقال: «لدي جواسيسي قصص مثيرة للاهتمام، تستطيع إيميليا إثباتها».

وشعرت بدفقة خفيفة أخرى من خطيئته، فلبثت مكاني دون حراك كي لا تتكسر التعويذة؛ لكن شيئًا داخلي كان يستصرخه كي يُسرع. كان أنطونيو بحاجة لاستعادة قلبه.

أردف إنفي بنبرة ساخرة: «أتريدين أن تعرفي أين كانت أمك خلال السنوات الماضية، وماذا كانت تفعل؟».

ثم رأيتها؛ إذ تحرك ظلٌّ حركة خفيفة على الحائط. كان أحدهم يقف بعيدًا عن الأنظار، فتملَّكني التوتر. كنت أرجو أن يشعر إنفي بشيء لم تستشعره حواسي البشرية المتبلدة، لهذا بدأ التشويش على أختي. لم تحول فيتوريا نظرها عن الأمير، وجعلني هذا أتساءل عما إذا كانت

واغية بمن يقترب منها ببطء، هل ألقى تعويذة وهم كي يختبئ منها؟ كنت أرجو أن تكون هذه الفكرة حقيقية.

وأخيرًا قالت فيتوريا: «لا يهمني هذا، فلم تحاول كسر تعاويذ ربطنا. ولم تهتم بالمجيء لمساعدتنا. لقد خلقتنا لمراقبة العالم السفلي، ثم مضت، إنها بارعة في الاختفاء والارتحال إلى أية مملكة أو عالم يخطر ببالها. قد تمضي ألف سنة دون أن نراها».

فقال إنفي: «لكن بلاط راث اختيار غريب لإقامة من لا تهتم ببنتيها. حسنًا؛ بإحداهن على الأقل». ثم نظر إليَّ وتابع: «أظن أن لقبها كان أم السموم واللعنات».

خرج صوتي وكأنه همسة مهزوزة وأنا أقول: «سيليستيا». لم أكن أرد على إنفي؛ بل أتحدث إلى المرأة ذات الشعر الفضي البنفسجي التي تقف خلف أختي.

نظرت إليَّ بعينيها الداكنتين قبل أن تلتفتا إلى علامات المخالب على صدري. ولمع شيء مثل الغضب في نظرتها، غضب أجد مثيلًا له في نفسي.

وبين طرفة عين وانتباهتها، كانت قد استدعت الجذور من الأعلى وجذبتها من السقف، وأحاطت بها فيتوريا، مقيدة ذراعيها، وساقيها، وجسدها. ذُهلت أختي إذ فوجئت أيما مفاجأة، ثم سكنت حركتها، والعجوز تقترب لتقف أمامي.

كانت ابتسامة سيليستيا ترعب أعتى الوحوش، فلم تكن تلك الواقفة هنا مجرد إحدى إلهات العالم السفلي؛ بل خالقته.

«مرحبًا يا ابنتي».



العاشر

صاحت فيتوريا: «أمي»؛ لكنَّ صدمتها تلاشت بنفس سرعة حدوثها، فراحت تضرب الجذور التي قيدتها وهي تكيل إلى الجميع السباب واللعنات. وقفت سيليستيا تنظر إليها دون أن يبدو عليها أي اهتمام. كانت أختي إلهة قوية؛ لكن سيليستيا كانت الأقوى والأكثر حكمة. كانت جبارة. وإذ أدركت فيتوريا هذا، سكنت حركتها، وراحت تتنفس بصعوبة، تحجرت نظراتها وهي تقول: «ها أنتِ قد أثبتِّ وجهة نظرك. أطلقي سراحي».

لمعت قضبان زنزانتي بضوء بنفسجي، ثم تساقطت على الأرض. عبرت الحاجز بحذر، شاعرة بارتياح عميق بعدما خرجت من الزنزانة دون ألم أو مشقة.

أسرعت إلى الزنزانة المجاورة وأمسكت قضبانها بقوة.

كان جسد أنطونيو المتهالك ممددًا على الأرض، وفجأة أضاء نور الشعلة بركة الدماء التي تغطي الأرضية، لتحضُرني صورة أختي راقدة على مذبح، وحولها بركة من الدماء؛ ولكن بعكس أختي، لم يكن أنطونيو من الخالدين. لم يكن ليقوم مجددًا؛ بل كان سيتحلل وتتحول عظامه

إلى تراب، ثم يتلاشى إلى الأبد. ومهما كان ما فعله بي، لم يكن يستحق ذلك.

استدرت نحو العجوز وقلت لها: «ساعديه. أرجوكِ أعيدي إليه قلبه».

فتحول انتباه سيليستيا إلى الجثة، دون أن يوضح تعبير وجهها أفكارها، ثم نظرت إليَّ وقالت: «لقد مات يا بنيتي. ولن تكون إعادته للحياة أمرًا طبيعيًّا. إذا عاد *فلن* يكون طبيعيًّا».

رحت أنقل عينيَّ بين العجوز وأختي بيأس، ثم قلت: «لقد أعادت فيتوريا مستذئبًا للحياة. ولم يمت أنطونيو ميتة طبيعية كذلك. لا بد أن هناك *طريقة* لعلاجه».

جذبت سيليستيا الجرة التي تحوي القلب من الهواء ورفعتها كي أراها. كنت أشعر بغثيان رهيب؛ لكنني أجبرت عينيَّ على النظر. نقرت سيليستيا الزجاج وقالت: «لقد توقف القلب عن الخفقان. لا يوجد ما يمكننا فعله، فقد خرجت المسألة من أيدينا. يجب أن تسلمي أمركِ يا ابنة القمر».

«لا أستطيع».

انهمرت على خديَّ دموع كنت أحبسها منذ فترة. كان الأمر كله فوق احتمالي. إن راث مفقود ومسموم، وبالطبع يعاني ويتألم في تلك اللحظة، شعرت بأنني عاجزة عن مساعدته، وصديق طفولتي قُتل هو الآخر بوحشية دون صُلح ولا خاتمة حسنة لعلاقتنا. أما أختي التوأم، تلك التي سافرتُ حرفيًّا إلى الجحيم كي أثأر لها؛ لشدة حبي إياها، ولرغبتي في إنقاذها بكل السبل، فكانت مصدر كل تلك التعاسة.

اشتد بي النحيب، وكلما حاولت كبحه زاد انهياري. لم يكن موت أنطونيو العبثي وحده السبب، بل *كل شيء*. كان عالمي كله ينهار: أسرتي، وحياتي. لم يعد أي شيء كظاهره، حتى إدراكي لحياتي نفسها، ولهويتي بصفتي إنسانة وإلهة. كدت أنسحق تحت وطأة كل تلك الأحداث.

جثوت على ركبتيَّ واستسلمت لرياح الأسى التي راحت تعصف بي وتدفعني نحو الردى. لم أعرف كيف أستمر أو أعود. لم أعرف حتى ما إذا كنت *أريد* النهوض. تعبت من خوض كل تلك المعارك عاطفيًّا وجسمانيًّا. لعل العالم يضحى أفضل دون الإلهات وقوتهن الغاشمة وألعابهن الشريرة.

كان كل من أحببت؛ بل كل من أتعسه حظه بمقابلتي، يعاني.

وهنا رأيتُ إنفي بحذائه اللامع قد أتى ووقف بجانبي. كنت شبه متوقعة أن يبادرني بتعليق لاذع، أو يستفزني كي أشعر بشيء مغاير لذلك الأسى الذي يُثقلني، أو ربما كان ليصفني بالمخلوق المثير للشفقة، وهو ما كنت عليه بالفعل.

لكنه مد يده نحوي. راحت الدموع تنهمر على وجهي وأنا أحدق فيها، والنحيب يكاد يخنقني.

فقال بهدوء: «انهضي، افعلي ما يخشون دائمًا أن تفعليه».

جعلتني كلماته، وهي الكلمات التي نطق بها منذ أسابيع أثناء زيارتي بلاطه، أرفع بصري وأتأمل وجهه. لم يكن ينظر إليَّ على أنني مخلوقة تستحق الشفقة؛ بل بالأحرى كمن يفهم بعمق طبيعة الشعور الناجم عن فقدان كل شيء. كنت مجبرة على الوقوف، رغم أنني كنت أود السقوط؛ لكن كان عليَّ النهوض دون الاعتماد على أحد، وتحدي الظروف التي أنزلت بي الكثير من الألم بضرباتها المتلاحقة.

كان عليَّ أن أحيا وأُزهر رغم المصائب، والأهم أن أجرؤ على الحلم بأيام أفضل بعد أن أصبح عالمي كابوسًا.

كرر طلبه قائلًا: «انهضي يا إيميليا وذكّري الجميع». وكانت يده طوق النجاة.

تباطأت دموعي حين أمسكت أصابعه. جذبني بقوة ولطف، مساعدًا إياي على النهوض. فتنفست بعمق، وأحكمت قبضتي على يده، بعد أن جفت آخر دموعي.

«أشكرك».

ضم يدي مرة، ثم تركها وقال: «في هذا مصلحة لي، بطبيعة الحال. لا تكوني ممتنة هكذا، فأنا لا أزال أبغضكِ».

كنت أعلم أنها ليست الحقيقة؛ لكنني لم أقل شيئًا، ورحت أتطلع إلى سيليستيا وفيتوريا. كانت هذه هي أسرتي بالدم. رأيت أختي تصارع الجذور المسحورة التي تقيدها، بينما بقي وجه أمي خاليًا من التعبير. سيكون هناك وقت للحديث ولمعرفة ما يمكن عمله حيال فتاتي البشري وذكرياتي؛ لكن كان عليَّ أن أصل إلى راث.

سألت أمي: «ماذا عن الذئاب؟»، فقالت: «إنها مسجونة في مملكة الظلال خلال الساعة التالية. اذهبي، ولا تنسي أنكِ مدينة لي بكتاب تعاويذي. سآتي لأخذه قريبًا. عليكِ تجهيزه».

نظرت في عيني العجوز وأومأتُ وقلتُ: «سأفعل». كنتُ أعرف أنها متغيرة المزاج كأي إله، وأن رأيها سيتغير وفقًا لنزواتها. لم أكن على استعداد للتعامل مع أي عدو جديد، وكنت ممتنة لتذكري أنني أخذت كتابها في حقيبتي ليلة اكتشافي أن فيتوريا على قيد الحياة.

شرع إنفي في اجتياز الممر الطيني، دون أن يهتم بالتأكد من أنني أتبعه. وحسب الوعد، حين دخلنا الغرفة التي وجدت فيها مرآة الأقمار الثلاثة، لم يكن هناك مستذئبون رابضون.

تطلع إنفي حوله، موجهًا انتباهه إلى كل شيء، وكأنه يحفظ كل معلومة في ذاكرته كي يستخدمها فيما بعد، وقال: «لا يليق هذا المكان بالإلهات؛ لكنني أظن أن به بعض سحر الريف، هذا إن تغاضينا عن الأحجار والطين».

ابتسمت لتعليقه وأنا أهز رأسي قبل أن أتقدم إلى الأمام نحو البرج القائم في منتصف الغرفة. في المرة الأخيرة التي جئت فيها هنا، كانت مرآة الأقمار الثلاثة موجودة. راح خنجري يلمع حيث كانت تحوم، ويشير إلى أسفل نحو منتصفها، فأحكمت قبضتي حوله، شاعرة

بإصرار يتأجج بداخلي، أو ربما أمل. سأجد مليكي، ثم أجد طريقة أكسر بها تعويذة ربطي، ثم سأعرف بطريقة او بأخرى الحقيقة وراء مقتل فيستا أو اختفائها، وأبرئ أختي من التهمة، أو أراها تدفع ثمن جرائمها. تنهدت تنهيدة طويلة. لم يكن الأمر سهلًا؛ لكنني سأبحث عن طريقة لإتمامه. كان عليَّ أولًا أن أعثر على شريكي، على زوجي.

واجهت إنفي متذكرة ما قالته أختي عن مكان راث، هذا إن كانت صادقة! لم أكن إلهة كاملة، لهذا لم أكن متأكدة؛ لكن حتى الآن لم يكن لديّ أية مشكلة في أن أكذب، بعكس أمراء الجن.

سألت إنفي: «أتعرف مكان معبد فيتوريا؟»، فأومأ، مُثبتًا انتباهه على الخنجر. فقلت: «لنذهب إذن».



وقفنا خارج بوابة الجحيم، عند بداية ممر الخطايا، متطلعيْن إلى دفقات السحر الرهيب. كان راث قد ألقى تعويذة ليغلق البوابات حين وصلنا إلى الدوائر السبع، فالتف السحر حولها مثل الكروم الشيطانية.

بدت طاقة السحر غريبة بعض الشيء في لونها وملمسها؛ لكنني لم أستطع الثقة بذكرياتي. لم تزل اللعنة تعمل، رغم أنها لم تكن بقوتها السابقة، بعد أن سمحت لقليل من سحر راث بالتسرب إلى روحي.

صارت عاصفة الشتاء تهب بقوة شديدة، وفهمت أنه أينما كان زوجي، فقد كان غاضبًا بشدة. ومع ذلك، أعطاني مزاجه واستمرار تأثيره في المملكة. لا بد أن راث كان بخير، ولا بد أنه سبب كل هذا الاضطراب في الجو.

نثرت بضع ندفات ثلجية فوق رموشي، وصرت أرتعش حين وضع إنفي يده على البوابة، كما فعل راث. بدأ يتحدث بلغة غير مفهومة، فاشتعل سحر أخضر اللون من يده، ثم انغرس في البوابة. ثبت إنفي يده هناك منتظرًا أن تُفتح.

لكن شيئًا لم يحدث!

راح إنفي يسب ويحاول مجددًا، دون أن يتغير أي شيء، فابتعد عن البوابة ممررًا يده على شعره وهو يدمدم لنفسه، ثم جذب خنجر مملكته من سترته الخضراء الداكنة وخز أصبعه؛ ليلتئم جرحه على الفور مثل راث، وبعدها لطخ البوابات بالدم. غير أنها أبت أن تُفتح.

وهنا تبددت آمالي، وتحولت إلى مخاوف وشكوك، ورغم تأكدي من أن راث بخير، كان عليَّ أن أجده فبادرته: «هل يمكن أن يفتحها دمي؟».

توقف إنفي عن الدوران حول نفسه وحدق فيَّ قائلًا: «يمكنك أن تحاولي؛ لكنني أشك في أن السحر الذي يكبل البوابات قد وُضع ليمنع كائنات مثلكِ من العودة، تمامًا كما يمنع أمثالي».

لم يقل «كائنات مثلكِ» بأي حقد؛ لكنني كنت مترددة، فبالنسبة لكل من هو خارج هذه المملكة، لم أكن أبدو مألوفة. وكان هذا سيستغرق وقتًا مني في تقبله، فاقتربت من البوابة أعاين المقبض الذي يشبه قرون الغزال.

«لقد أغلقها راث، فلماذا يمنعني أنا أو أي أمير آخر من الخروج؟».

تنهد إنفي، فتحولت أنفاسه إلى ضباب، وقال: «هذا السحر ليس شيطانيًا. لقد عادت ساحرات النجوم إلى خدعهن القديمة مجددًا».

كانت ساحرات النجوم يحببن الجدة. وقد أخبرتني بأنهن كنَّ حارسات يقفن بين الممالك، ويراقبن سجن الهلاك. كانت الجدة قد زعمت أنني إحدى الحارسات؛ لكنني صرت أعرف الآن أن هذه كذبة.

حين فكرت في أن جدتي ارتحلت إلى هنا كي تحبسني، شعرت بطعنة خنجر جديد في قلبي. لقد وعدتني بأن تأتي لتبحث عني بعد أن أوصتني بالاختباء من أمراء الجحيم. لقد أقسمت بأننا سنلتقي. لم أخبرها بأنني قررت المجيء إلى الدوائر السبع، وكنت أود تصديق أنها لم تكن لتحبسني هنا إذا عرفتْ.

قلت: «سأجرب، على أية حال». كانت لديَّ آمال وشكوك على حد سواء.

غرست النصل في طرف أصبعي، ورمشت حين برز الدم، ثم لطخت المقبض، كما فعل إنفي، متصورة أن البوابة ستنفتح، أو حتى ستنفجر. كنت أرجو أن يؤدي أملي القوي إلى تحقيق النتيجة المرجوة؛ لكن شيئًا لم يحدث.

فرحت أتأمل السحر، والأفكار المزعجة تربك تفكيري. كان راث محبوسًا خارج المملكة. وكان هذا يعني إما أن أختي نقلته إلى الجزر المتحولة *قبل* أن تفعل ساحرات النجوم تعاويذهن، أو أنهن وأختي عملن بالتزامن مع بعضهن البعض.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن الجدة تعرف مكاني.

اندلعت النيران في الهواء حولنا، وراحت الكروم تتسلق البوابات، وهي تتهشم وتشتعل وتتجاذب، وكأنني أستطيع إحراق أي عائق يحاولن وضعه بيني وبين زوجي.

راح حريق تلو الآخر يضرب البوابات، وغضبي يشتعل مع كل محاولة فاشلة.

أخذ إنفي يسب ويتراجع مع تصاعد ألسنة اللهب. وأيًا كانت التعويذة التي استخدمتها الساحرات، فإنها لم تتأثر بسحري ونيراني. أوقفتُ دفقات سحري وقد شعرت بالهزيمة. لقد سجنتني جدتي في الجحيم بالفعل.

«لا يمكن أن تكون جدتي بهذا الشر».

قال إنفي: «هذا هو الشيء الغريب في وجهات النظر. فأنتِ الشريرة في روايتها، بل الشريرة التي ذكرت النبوءة أنه يجب حماية العالم الفاني منها».

«لكنني لا يمكن أن أؤذي أحدًا، بغض النظر عن أية نبوءة».

قلت ما قلته وأنا أعرف أنني كاذبة. فلو آذى أحدهم راث أو شخصًا أحبه، فلن أتردد في إيلامه بكل عنف ووحشية.

زم إنفي شفتيه، وكأنه يعرف ما أدركته للتو، محتفظًا برأيه لنفسه.

كان هناك العديد من الأشياء الخفية التي يجب كشفها كاللعنة والنبوءة. كنت أتذكر بصعوبة أنها موجودة. وكانت تفاصيلها مشوشة، وقيل لي إن هذه بسبب اللعنة حيث كانت تشوه أي قصة في كل مرة يُعاد فيها روايتها.

كانت صديقتي كلوديا هي التي أخبرتني بأن الذكريات المشوشة هي نتيجة اللعنة، وأنها كانت تحول دون التذكر. وحتى ذلك الوقت، لم أكن أعرف أن هناك لعنة أو نبوءة. كنت أعلم أن هناك ديْن دم للشيطان فحسب، أو هكذا زعمت الجدة. ثم أخبرتني جدتي في النهاية بأمر النبوءة ليلة وداعنا. لم تعطني أي تفاصيل؛ بل ألمحت إلى أنني وفيتوريا كنا علامتين لنهاية لعنة الشيطان.

قلت وأنا أبتسم لإنفي بحزن: «المسألة معقدة كخيوط متشابكة، تمامًا كما قلت في تلك الليلة».

«وها قد بدأنا للتو فك الخيوط».

صمتنا لبرهة، ثم سألته: «إذا كنت تريد قتل شخص هنا ولا ترغب في أن يتحرى أحد التفاصيل، فهل ستستخدم دماء المستذئبين لتغطية آثارك؟».

ورغم أن إنفي فوجئ بتغييري الموضوع، لكنه لم يسمح لنفسه بالتعبير عن ذلك.

«ربما أفعل إذا أردت إشعال الحرب؛ لأن حواس المستذئبين أقوى، وسيتمكنون في النهاية من التوصل إلى الحقيقة والضرب بسرعة وقوة. وهذا أحد الأسباب وراء توقف الشياطين عن اختطاف المستذئبين منذ سنوات؛ لأن دم المستذئبين لا يساوي الثمن الذي سيدفعونه».

«هل تعتقد أن فيتوريا قتلت قائدة جريد؟».

رد إنفي: «لا أظن أن الأمر مهم، سواء أكانت هي الفاعلة أم الساحرات، أم بعض المتحولين، وسواء أكانت فيستا قد اختُطفت أم تظاهرت بالموت، فإن فيتوريا هي محرك كل ذلك. كان يمكنها الاعتذار، أو الاعتراف بالحقيقة، أو الدعوة لعقد هدنة، أو أي شيء؛ لكنها حشدت جيشًا من المستذئبين، وحاولت استدراج جريد إلى تحالف، عالمة أن هذا سيؤلبه علينا، كي تستخدمه في أية مكيدة حاكتها. لقد تلاعبت بي، واخترقت مملكتي، ومارست الحب مع نائبي، ثم ذهبت إلى بلاط مصاصي الدماء وأثارت القلاقل هناك، ثم سخرت من برايد».

«هل فعلت؟».

وهنا ألقى إنفي نظرة أخيرة على البوابات وقال: «يبدو أن فيتوريا تستمتع بالفوضى. هناك بوابة سرية لا تستطيع الساحرات الوصول إليها، وهي التي ستقودنا إلى الجزر المتحولة». ثم نظر إلى الخنجر وقال: «تأهبي لاستخدامه. أظننا سنحتاج إليه».

وقبل أن أسأل عن مكان البوابة أو سبب احتياجنا لسلاح، كان إنفي قد أمسك يدي، ثم *عبرنا* إلى البوابة السرية.

وإذ انقشع الدخان عن مسارنا الشيطاني، أدركت سبب احتياجي للسلاح. لقد كان هناك الكثير من حُجّاب الجان الواقفين جنبًا إلى جنب، شبه خفيين، يقطعون طريقنا. وقد لاحت من خلفهم قلعة من الذهب واللؤلؤ.

كانت القلعة شديدة الفخامة؛ بل مفرطة في فخامتها؛ لكنها لم تكن مِلكًا لجريد ولا لجلاتوني، بل كانت ملكًا لبرايد.

حدجت إنفي بنظرة شك وقلت: «دعني أخمن، أتيت دون دعوة».

كان راث قد أخبرني بأن ظهور شيطان في مملكة آخر دون دعوة يعد اعتداء؛ لكن إنفي رفع كتفيه استهانة دون أن يبدو عليه انزعاج وقال: «ما إن أمسكت الريشة وزجاجة الحبر حتى ألقت أختكِ القبض عليّ.

سيتعامل برايد بحصافة. هناك مدخل للبوابة عند الحافة الشرقية لدائرته، قبيل بداية المقابر المشتعلة. أشك أنه سيسبب مشاكل».

ألقيت نظرة على الجان شبه الخفيين. لم تبد عليهم علامات الترحيب. وهنا انفرجت شفاه الجان نصف المتعفنة، كاشفة عن أسنانهم المدببة ولثاتهم الداكنة وكأنهم يتخيلون دماءنا وهي تبلل ألسنتهم.

وهمس حاجب الجان الأقرب إلينا: «لن يراكما الأمير برايد. من الأفضل أن تعودا. اختبئي في قلعتكِ ريثما ينقذكِ أميركِ أيتها الأميرة الصغيرة».

كان هناك ما أثار غضبي في وصف «*الأميرة الصغيرة*» حين نطق بها ذلك الجاسوس الحقير البائس المرتزق.

جذبت ضحكة إنفي الهادئة انتباههم: «يبدو أن جواسيس أخي متكاسلون. ما كان يجب أن تشعلي النار». ثم نظر إليَّ وهو يومئ. لقد حان وقت إطلاق العنان لغضبي المستعر. قال إنفي: «ستشعرون الآن بلهيبها».

ضرب حُجّاب الجان بسرعة؛ لكن سحري كان أسرع.

فقد انبلجت الزهور والورود الملتهبة بيننا وسقطت على الجان المتخفين، وقبل أن يفعلوا القوة التي تجعلهم بلا أجساد، انبثقت كرومي المغطاة بالشوك من الأرض.

وبأمر صامت مني راحت الكروم تزحف على سيقانهم، وتوثقهم بالأرض، فقيدت حناجرهم، مانعة أيًا منهم من إلقاء تعويذة أو الصراخ طلبًا للنجدة. مزقت الأشواك الضخمة رقابهم وخنقتهم بدمائهم.

استمررت في إطلاق سحري الناري، جاعلة الكروم تقوم بالمهمة الصعبة الممثلة في الذبح والتشويه. كنت أهوى، فيما مضى، تزيين شعري بالزهور. والآن صرت أهوى مشاهدتها وهي تتحول إلى أسلحة بديعة تدمر أعدائي.

تسلل أحد الجان من خلفي؛ لكن إنفي صاح مُحذرًا، فاستدرت قبل أن ينغرس نصله في جسدي، إلا أنه تمكن من تمزيق جزء من ثوبي البالي، فتراجعت وقد أصبت بخدش بسيط. وفي لمح البصر انقضضت على الجني، وغرست خنجري في رقبته، فبصق في وجهي وضحك وقال: «لا بد أن أميركِ لم يهتم بتدريبكِ على القتال»، ثم راح يتفحص جسدي بنظرات حادة وهو يقول: «أظن أنه كانت لديه خطط أخرى لكِ؛ لكنه للأسف سيستبدل. لم تمثل هذه مشكلة لك من قبل، أليس كذلك؟».

أوقفت الجني على قدميه، ورحت أهزه بقوة لم أعلم أنني أمتلكها، وأقول: «ماذا تعرف عن راث؟».

«كل ما أعرفه أن حبيبكِ سيموت قريبًا، وستعودين تلك الإلهة الفاجرة، ولا شيء أكثر. ولتعلمي أنها العدالة الشعرية».

وقبل أن أفكر فيما سأفعله، ذبحته بوحشية فاصلةً رأسه عن جسده. رحت أتأمل الجني الميت ببرود، دون أن أتأثر بما فعلته. لقد فوجئت بالتحول الذي طرأ عليَّ. وكلما فقدت اللعنة سيطرتها عليَّ تذكرت كيف تكون الإلهات، فالإلهات لا يندمن. كنت أشتعل بالثأر، وأرحب علانية بخطيئة مملكتي.

ثم انحنيتُ وحملتُ الرأس.

صفَّر إنفي ووضع يديه في جيبيه، وهو يستدير على كعبيه ويقول: «ذكِّريني بألا أهينكِ، على الأقل دون أن أرتدي درعي وألقي تعويذة حماية».

«لم أبالِ بما قاله عني». وابتسمت ابتسامة تكسوها مسحة حزن، فلم أكن سعيدة ولا فخورة بما فعلته. وإذ رأيت نظرة الأمير المتشككة، أردفت: «لقد أخطأ إذ قال إن راث سيموت، فلا أستطيع تصور ولا تحمل العالم دونه».

راح إنفي يتفحصني بدقة، وتعبير وجهه مبهم، ثم قال: «إن لم يستطع راث إعطاءك قلبه، فهل ستحاربين من أجله؟».

رحت أتأمل الجثث حولنا. كان بعضها ينتفض بعض انتفاضات أخيرة من حيث اختنق بفعل الكروم. تمنيت لو استطعت أن أفعل هذا أثناء المعركة مع المستذئبين. ربما لم يكن زوجي ليُطعن أو يُسمم على الإطلاق.

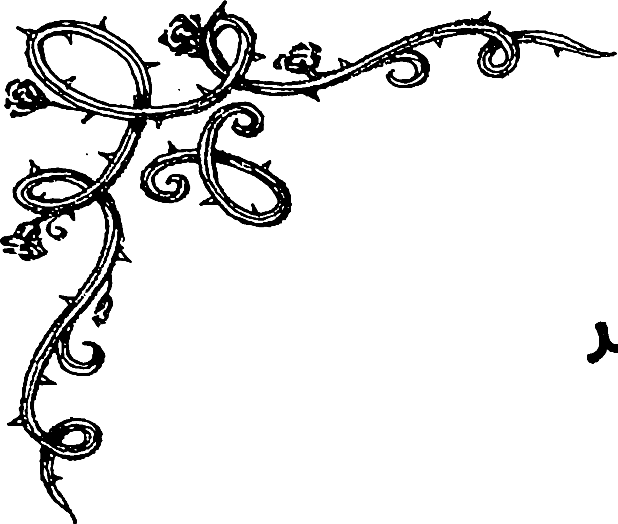
فقلت: «كل ما أرجوه هو ألا تضطر لطرح هذا السؤال عليَّ أبدًا، وأن أفعالي ستكون أبلغ من أقوالي».

ذكرتني الجملة الأخيرة براث؛ إذ فهمت سبب تفضيله الأفعال على الأقوال؛ لأنها كانت أكثر قيمة، وكانت تحمل معنى أعمق من كلمات قد لا تكون سوى أكاذيب.

حملت جائزتي في يدي، ووليت وجهي شطر القلعة متقدمة نحو الباب. لقد حان وقت زيارة أميرها. وبشكل أو آخر، كان برايد سيسمح لي باستخدام تلك البوابة كي أصل إلى زوجي.

أسرع إنفي وزاح يسير بجواري، وينظر إليَّ بين الفينة والأخرى، وأنا أتظاهر بأنني لا ألاحظ نظراته. فقد كان موشكًا على سؤالي عن سبب أخذي تذكارًا من تلك المعركة الشرسة؛ لكنه آثر التراجع.

جعل هذا الجانب البشري مني يتساءل عما إذا كنت قد أخفتُ أحد أمراء الجحيم.



الحادي عشر

بعد طول جدال، احتدم معظمه بسبب ارتداء ثياب لا تليق بالقصور، ولم يخلُ من دفقات سحري الناري، استُدعينا إلى بلاط برايد. كانت غرفة عرشه تعبيرًا وافيًا عن طبيعة خطيئته. لم أكن قد رأيت في المرة الأولى التي احتُجزت فيها بمملكته - بعد أن تجولت في حقوله بحثًا عن جذور السبات - سوى غرفة واحدة فحسب. كانت فخمة ومُذهَّبة، على طراز كان سيستهوي الملك «لويس الرابع عشر» لو رآه؛ بل لعله كان مصدر إلهامه وقتما كان يشيد قصوره! فقد كانت الأرضية من الرخام الأبيض المُحلى بعروق مُذهَّبة رقيقة.

وفيما كانت أسقف الكاتدرائية، ذات الجداريات المنقوشة بألوان زاهية، مذهَّبة في موضع التقاء الحائط مع السقف، كانت ثريات الكريستال الضخمة تتدلى بطول الغرفة على مسافات متساوية، مُضفية عليها لمعانًا ذهبيًا دافئًا.

كما كانت الأرض والسقف مزينين بأفاريز مزخرفة، والجدران مزينة بالمرايا ذات الرءوس المقوسة، جاعلة الطريق إلى الأمير عبر الممر عاكسًا لمن يسير فيه بالكامل. وبطبيعة الحال، كان شخص مغرور مثله سيغتنم كل تلك الفرص كي يتطلع إلى ذاته من كل الزوايا!

في نهاية بهو المرايا، رأيت برايد يتكئ على عرشه، مرتديًا صديرية مطرزة بخيوط ذهبية وكحلية اللون، وسروالًا فحميًا ضيقًا، وحذاء بنيًا داكنًا لامعًا. كان مظهره ينطق بكل ما يعبر عنه لقبه؛ إذ كان شديد الأناقة. كانت زيارتي تابعة لخوضي معركة مضنية؛ ما جعل ملابسي ملطخة بالدماء. كما لم أكن قد استحممت لمدة، فبدوت لا أنتمي إلى المكان مطلقًا؛ لكنني لم أعبأ، فلم أكن أفكر إلا في شيء واحد؛ ألا وهو البوابة.

شققت وإنفي طريقنا وسط حشد من رجال البلاط المتهكمين، في ملابسهم الفخمة التي لا تشوبها شائبة، كما كانت الحال في كل بلاط زرته. كانت ملامح كل شيطان من هؤلاء شبه مثالية. فرحت أتساءل عما إذا كان كمالهم الغريب نتيجة عملية تحسينات سحرية، لا طبيعية. كما جعلني أفكر في تلك الندبة على شفاه أميرهم، وكيف لم يُخفِها رغم قدرته على ذلك.

كما جعلني هذا أتساءل: كيف أصيب بها في المقام الأول.

قال الأمير، وكأنه يرد على أفكاري: «يهتم بعضنا بمظهره». لم تنبئ ملامحي بشيء؛ إذ جعلت من وجهي قناعًا لا يُقرأ. نظر برايد إليَّ باحتقار، وشفتاه تلتويان بامتعاض، إما بسبب منظر الدم أو بسبب ثيابي الممزقة، وتابع: «ليس كلنا بالطبع كما هو واضح! ومع ذلك أرى أنه باعتبارك عضوًا غير رسمي في بلاط راث، فإنكِ غير محسوبة علينا».

ألقيت الرأس المقطوعة من يدي على الأرض، مستمتعة بهسهسة التبرم الصادرة عن رجال البلاط، وهي تتدحرج نحو قاعدة العرش ثم تتوقف وقلت: «من الرائع أن أراك مجددًا. شكرًا على الترحيب الحار. فبعضنا يقضي وقته في عمل يفوق الجلوس على المقاعد الفخمة، والتظاهر بالثمالة والمظهر الجميل».

فقال بمنجهية: «لا أبدو جميلًا فحسب، فأنا مذهل».

قاومت رغبتي في رميه بنظرات استنكار لصلفه. سأل: «ما الذي أولاني شرف هذه الزيارة غير المعلنة؟».

فقلت: «أحتاج إلى الوصول للبوابة على حافة أرضك».

«وما الغرض؟».

«كي أعيد زوجي إلى مملكته».

نظر برايد إلى يدي. وإذا كان قد لاحظ وشم «*إلى الأبد ملكك*» على أصبعي أو تعرَّف عليه، فإنه لم يسمح له بالظهور. أجاب: «لعلَّ من الأفضل أن يبقى حيث هو».

بدأ غضبي يستعر، ماحيًا سائر العواطف الأخرى كالتهذيب والدبلوماسية. تتحنح إنفي؛ لكنني لم أعبأ بتحذيره. كنت متعبة، وكان جرحي يؤلمني بشدة؛ بل كنت قاب قوسين أو أدنى من البكاء أو الصراخ، أو من مزيج مجنون من كليهما.

قلت: «إذا لم تسمح لي بالعبور، فسأذهب؛ لكنني سأرجع بيأس يليق بجيش مملكة راث. لن يمنعني أحد عنه، لا أنت ولا أختي، ولا أي مخلوق ملعون في هذه المملكة أو غيرها. إذا عدت، فسأطلق العنان لقوتي. سأحرق كل عزيز وغالٍ عليك. وأعدك بأن هذا ليس مجرد تهديد». وهنا مررت النصل على كفي، جاعلة الدماء تسيل على أرضيته الجميلة. فراح يرقبني بحاجبين مرفوعين قليلًا، بينما أتابع قائلة: «هذا عهدي».

«إن عقد عهد دم شيء خطير في هذه المملكة».

«أعلم ذلك».

«لا أظنك...».

أدار برايد رأسه نحو باب غرفة العرش، وبعد ثانية سمعت صوت عاصفة على وشك الهبوب. سمعنا صوت خطوات تدوي كالرعد هنا وهناك، وانخفضت درجة الحرارة. واستمر صوت قرقعة الأحذية فوق الأرضية الرخامية، بينما يهرع العديد من رجال البلاط ليخرجوا، وامتزج هذا كله بصوت حبيبات الجليد تضرب النوافذ. نظرت إلى

النافذة المقوسة الواقعة خلف برايد لأجد السماء أظلمت. سمعت الريح تصفر بصوت أشد ترويعًا من صوت المستذئبين؛ بل راحت الجدران تهتز مع كل هبة ريح، وسمعت إحدى المرايا تتصدع بفعل ما غطاها من جليد مفاجئ.

راح قلبي يخفق بسرعة. استدرت ببطء، وقد بدأت جذوة أمل تشتعل بداخلي. لم يكن قلبي يخفق خوفًا، بعكس بقية البلاط. وجرى أحد رجال البلاط نحو العرش، حاملًا تاجًا ذهبيًا فوق وسادة مخملية، وألبس برايد إياه، ثم تراجع وهو يكاد ينزلق على الأرض، وعندئذ انفتحت الأبواب بعنف مصطدمة بالحوائط بقوة.

دخل مزيج من دخان وثلج يملأ الغرفة، ومن خلفه رأيت راث الذي راح يتقدم بخطى واسعة، ووجهه الوسيم تعلوه علامات القتل. حين تحوَّل انتباهه نحوي، لان تعبير وجهه لبرهة، ثم لاحظ علامات المخالب على صدري التي كانت تبدو شديدة السوء، إن لم تكن قد تدهورت، منذ آخر مرة رأيته. وبعدها حوَّل تلك النظرة الباردة إلى أخويه، فهبت ريح أخرى قارسة البرودة وراحت تلف في الغرفة. وددت لو هرعت إليه وجذبته نحوي وقبلته بقوة؛ لكنني كبحت نفسي مثله، رغم ما كان يعتمل داخلي من رغبة في أن أتأكد من أنه لم يلحق به أذى.

فقال راث بصوت ينذر بالوعيد: «فسر لي الأمر الآن».

كان أميري مدينًا لي كذلك بتفسير كيفية وصوله إلى هنا؛ لكن كان على حديثنا أن ينتظر ريثما ننفرد ببعضنا. كان بقية رجال بلاط برايد قد هربوا من الغرفة، غير عابئين بالانتظار لرؤية المشهد المتوقع. شاهد أمير المملكة آخر رجالاته يلوذ بالفرار تاركًا إياي مع أمراء الجان الثلاثة نخوض معركتنا الخاصة. حدج برايد أخاه بنظرة استعلاء وقال، متجاهلًا الغضب الذي يموج داخل راث:

«أكنت تظن أنني سأستقبل ملكة دون أن أختبر ولاءها؟ لم يكن رأيك هو الأفضل حين كان الأمر يتعلق بها. يحق لنا جميعًا معرفة دوافعها الحقيقية هذه المرة».

هذه المرة؟ *يختبرون ولائي؟* لم أكن أعرف ما حدث بالضبط قبل تعويذة ربطي؛ لكن كلما زادت معرفتي، أدركت أنني وفيتوريا تآمرنا ضد برايد وراث في الماضي.

سألته وأنا أنقّل نظري بين برايد وإنفي: «أكان هذا اختبارًا؟ كل ما حدث؟».

هز إنفي كتفه وقال: «ليس *كله* بالضبط. قلت لكِ إنني أفضل نفسي على كل شيء، وإن لي مصلحة في كل هذا. لقد كانت فكرته، باستثناء أنها لم تَسِر كما خططنا؛ لكن ظل الاختبار ضروريًّا بالنظر إلى ما حدث... من قبل».

زممت شفتيّ واعتصرت ذهني؛ لكن اللعنة لم تسمح لي بتذكر مزيد من التفاصيل، وقلت: «ما ألطف هذا! وماذا كان اختباركم الأصلي؟ هل كنتم تعملون مع فيتوريا؟ هل اختطفتك يا إنفي أم كان هذا مختلقًا أيضًا؟».

لم يعبأ إنفي بالتطلع إلى برايد ولا راث؛ لكن نظرته التقت بنظرة الألم في عيني وهو يجيب: «بعد أن تركت عربتكم مملكة جريد، كنا سنرسل حُجّاب الجان وراء راث مجددًا. كانت خطتنا هي معرفة إلى أي مدى ستسعين لإنقاذه. قد تقولين إنك تحبينه؛ لكن دوافعك القديمة لم تكن بهذا النبل. لقد أدى حُجّاب الجان عملًا جيدًا المرة الماضية. كنت سأمضي كي أجمع قواتي؛ لكن أختكِ ظهرت واقتلعت قلبي، لينتهي بي الأمر في ذلك القفص، هكذا اجتمعنا هنا».

فنظرتُ إلى برايد وقلت: «ولم تكلف نفسك بمساعدته؟».

«كان خروج إنفي من دائرتي يناسب مصالحي، كما لم يكن هنالك سوى وقت قصير للتصرف. لقد أمسكتُ به وجلبتُ ذئبًا ليأخذه إلى مملكة الظلال».

«كان بإمكان فيتوريا أن تؤذيه».

تغير وجه برايد غضبًا وهو يقول: «لأختك سجل حافل في إيذاء الآخرين».

وهنا تقدم راث ببطء، صاعدًا الدرجات التي تقوده إلى عرش أخيه المُذهَّب. لم ألحظ من قبل أن المقعد على شكل أسد. وكانت أرجل الحيوان الضخمة ومخالبه تمثل مساند المقعد، ورأسه وعرفه يمثلان الظهر.

كما كان فم الأسد فاغرًا كأنه يزأر.

مال أميري على برايد الذي ظل متخذًا وضع الجلوس اللامكترث حتى صار يغطي عليه، وقال: «لا يهمني اختبارك. لقد جلبت فيتوريا ذئابًا إلى أرضك، وكان عليك إيقافها».

وهنا قسا صوت برايد وهو يقول: «لا يُعقل أنني من طلبت منها عمل هذا؛ لكنه خدم مصالحي في نهاية المطاف، تمامًا كما علم إنفي أنها سافرت إلى مملكة مصاصي الدماء في الجنوب، وعملت ما عملته؛ لكنه لم يكلف نفسه بإخبار أحد سوى جريد. تعلم إلى أي مدى صارت علاقتهما شائكة. وانتشرت شائعات بأنهما يتآمران، ولم يشاركنا أخونا العزيز أية معلومة، أليس كذلك؟». قال ذلك مهاجمًا إنفي، ثم أردف: «لماذا إذن أتلقى كل هذا اللوم على أنني خدمت مصالحي؟!».

فابتسم إنفي وقال: «هل تغار من زيارة فيتوريا لأمير مصاصي الدماء بدلًا منك؟».

انتفض راث قائلًا: «توقف، لقد اخترقت الذئاب أرضنا. وها هي فيتوريا تثير شقاقًا لسنا بحاجة إليه مع مصاصي الدماء. لقد اقتلعت قلب إنفي، ومن المحتمل أن تكون قتلت قائدة جريد أو ساعدتها على

الهروب، فضلًا عن قيامها بتسميمي، وخطف زوجتي. هل يبرر كل هذا اختبارك الصغير، بينما كنا نحاول حل لغز جريمة قتل كي نتجنب حربًا داخلية؟!». بدا راث مستعدًا لضرب أخيه وإسقاطه من فوق العرش؛ لكنني فوجئت إذ لم يفعل، فقد قال: «لم تخاطر بأمن زوجتي فحسب؛ بل خاطرت بسلام أرضنا».

نهض برايد وقال: «وإنني على استعداد لتكرار فعلتي. لقد تأكدنا من أن إيميليا لا تكيد ضدنا ولا ضدك. فالغاية تبرر الوسيلة، شئت هذا أم أبيت. أخبرني، ألم تكن هناك ذرة شك في رأسك؟ *ولا واحدة*؟». انقبضت عضلة في فك راث؛ لكنه لم ينكر الاتهام وقال: «ها قد عرفت الآن».

ثم نظر زوجي إليَّ، ففردت ظهري. لقد شككت فيه لمدة أشهر. لهذا لم أكن لألومه على أي شكوك حملها تجاهي، في المقابل. فما كان يهمني هو بناء *مستقبلنا* الجديد معًا. كان الأساس موجودًا، وببعض العمل، كنا سنكمله. وإذ أطال راث التحديق فيَّ، راح الشك يتسلل إلى قلبي. *ستكون الأمور بخير، أليس كذلك*؟ بالطبع، كان هناك عائق مؤقت يجب تخطيه، كان يجب ذلك. وأخيرًا لان التعبير القاسي على وجه زوجي؛ لكن صوت برايد أفسد علينا اللحظة.

«لا أريد أن أصدق أنك ستسمح لإلهة بائسة بأن تنجح في غرس بذور الشقاق بيننا. دعها تجرب الذئاب ومصاصي الدماء. وإذا تضايق جريد من أن اختباري كان قد شغلك لمدة *ليلة* عن تحرياته المملة دون قصد، فسيحتاج ببساطة لتجاوز الأمر. يعلم الجميع أن فيستا لم تكن سعيدة هناك. إنه غاضب فقط لأنه فقد شيئًا ثمينًا. أنت تعرف مدى غضبه حين يخسر رهانًا».

رغم غضبي من خداع أمراء الجحيم إياي، أدركت أن هذه هي فرصتي للحصول على معلومات قيِّمة، فسألت: «كيف عرفت أن فيستا كانت تعيسة؟ هل لديك جواسيس في بقية الممالك؟».

اتخذ تعبير وجه برايد طابع الشر الذي يلمع في عينيه، وقال: «إنه حديث الوسائد، يا عزيزتي، فالناس يبوحون بكل شيء مثير للاهتمام بعد أن أنعم عليهم بوجودي في فراشهم».

ألححت بالسؤال: «من أخبرك بأمرها؟».

«هي نفسها التي أخبرتني».

بُهتُّ إذ كان الرد غير متوقع. لم يكن بإمكان الأمراء أن يكذبوا؛ لذا لا بد أنه كان يقول الحقيقة.

«متى؟».

رفع برايد أحد كتفيه وقال: «ربما منذ أسبوع. لا أتذكر».

فقرص إنفي أنفه وقال: «هل بلغت بك الحماقة أن تمارس الحب مع قائدة جريد؟».

رد برايد بسرعة: «كانت تبحث عني كي تحصل على معلومات عنك؛ لكنها لم تستطع إبعاد نظرها عني؛ لذا جعلتها تستمتع بليلة معي كيلا أجرح كبرياءها».

قلت بنبرة خشنة: «وبعدها قُتلتْ. أتظن أن جريد من الممكن أن يؤذيها إذا أعطتك معلومات سرية عن إحدى الممالك؟».

«بالطبع لا». لكن برايد لم يكن يتحدث بالثقة نفسها.

تفحص راث أخاه باهتمام وقال: «كيف انتهى بكما الأمر للوصول إلى المكان نفسه؟».

«لقد جاءت إلى هنا لحضور أحد تجمعاتي». حملق برايد في كلينا وتابع: «ماذا؟! لقد تسلمت طلبًا رسميًّا من بلاط جريد كي تتمكن من الحضور. ألم يخبركما؟!».

رحت وراث ننظر إلى بعضنا البعض. لم يذكر جريد أي شيء من قبل عن إرسال قائدته إلى مملكة منافسة، فبادرته ورأسي يدور: «قلت إنها بحثت عنك. فعَمَّ كانت تريد التحدث؟».

هـز برايد كتفيه وقال: «أمـور عادية، مثل: الحفل، والنبيذ، والبوابة، وغرفة نومي».

فبادرتـه، مستشـعرة بأنني كنـت على وشـك اكتشـاف دليـل، قائلة: «لماذا كانت مهتمة بالبوابة؟».

أجاب برايد بسرعة: «كانت تهتم مثل الآخرين. كانت تريد أن تعرف مـا إذا كانـت مؤمَّنـة، ومـا إذا كانت تقود إلـى الجزر المتحولـة. لم أكن لأترك شيئًا كهذا دون حراسة».

«هل قالت أي شيء غريب أو في غير موضعه؟».

رمقني برايد بنظرة حادة وقال: «لم نتحدث كثيرًا بعدها. وإذا كنتِ بصدد التحقيق معي، فأنا أريد زجاجة نبيذ. يا لها من أمسية كئيبة!».

عـاد صـدري يؤلمني، فتذكرت إصابتي. كنت أريد أن أكمل التحقيق مـع هـذا الأمير الأحمق؛ لكن كان يجب أن أعالـج جرحي. كما بدا برايد محتاجًـا لاسـتراحة؛ إذ كان يستشـيط غضبًـا. ولـم يكـن مـن الجيد أن أضغط على أمير كي يشعر بخطيئة أخرى.

أسـرع راث نحوي، حيث لاحظ ما ألمَّ بي، وقال: «لنعد إلى البيت، يا سيدتي».

ودون أن أنظر إلى إنفي أو برايد، تأبطت ذراع راث وتشـبثت به، قبل أن نرتحل إلى مملكتنا بسرعة خارقة.

بعـد أن عرفـت هذه المعلومـات الجديدة، صار مـن الصعب أن أقنع نفسـي بأن فيسـتا ماتت بالفعل. أمن الممكن أن تخون جريد وتنضم إلى أختي والمستذئبين؟

لـم أسـتطع التأكـد مـن ذلـك في تلـك اللحظـة؛ لكنني سـأعمل على اكتشـاف الأمر، بكل تأكيد. إذا طرحت الأسئلة الكافية، فسأحصل على رد يحل هذا اللغز الكبير. وإذا كسبت عداوة قلة قليلة خلال ذلك، فهذا ثمن بخس.

الثاني عشر

لم يأخذنا راث إلى مخدعه أو مخدعي؛ بل حتى لم يأخذنا إلى حجرة الاستحمام كي نغتسل من الأوساخ والدماء. حين خرجنا من دخان سحره الشيطاني، وجدت نفسي واقفة معه على شاطئ المنطقة الهلالية الضحلة اللامع.

ارتفع الدخان من السطح ذي اللون الأزرق الجليدي، داعيًا إيانا لأن نغوص في مياهه التي تخدع الناظرين بمظهرها الهادئ. لم يكن هناك شيء «مصنوع» يمكن أن يدخل المياه، وإلا دمرته. كانت المياه الضحلة قد ألقت بكثير من حطام السفن الغارقة، مؤكدة لنا أن الموت لم يكن خرافة. ورغم وحشية البحيرة، كان هناك شيء مُطَمئن في مظهرها.

أدارني الأمير حتى واجهته، ثم مد يده بحذر إلى مقدمة ثوبي ونزعها كي يفحص جرحي.

جززت على أسناني حين تسبب القماش اللصيق بجرحي في سلخ جلدي: انفتح الجرح مجددًا وصار ينضح بالدم، رغم أن راث نزع القماش بلطف.

جفل راث وكأنه يتألم لألمي وقال: «لقد أُصيب الجُرح بالتهاب».

سألته: «أين كنت؟». لم أكن لأتحمل أن أصبر لحظة واحدة إضافية كي يخبرني. رحت ألمسه، وكلي ارتياح لأنني وجدته سليمًا معافى. لم أرَ أي دليل على أنه جُرح بسبب قدرته على التعافي سريعًا من الجروح، تابعت: «كيف هربت؟ وماذا عن السم؟».

بدا راث وكأن الطعن والتسمم آخر شيء يمكن أن يشغله الآن؛ لكن الأمر كان شديد الأهمية بالنسبة لي.

تنهد وأخرج قارورة صغيرة من جيبه، ورفعها، فلمع ما تحويه من سائل كسماء الصباح التي كنت أراها في جزيرتي، إذ كان أزرق صافيًا.

ثم رد القارورة إلى جيبه وهو يجيب: «سيليستيا بارعة في اختراع المقويات والصبغات. دائمًا ما أحمل مثل هذه الأشياء على سبيل الاحتياط. وقد تناولته بسرعة فائقة، ثم تركت معبد أختك حين تحول المستذئبون إلى الهيئة البشرية. كانت البوابات قد أُغلقت بتعويذة. لهذا استغرق وصولي إلى البوابة المؤدية إلى مملكة برايد وقتًا».

«ألم تستطع الوصول إلى هناك *بسحر الانتقال*».

هز راث رأسه بالنفي وأجاب: «لا يمكن استخدام السحر للانتقال إلى هناك، فاضطررت للذهاب سيرًا على الأقدام».

رحت أفكر في اختبار إنفي وبرايد، والإساءة التي نطق بها حاجب الجان قبل أن أقتله. لقد صار لي أعداء هنا. سألت راث: «ماذا فعلتْ بك... من قبل؟».

صار وجه راث خاليًا من التعبير وهو يجيب: «لا شيء. لا تهتمي بحماقة إنفي وبرايد. لم يكن يجب عليهما اختبارك ولا اختبار ولائك».

«لا يمكن أن أعتبر خيانتي إياك لا شيء».

لكنه حوَّل عينيه إلى علامات المخالب يحدق فيها وكأنها أساءت إليه بشكل شخصي، وتهرب من الموضوع، وقد جعلني هذا أعتقد أن أخويه *كان* لديهما مبرر كافٍ لاختباري. «كان يجب أن أمزق ظهر ذلك

الذئب وأذبحه، كان يجب أن أجعله يتألم على كل ذرة من الألم لحقت بكِ».

لكي أهدئ الغضب الذي راح يتصاعد بداخله، ملتُ نحو المياه اللامعة وقلتُ: «ظننت أن هذا المكان ممنوع عليَّ بسبب ما حدث في المرة السابقة».

في تلك المرة، شعرت بأن قلبي كاد يتوقف. كان الألم حادًّا؛ بل بشعًا. يومها أخذني إلى أم اللعنات والسموم مباشرة، وهي أمي التي لم أكن أعرفها وقتئذ. وقد صنعت لي شرابًا مقويًا، وصار كل شيء على ما يرام. وهي، على حد علمي، لم تزل تحتجز فيتوريا تحت الأرض. ولم ترقني فكرة حدوث شيء كهذا مجددًا دون أن تكون بالقرب.

جذبني راث نحوه كي يفحص جرحي مجددًا، وبدت نظرته باردة قاسية.

«لم تكوني أنتِ السبب؛ بل جناحاي، فالسحر فيهما تفاعل ضد تعويذة الربط التي تشوش على ذكرياتك. وحين يلتحمان، يتحرك كثير من أشكال السحر؛ ما جعل المياه تتصرف كأن كليهما يمثل تهديدًا». قال هذا مستوعبًا الشك في عينيَّ، ثم أردف: «لقد طلبت من سيليستيا تقصي الأمر، وهي لا تعتقد أن هناك مشكلة إذا دخلتِ المياه مجددًا، فستؤدي مهمتها الشافية التي خُلقت من أجلها. لم أكن لأخاطر بأي شيء لو كنت أعتقد خلاف ذلك».

وهنا تذكرت حكايةً قصتها سيليستيا عليَّ ذات ليلة عن المياه المملوكة للإلهات، ومحاولتهن استعادة ما كنَّ يمتلكنه. كان راث يراها قصة خرافية، ويطلب منها التوقف عن ترويج الأكاذيب. نقلت بصري بينه وبين المياه، محاولة فهم ما يقوله؛ إذ كان شيئًا غير منطقي؛ بل ... تراجع راث قليلًا وأومأ قائلًا: «اخلعي ملابسك»، وابتسم ابتسامة ماكرة وكأنه يعرف في أي شيء شردت أفكاري مع تلك الكلمة. قال: «لننزل المياه ونعالج هذا الجرح قبل أن تسوء حالته».

«لم أعد فانية، أليس كذلك؟».

مد لي يده ليشجعني على النزول إلى المياه التي تذكرت أنها كانت دافئة كمياه الاستحمام، وأجاب: «ليس تمامًا. ليس بعد على الأقل. أرجوكِ يا سيدتي».

وهنا تذكرت ما ذكره عن خصائص الصدق التي تتمتع بها هذه المياه. والآن، مثلما أردت أن أشفى، أردت أن أسمع الحقيقة منه، فتقدمت أسير فوق الرمال الداكنة، وسمحت للمياه الزرقاء بأن تداعب قدميَّ. كانت البحيرة المسحورة فاتنة، وكانت تناديني.

دخل راث المياه فتبعته وأخذت يده، وأنا أستمتع بالفقاعات الصغيرة التي تفور على جلدي.

خضنا المياه حتى غمرت صدري تمامًا، وبدأ السحر يعالج جراحي. انتابني شعور غريب وغير عادي؛ إذ راح السحر ينظف جراحي ويعالج جلدي. وحتى الجرح الذي سببته لنفسي حين أخذت عهد الدم في حجرة عرش برايد، التأم، وزال أي شعور لحظيٍّ بالألم بالسرعة التي ظهر بها.

راح راث يرقب المياه المسحورة وهي تعمل، والقلق بادٍ على ملامحه الرزينة بطبيعتها، فقد بدا على استعداد للقفز والهجوم لو بدرت أية علامة على حدوث مشكلة، وسألني: «أأنتِ أفضل؟».

فنظرت إلى أسفل لأجد جرحي قد التأم، ولم تبقَ منه سوى آثار فضية باهتة؛ لكن الندبة لم تزعجني بقدر ما أزعجني السر الذي لم يزل راث يخفيه.

رددت عليه: «إلى حد كبير».

اقترب زوجي بتردد ولمس موضع الجرح كي يتأكد من التئامه. نظرت من فوق كتفه أتأمل أطوار القمر المرسومة على جدران المغارة بإعجاب، بينما يواصل فحصه الدقيق. كنت قد تساءلت فيما مضى عما

إذا كان قد رسم منظر السماء؛ لكنني لم أتصوره يقضي ساعات ممسكًا فرشاة أو دلو طلاء، رغم أنه كان يفاجئني دائمًا. ربما فعلها بحق!

نظرت إليه مجددًا وقلت بترقب: «هل هناك سبب يدفعك للاستمرار في إنقاذ حياتي، وإن لم تكن في خطر؟ أظن أن هناك ما يقلقك».

دار راث حولي، وكانت الأمواج الناتجة عن حركاته ترتطم بالشاطئ بلطف. لم أكن متأكدة إن كانت اللعنة قد عقدت لسانه أو كان ينتقي ما سيبوح به لي تاركًا ما يفضل كتمانه. أجابني في النهاية: «على حد علمي، قد تموتين إذا توقف قلبك الآن، فما زلتِ نصف فانية. وإلى أن أطمئن، لن أُقدم على هذه المخاطرة».

«قال إنفي إن قطرة واحدة من الخلود تهزم الفناء كل مرة». ومع ذلك فقد أغفلت الجزء الذي قال فيه إنه يشك في حقيقة ما يقول.

سألني راث: «هل ترغبين في التنازل عن قلبك كي تعرفي؟».

أحطت عنقه بذراعيَّ؛ إذ كنت بحاجة للاقتراب منه بعد طول فراق، فأحاطت ذراعاه بخصري تلقائيًا. كان قربه مني مطمئِنًا مريحًا. لقد اجتزنا مواقف شديدة الصعوبة، وأردت شيئًا يذكّرني بأننا هنا معًا، آمنيْن. وقبَّلني بقوة وبعاطفة جياشة.

ثم ابتعدنا عن بعضنا البعض ونحن نتنفس بصعوبة. ابتسمت وقلت: «إذا كان يجب أن أعطيك قلبي، فسأتنازل عنه لأجلك».

نظر إليَّ بوجه خالٍ من التعبير، فرحت أتساءل عما إذا كان غير مستعد لإعطائي قلبه، في المقابل، وأنه رغم كوننا شبه متزوجين، لا ينقصنا سوى المراسم الرسمية، فربما لم نتخلص كليًّا من ذكريات ماضينا البغيضة بعد. ولعل هذا كان سبب عدم ذكره أي شيء عن استكمالنا مراسم إتمام زواجنا الأبدي.

صحيح أنه لم يكن هناك الوقت الكافي لمناقشة هذا الأمر قبل هجوم الذئاب علينا وافتراقنا، لكن هذا ليس مبررًا كافيًا. وقبل أن أقلق بشأن هذا، قبَّلني راث مجددًا، وكأن حياته نفسها تعتمد على ذلك.

وأسكرتني قُبلاته، واضطرم شوقي إليه أكثر وأكثر. كان يلمسني كشيء ثمين، وكأنني كل ما يريده من الدنيا، وكأن كل لحظة بيننا يجب أن تقدَّر حق تقديرها، وكأنها ستُسلب منا في أية لحظة. لقد جرب ذلك بالفعل. كان يعلم معنى أن ينتهي كل هذا وينتزع من بين ذراعيه. من رحمة الإلهة بي أنني كنت عاجزة عن تذكر هذا.

لكنني لم أكن لأسمح لأحد بالتفريق بيننا مرة أخرى. وسأحارب أي شيء كي أتذكره وأتذكر ما بيننا الآن إلى الأبد.

ابتسم لي وقال: «افتقدتكِ».

«وأنا أيضًا افتقدتُك». تحسستُ شعره وأنا أتابع: «كنتُ على وشك تدمير المملكة كي أعثر عليك». وفجأة غطس راث في الماء، وأحاط خصري بذراعيه وحملني فوق كتفيه.

«ساماثيل!».

أمسكت رأسه بينما يقهقه. وإذ صرت آمنة بفضل قبضة راث المُحكمة، شرع يخوض في المياه، متجهًا نحو جدار كهف على طرف البحيرة تحيط به مجموعة من الأعمدة، فاستندت إلى الجدار الحجري الأملس وأنا ممسكة راث.

سمعته يقول بصوت خشن عميق: «أنتِ لي».

وأجبته: «وأنت لي كذلك، إلى الأبد».

فبدا الارتياح على وجه الشيطان، فرحت أتساءل عما إذا كان يتشكك في ذلك بشكل أو بآخر، ثم قال: «لنخلد إلى النوم، يا سيدتي».

وبدلًا من أن أعود سباحة إلى الشاطئ، حملني راث بين ذراعيه. كان شعورًا رائعًا جعلني أضحك، كانت إحدى تلك المرات التي نسيت فيها هموم العالم.

بينما كنت بصحبة أميري، لم أكن أفكر في خيانة، أو قتل، أو خوف، أو ظلام، فلم يكن هناك سوى الحب مع راث في تلك البحيرة المسحورة.

تملصت من بين ذراعيه وقفزت في الماء، ورحت أسبح بجانبه وأضرب الماء وهو يضحك.

بعدها، استلقينا على الرمال اللامعة، وبقينا هناك حتى شعرنا بالتعب من الضحك واللعب، فتنقّلنا راث بسحره إلى مخدعه.

وهناك وجدت قميصًا بنفسجيًّا جميلًا مطويًّا على وسادة، وحين ارتديته، لاحظت أن صدره موشى بنجوم ذهبية صغيرة. كان ناعمًا، وأنثويًّا، لقد أحببته بشدة.

نظر راث إليَّ بإعجاب؛ إذ كان القميص يبرز جمال بشرتي البرونزية. وإن لم أكن في شدة الإرهاق، لحثثته على السهر. قال، والغواية تلمع في عينيه: «وفري طاقتكِ للصباح، فسوف تحتاجين إليها».

وبهذا الوعد تسلقتُ السرير الكبير، فاحتضنني راث، وحين بدأ يتنفس بعمق مع دخوله في النوم استرخيت وأغمضت عينيَّ في سلام.

لم أستطع تذكر متى كانت المرة الأخيرة التي شعرت فيها بمثل هذا الارتياح. فما زال العالم يعج بالفوضى؛ ولكن هنا، في هذا المخدع وهذه اللحظة، أدركت المعنى الحقيقي للكلمة. ربما كان ذلك الشعور بالأمان هو ما تقوَّض بداخلي. لقد نسيت للحظة عابرة معنى أن أكون ملعونة.

وفجأة انتُزعتُ بطريقة سحرية من مخدع راث، ليبدأ الكابوس التالي.

الثالث عشر

كشّر دومينيكو عن أنيابه، كاشفًا عن شيء مغاير تمامًا للابتسام وقال: «مرحبًا بعودتك أيتها الأميرة». وإذ ألقيت نظرة فاحصة سريعة على المكان المحيط بي، تأكدت مخاوفي. لقد عدت مجددًا إلى مملكة الظلال، وكنت مقيدة. وجدت نفسي في الغرفة الحجرية الصغيرة، في الأصفاد نفسها.

لكن، في هذه المرة كنت أرتدي قميصًا، ولم أكن بحاجة لثوب تصنعه الأشباح. كان هذا هو الشيء الوحيد الإيجابي. لقد ضربوا ضربتهم أثناء نوم راث، وستمر ساعات قبل أن يستيقظ ليجد أن روحي انتُزعت من جسدي. ولأنني عرفت كيف يكون رد فعله المخيف من قبل، كان حريًا بهم تمنّي أن يظل نائمًا. كنت أشعر بقوة السحر عينها التي تحجب قواي. فنظرت إلى خاطفي، وقابلت نظرة العجرفة في عينيه بكراهية خالصة وأنا أقول: «أظن أن هذا يعني أن أختي تريد التحدث».

حدجني المستذئب بنظرة ثبتت عند صدري وقال: «ربما وددت أن أرى ما إذا كانت علامتي باقية عليه». لم تكن نظرة شهوانية؛ لكنني كرهتها. وأردف: «أتعرفين أن الجرح الذي يسببه ذئب قوي قد يستدعي

شعورًا مشابهًا لما تختبره الحيوانات ولا سيما إذا بثَّ الذئب القوي في عضته بعض السحر والرغبة؟». أجبته: «لم تجرحني؛ بل نهشتَني».

فأجاب بنبرة ساخرة: «ومن الذي غرس أسنانه في ذلك الجرح؟ أليس شيطانك؟ ألم تنبت فيكِ رغبات حيوانية مؤخرًا؟ ربما تمنيتِ أن تصبحي من ذوات الأربع!».

«كلا. وأنت مقزز».

راح يضحك وأصابتني قشعريرة اشمئزاز وقال: «لا تقلقي، فلم أغرس فيكِ أية رغبة حيوانية، ولا أرغب في لمس أي شيء دنسه الشيطان».

أحجمت عن التصريح بكون أختي تمارس الحب مع الشياطين ومصاصي الدماء، وكل من يثير رغباتها، كما جرت العادة في هذا المكان، وبادرته: «أين فيتوريا؟».

«تُحضِر ضيفًا. كنتِ ستعرفين ذلك مبكرًا قبل أن تقاطعنا أمك». وهنا مال على الجدار ليقترب مني بشكل مُنفر وتابع: «لن تكون أمسية عادية. إذا ظللتِ لطيفة، قد أحل قيودكِ».

«كيف هربت فيتوريا من أمنا؟».

ابتسم دومينيكو ابتسامة عريضة مجددًا وقال: «أكنتِ تظنين أن العجوز ستحتجزها طويلًا؟ كانت لديها أعمال أخرى تنجزها. لقد مضت بعد خروجك بسلام».

ثم سمعتُ صوت اقتراب خطوات؛ ما أعفاني من مواصلة الحديث معه. كان هناك نوعان من الخطوات: صاحب الخطوات الأول كان غير متعجل، والثاني بدا وكأنه يجر جرًّا. تسرب الرعب إلى قلبي، فهذا الذي في طريقه إلينا أتى على غير رغبته.

وسرعان ما اقتحمت فيتوريا الحجرة ودفعت «ضيفها» إلى الأمام.

تعثرت السيدة العجوز لتقع في بقعة الضوء؛ ليصبح الخوف كالسهم الذي انطلق لينغرس في قلبي.

رحت أصارع أغلالي وأنا أصرخ: «جدتي!». كانت جدتي - التي لم تكن جدتي بحق - جريحة وتبدو عليها آثار ضرب مبرح. كانت شفتها السفلية متورمة وكأنها ضُربت بقبضة أو شيء صلب. كما كان هناك دم متجلط على وجنتها. ومهما كان ما فعلته، كانت رؤيتي جراحها تؤجج شيئًا عنيفًا بداخلي، هتفت: «اتركيها يا فيتوريا».

قذفت بها أختي على الأرض، ثم نظرت إليَّ وقالت: «ها هي ذي. لقد تركتها. أأنتِ سعيدة الآن؟».

فحولتُ انتباهي إلى جدتي التي نظرت إليَّ بدورها، وكان الحزن والقلق يغشيان ملامحها. وحين وقعت عيناها على قميصي، وأصبعي الموشوم بعبارة «*إلى الأبد ملكك*»، والوشم الآخر على ساعدي، والأصفاد، أعرضت عني.

كأنني أنا الوحش في الغرفة، وكأن أختي لم تضربها أو تأت بها قهرًا إلى مملكة الظلال.

ابتلعت الغصة في حلقي، وقلت: «لا بأس يا جدتي، هذه *أنا*».

راحت فيتوريا ترقب رد فعلي بنظرة باردة، ثم ركلت الجدة في جنبها، مجبرة إياها على التكور حول نفسها، واللهاث كي تتنفس. فصرختُ طالبة الرحمة؛ لكن لم يُعرني أحد انتباهًا. بدأت شفتا جدتي تتحركان، ولاحظت أنها لم تكن تتمتم بتعويذة؛ بل تصلي. أخذتني كلماتها بعيدًا؛ إذ كانت تتوسل للإلهة أن تحميها منا، فشعرت بجرح عميق يمزقني من الداخل.

رفعت فيتوريا أصبعًا في وجهي وقالت: «لم تصدقيني، في وقت سابق. هاكِ الدليل. لم تُسرع لنجدتك. وهي كذلك لم تصلِّ *من أجلك*، رغم أنكِ مقيدة بالأغلال، إنها لا تهتم إلا *بنفسها*، لا تستطيع الوحوش تغيير طبيعتها الأساسية، كما أنها ليست العجوز الحنون التي تظاهرت بأن تكونها. هل حاولتِ ترك هذه المملكة مؤخرًا؟ هل وقعتِ في أية ضائقة يا أختي العزيزة؟ أظنه حدث؛ لأنني وجدتها تسحر البوابات».

زفرت زفرة طويلة. وهنا توقفت الجدة عن الصلاة وواجهتني مجددًا. هذه المرة، وجدت لمعة تحدٍّ في عينيها الداكنتين. كانت فيتوريا على حق. لم تكن جدتي آسفة، ولم تكن لتقبل الاعتذار لعدو. كانت ترانا عدوتين.

وتحطم ما تبقَّى لي من قلب مسروق.

سألتها بصوت هادئ مخنوق: «لماذا؟ هل كان أي شيء من طفولتنا حقيقيًّا؟».

ولبرهة قصيرة جدًّا، بدأ تعبير وجه جدتي يلين، وظهرت الجدة التي عرفتها؛ تلك الإنسانة الطيبة والشرسة في آن واحد، المُحبة الحامية. كانت هي تلك المرأة التي واستني حين «ماتت» أختي، كانت سندي في عالمي، والقوة الراسخة التي تدعمني أثناء أعتى عواصف حياتي. أو ربما كان هذا مجرد ظن؛ إذ كانت أحد من خانوني؛ لكنني لم أستطع أن أكرهها. وهذا يعني أن تعويذة الربط نجحت. ربما كنت إلهة تحت وطأة تعويذة؛ لكنني صرت الآن أختبر مشاعر البشر الفانين.

وسمعت جدتي تقول: «آسفة يا طفلتي، فقد فعلنا ما كان ينبغي علينا فعله».

وهنا انهمرت الدموع التي جاهدت كي أحبسها، وراحت تنساب على وجهي، وتصل بمذاقها المالح إلى شفتيَّ. كان كل شيء شرير ومظلم ادعته فيتوريا حقيقيًّا.

تحشرجت أنفاسي وأنا أحاول بيأس أن أتحكم في نفسي. كنت بحاجة لاستيعاب كيف يخونك شخص أحبك حب الجد لحفيده، كنت بحاجة لسماعها تعترف بأنها قتلت أناسًا كي تقتلع قلوبهم. رحمتكِ أيتها الإلهة!

لم أستطع استيعاب ذلك الجزء، فقلت: «لقد استخدمتِ السحر الأشد ظلامية كي تربطينا. كيف سولت لكِ نفسكِ التضحية بالبشر؟».

بدا على جدتي، التي صارت شخصًا غريبًا قاسيًا، أنها تفكر في الأمر لبرهة.

ثم أجابت دون تأثر، وكأنها تتلو مكونات تعويذة أو وصفة: «يتطلب وقت الحرب تضحيات. ويتفهم البشر هذا مثلما تتفهمه الساحرات. لقد اتفقت الساحرات الحكيمات على التضحية باثنتين من أجل الجميع».

راحت أمعائي تتلوى، وشعرت وكأن أحشائي انتُزعت، فليس هناك ندم ولا حزن؛ بل إنه تبرير بارد للشر. بادرتها بسؤالي: «من الذي قتلته الساحرات للحصول على قلبه؟».

تدخلت فيتوريا، وعيناها البنفسجيتان تلمعان بضوء مخيف وقالت: «ها هي تسرع *بإنهاء* القصة، بينما يتعين عليكِ أن تسميها من بدايتها». وهنا رَمَقت الجدة وقالت لها: «أعدي المسرح جيدًا، وإلا فلن تعودي ذات نفع لي. أخبريها عن صديقتكِ صوفيا».

سألت وأنا مرتعدة مما سأكتشفه: «صوفيا سانتوريني؟ ماذا فعلتِ بها؟». دفعت الجدة نفسها نحو وضع الجلوس، وقد صارت أنفاسها مُجهَدة. كنت أتساءل عما إذا كانت فيتوريا قد كسرت أحد أضلاعها. جذبتها أختي إلى أعلى ودفعتها إلى مقعد استحضرته من العدم. وفي ثوان معدودة، كانت فيتوريا قد قيدتها.

ورغم كل ما فعلته الجدة وقالته، حاولت حل قيودي كي أساعدها؛ لكنني لم أستطع التحرر من أصفادي.

قامت فيتوريا لتهمس في أذنيها، ثم أردفت بلهجة آمرة: «هيا أخبريها، وإلا أجبرتكِ بطريقتي».

أجابت الجدة: «لقد أمسكت بها وهي تحاول قراءة المستقبل في معبد ديث. وكان عليَّ أن أضمن أن ما توصلت إليه من معلومات لن يَبرح الغرفة. فهناك حقائق معينة لا يجب حفظها إلا معي ومع المجلس. لقد أُمرنا أن نحفظ السر مهما كلفنا الأمر».

فسألتها بنبرة يملؤها الشك: «إذن، فقد حاصرتِ عقلها لعقدين من الزمان؟».

«إذا لم تكن قد انقلبت على المجلس، ونقبت عن أسرارنا، لم تكن لتتعرض لعقاب».

كانت تتحدث وكأن اكتشاف الحقيقة يبرر فعلتها وتصرفات المجلس. كان الهلع مجرد جزء بسيط مما صرت أشعر به في تلك اللحظة.

وهنا استقامت الجدة، والعناد يرتسم على ملامحها وهي تنظر إليَّ. كانت نظرتها تخبرني بما تريده، لا بما تفرضه أختي عليها. كان من الصعب أن أتخيل الدموع التي ملأت عيني الجدة ليلة اكتشافنا جثة فيتوريا. فحيث كان الحب ذات يوم، اشتعلت بدلًا منه كراهية متنامية. لم أصدق أنها كانت قادرة على لعن صديقتها، واستخدام الحدث كقصة تحذيرية طوال حياتنا.

ثم قالت فيتوريا: «أخبريها عن أميرها الآن، ولا تُغفلي أية تفصيلة».

فقالت الجدة بصوت متقطع بفعل الغضب لا الألم: «في البداية، لُعن راث كي ينسى كراهيته». كانت أنفاسها ترتعش مع كل شهقة وزفرة، ثم أكملت حديثها: «أخبرته الساحرة الأولى أن كل ما يحبه سيؤخذ منه. وفي ذلك الوقت، لم يعبأ بأي شيء سوى جناحيه. كان هذا قبل أن يقابلكِ». وهنا أخذت الجدة نفَسًا متحشرجًا وتابعت: «وقد بادلها راث اللعن، متوعدًا إياها بأخذ شيء تحبه في المقابل إن لم تُعد له أجنحته. وهكذا عقدت الساحرة الأولى اتفاقًا مع الشيطان. لا يعلم أحد الشروط بالتحديد. وهكذا أعادت التعويذة مستخدمة دمها، وقدمت قربانًا للإلهة؛ إذ كانت شديدة الثقة في قدراتها. لقد نسيتْ مع من تتعامل».

لقد تَرَكتْ كلماتها تلك تغوص وتستقر في أعماقي. كانت شبكة ملتحمة مليئة بالخيوط التي تلتف وتتشابك مع بعضها حتى صارت معقودة بشكل يجعل حلها متعذرًا. لقد اجتمعت لعنتان، وصارت حياتنا عالقة فيما بينهما.

سألتها: «هل تسببت الساحرة الأولى في جزء من لعنتنا؟».

أومأت الجدة وقالت: «تعرفين الجزء الأول من القصة؛ إذ كانت زوجة برايد ابنة الساحرة الأولى. وكانت الساحرة الأولى تريد استعادة ابنتها وتحريرها من الأمير الشيطان، فوضعت خطة للإيقاع بين راث وبرايد، وعقدت اتفاقًا مع مملكة فينجنس».

فأضافت فيتوريا بنبرة باردة: «نظير ثمن، بطبيعة الحال».

وهنا بدأت ذكرى تصعد إلى السطح. لم يكن بمقدوري أن أتذكر من هي الساحرة الأولى. بيد أنه كان لديّ شعور قوي بما كانت تريده، فقلت: «كنا نتظاهر بأننا شخص واحد». فأومأت فيتوريا، وهي تحثني على الاستمرار والكفاح كي أستعيد ذكرياتي. كان السحر بداخلي يكافح للتحرر. رحت أتلمس خيط القوة الذي أعطانيه راث وتشبثت به لعلّه يكسر بعض اللعنة؛ لكنها كانت عنيدة وتقاوم؛ بيد أن قوة زوجي كانت هائلة؛ ما جعل صدعًا آخر ينشق مُطلقًا العنان لذكرى أخرى. وعندئذ قلت: «أُرسلتُ إلى راث، وكانت مهمتي إغواءه».

فبدا على وجه أختي بعض الارتياح.

قالت فيتوريا مؤكدة: «وأرسلت أنا لبرايد لأقوم بالمهمة نفسها. وفي مأدبة الذئب وُضعت خطة كي يراني راث مع برايد ويظنني أنتِ. أرادت الساحرة الأولى إشعال الحرب، وأن تُعلِم ابنتها أن برايد لم يكن جادًّا في حبها، وأنه كان سيحارب أخاه علانية من أجل امرأة أخرى».

قلت شاعرة بالغثيان: «لقد أرادت كسر قلب ابنتها». كانت خدعة قاسية؛ بل خطة دمرت حياة الكثيرين، كل ذلك لأن الساحرة الأولى لم ترغب في ترك ابنتها للشيطان. وقد لعبتُ دورًا في هذا. لم يحدث من قبل أن كرهت نفسي بهذا الشكل. سألتها: «وماذا عن راث؟ ماذا حدث؟».

«لقد أعطاكِ *قلبه*؛ إذ كشف الخطة ولم يمبأ. وفي الليلة المُزمَع فيها رحيلك بعد إنهائك مهمتك في المأدبة، تسللتِ عائدة إليه. لقد أخبرني

جواسيسي بهذا. لقد جذبته بعيدًا أثناء الحفل وتم بينكما لقاء حب. وحين شرعتُ في إغواء برايد، كنتِ معه في الحديقة حيث اعترف لكِ بحبه».

أيتها الإلهة! إن راث... سَرَت القشعريرة في بدني. أنا التي جعلت راث ضعيفًا، هذا القائد المحارب المهيب. ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يضعف فيها في حياته الطويلة، ومن بعدها انفتحت بوابات الجحيم. تهدجت أنفاسي. لقد لُعن طوال تلك السنوات كي يكرهني؛ لكنه حارب اللعنة. لا عجب أن يتردد في إعطائي قلبه الآن، فقد عُوقب بعد أن أعطاني نفسه بالكامل.

فقلت وقد تذكرت فجأة الليل؛ إذ انتصف ونحن في الحديقة: «قبل أن يصارحني بحبه، اعترفت له بكل شيء في تلك الليلة». تذكرت هلال تلك الليلة وزهورها المتفتحة. تذكرت كيف خِلتها تبتسم لنا. والآن، صرت أتساءل عما إذا كانت تبتسم في سخرية! «أثناء لعبتنا، تغيرت مشاعري. لم أستطع التمادي في الخطة. لقد وقعت في حبه، فجذبته بعيدًا قبل أن يراكِ مع برايد».

وواصلت فيتوريا حديثها: «لست متأكدة مما حدث بينكما وقتئذ. لم يكن جواسيسي قريبين بما يكفي. كل ما أعرفه أنكما اختفيتما في غضون لحظات، ثم وجدنا دمًا وبعض الشعر الممزق. لكننا لم نجد أي شيء آخر. لحظتها انفجر راث غاضبًا، واقتحم القلعة، وهو يوشك على تدمير إخوته؛ إذ كان مقتنعًا بأن أحدهما تسبب في هذا الاعتداء. وفي تلك الأثناء، لم يعلم أحد ما ألمَّ بكِ. أُلقي اللوم على حُجاب الجان الذين استأجرهم شخص مجهول. كان إنفي المتهم الأساسي، رغم أنني أعلم علم اليقين أنه ترك الحفل قبل أن تبدأ المجزرة، ثم ركز راث اتهامه على جريد، وفي النهاية على برايد».

وهنا أغمضت فيتوريا عينيها، وكأنها تعيش ذكرى تلك الليلة من جديد. لم أكن هناك، لكن كان من السهل أن أتخيل راث وهو ينفجر،

والفوضى، والرعب، وقوة خطيئته الفاشمة وهي تسعى للتدمير حين لم ينجح في العثور عليَّ.

نظرت أختي إليَّ. ربما كانت ذكرى تلك الليلة أو جزء بشري متبق ينبض بداخلها، لا أدري، فقد أشارت إلى دومينيكو - الذي نسيت أنه كان يستند إلى الحائط - ففكَّ أصفادي بشكل سحري، فسقطت الأغلال على الأرض في كومة من المعدن. ولم يمنعني من السقوط وراءها إلا قوة الإرادة.

«وبينما احتدم الصراع الدامي بين الأمراء، ذهبت للبحث عنكِ. كان راث قد كشف للجميع أننا توأمتان، مدمرًا خطتنا. وحتى لو لم يفعل، لم أكن لأتخلى عنكِ». قالت فيتوريا هذا بنبرة هادئة، ثم أردفت: «لم يستغرق العثور عليكِ وقتًا طويلًا؛ لكنني وجدتكِ بعد فوات الأوان. فقد تحركت الساحرات فور عثورهن عليكِ. أما عن الساحرتين التوأمتين اللتين ولدتا، فقد تم التضحية بهما على الفور، مع الاحتفاظ بقلبيهما ينبضان بواسطة السحر».

أخذتني رعدة وقلت: «ماذا؟». لقد عرفت شيئًا جديدًا. نظرت إلى الجدة التي ظهر عليها الندم أخيرًا وقالت: «لم تكن نبوءة الساحرتين التوأمتين تنطبق علينا».

هزت فيتوريا رأسها وقالت: «لم تكن مطلقًا. تقول نبوءة الساحرتين التوأمتين إنه سيتم التضحية بهما - إنهما ليستا إيانا. نعم، ولدت ساحرتان توأمتان طفلتان في تلك الليلة. وقامت ساحرات النجوم بذبحهما واقتلاع قلبيهما، ثم غُرس هذان القلبان داخلنا، وصُنعت تعاويذ الربط. لقد تشبعنا بفنائهما البشري».

فقلت وأنا أترنح: «ثم ربتهما الجدة ... ربتنا». تطلعت إلى جدتي برعب وأنا أقول: «كنتِ في ذكرياتنا الأولى. لقد علمتِنا مباركة تمائمنا وعلمتِنا الطهو». وهنا رحت أدلك ذراعيَّ؛ إذ سَرَت القشعريرة حتى وصلت لعظامي. لقد قتلت جدتنا ساحرتين بريئتين بوحشية، ثم راحت

تربي ساحرتين أخريين. كان الأمر غير مفهوم. وإذ شرعتُ أنظر إليها، لم أستطع استيعاب طوفان المشاعر الذي يعتمل بداخلي. لقد كانت تمثل قوة الخير المطلقة في حياتي، القوة الكارهة لكل أعمال الظلام؛ لكنها كانت قوة الشر المطلقة طوال الوقت في الحقيقة. سألتها: «كيف استطعتِ فعل ذلك في الفتاتين؟».

فتكورت قبضتا جدتي على جنبيها وقالت: «إنه الواجب. كنا نعلم أن يومًا ما سيأتي نُجبر فيه على التضحية. لقد انتهت حياتهما، ودمرت قلوبنا في ذلك اليوم أيضًا. فمراقبة سجن الهلاك هي مصيرنا؛ كي نضمن عدم خروج الأشرار والمرعبين. وحين بدأ عمل اللعنة، صرتِ تمثلين تهديدًا كبيرًا لعالمنا، فأنتِ إلهة ثأر، ولم نكن لنخاطر بثورتِك حين تكتشفين أن ساحرة أخذت شيئًا عزيزًا عليكِ. لم تفعل الساحرة الأولى؛ بل لم تستطع كسر لعنتها، وقد تصرفنا تباعًا».

«هل فعلتِ كل هذا لتقيدينا؟ أكل هذا بسبب الكراهية والخوف؟». وهنا رأيت الحقيقة في عينيّ جدتي؛ لكنني رأيت شيئًا آخر أيضًا، شيئًا أكثر تعقيدًا، خُيّل إليّ أن الجدة بدأت تشك في صحة واجبها هذا. ربما صارت تحبنا ونحن عدوتاها. وربما يكون هذا سبب حشوها رءوسنا بأكاذيب الأشرار. كانت تخبرنا عمن يجب أن نخافه. وهنا أخذ أحد تحذيراتها يتردد في عقلي.

مهما فعلتما، فيجب ألا تتحدثا مع الأشرار. إذا رأيتماهم فاختبئا؛ لأنكما إن جذبتما انتباه أحد أمراء الشياطين، فلن يتردد في الحصول عليكما، فهم كائنات ليلية مولودة من ضوء القمر والظلمة. لا يسعون إلا للتدمير...

وبعد أن عرفت ما عرفته، فهمت التحذير على حقيقته. كانوا يخفونني من راث، كانوا يعرفون أنه لن يتردد في الحصول عليّ وأنه سيدمر كل ما فعلته الساحرات. لقد انتظر بصبر. ورغم كراهيته، لم يسمح لجذوة الحب بأن تنطفئ.

لم تكن القصة ولا التحذيرات أكاذيب؛ بل كانت حقيقة لم أعرفها فحسب. كانت تلك التحذيرات تخص الساحرات وحدهن؛ إذ فعلن كل ما بوسعهن للتفريق بيننا وكسر رابطتنا؛ لكنهن فشلن. أشحت بعينيَّ عن نظرة جدتي المتوسلة، ورحت أنظر لأختي التي رغم أنها صارت وحشًا الآن؛ لكنها لم تكن تتظاهر بشيء ليست عليه.

سألتها: «هناك جزء لم أفهمه... كيف كانت ستعمل خطة خداع راث وبرايد؟ أعلم أن إنفي قال إن الجواسيس لم ينجحوا في الوصول إلى مملكتنا؛ لكن، ألم يعلم الجان بوجودنا، حتى لو لم يروا بلاطنا؟».

وهنا نطقت فيتوريا بتعويذة، فارتسمت خريطة في الفضاء بيننا. راحت الخريطة تلمع بضوء بنفسجي واقتربت مني عارضة نفسها أمامي. أشارت أختي إلى القارة شبه المألوفة وقالت: «هناك أوجه شبه كثيرة بين العالم السفلي وأرض إيطاليا التي يسكنها البشر الفانون. تُناظر المنطقة العلوية إقليم بييمونتي؛ حيث تَجول تنانين الجليد والجان». ثم حركت يدها لتظهر منطقة مختلفة شبيهة بتسكانة، وقالت: «هذه هي المنطقة التي يعيش فيها أمراء الجحيم». بعدها، نشرت السحر عبر الحدود الجنوبية، تقريبًا في موقع إقليم كامبانيا نفسه، وقالت: «هذا هو موضع مملكة فينجنس. هناك سلسلة جبلية مخيفة هنا تمثل حاجزًا لا يمكن اجتيازه في نطاقنا، حتى بالنسبة للخالدين. وداخل تلك الجبال، يوجد حجاب الإفراز الذي يمحو ذكريات الجميع، باستثناء ذكرياتنا وذكريات أمنا، وذكريات كل من نقرر منحه الرؤية الحقيقية»، ثم أشارت أختي إلى قسم آخر وقالت: «إن مملكة مصاصي الدماء قريبة من حافة كالابريا بالنسبة للبشر. أما جزيرة صقلية فهي شبه متطابقة مع موقع الجزر المتحولة».

بعدها تلاشت الخريطة في الظلال. فهمت الآن على الأقل كيف جهل الأمراء أمرنا، رغم أنهم كانوا يبدون عارفين كل شيء. «لا أفهم سبب

إخفائنا أنفسنا على مدى قرون. هل هناك سبب يمنعنا من الاختلاط بالأمراء؟».

وهنا تغير تعبير فيتوريا، فكلما ذكرت أمراء الجحيم لا ترتسم على ملامحها كراهية؛ بل البرود الشديد. أجابت: «لا يمكن أن نثق بالشياطين، ولا سيما أمراء الجحيم، إنهم في مرتبة أدنى. كان لدينا ما يكفي للانشغال بالمنطقة الجنوبية، ولم يكن هناك سبب للتدخل في مهاتراتهم».

تذكرت شيئًا فجأة وقلت: «لقد خُلقنا بعد خلق العالم السفلي بفترة قصيرة».

«وبعدها بقرون أتى الأمراء، حين طُردوا من مملكتهم».

شعرت بأن هناك الكثير الذي لم يقل حول هذا الجزء من تاريخنا؛ لكنني تركت هذا الحديث لوقت آخر. فقبل كل شيء، كنت بحاجة لفهم أزمتنا الحالية - اللعنة وطريقة إبطالها - إن كنت أرجو كسرها.

كانت أختي في حالة مزاجية مواتية للعطاء؛ إذ راحت تقدم المعلومات بسخاء دون أي قيود سحرية. ربما لم تكن هناك فرص كثيرة أمامي لجمع هذا الكم من المعلومات، فاستغللت هذه الفرصة وسألتها: «إذا كُنت قد انتُزعتُ من راث، فكيف لُعنتِ؟».

«لقد أتيت من أجلكِ، كما قلت». وهنا استحالت نظرة أختي أكثر ظلامية من الظلال التي انسلت إلى الغرفة، فأطلقت تعويذة على جدتنا أفقدتها وعيها وتابعت: «لقد رحت أتعقبك، وكانت ساحرات النجوم مستعدات. أعددن لكِ فخًا؛ إذ كنتِ ترقدين على مذبح والدماء تقطر من عنقك».

شعرت وكأنني لكمت في معدتي؛ إذ كانت هذه هي الطريقة نفسها التي وجدت عليها جثتها في أحد أديرة صقلية. والآن، عرفت أن هذا كان من تصميمي. لم يكن رسالة لي؛ بل بالأحرى تحذير إلى الجدة والساحرات.

لقد تذكرت إلهة الموت.

أردفت أختي: «هرعتُ نحوك، دون أن ألاحظ دائرة الملح والأعشاب، غير عابئة بشموع التعاويذ، ولا الرموز الغامضة التي تلمع فوق الجدران. وما إن عبرت الدائرة حتى ربطني سحرهن، واكتنف قوتي جاعلًا مني كائنًا فانيًا للحظات. وكان هذا هو المطلوب كي يؤدين طقوسهن. وهكذا قمن بتقييدي وإعطائي قلبي المربوط بالتعويذة».

رحنا نحدق في بعضنا البعض للحظات قصيرة. فرغم خيانتها، ورغم الغضب والعذاب الذي غرقت فيه لأشهر، كنت بحاجة لأختي؛ بل كنت بحاجة للتواصل معها في تلك اللحظة؛ لكن فيتوريا لم تكن إنسانة فانية. لم تحتضنّي. ولم تتحلق بكلمات تواسيني، ولم تذرف دموع التعاطف والحسرة. لم يكن هناك إلا وعد واحد في عينيها، *الثأر*. كان وعدًا بتصحيح خطأ عظيم.

فقلت مُخمِّنة: «كان هذا حين جعلانا نرتدي قرن الجحيم، وهو ما زاد ذكرياتنا احتجابًا. ويخيل إليّ أيضًا أنه أخفانا عن تعاويذ التتبع التي صنعتها أمنا».

«بالضبط، فقد منعت تعويذة الربط والتمائم العجوز من تحديد مكاننا، فالساحرات يخشين هذا أيضًا».

كان هذا هو سبب بذلهن مزيدًا من الجهد كي يخبئننا، فمن شأن استعداء العجوز، إحدى الإلهات الثلاث الأصليات، أن يمثل تهديدًا أكبر للعالم. زفرت. لم يكن راث ولا أنا واثقيْن من كون هذا ينطبق على التمائم؛ لكنها كانت نظرية اختلفنا عليها. كنا نرتدي تلك التمائم كي نختبئ من ذواتنا الحقيقية. وحين خلعناها في تلك الليلة، كافح سحرنا كي يظهر».

وأجابت فيتوريا: «أراكِ فهمتِ». ثم سارت نحو جدتنا التي كانت قد هوت على مقعدها فاقدة الوعي.

«لا تستحق تلك الساحرات تعاطفك. لهذا السبب شرعت في قتل بناتهن. دعيهن يشعرن بالفقد».

ثم دارت فيتوريا حول عقبيها ونظرت في عيني وتابعت: «لا أحد يربط إلهتي الموت والغضب ثم يعيش ليتباهى بالقصة بعدها. هل كُنَّ يردن تجنب الحرب؟ حسنًا، الحرب هي كل ما سينلنه. لن أتوقف حتى تدفع كل أسرة مسئولة الثمن. ولن أعفي أمراء الجحيم من كل هذا، كان يجب أن يدفعوا ثمن خطاياهم منذ وقت طويل. يجب أن تقفي بجانبي، وتأخذي ثأرك المُستحق. فبهذه الطريقة فقط تصعد مملكة فينجنس مجددًا».

«هل ستشعلين حربًا بين الكائنات الخارقة؟».

سألت فيتوريا وهي تنظر حولها: «أشعل؟ لقد بدأت الحرب بالفعل. بدأت الحرب في اللحظة التي قمن فيها بلعننا وسجننا لمدة عشرين عامًا في تلك المملكة. لقد بدأت الحرب حين لعنت الساحرة الشيطان الذي تسمينه زوجًا الآن، والذي استدرجنا نحو كل هذه المشكلات. لقد نسي الجميع من نكون، وما نستطيع فعله. بعض المعارك لا تُشن بأسلحة في الميادين يا أختاه. بعض المعارك تصبح أكثر فاعلية بالتحركات الخفية البطيئة. لا يهمني ما إذا كانت الحرب ستندلع بين مخلوقات أخرى خارقة للطبيعة. كل ما يعنيني هو الثأر لنا». وهنا نظرت إلى المرأة التي كانت جدتنا ذات يوم، وتعبير وجهها قد صار أكثر برودة وقسوة.

«لن يعطيكِ راث قلبه؛ بل لن يستطيع. لم تُرفع اللعنة عنه. سيحتفظ دومًا بجزء من نفسه مخبأ في أمان. حين تدركين هذا، عودي إليَّ، فلدينا الكثير لنفعله معًا كما فعلنا دائمًا».

أجبتها: «أريدكِ أن تخبريني بشيء واحد. هل قتلتِ قائدة جريد أم ساعدتِها على الهرب؟ قال برايد إنها كانت تسأل عن بوابته».

«أثبت برايد أنه لا يهتم سوى بنفسه كعادته. وهناك أشياء كثيرة لا تفهمينها - ولن تفهميها - إلا بعد أن تنزعي تعويذة الربط».

تجاهلت فيتوريا سؤالي وأومأت لدومينيكو، فتقدم المستذئب إلى الأمام وشكّل بيده بوابة سحرية لامعة. كان من الواضح أن أختي لم تكن لتتحدث عن الجماجم السحرية أو أي احتمالية لقتل شيطان أو هروبه. وكنت بحاجة للعودة إلى راث قبل أن يكتشف اختفائي.

نظرت إلى جدتي، وقد تسلل القلق إلى نفسي وسألت: «ماذا ستفعلين بها؟».

«سأرسلها إلى العجوز رسالة». لم أكن متأكدة من كون الرضوض هي الرسالة. كان بعض مني يريد التوسل من أجل حياتها، ومن أجل الرأفة بها، وكي أثبت للجميع أنني لست ذلك الوحش الذي يخافون أن أكونه؛ لكن، ربما كنتُ وحشًا. وقبل أن أخطو من هذه البوابة، قالت أختي: «إذا خرجت للبحث عنكِ مجددًا، فستندمين. أتوقع مساعدتك قريبًا».

توقفت على العتبة المسحورة وألقيت على أختي نظرة باردة وقلت: «لا تهدديني، وإياكِ أن تجبريني على الحضور هنا. إذا أردت العثور عليكِ، فسأفعل. لقد تحملت كل هذا لأنني كنت أجني منه بعض المكاسب. وتذكري: لديكِ أعداء كثيرون هنا، ولستِ بحاجة للمزيد».

الرابع عشر

ظهر غضب قاتل في عينيّ راث حين انتفضت من رقدتي على السرير بعد أن رُدت روحي إلى جسدي. كان تعبير وجهه ينذر بألم وعذاب لا ينتهيان.

كان استدعائي إلى مملكة الظلال للمرة الثانية على التوالي خطأ لم يكن على فيتوريا ودومينيكو اقترافه. والآن، بدا شيطان الحرب مستعدًا لأخذ حقه. ومثل مملكة مصاصي الدماء في الجنوب، كان راث متعطشًا للدماء، ولم يكن يعبأ بمن يتحمل ضريبة خطيئته، سواء أكان إلهة، أم مستذئبًا، أم شيطانًا، ما دام أعداؤه سيدفعون الثمن.

قلت وأنا أستدير نحوه: «لم يصبني أذى، أنا منهكة القوى فقط».

سحب راث الأغطية فوقي، ثم أحاط خصري بذراعه، وعمَّ صمت متوتر الغرفة كان صوته أعتى من أية كلمات. بعد أن عرفت ما فعلته، وعرفت الطريقة التي انتُزعت منه بها في الماضي، وما انتُزع منا لحظة وقوعنا في غرام بعضنا، لم يخطر ببالي سوى أنه لم يكن بخير الآن. كانت فيتوريا تنكأ جراح الماضي، وكان راث متأهبًا لرد الضربة وإنزال بعض الألم، في المقابل.

فأرحت يدي على ذراعه وقبضت على عضلته القوية برفق وقلت: «أنا هنا». كان متكورًا بقوة تكاد تكسره. فلمست بأصابعي وشم الثعبان الذهبي، محاولةً تهدئته. ألقيت نظرة فاحصة سريعة على الغرفة، فتبين لي أنه لم يجمدها. وكانت هذه علامة جيدة. «أنا بخير فعلًا، وقد حذرت أختي من عواقب خطفي مجددًا».

ظل صامتًا لبرهة طويلة أخرى، وهو يتنفس بحرص. انخفضت حرارة الغرفة بعض الشيء، ثم ما لبث أن سيطر على نفسه، وراح يربت على ذراعي بلطف ويدلك ظهري كي يدفئه، وهو مطمئن أنني لم أصب بأذى.

فقال: «بشرتك بها بقع زرقاء يا إيميليا. لو لم تركليني لأستيقظ، معطيةً إياي علامة على عودتك، لأتيت إليكِ ومحوت جميع كائنات المملكة. كنت سآخذكِ من هناك ثم أمحو كل *المملكة* من الوجود».

فجذبت ذراعي من تحت الأغطية ونظرت إلى جلدي بارتباك وقلت: «فعلًا!».

لا عجب أنه كان غاضبًا. كنت أبدو شبه ميتة. كنت سأرتعب إذا استيقظت فوجدته يبدو كالجثة إلى جواري. وجدت رد فعله هادئًا بشدة مقارنة بحالتي. لو كنت مكانه وأصابه أي مكروه، كنت سأهاجم بضراوة.

قال راث بنبرة تملؤها الكراهية: «تلعب أختك لعبة شديدة الخطورة».

فأجبت وأنا أصنع بأصابعي دوائر صغيرة على عضده: «أعرف، إن تفكيرها مشوش، فهي مهووسة بالثأر والانتقام».

«ما الأمر الخطير الذي رغبت في مشاركته، فلم تُطق صبرًا ريثما تسعين إليها؟».

«أظنها تشعر بأن جزءًا من لعنتي ينكسر، وأن هناك شقوقًا تتسلل منها ذكرياتي. تحاول مساعدتي على التذكر كي...».

هنا وجه راث كل انتباهه نحوي وسأل: «كي تفعلي ماذا؟».

«تريد فيتوريا إعادة تأسيس مملكة فينجنس، وتقول إنها عقدت العزم على إشعال الحرب بين الساحرات، والشياطين، وغيرهم من المخلوقات الخارقة؛ لكنني لا أصدق هذا بالضرورة، فهي بالتأكيد تكره الساحرات، وتضمر كراهية شديدة للشياطين. ومع ذلك، يتمحور تركيزها حول استعادة مملكتنا».

ساد الصمت بيننا.

ثم بادرني راث متسائلًا، وهو حريص على التحدث بنبرة محايدة: «أتريدين هذا؟ أتريدين إعادة تأسيس مملكتكما؟».

«لن أتخذ ذلك القرار إلا بعد أن أعرف القصة كاملة وأستعيد ذكرياتي». وهنا ترددت قليلًا ثم قلت: «هل سيسبب هذا مشكلات لنا؟ يبدو أن أختي تعتقد ذلك».

«كلا، لن أوقفكِ عن عمل أي شيء تريدينه. ما دامت فيتوريا ستتركك تتخذين قراراتك وتحترم رغباتك، فلن أعبأ بما تصنع، أو من تحارب، فهناك ذنب يجب أن تكفِّر عنه. إن جريد يريد رأسها، وكذلك إنفي وبرايد. يمكن إثناء لاست وجلاتوني بسهولة إذا تعلق الأمر بالحرب. ولن يعارض سلوث الأغلبية. سأكون أنا الوحيد الذي يقف للحيلولة دون سحقها بالكامل. وإذا أخذتكِ رغمًا عني مجددًا، فسألاحقها وأؤذيها ببطء شديد، وأذيقها من العذاب ما لا يمكن تخيله. سيكون موتها شديد الوحشية والبشاعة، وسيصبح تحذيرًا لكل من يجرؤ على لمس زوجتي. وحين أتركها لن يتبقى منها شيء لكلابي».

سَرَت رجفة في جسدي. كنت مخطئة. لم يكن رد فعل راث هادئًا على الإطلاق. كان يحاول يائسًا السيطرة على نفسه من *أجلي*. رحت أفكر فيما عرفته الليلة عن رد فعله حين بدأت اللعنة. كان على وشك قتل إخوته أثناء بحثه المجنون عني؛ إذ لم يجد سوى بعض الدماء والشعر الممزق. وبالطبع، كان يظن أن إخوته دبروا ذلك. كانت اللعنة آخر شيء يخطر بباله.

لم يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كانت أية حرب قد اندلعت بين الأمراء من قبل، فرغم كل ما يدور بينهم من نزاعات ومحاولات للتفوق على بعضهم البعض، يظل هناك بعض الود العائلي وبعض الولاء. ربما تندمل تلك الجراح ذات يوم كذلك.

احتضنت أميري ووضعت رأسي على صدره؛ فإذا قلبه يخفق كطبول الحرب. وكان قلبي يحاكيه بالإيقاع المخيف نفسه.

إذا أصر راث على أن أختي تمثل تهديدًا حقيقيًا لي، فلن يتردد في تدميرها. ولم يكن لديَّ شك في نجاحه، رغم كونها إلهة خالدة.

ورغم بشاعة فيتوريا، كنت أرجو أن يكون فيها ما هو قابل للإصلاح، وأن أجد طريقة للوصول لما كان ودودًا دافئًا بيننا حين كنّا إنسانتين فانيتين. كنت أريد تصديق أن هدف فيتوريا كسر تعاويذ الربط ومنحي قوتي الكاملة لأنها تريد لي الخير؛ لكنني كنت أخشى أن يتعلق ذلك بخطتها الحالية.

إذا كانت تريد حليفًا قويًا ولم تجده بين الأمراء الشياطين، فلعلها تسعى إلى تحرير قوتي لمصلحتها. وإذا كان راث محقًّا، وإذا لم تكن هناك فرصة للنجاة بعد اقتلاع قلبي، فقد يدفعه عناد فيتوريا إلى محوها بوصفها تهديدًا، فهي بالنسبة له شخص أخذني رغمًا عنه من قبل.

كنت بصدد المقاومة حتى أعود إلى ذاتي الحقيقية. وإذا عكسنا الأدوار، كنت سأدمر من يهدد سعادتنا أيضًا. كنت سأقتل دون ندم أو أسف، تمامًا كما فعلت مع حاجب الجان؛ لكن هذه هي أختي، ولم يكن الأمر هينًا، ولا حتى مسألة خيار بين نقيضين.

سمعته يقول بهدوء: «أتفهم مشاعرك؛ لكنني لا أستطيع قراءة أفكارك».

فتنهدت وقلت: «أفكر في أختي. إن فيتوريا ...». نظرت إليه وتابعت: «لم تعد بشرًا. أريد أن أصدق أنني سأحتفظ بأخلاقياتي؛ لكنني لست

واثقة من إمكانية ذلك، خصوصًا الآن. إن مملكتنا هي *فينجنس*. يبدو أن هذا يثير كلًا منا. وحتى قبل أن أعرف من نكون، كان رد فعلي على موت فيتوريا ببساطة هو الثأر. كنت أشعر في أعماقي بأن أختي تعرضت لأذى، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تعبر بها عن ذلك».

حدَّق راث فيَّ وعقد حاجبيه وقال: «لكل شخص قرارات يتخذها. تستخدم أختك خلودها مبررًا لاقتراف آثام لا تُغتفر. يمكنها تغيير مسارها وشق طريق آخر بسهولة؛ لكنها لا تريد ذلك. وهنا تكمن المشكلة، فهي وحش باختيارها لا بطبيعتها». وكشف عن أسنانه بابتسامة تنذر بعنف جامح، وأردف: «مثلنا تمامًا؛ لكنها ليست الوحيدة التي تستطيع تجاهل القانون الأخلاقي كي تنجز مهمة».

ثبتُّ عينيَّ عليه لبرهة قصيرة. كانت عيناه تلمعان بالعزيمة الجادة والوعيد الصارم، فحين كان يتخذ قرارًا، كان يحرك العالم السفلي بأسره كي يحقق أهدافه. كادت فيتوريا تصبح أول هدف له ليمحوه. لم يكن بوسعي أن أفعل أو أقول أي شيء لأثنيه، وكنت واثقة من ذلك لأنه الطريق الذي اخترت السير فيه، ولن يوقفني أحد. كنّا نِدّين متطابقين صُنعا في الجحيم.

«بغض النظر عن الطرق التي تُتبع لإتمامها، فقد علمت الكثير من الأشياء هذا المساء». فاستدرت على ظهري ورحت أحدق في السقف وأقول: «لا أصدق أن فيستا ماتت، وهذا هو السؤال الذي لا تريد أختي الإجابة عنه؛ بل إنها في الواقع تتهرب من الإجابة عنه. وإذا كانت مذنبة، فلا أرى سببًا لامتناعها عن البوح به لجريد بكل وقاحة، فهي تكره الشياطين، وخاصة أمراء الجحيم. وإذا أرادت إشعال حرب، فلماذا لا تقر بنصر عظيم كذبح شخصية مهمة لأحد قادتهم؟ لقد كانت فيستا شديدة الأهمية والخصوصية، حسب زعم جريد. ولم تكن فيتوريا تخجل من التباهي بأي من غزواتها، فلماذا تلزم الصمت الآن؟!».

زفر راث وقال: «شككت أنا أيضًا في سبب سعي فيستا إلى برايد، إنه يخفي شيئًا؛ لكنني لا أعتقد أن له علاقة باحتمال اختفائها».

فاستدرت على جانبي مجددًا لأواجهه، ثم سألته: «ما الذي تظنه إذن؟».

«أظنه يسعى للحصول على معلومات، ويرى أنه كان يستغل فيستا». انفرجت أساريره بابتسامة، وتابع: «حين أدرك أن أحدهم تفوق عليه، أخذته العزة بالإثم، لهذا بدا مندهشًا ومتضايقًا. ظن أنه الصياد؛ لكنه اكتشف أنه وقع في فخ آخر. لم يزل متحسسًا حيال هذا الأمر عند دمّرت أختك صورته المصوغة ببراعة».

«هل كان يحبها؟»

نظر إليّ راث فوجدني أومئ ثم أجاب: «بأختِك؟ لست متأكدًا؛ لكنه يجتهد أيما اجتهاد كي يراها تتحطم. ومع ذلك فقد يُعزى هذا إلى كراهيته نفسه إذ إن كبرياءه يحول دون إخباره زوجته بالحقيقة».

«وما هي؟».

«على حد علمي، لم يفعل برايد وفيتوريا أكثر من تبادل القبلات. وقد ذاع صيته بوصفه أميرًا فاجرًا، وكان يفخر بذلك؛ لذا سمح للجميع باعتقاد أنه كان يمارس معها الحب».

«هل أنت متأكد أنه لم يمارس الحب مع فيتوريا؟». راح راث يفكر في سؤالي بعناية قبل أن يجيب: «لا أعتقد أن أحدًا غير برايد وفيتوريا يعلم الحقيقة كاملة، فلم يشارك أحد أي تفاصيل عن تلك الليلة بكل تأكيد».

وحتى لو كانت فيتوريا لا تُكن له مشاعر متبادلة، كان هذا سيزيد حنقها ويدفعها نحو تنفيذ مهمة «تدمير الشياطين والساحرات». راودتني فكرة أخرى وسألته: «هل تعتقد أن جريد هو من أرسل الجمجمة لنفسه؟».

«لا أستبعد هذه الاحتمالية، فإذا كان مقتنعًا بأن أختك مذنبة، فسيمطيه هذا دافعًا واضحًا كي يحاول اختلاق أدلة ليثبت نظريته».

كان هذا ما أفكر فيه: «ودون الوصول إلى أراضي جريد، لا توجد أية طريقة أمامنا للاستدلال على المكان الأصلي للجمجمة، أليس كذلك؟!»، وهز رات رأسه. رحت أقلب في رأسي مزيدًا من الأفكار وقلت: «لقد ذكر دوق ديفون أن عائلة فيستا ليست من هنا ...».

«هل تفكرين في الدماء التي بقيت بمسرح الجريمة؟»، فأومأت بالموافقة.

أجاب: «لا نعرف على وجه التحديد ما الذي أتى بفيستا إلى هنا؛ لكننا نعرف أنها كانت تسأل عن بوابة برايد واشتمام الدماء، فإذا كانت عائلتها من مكان خارج مملكة جريد، أو حتى خارج الدوائر السبع، فربما استخدمت البوابة لتعود إلى موطنها. ويشير مزيج الدماء الذي عثرنا عليه إلى أنها ربما تسللت بمساعدة نوع آخر من الشياطين».

إذا كان ذلك صحيحًا، فربما لم تكن ضحية على الإطلاق؛ بل بالأحرى القاتلة الحقيقية. وإذا كانت تعيسة في بلاط جريد، كما ادعى الدوق، فربما قتلت شخصًا كان يقف في طريقها، تاركة الجثة المُمثل بها وراءها قبل أن تهرب هروبها الكبير؟».

«إنها فكرة تستحق الدراسة، فإما أن تُستبعَد أو تثبت صحتها». قبّل رات جبهتي ونهض من الفراش والتقط سروالًا مهندمًا. لقد جذب شيء بالخارج انتباهه، فأسرع نحو الشرفة وسمعته يسب بهدوء.

زال عني كل تعب كنت أشعر به. أزحت الأغطية ووضعت رداء قبل أن ألحق به، ثم تسمرت في مكاني؛ من فرط الذهول. كانت هناك نجوم حمراء تلمع في السماء تشبه في حمرتها نذيرًا دمويًا. وبينما وقفنا نشاهدها في صمت، راحت تصنع شكلًا ببطء.

اتخذت النجوم شكل قلب تشريحي مطعون في الوسط بخنجر يعلو مقبضه جمجمة. وكان الدم يقطر من سن الخنجر، أو على الأقل بدا كذلك؛ إذ كانت النجوم القرمزية تلمع وتنهمر من الرمز الذي صار

نابضًا. كان ينبض، وكانت أصداء نبضاته تصيبني بالقشعريرة وهي تجوب قاطعة المملكة.

كان قلبًا سماويًا. وكان من الواضح أنه لم يكن تجمعًا نجميًا طبيعيًا.

فسألت بصوت منخفض: «ما هذا؟».

«إنه القلب الخالد». كان وجه راث مكفهرًا. واصلت النجوم نبضها من موقعها في السماء، وبدا اللون الأحمر كجرح كوني، فتسارع خفقان قلبي وقلت: «إنه رمز مملكة مصاصي الدماء».

حول راث انتباهه نحو الفناء بأسفل، متفحصًا الأرض المضاءة بنور القمر، فتبعت المسار الذي تحول إليه انتباهه، باحثة عن أية علامة للتحرك. وهنا سقطت قطعة كبيرة من الثلج، وكانت النجوم تنعكس عليها كقطرات دم على الأرض. وجعلت البقع الحمراء الأمر يبدو كأن معركة حدثت وجنودًا سقطوا.

دلكت ذراعي. كان الليل هادئًا؛ لكنه خلا من أي سلام. شعرت بأن الأشباح تنتظر وترقب. كانت هناك كوارث على وشك الحدوث.

«سيصل مبعوث قريبًا».

وكشفت نبرة راث وطريقته في معاينة أراضي القلعة أن الزيارة ليست موضع ترحيب.



في الأسابيع التي قضيتها في بلاط راث، رأيت العديد من الغرف الفخمة: المكتبات، وأجنحة الضيوف، وغرفة التدريب، والحديقة، والأراضي الهلالية الضحلة، وحجرة العشاء، والبرج الدائري الذي كانت سيليستيا تُحضّر فيه وصفاتها ومقوياتها، وجناح نومي، وجناح راث، بالإضافة إلى العديد من الغرف الرسمية وغير الرسمية، والمدرجات،

والشرفات؛ لكنني لم أدخل قط حجرة عرش راث. كانت مكتبة تحمل طابعًا شديد الأناقة.

كان بعض مني يرغب في الركوع على ركبتيَّ، والاعتراف بخطاياي، أو بالأحرى طلب خطيئتي المفضلة أمام البلاط. كانت الغرفة الشبيهة بالكاتدرائية خالية، ولم يكن فيها سواي وراث.

فقلت وصوتي يُحدث بعض الصدى: «إنها رائعة». كنّا نقف داخل الأبواب المزدوجة الداخلية، ناظريْن إلى المكان الذي يحكم منه الشيطان مملكته، كان لائقًا براث، كان راقيًا؛ لكنه ما زال يحوي قدرًا من الشر. انتظرت جذوة من ذكرى؛ لكن لم يأتِني شيء.

كانت الأرض الرخامية السوداء ذات العروق الذهبية الباهتة، والأسقف العالية ذات الأعمدة المطابقة مصنوعة من الحجر الرمادي الداكن، والنجف الضخم ذو الأحجار الكريمة الأبانوسية يلمع في ضوء الشموع. وكانت التصاميم الوردية ذات الألوان الهادئة، المصورة على النوافذ ذات الزجاج المُعشق، موضوعة على مسافة لا تقل عن عشرين قدمًا، بعيدًا عن الأرض على جانبي الغرفة، كي تسمح للضوء بالانسلال إلى الداخل وفض عتمتها. وكانت مشاعل مثبتة في شمعدانات أفعوانية موضوعة على مسافات متساوية بعرض الجدران السفلي، وكانت النيران تطقطق، وكأنها تُذكر كل من يدخل هنا بأنه في العالم السفلي.

كانت الجدران مُزينة بأسلحة ذهبية لامعة مشابهة للموجودة في غرفة تدريب راث. كانت هناك دروع، وقمصان واقية، وسيوف، وخناجر. وكانت هناك أيضًا أقواس وسهام، وخناجر مقوسة جعلتني أرتجف؛ من مظهرها المرعب. وفي أقصى المنطقة الخلفية من الغرفة، كانت أكبر نافذة مقوسة أعلى العرش. كانت تحتل معظم الجدار، وكان تصميم الزجاج المُعشَّق يصور جناحين سوداوين ممدودين. شعرت بغصة في حلقي إذ أدركت أنهما لا بد أن يرمزا لجناحي راث المسروقين. لا بد أن وَضْعهما كنصب تذكاري.

فأعدت انتباهي للمستوى الأول، أسفل النافذة الضخمة ذات الأجنحة السوداء لأجد مدفأة. لم أرَ مدفأة بهذه الضخامة على الإطلاق، فالنافذة كانت تحتل الجدار بأسره. كما كان هناك بساط خمري يغطي الغرفة بطولها، لينتهي عند قاعدة المنصة الأبانوسية. وبدا الحجر الكريم المعتم مثل الدخان المجمد. كان مخيفًا وجميلًا في الوقت نفسه. كان يشبه الحجر الكريم الذي رأيته حين دخلنا هذه المملكة أول مرة، أو ربما كان هو.

وفوق المنصة، كان هناك عرشان متطابقان. ظننت أن عرش ملك العلم السفلي كان أكثر ضخامة. كانت الأفاعي البرونزية الخمرية التي تلتف حول الجلد الأسود شديدة الشبه بالوشم الذي رسمه راث على ذراعه اليمنى. فطار قلبي فرحًا حين استرقت النظر للكروم ذات الأشواك التي كانت تلتف بأناقة حول أجسام الأفاعي.

وجّه راث نظره نحوي، والتوى فمه مُلمحًا بابتسامة كانت ستأخذنا إلى غرفته في جوف الليل رغم الموقف: «أنت مندهشة».

«تريدني أن أكون ملكة، لا ملكة قرينة فحسب».

واجهني بشكل كامل لتأخذني قوة حضوره مأخذ الدهشة. كان سحره عظيمًا، وأسلوبه في التصرف راقيًا. حيث أثار إعجابي تاجه المرصع بالياقوت، وعيناه اللامعتان، وسترته السوداء المتناسبة بشكل بديع مع جسده القوي. فابتسم الشيطان وكأنه يعرف هذا أيضًا، وقال: «أنتِ ندّي بكل طريقة. كل ما لي فهو لكِ. لا تنسي هذا».

كانت جديته في قول ذلك، وطريقته في أخذ يدي وضمها بين يديه تجعلانني أشعر بأنه كان لديه الكثير ليقوله. ملت نحوه وقلت: «أنا...».

وهنا فُتح الباب خلفنا. وأسرعت جنيات وصيفات بالدخول، حاملات مزهريات ضخمة تحوي زنابق الكالا السوداء وزهور القرنفل شديدة الحمرة. كانت التويجات الناعمة شبه الحريرية من الأشياء المفضلة لديَّ. أسرعت الوصيفات إلى المنصة ووضعن المزهريات عليها بشكل

أنيق؛ ما سمح لبراعم زنابق الكالا ذات شكل البوق والقرنفل الأحمر بالتمايل على الدرجات. كما أحضرن العديد من النباتات. ومع ذلك لم أستطع فهم سبب وضع التوت الأحمر هناك.

فقلت: «اختيار الدفلة الوردية مثير للاهتمام، ولا سيما إن كنت تبعث رسالة». ملت نحو النبتة التي لم أتعرف إليها بعد وسألت: «لكن، ما تلك النباتات؟ أظنها سامة أو قاتلة بشكل أو بآخر».

فقال راث بنبرة تلمح للمرح: «توت *الدفلة* أو عين العفريت. يكره مصاصو الدماء هذا النبات، لا بسبب اسمه فحسب؛ بل لأنه يقتلهم بالفعل. يعرف بعض الفنانين ذلك. ورغم شدة حرص صانع الجواهر، فقد تتسبب وخزة واحدة من هذا النبات في موته».

«ظننت أن مصاصي الدماء لا يُقتلون إلا بوتد...».

«إن غرس وتد في القلب يقتل معظم المخلوقات، باستثناء الصحبة الحالية». رمقني راث بنظرة متفكهة، إذ كان يعلم جيدًا أنني أعي أن غرس خنجر في صدره لم يكن ليؤذيه، وتابع: «الثوم يزعجهم، والماء المقدس لا يُجدي نفعًا، حسب فهمي، لكن ماذا عن هذا التوت؟». فالتقط حبة منه من خادمة مارة بين إبهامه وسبابته وقال: «هذه هي أحد الأسرار التي يخفيها مصاصو الدماء».

«صاحب الجلالة!»

التفتُّ لسماعي صوتًا مألوفًا، وسررت برؤية فاونا تسرع إلى غرفة العرش وقد بدت مذهلة في ثوب نحاسي داكن مرصع بالجواهر حول صدريته. شعرت وكأن دهورًا مضت منذ آخر مرة رأيتها، رغم مرور يومين فقط.

كانت فاونا أول صديقة لي في بلاط راث، وبينما بدا الآخرون سعداء بالنميمة حولي، بذلت هي ما بوسعها كي تشعرني بالترحاب. لا أعرف كيف كنت سأجتاز الأسابيع القليلة الأولى دون صداقتها.

انحنت لي بأدب وقالت «ليدي إيميليا»، ثم طأطأت رأسها لراث وقالت: «لقد حصلت على القلادة».

غمزت لي وهي تسلم راث علبة مجوهرات كبيرة. فرفع الغطاء ونظر داخلها، ثم أغلقها مجددًا وقال: «هل أخذتِ شيئًا لنفسك؟».

فأزاحت فاونا شعرها الأسود المجعد جانبًا، كاشفة عن قلادة رقبة على شكل توت صغير أحمر اللون بدا جميلًا على بشرتها ذات اللون الأسمر الدافئ. قالت: «نعم يا صاحب الجلالة. لقد عرضت واحدة على أنير لكنه رفض». والتمعت عيناها البنيتان الداكنتان وهي تتابع: «لكنه قبل رابطة العنق المطرزة بها، إنه يرتدي ملابسه الآن وسيحصل قريبًا».

هز راث رأسه بالموافقة وقال: «تأكدي أن يبدو كأحد رجالات البلاط».

«بالطبع». وهنا انحنت فاونا مجددًا، ثم أسرعت خارج الغرفة، وتنورتها النحاسية تحف بجسدها المرمري، كما تهمس الأمواج للشاطئ.

أشرت نحو الصندوق وقلت: «هل يمكنني رؤيته؟».

فتح راث الغطاء ورفع القلادة.

شهقت: «آه!» إذ حبس جمالها أنفاسي. لم تكن مجرد قطعة من الحُليّ؛ بل سلاح مصنوع من جدائل من توت الدغلة الوردية والياقوت. كان لون الأحجار الكريمة شديد الحمرة كالدم. كان يهدف للجذب والإثارة؛ لكنه كان يهدف للتحذير كذلك. كان مبعوث مصاصي الدماء يستطيع النظر، لا اللمس، إلا إذا أراد الموت.

«ليس التلميح نقطة قوتك».

«بل التلميح للجبناء، يا سيدتي».

أشار راث إليَّ كي أستدير، ثم ثبت القلادة حول عنقي بسرعة، فواجهته مجددًا وأنا أمرر يديَّ على تلك القطعة المميزة الرائعة. راح الأمير الشيطان يتبع حركة يديَّ بعينيه، ثم يواصل التطلع إلى أسفل

وكأنه يراني للمرة الأولى ويتلذذ بما يراه. وعلت ملامحه نظرة مشبوبة بالعاطفة جعلتني أفكر في ليال كثيرة مقبلة بيننا في غرفة العرش.

سألته: «هل أعجبتك؟». كنت أعرف أنها تعجبه أكثر مما تعجبني؛ بل كدت أراه يفكر ما إذا كان لدينا وقت لتحقيق ما أفكر فيه الآن بينما يتطلع إليَّ مجددًا.

كان ثوبي الوردي المُذهَّب يبرز ثنايا جسدي، وكان لونه الفاتح الناعم يُنسي الناظرين السحر المرعب الذي يلمع تحت جلدي. وقد تخدعهم الزهور النارية ذات اللون الوردي الباهت التي تغطي الجزء العلوي من الصدرية، وتجعلهم يخطئون في فهم الكروم الباهتة ذات الأشواك في ثنايا التنورة على أنها مجرد حِليات، لا تحذيرات.

كان الثوب سحرًا يُرتدى. وقد أعجبت به كثيرًا.

دُهش راث وقال: «لا بد أن هذا الثوب مسحور. لقد سحرني بالتأكيد، رغم أنني أعتقد أنكِ من سحرني يا سيدتي».

نظرت إلى ثوبي وأنا أقاوم ابتسامة. كنت أعشق تغزل راث فيَّ. كان هذا الإلهاء محبذًا؛ بل بصيص من النور الذي يُحدث توازنًا مع الظلمة.

ثم لفت انتباهنا قرع طبول مزعج، لتزول أية لمحة من الشاعرية أو اللطف عن وجه راث، ويحل محلها قناع الخشونة والقسوة اللتين يتصف بهما أقوى أمراء الجحيم. كان هذا هو الشيطان بقوته الطاغية القادرة على تغيير المملكة بأسرها. «ادخل».

فأسرع شيطان آخر بالدخول وانحنى باحترام. كان يرتدي سترة ذكَّرتني بالخدم في رواياتي المفضلة. قال الشيطان: «لقد ترك الوفد المرافق للمبعوث الاصطبلات للتو يا صاحب الجلالة».

«نبه أنير والباقين. أريدهم هنا الآن». مد راث ذراعه لي بشكل رسمي مليء بالأدب، وقال: «هيا يا سيدتي. لنعدَّ أنفسنا لاستقبال ضيوفنا».

«رغم أنهم غير مرغوبين».

«بالفعل». قال راث ذلك بابتسامة متوحشة.

وضعت يدي في حنية ذراعه، ثم شققنا طريقنا نحو العروش. كان كل شيء آمنًا في بلاط خطيئتنا، ومع ذلك كانت أعصابي متوترة. كان التفكير في ضيفنا أمرًا مزعجًا.

ساعدني راث على صعود السُّلم، ثم قرب شفتيه من أذني. كانت أنفاسه الدافئة تعدني بالكثير. قال راث: «تنفسي، وإلا دخل المبعوث ليجدني أفعل كل ما بوسعي كي أجعل قلبك يخفق لأسباب ممتعة».

ثم لثم عنقي وكأنه يعدني بتنفيذ ما قاله.

وهنا جلست بشكل مفاجئ فوق العرش، ليضحك راث ضحكة كبيرة.

التمعت عينا راث الذي شعر بالعواطف التي أصارعها. لتلعنه الإلهة، كانت مقاومته أمرًا مستحيلًا، فلم يكن هذا وقت طلب موعد غرامي ولا وقت امتثال للرغبات.

هززت رأسي هزة خفيفة وقلت له: «تأدب، سيصل المبعوث قريبًا».

رمقني بنظرة هي مزيج من المنجهية الذكورية والبراءة المزيفة وهو يجيب: «لا أفهم ما تقصدينه يا سيدتي، فأنا فقط أنظر بإعجاب لزوجتي الرائعة».

ثم جلس على عرشه وتبدلت ملامح وجهه لتصبح باردة مجددًا، ولم أكن لأتمنى أن أكون ممن يُستقبلون بمثل تلك النظرة.

دخل أنير وفاونا الغرفة، متبوعيْن بالعديد من الشياطين الذين لم أتعرف عليهم. كانوا جميعًا يرتدون أفخر الثياب.

كان معظم الشياطين - ذكورًا وإناثًا - يقفون بثقة؛ لكن كان هناك شيء يتعلق بحركة الحاشية جعلني أعتقد أنهم ليسوا سادة وسيدات مملكة راث فحسب. كنت أراهن بأنهم كانوا جنودًا.

نظرت إلى زوجي بطرف عيني، كان مستعدًّا للقتال. لم أكن واثقة إذا كان هذا مجرد احتياط أو حراك هجومي. لم يكن هناك وقت أمامنا

للاستعداد، وقد ترك المخدع ليقابل أنير وكبار جنوده قبل أن أنتهي من ارتداء ثيابي. لم أكن على علم بخطته؛ لكنني كنت واثقة أن لديه خطة.

التقط راث نظرتي وابتسم ابتسامة سريعة ماكرة، وقال: «أعدي سهمًا وكوني جاهزة لإطلاقه قبل دعوة عدوي للدخول».

«ربما أستطيع المساعدة بالنار». وهنا استدعيت الزهور النارية، وسمحت لها بالتحليق فوق المنصة، وما لبثت حرارة النار أن أصبحت شديدة.

انتاب التوتر بعض الجنود؛ لكنهم حافظوا على رباطة جأشهم. تذكرت فجأة ما قالته فاونا حين قابلتها أول مرة - كيف ضحك بعض الجنود حين أراد مسئول رفيع المستوى أن يقتلع قلبي النابض ويقدمه لهم، فطغى الغضب على سائر عواطفي، وأنا أحوّل انتباهي للشياطين في الغرفة. لم يكن خضوعي لغضبي خيارًا إراديًّا؛ لكنني لم أقاومه على الفور كذلك، فهل كان أي من أولئك الشياطين الذين أرادوا أذيتي موجودًا الآن؟

بقليل من السحر كنت سأدمرهم جميعًا، وأرسلهم يصرخون؛ من ذوبان لحمهم على عظامهم. بوسعي الانتقام منهم جميعًا و....

لكن ضحكة أنثوية ناعمة كسرت التعويذة. تركت سحري وأنا أنظر إلى ضيوفنا، ورحت أقاوم كي ألتقط أنفاسي دون أن يلاحظني أحد.

خاطب راث المبعوث دون اكتراث قائلًا: «بليد»، متيحًا لي لحظات ثمينة لأستعيد سيطرتي على نفسي. وددت لو ملت على زوجي وقبلته؛ لكنني ثبتت انتباهي على شخصين يقتربان منا، ورحت أتطلع نحوهما بالبرود والملل اللذين رأيت إنفي يستخدمهما.

أسرع بليد - مصاص الدماء اللافت للنظر بملامحه المنحوتة وشعره الكستنائي الأشعث - بنقل نظرته إليَّ، متوقفًا عند القلادة ذات التوت المميت، قبل أن يحوِّل انتباهه إلى راث، وكان تعبيره مستحيل الفهم كالشفرة التي يصعب فكها. كانت عيناه شديدتي الحمرة؛ بل

أقرب إلى السواد، يحدهما خط من الرموش الثقيلة. بدا جريئًا متحديًا؛ لكن ليس بطريقة راث التي تحمل خطرًا خفيًا حين يرغب في مقاتلة أحدهم.

لم أمنح بليد نظرة ثانية؛ حيث وجهت بصري إلى رفيقته التي ضحكت. بدت أشبه بملكة محاربة، رغم أنني لم أرَ معها أية أسلحة تحملها، وكان هذا يعني *أنها* هي نفسها سلاح أكثر شراسة من أي خنجر فولاذي يمكنها حمله.

كان شعرها الداكن ينسدل على ظهرها، وثوبها الأسود الأبانوسي أكثر شبهًا بالدرع الجلدي من الموضة الراقية المشهورة في بلاط الشياطين. ومع ذلك كان هناك شيء في عينيها يرعبني. لقد رأيتهما من قبل في كابوس. كانتا عميقتين مرقطتين، وكانتا عميقتين وتغصّان بالكراهية. كانتا موجهتين نحوي وهي تقترب من المنصة مع مصاص الدماء.

مال راث إلى الأمام وقال بصوت يتحول لزمجرة: «إنها سورسيا».

لم تُبعد المرأة انتباهها عني، وكان فمها يرتجف بلذّة شريرة غامضة، فوجدت نفسي راغبة في خنق النظرة البادية على وجهها.

قالت بنبرة غامضة: «أليس هذا مثيرًا؟»، ثم خطت خطوة أخرى نحونا وهي ترمقنا وتقول: «أتعرفان من أكون؟».

لم تكن من مصاصي الدماء، ولم تكن شيطانة كذلك، كما لم تمتلك أية سمة من سمات البشر الفانين؛ لكنني لم أظنها إلهة. كان الشك يعذبني. وكانت طريقة راث في الجلوس، وكأنه على وشك القفز من فوق عرشه وخنقها، تؤكد مخاوفي.

قلت لها: «أنتِ الساحرة الأولى».

الخامس عشر

رمقتني **سورسيا**، الساحرة الأولى، بالطريقة التي تتفرس بها الوحوش الضارية فرائسها، أو ما يحدق بها من أخطار.

تملَّكتني الغريزة وكشرت عن أسناني، مبتسمة ابتسامة خبيثة تُبين أنني لم أكن فريسة، حتى رغم عدم استعادتي أمجادي السابقة بالكامل. حدقت في الساحرة، وغضبي يشتد كلما أطلت النظر إلى عينيها المقيتتين. لقد خطفت راث مني، واستخدمت أختي فيتوريا في لعبتها المنحرفة. قد أجعلها تدفع ثمن خطاياها من دموعها ودمها الآن؛ لكن عما قريب سيظهر وجهي في جميع كوابيسها.

حوَّلت الساحرة انتباهها بسرعة إلى راث، كما حوَّلت تعبير وجهها إلى السخرية وهي تقول: «لقد مضت ستة أعوام وستة أشهر بسرعة بالغة يا صاحب الجلالة، أليس كذلك؟ قد يسير الوقت بشكل مختلف هنا؛ لكنه يسير. كم يومًا مضى؟ يبدو أنني نسيت».

حوَّل راث نظره نحوي قبل أن ينقله إلى عدوتنا؛ لكن كان هذا كافيًا لتسلية الساحرة مرة أخرى، فملأت ضحكتها الحجرة الخاوية مجددًا؛ لكن هذه المرة بدا كأنها عرفت سرًّا كانت تشاركه مع زوجي.

وهنا انفجر غضبي.

بادرتها بصوت بارد متجبر قائلة: « انحنِ أمام الملك». وهنا شعرتُ بانتباه راث يتحول إليَّ، وأن جميع من في الغرفة ينظرون نحوي؛ لكنني لم أحد بنظرتي عن الساحرة. لا بد أن سورسيا شعرت بالنار المتأججة في صوتي، فتقوست حاجبًا؛ لكنها ركعت ببطء، وقماش ثوبها يتثنى في صمت.

حولت تركيزي نحو مصاص الدماء الذي تراجع بخفة قليلًا. لم يكن لديَّ سوى قليل من الشك في أن لون عينيَّ صار ورديًا مذهبًا، وأنهما تنذران بقوة قد تخرج عن السيطرة، فإذا لم يكن قد أهتم بمن أو ما كنته من قبل، فقد صار مهتمًّا الآن.

«لا تجعلني أكرر ما قلته، انحنِ وإلا احترقت». وهنا استدعيت زهرة نارية وأرسلتها تدور فوق بليد.

جز على أسنانه؛ لكنه ركع وأمال رأسه باتجاه راث وقال: «صاحب الجلالة».

حدقت في جسديهما المنحنيين دون أن أحررهما من وضعية الخضوع الإجباري. لم ينبس راث ببنت شفة؛ إذ أحس بمشاعري وأعطاني ما أحتاج إليه من وقت كي أستعيد السيطرة؛ أو لعله كان مسرورًا ويريد أن يرى ما سأفعله بعد ذلك، ويكتشف كيف توافقت خطيئتانا في زيجة فريدة من نوعها! لقد قال إنه يريد ندًّا. وبينما كان راث يستدعي الجليد، كنت أستدعي النار. ولم يكن يجب على الساحرة الأولى استفزاز غضبي. ولو كان بليد هو الوحيد الذي سينوب عن مصاصي الدماء، لما كان رد فعلي ليصبح بهذا الشكل.

كان وجود سورسيا، وسلوكها المقيت، وتلميحها بإخفاء سر يعرفه زوجي، وسخريتها من راث، تجعلني أستشيط غضبًا. لقد آذته، لهذا أردت أن أؤذيها عشرة أضعاف. كان هذا غير عقلاني على الإطلاق. سيطرت عليَّ رغبة عارمة في الثأر، وفجأة فهمت أختي بشكل جيد تمامًا. أردت أن يعاني أعداؤنا نظير كل سنة، وكل شهر، وكل يوم، وكل

ساعة؛ بل كل ثانية من الألم الذي أنزلوه بأحبابنا. أردت معاملتهم بالمثل حتى يتوسلوا طالبين إما الرحمة أو الموت، وكنت سأحرمهم من الاثنين.

قد تكون أفكارًا شريرة شاذة؛ لكنها قوة الحب. تستطيع إدخال الدفء والنور، كما تستطيع تحويل جذوة واحدة إلى جحيم مُستعر يدمر كل من يهدده. قد يكون الحب أسوأ كل تلك الخطايا.

أو ربما كان هذا مجرد طابع مملكة فينجنس.

توهج ضوء المشاعل، وراحت ألسنة اللهب تستطيل بجنون وكأنها ستبدأ حريقًا بشعًا. جلتُ ببصري في البلاط متطلعة إلى الجنود المتأنقين وأنير وفاونا. كان الاحترام لا الخوف هو ما يتقد في أعينهم. ربما أخفتهم قليلًا من قبل؛ لكنهم كانوا يتوقعون أن تثير أميرة مملكة راث بعض الخوف، تمامًا كما كان أميرهم يفعل؛ لكن قوتي تُستخدم ضد أعدائنا... أملت رأسي تجاههم شاكرة، ثم تحول انتباهي إلى الضيفين غير المرغوب فيهما اللذين ما زالا راكعين تحت أقدامنا.

اتقدت تلك القوة العتيقة الرهيبة في أعماقي، فشعرت الساحرة الأولى بالتوتر. لقد حجبت لعنتها تلك القوة؛ لكن السحر الذي يعوقها يتداعى. وبشكل أو بآخر كانت تعويذة ربطي ستتكسر، ويُطلَق سراح ذلك الوحش. شعرت سورسيا بذلك! هذا مؤكد.

كانت تلك الفكرة، ذلك الوعد بإطلاق العنان للوحش هو ما جعلني أهدأ. ومع ذلك فقد كان يتطلب كل ذرة من السيطرة أستطيع استجماعها كي لا أطلق العنان لسحري الآن وأشاهدهما يحترقان.

راحت ألسنة الدخان تتأجج في الهواء، ورائحة القماش الجلدي المحترق النفاذة تهب على مكان جلوسنا، فارتجفت الساحرة الأولى؛ لكنها لم تتحرك كي تطفئ الجذوة المشتعلة في تنورتها. لمس راث يدي، فكانت لمسته بلسمًا ملطفًا لغضبي، فزفرت ببطء، وأعدت سحري إلى مصدره. انتظرت لحظة أخرى كي أتأكد من أنني عدت إلى طبيعتي

الطيبة. كان من شأن حركة واحدة خاطئة أن تحولني إلى الوحش الذي كنت أخشى أن أتحول إليه.

وهنا قلت: «انهضا». حافظت على تعبيري تمامًا كما حافظت على مشاعري.

استراح راث على عرشه، وشفتاه تلتويان بخبث كشيطان مستمتع فخور بمليكته المساوية له في الشر. نظر إلى مصاص الدماء ببرود، متجاهلًا الساحرة وكأنها لم تكن موجودة على الإطلاق وقال: «لماذا أتيت إلى هنا؟».

«لمناقشة تحالف محتمل بيننا».

«اختار أميرك توقيتًا غريبًا. لم يُبدِ اهتمامًا بالمناطق الشمالية على مدى قرون».

«ليس غريبًا على الإطلاق. فبعد الزيارة الأخيرة لإلهة الموت ورفيقها الشيطان المستذئب الفريد، شرع أميري في التفكير بإمكانية إقامة مثل هذا التحالف غير المعتاد». كان يُحسب لبليد أنه لم يطرف بعينه، حتى في مواجهة نظرة زوجي الحادة الرهيبة.

حدقت فيه. فبالإضافة إلى ادعاء فيتوريا رغبة إشعال التوتر وإمكانية بدء حرب بين المخلوقات الخارقة، كانت قد أزمعت عمل شيء. ربما كان الرفيق الذي ذكره بليد هو دومينيكو وأنه كان يحاول تضليلنا عن الحقيقة؛ لكن تبادرت إلى ذهني فكرة أخرى، وقررت التأكد من صحتها متسائلة: «هل كان اسم الشيطان المستذئب فيستا؟».

«بل مارسيللا». لم يُبعد بليد انتباهه عن راث وهو يردف قائلًا: «وُلدت في الجزر المتحولة».

سألته: «هل أنت متأكد من أنها ليست من هنا؟».

«لم تقل أي شيء آخر، فقد استأثرت الإلهة بجل انتباهنا».

ساورني الشك؛ لكن بليد لم يكن يملك أية معلومات أخرى عن رفيق أختي، أو على الأقل، لم يكن يرغب في مشاركة شيء إضافي إذا رفضنا التحالف.

وبالنظر للدم المتروك في مسرح الجريمة، كان من المنطقي أن تكون فيستا فريدة من الناحية الوراثية. وربما كان هذا هو السبب في تفضيل جريد إياها. كانت هذه أول سمة فكرت فيها حين نما إلى علمي العثور على دماء شيطان ومستذئب. جعلتني هذه المعلومات أشك في كون اهتمام فيستا بالبوابة في أرض برايد متعلقًا بعجزها عن الارتحال إلى مملكة الظلال. وإذا صحّت نظريتي وكانت فريدة من الناحية الوراثية فعلًا، فربما جعل جانبها الشيطاني هذا الأمر مستحيلًا، تمامًا مثل الذئب الجديد الذي ذكره أنطونيو.

وبينما كان بليد وراث يتناحران في صمت، رحت أدقق النظر في مصاص الدماء.

كان حاجباه الكثيفان يظللان عينيه القرمزيتين الثاقبتين، ورموشه السميكة كافية لجعله موضع حسد أي شخص، وكان شعره أطول من أن يمكنه السيطرة عليه، وبدا كأنه مشّطه سريعًا قبل أن يصل إلى هنا. كانت شفتاه الممتلئتان مقوستين في ابتسامة شبه ساخرة، وكأنه تذكر للتو مزحة شديدة الطرافة لا يعبأ بمشاركتها.

وربما كان ما يعزز هذه النظرة هي لمحة المكر في عينيه، تلك التي كانت تُلمح إلى أن سحره الخبيث أوقع العديد من الضحايا.

كانت سترته السوداء تناسب جسده المتناسق، وقميصه الأبيض الكتاني، ورابطة العنق المماثلة مفاجئة بالنسبة لي، فنظرًا لتعطشه للدماء، كنتُ سأتخيل أنه يفضل أن يتشح بالسواد كليًّا. كان سرواله الداكن الذي يضم ساقيه ذواتي العضلات القوية مدسوسًا بشكل أنيق داخل حذاء الركوب الطويل المصقول. كان مظهره يوحي بأنه قد يهب نفسه لأن يصبح أشجع الحماة أو أسوأ الأعداء، حسب هواه.

ورغم وقوفه هناك بقامة مستقيمة تحت نظرة راث الثاقبة، كان يعطي انطباعًا بأنه مستعد لخلع سترته في أي وقت. كما بدت ياقته ورابطة عنقه كأنهما تزعجانه، لا بسبب الحرج أو عدم الأناقة؛ ولكن لأن مصاص الدماء هذا لم يكن راغبًا في التظاهر. كان يبدو مستعدًّا للتخلي عن التهذيب واعتناق الكائن القاسي المختبئ تحت ستار الأناقة، أو ربما كان ببساطة يشعر بالعطش ويرغب في بعض الدماء بعد رحلته الشاقة، فإذا كان هذا هو المبعوث، فما حال مصاصي الدماء الأقل دبلوماسية؟

لم يتحرك راث؛ لكن لم يكن هناك شك في أنه يمثل تهديدًا، خاصة إذا طال الصمت بشكل غير مريح، فلم يكن زوجي ليتصرف وفقًا لهواه مثل بليد، كان تجسيدًا للتخطيط المتأني والكفاءة الدقيقة. وحين يقرر التحرك، كان الآخرون يتقهقرون أو يموتون. وإذا استشاطوا غضبًا مما يفعله، كان ذلك في صالحه؛ لأن عواطفهم كانت تعزز خطيئته.

وأخيرًا صرف أميري انتباهه نحو الساحرة قبل أن يرد على ما أعلنه مصاص الدماء مسبقًا وقال: «هل ظننت أن إحضارها هنا هو أفضل سبيل للسلام؟».

«أنا ...».

رفع أمير الشياطين يده. بيد أن الطريقة التي قطع بها بليد حديثه بمجرد إشارة يد تجعل المرء يحسب أن راث يهدده بخنجر. وتابع راث: «أم أنها مجرد أداة إلهاء إضافية؟».

تردد بليد لحظة؛ لكن كان هذا كافيًا لمعرفة أن راث فاجأه على حين غرة، وقال: «لقد ظننا ...».

«ظننت أنك ستأتي هنا إلى مملكتي متظاهرًا بالسلمية كي تأخذ ما سعيت لأخذه طيلة الوقت»، ثم مال راث برأسه وأردف: «هل أنت بهذا الغباء فعلًا أم أنك بهذا اليأس؟ تعرف من أكون، وما أستطيع فعله. ربما هذا هو الغباء الممزوج بالغرور». وعندئذ وقف زوجي وأجبر غضبه

الهواء على التجمد، فغطى الجليد سلم المنصة. «وجرؤت على الوقوف هنا والكذب عليّ وجهًا لوجه، وظننت أنك ستنجح».

تقدمت سورسيا للأمام، محاولة العثور على شيء خبأته تحت كمها. لا شك أنه كان سلاحًا. وهاجت وهي تجذب خنجرًا وتقول: «إن زوجتك سوف...».

كان راث بالكاد ينظر ناحيتها؛ فقد جمدها في مكانها، تمامًا كما فعل بالمستذئبين الذين هاجمونا.

كانت رؤية ذئب متجمد شيئًا، ورؤية إنسان مغطى بكتلة جليد ضخمة شيئًا آخر. لقد فاجأها وهي على وشك الصراخ، فالتوى وجهها معبرًا عن ألم أو غضب. لم يسعدنا الحظ بأن تموت - فقد كانت من الخالدين حسب حكايات جدتي - لكن كانت على الأقل تحت السيطرة لبرهة؛ إذ تجمدت في بؤس.

لم أشعر بذرّة أسف من أجل سورسيا. لم يكن عليها تهديدي، فقد كان أقل ما فعلته بنا هو لعن راث وإبعادنا عن بعضنا البعض في الماضي.

وكأن راث كان يفكر في الشيء عينه، متذكرًا تلك الليلة التي سرقتني فيها اللعنة، فانخفضت الحرارة أكثر، واتخذت الغرفة صبغة زرقاء، وكأن الجدران نفسها تجمدت حتى النخاع. صار وجود جميع المشاعل والمدفأة الضخمة أمرًا منطقيًا الآن؛ إذ كان الهواء شديد البرودة والقسوة، وكان الموت يحوم مثل كلب يشتم فتات لحم ملقاة خارج متجر الجزار، فيما هدأت النيران قليلًا من تلك الأجواء القاسية. وهكذا تدفقت خطيئة راث بصورة مخيفة.

وقد لاحظ مصاص الدماء هذا الأمر، فرفع يديه مستسلمًا وقال: «لا أريد الحرب».

«نظرًا لأن نخبة قواتي سجنوا العديد من مصاصي الدماء في مخيم خارج دائرتي، والقليل منهم داخل قلعتي، فأنا أرى خلاف ذلك».

احتفظت بتعبيري المحايد؛ إذ لم أرغب في إظهار شعوري بالمفاجأة. فقد فهمت بشكل بديهي أن راث لم يجد وقتًا لمشاركتي ما نما إلى علمه؛ لكنني وددت لو ذكر شيئًا قبل وصولهما.

لم تَحُل الأرضية المغطاة بالجيلد دون هبوط راث الدرج ببطء كالوحش المتربص، وقال: «هل هناك ما تريد الاعتراف به؟ هذا هو وقته».

وهنا التمع التآمر في عينيّ بليد المجردتين من العاطفة وقال: «لقد أحضرت حماية. يعلم الجميع أن السفر في المملكة خطر، فهناك جان وأرواح ضالة».

وقف أمير الغضب على مسافة ذراع من مصاص الدماء، وعمَّ التوتر أرجاء غرفة العرش، ورحت أقاوم الرغبة في الوقوف بجانب زوجي، إذ كانت هذه معركته ودروه في التحرك.

بدا جنود الجان وكأنهم يشعرون بالالتزام نفسه - فربما كانت هذه هي الخطيئة التي تجمعهم جميعًا. كانوا بحاجة لإطلاق العنان لغضبهم والعصف بأي شخص وقح تسوِّل له نفسه الكذب على مليكهم. ونظرًا للطريقة التي أمال راث بها رأسه، خُيل إليَّ أن هذا ما فعله بليد.

كان غبيًّا، وكان سيندم على هذه الحركة. ولم أشعر بالأسف من أجله هو أيضًا.

«لقد صاحبك أكثر مخلوقات الأرض شرًّا. كم عدد مصاصي الدماء الذين احتجت إليهم لحمايتك؟». أدار نظره نحو الساحرة المتجمدة وسأل: «أنير؟».

فابتسم نائب راث ابتسامة بطيئة بغيضة بعد استدعاء الملك إياه، وأومأ مشيرًا لأنه قد آن أوان الكشف عما ناقشاه سابقًا. وباعتباره محاربًا قديمًا، كان أنير ينتظر تلك اللحظة، راجيًا أوانها. انحنى الإنسان، ثم ترك الغرفة، ونعل حذائه الطويل يضرب رخام الأرضية. وعندئذ أدار زوجي انتباهه إلى مصاص الدماء.

«هذه آخر فرصة يا بليد. أخبرني بالغرض الحقيقي من زيارتك، وستمضي سالمًا. وإن كذبت، فأعدك بأنك ستتألم».

بدا التحدي قويًّا في عيني مصاص الدماء وهو يقول: «أخبرتك بالفعل. لقد جئت لعقد تحالف معك لصالح أميري. وبعكس إلهة الموت، لا نريد أن ندمر هذه المملكة».

«حسنًا».

كانت نبرة زاث الهادئة خادعة بوضوح. لم تعد هناك رقاقات ثلجية تسقط ببطء من السماء في يوم صافٍ. فهمت حقيقة ما يعنيه هذا فرحت أقاوم رجفات الخوف. لم يكن الهدوء مطمئنًا، ولم يبشر بالسلام أو السكينة؛ بل كان نوعًا من السكون الملغم الذي جعل القشعريرة تسري في جلدي. كان سلوك راث البارد يهدف لخداع عدوه كي يشعر بأمان زائف، بينما كان الخطر الحقيقي يقترب.

كنّا في عين الإعصار، نتأرجح على هاوية تُنذر بأن الأسوأ آتٍ. ولم يكن لدى مصاص الدماء أية فكرة أنه تسبب في الانهيار الجليدي الذي سيبتلعه قريبًا.

بعد مرور بضع لحظات انفتح الباب ودخل أنير بخطوات سريعة متقدمًا سجينًا مقيدًا. كان الحراس يحيطون بفتاة صغيرة شقراء، وسيوفهم على أهبة الاستعداد.

أبقيت ملامحي خالية من المشاعر وهم يقتربون من المنصة؛ لكنني كنت أرقب بليد بطرف عيني، فقد ارتجف حين رأى الفتاة، ولاحظ راث ذلك أيضًا، فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه.

تنحى أنير جانبًا مُفسحًا المجال للمرأة المقيدة كي تقترب وقال: «السجينة يا صاحب الجلالة». وقبل أن تبتسم ابتسامة عريضة تكشف عن أنيابها، فضحتها عيناها الحمراوان. كانت مصاصة دماء. ورغم ارتدائها ثوبًا مصنوعًا من نسيج خشن، كشف ارتفاع ذقنها بصلف أنها إحدى عضوات البلاط رفيعات المكانة. تجاهلت المرأة بليد ووجهت

نظرها نحوي. وهنا بدا على ملامحها شيء شبيه بالانزعاج قبل أن يعود إليها تعبير الارتياح.

لم يعبأ راث بالمقدمات أو المجاملات وقال: «هذه إحدى مصاصات الدماء التي عثرت عليها قواتي في أراضي مملكة راث. أواثق يا بليد أنك لا تريد إخباري بأي شيء؟». جز مصاص الدماء على أسنانه، وهو يهز رأسه نافيًا. نظر راث إلى السجينة، وعيناه تشتعلان بالشرر، ثم أمر: «ألبسها التميمة».

وهنا رفع أنير قلادة غريبة: ياقوتة على شكل دمعة في حجم بيضة طائر صغير تتدلى من سلسلة ذهبية بدت وكأنها منسوجة من مادة عضوية. وهنا انتابني شعور قوي بالانزعاج. لم أرغب في الاقتراب من أي سحر يتصاعد من تلك التميمة.

«كلا». كانت المرأة إما جريئة أو غبية، وربما كانت تعرف أن أسوأ أقدارها ينتظرها في موطنها إذا خانت أميرها.

احتفظ بليد بهدوئه أثناء إمساك الحرس بها وإجبارها على الركوع. ووضع أنير القلادة حول جيدها، ثم تراجع على الفور. وهنا ظهر ستار لامع شفاف غطى جسدها كله، ثم ذاب في جلدها، ورحتُ أرقب ما يحدث وأنا مرتعبة. كان لون شعرها يتغير من الذهبي القمحي إلى البني الداكن، وتحول لون جلدها الباهت إلى لون برونزي، واتخذ وجهها شكل قلب مألوف لي. فوقفت وهززت رأسي قائلة: «أيَعقَل هذا؟».

نظرت مصاصة الدماء إليَّ، وعيناها يتراوح لمعانهما من اللون البني الدافئ إلى الوردي المذهَّب. وصار الوجه الذي يحدق فيَّ هو وجهي؛ بل صورة طبق الأصل مني!

سَرَت القشعريرة في جسدي. كنت أشعر بأنني أنظر في المرآة، لا بطريقة مألوفة باعتبار أن لدي أختًا توأمًا؛ بل بطريقة غريبة جعلتني أشعر بالضعف. لقد ظهرت كل التفاصيل بدءًا من أحدث وشوم زواجي «*إلى الأبد ملكك*» الذي دمجه راث في وشم ربطتنا.

ضغطت بيدي على صدري، فقلدت الحركة. كان الأمر مخيفًا، كان أحدهم يقلد حركاتي بعد أقل من ثانية من قيامي بها، فهبطت عيناي على التميمة، وإذا بي أتعرف على المادة المضوية: إنه شعري.

لقد حصل أحدهم بطريقة ما على خصلة من شعري وعمل بها سحرًا أسود. كان هذا مما درجت الجدة ماريا على تحذيرنا منه، وكان سبب إصرارها على حرقنا قصاصات أظفارنا وشعرنا. كنت أظنها تبالغ في حرصها وتؤمن بالخرافات. ومع ذلك فقد كانت مُحقة. لقد *استخدم* عدو ما ذلك ضدي؛ ولكن إذا كانت الجدة تخشانا، فلماذا تحمينا؟!

لم يكن لديَّ وقت لترتيب أفكاري. نظر راث إليَّ، وكان تعبير وجهه غامضًا، قال: «سليها عن طبيعة مهمتها».

وإذ فهمت ما قصده بالتحديد، أملت رأسي، وتمتمت تعويذة باللغة اللاتينية لانتزاع الحقيقة منها. كان لديها وقت كاف لتنظر إلى بليد نظرة قلقة – وهي تخشى النظر إلى وجهي – قبل أن تنطلق التعويذة وتسيطر عليها.

«لماذا أُرسلتِ إلى هنا؟».

وبعكس أختي التوأم، كانت إرادتها أضعف، فانهارت واعترفت قائلة: «لإغواء الملك».

فأشعل الغضب سحري، فاقتحمت عقلها، مطالبة بمزيد من الحقيقة وقلت: «وما الغرض؟».

سالت دمعة على وجنتها – أو وجنتي – وقالت: «لكي ألهيه».

«عن ماذا؟». كان صوتي منخفضًا، مخيفًا مفعمًا بالقوة.

«أخبريني عن تفاصيل مهمتكِ».

ابتلعت ريقها بصعوبة؛ إذ كانت الكلمات المحشورة في حنجرتها تحاول التحرر، وقالت: «كي أربكه، بينما تقوم سورسيا بتجريدك من قوتكِ وأخذكِ إلى مملكة مصاصي الدماء».

سألتها وأنا أنتفض غضبًا: «لماذا؟». ها قد تجرأوا على المجيء إلى هنا كي يفرقوا بيننا مجددًا.

«لا أدري! كان من المفترض أن ألهي الملك ريثما يتم خطفك».

وبحركة لم يكن أي إنسان فانٍ يرجو عملها، انتقل راث ليقف خلف مصاصة الدماء التي ترتدي وجهي. وكان تعبير وجهه هو الأكثر قسوة على الإطلاق.

كانت هذه هي العدالة في أوضح صورها. لم تكن لطيفة ولا رحيمة، لم تكن طيبة ولا شريرة، بل منصفة وقاسية مثل الطبيعة. أمسك راث رأسها وأداره، فكسر بصوت فرقعة مثير للغثيان، وبهذا لم يعد بوسعها أن تعيش لتُلقي أي سحر وهمي آخر؛ لكن راث لم يكن قد انتهى بعد، فبدلًا من ترك جسدها يهوي على الأرض، أدار راث رأسها بقوة حتى فصله عن كتفيها بيديه المجردتين.

شعرت بغصة في حلقي بينما يذوب وجهي، وتعود ملامح وجهها الأصلية. لم يكن هناك دم، رغم موتها المؤكد؛ لكن النهاية المفاجئة... وموتها المؤكد جعلاني أرتجف. تطلع بليد ببرود إلى المشهد، رغم أنني لاحظت أن إحدى يديه ملتوية على جانبه بعصبية.

قال راث إن لديه فرصة لترك المملكة سالمًا. وأثناء إطلاق سراح مصاص الدماء، لم يكن ليمضي دون أن يتكبد خسارة. لم يحدث الأمر بالشكل المتوقع. كان من ضروب غبائه أن يحاول خداع الشيطان.

أعطى زوجي الرأس المقطوعة لـ بليد وقال: «أعد هذه لأميرك. وإذا حاول سرقة زوجتي مستخدمًا الخدع الاستعراضية أو أية وسيلة أخرى، فسنقضي أنا ومليكتي على آخر مصاص دماء في المملكة».

قال راث: «كان عليه أن يتوخى مزيدًا من الحذر كي يحميها من أعدائها». وخطا فوق الجثة ليقترب من مبعوث مصاصي الدماء. كانت مناورة خفية لإثنائي عن أي انتقام مُزمَع. «لكنه أرسلها كي تلهيني بينما تستخدم أنت الساحرة كي تختطف زوجتي. هل ظننت أن هذا الوهم

سيُفلح، وأنني سوف أنخدع ببساطة بسحر دون المستوى كهذا؟ وهل كنت سأخلط بينها وبين زوجتي لثانية واحدة؟». اقترب منه الشيطان أكثر وأردف: «لقد رأيت لمحة ضئيلة مما تستطيع مليكتي عمله. فإذا لم أقتلك أولاً، فستفعل هي. والآن، اخرج من مملكتي، ولا تعُد إلا إذا قررت إشعال الحرب».



السادس عشر

قلت لرانش الذي شق طريقه إلى المطبخ دون أن يُحدث صوتًا: «لم أشأ أن أصدق أن فيتوريا كانت جادة بشأن مصاصي الدماء». كان النوم قد جفاني رغم اقتراب بزوغ الفجر. تابعت: «أو أنهم سيستخدمون معلوماتها لتدبير مكيدة أخرى».

عاودت تقطيع الأعشاب، بينما اتجه هو نحو صندوق الثلج. امتلأ الهواء برائحة البقدونس والشبت الطازج. كانت الرائحة طيبة ومستحبة بعد تلك السويعات الرهيبة. كانت أختي والجدة ماريا في مملكة الظلال، وكان مصاصو الدماء هناك أيضًا.

لقد كانت إحدى تلك الليالي المستنزِفة للمشاعر، فرغم شدة الإرهاق البدني الذي كنت أشعر به، جفاني النوم. كان الكثير من الأفكار والمخاوف تتزاحم في عقلي. وكلما ظننت أنني بدأت أميط اللثام عن كل ذلك الغموض، وجدت خيوطًا أخرى تُضاف وتزيد الأمور تعقيدًا. فما زالت جريمة القتل أو تلفيق مقتل فيستا لغزًا يجب حله، بالإضافة لكسر لعنتي، وإقامة مراسم زواجنا الرسمية كي نصدق على عهودنا.

لم يذكر راث تلك المراسم أو يصر عليها، حتى بعد محاولة مصاصي الدماء التفريق بيننا. ظننت أنه إذا أتممنا الرابطة فستنتهي محاولات خطفي. لا شك أن راث فكر في ذلك؛ لكن لم تُجرَ أي ترتيبات. أردت أن أصدق كون السبب في ذلك هو إتاحة الفرصة لي كي أستكمل التحقيق حول مقتل فيستا دون أن أصبح عضوًا رسميًا في بلاط راث؛ لكن الشك تسلل إلى قلبي.

رحت أفكر فيما قالته أختي عن عدم قدرة راث على منحي قلبه، فإذا كانت لعنته هي فقدان كل ما يحبه وما زلت هنا ...

شعرت بغصة في حلقي، ورحت أقطع الأعشاب بقوة أكبر من المطلوب. كان يجب أن أرتب أهدافي، بحيث يحتل غضبي بشأن راث المرتبة الأخيرة. فما كنت بحاجة للتركيز عليه في المقام الأول هو إيجاد أدلة على أن فيستا على قيد الحياة. يلي ذلك أن أجد طريقة لإنقاذ فيتوريا من الانتقام الدموي، ثم فك تعويذة الربط.

سألني الشيطان بدهشة، وهو يرقب سكيني الذي يضرب لوحة التقطيع دون هوادة: «هل أنتِ بخير؟ هل كل هذا بسبب الساحرة الأولى؟».

هززت كتفي دون أن أعلق، فبعد اقتياد بليد خارج القلعة، أمر راث بأخذ سورسيا إلى غرفة سفلية تبقى فيها في حالة تجمد، بينما تسللت أنا إلى المطبخ. كنت بحاجة لابتكار أو عمل شيء مألوف يهدئني ويذكرني بأنني لست مجرد إلهة مربوطة بتعويذة، وأختها التوأم تقتل أعضاء مملكة الشياطين أو تطلق سراحهم، إلهة قد تكون أسرتها هي الشرير الحقيقي في هذه القصة الخيالية المرعبة، وزوجها ربما لا يحبها حبًا حقيقيًا بلا قيود، وقائمة أعدائها ومشكلاتها تزداد يومًا بعد يوم.

خشيت أن تزداد الأمور سوءًا أكثر من ذلك.

«ما الذي تعتقد أن أميرهم أراده مني؟».

«جرعة؟».

وهنـا التفـتُّ نحوه بسـرعة. في البدايـة ظننته يقصـد أن مصاص الدمـاء أراد شـرب دمـي. كان راث يبتسـم رافعًـا زجاجـة نبيـذ تـوت شـيطاني، فأومـأت، فصـب لـي كأسًـا، ثـم تنـاول زجاجـة المشـروب القرمزي الذي يفضله، وصب لنفسه أكثر من اللازم.

تناوله في رشفات ثم اتكأ على الطاولة، وهو يرقبني بصمت وانبهار بينما أغسل حبوب الفاصوليا. وبدت عليه الدهشة حين بدأت أهرسها فـي إناء حتى صارت ناعمـة. لم أكن متأكدة مما كنت أعده؛ لكن كانت لدي فكرة عن المذاق الذي كنت أرجو أن يكتسبه المعجون، وكنت آمل أن يكون لذيذًا!

فقـال: «ردًّا على سـؤالكِ، أشـك أنه يريدك من أجـل قوتكِ، نظرًا لحالة الفوضى السـائدة في بلاطه. يسـتطيع أمراء مصاصي الدماء إخضـاع النـاس لهم. كل ما كان علـى الأمير عمله هـو إعطاؤك قليلًا مـن دمـه. حينئذ كنـتِ ستفعلين أي شـيء لإرضائه؛ رغبة في شـرب المزيد».

شـطرت فصـيّ ثوم كبيرين، ثم بشـرت ليمونة قبـل أن أقطعها إلى أرباع كي أعصرها على الفاصوليا المهروسة.

«كان بإمكانهم قبول التحالف مع فيتوريا. لقد ذكر أخوك أنها سعت إليهم أيضًا، كما أنها اسـتعادت قوتها بالكامل، فيما أنا لا أزال ساحرة ظـلال. كانـوا يعلمون أن هذا سـيغضبك، لهذا كانـت مجازفة كبيرة لا طاقـة لهـم بها. لا أرى أي جدوى فيما حاولـوا تحقيقه، في الوقت الذي كان هناك من يرغب في مساندتهم».

«إن أختـك تحكم الموت، وهم موتى أحياء. وقد تسـول لها أهواؤها أن تقـرر التوقـف عـن اللعب معهـم، فينتهي كل شـيء. كان خطفك هو أفضـل الخيـارات. ورغـم المجازفـة كان خطفـك سـيحل العديـد مـن

مشكلاتهم، هذا إن قُدر لمحاولتهم النجاح. كذلك، فأنتِ لا تملكين كامل قوتكِ، ما كان سيجعلكِ أسهل استغلالًا، بالنسبة لأميرهم. كانت خطة محكمة؛ لكنهم لم يضعوا في الحسبان شيئًا واحدًا».

«ما هو؟».

«أنتِ غير قابلة للنسخ».

نظرت إليه بتهكم وقلت: «لكنني لي توأم».

رفع راث كتفًا وقال: «ليس هذا مهمًا، فدائمًا ما أتمكن من تمييزك، في الماضي والآن وإلى الأبد. فروحك تناجي روحي. هذا يشبه شعور السلام والعودة إلى الوطن، وما من سحر يستطيع نسخه». وللحظة، نسيت كيف أتنفس. رحنا ننظر في عينيّ بعضنا البعض، ثم ابتسم راث ابتسامة صعبة التفسير وقال: «كذلك، لا أحد يستطيع النظر إليَّ بهذا المزيج من العنفوان والرغبة، كما تفعلين».

فابتسمت وهززت رأسي بهدوء وقلت: «حسنًا، ستظهر الحقيقة، على أية حال».

حين كان راث يتحدث، كان من الصعب أن أصدق أنه لا يحبني.

سألته وأنا أضع سكيني: «كيف لا أزال هنا بعد ما حدث؟ إن لعنتك...».

تجرع شربة أخرى من كأسه، ثم أحاطني بذراعه وجذبني نحوه قائلًا: «إذا لم تمانعي، أفضّل ألا أتحدث عن هذا الأمر، الليلة»، ثم قبلني برقّة على وجنتي، وأردف: «أعدكِ بأننا سنتحدث عنه لاحقًا. أما الآن فلا».

دققت في ملامحه، لأجد فكه مشدودًا، وعينيه أكثر اتقادًا. بدا الشيطان كأنه بحاجة إلى استراحة بعد تلك الساعات الرهيبة؛ لذا كان من الممكن إرجاء حوارنا.

ابتسمت وقلت: «حسنًا»، ثم عاودت التركيز على الطعام. فانتقل إلى الجانب الآخر من المطبخ ليعطيني مزيدًا من المساحة كي أعمل؛ لكنني سألته: «ما رأيك فيما قاله بليد عن رفيقة فيتوريا غير العادية؟».

«مارسيللا؟».

«نعم». بدأت رش قشر الليمون على الفاصوليا، ثم أضفت الأعشاب، وقليلًا من زيت الزيتون، وملعقتين كبيرتين من الماء الدافئ، ثم أضفت الملح وبعض الفلفل الطازج المطحون. كان طهاة راث يحتفظون برقاقات الفلفل الأحمر في حجرة المؤن، فأضفت حفنة كبيرة منها، وقلبت الخليط جيدًا، وزينته بما تبقى من أعشاب طازجة، ورقاقات الفلفل، ومزيد من زيت الزيتون.

«أتساءل عما إذا كانت فيستا قد اتخذت هوية جديدة، أو استعادت اسمها الحقيقي، إن كانت هي الشيطان المستذئب الذي تحدث عنه».

«قد يفسر هذا وجود الدماء».

«وقد يفسر أيضًا سبب عدم هروب فيستا إلى مملكة الظلال، فإذا كانت شيطانًا ومستذئبًا في آن واحد، لكان من المحتمل أن تتنقل هناك وحدها مثل بقية الذئاب، أليس كذلك؟».

«أظن ذلك. يمكنني التنقل هناك؛ لأنني الملك؛ لكن الجان الأقل شأنًا لا يستطيعون. فإذا كنت فيستا نصف شيطان، أظن أن ذلك سيحول دون تنقلها هناك بمفردها. من الذي كان يرافق أختك حين كنتما تدخلان مملكة الظلال؟».

«دومينيكو فقط».

«قائد القطيع». وهنا أخرج راث الخبز المحمص من الفرن ووضعه على طبق تقديم. ودون حاجة للتوجيه، راح يفرد معجون الفاصوليا البيضاء الممزوج بالأعشاب، على قطعة خبز وأعطاني إياها، ثم أعد واحدة لنفسه، وقضم قطعة وأغمض عينيه وقال: «إنه لذيذ».

رحت آخذ لقيمات من قطعتي وأتنهد بسعادة. كنت أجرب لكن ها قد حققت النتائج المرجوة. كان المعجون طريًا لذيذًا ومغذيًا بعد تلك الليلة الطويلة. راقتني بساطته وكيف كان كل مكون فيه يكمل الآخر.

أخذت قضمة أخرى، وأنا أسرح بعقلي في إمكانية عمل أشياء أخرى. قلت: «إنه جيد كغموس، لكنني أود أن أجربه مع الدجاج المشوي، والسلطة الخضراء المغطاة بالصلصة، وربما مع الفلفل الأحمر المشوي. يمكن تحويله إلى وجبة رائعة».

قال رات متلذذًا: «مممم».

ثم راح يرتشف شرابه. وبعد أن انتهى من قطعة الخبز، أعد واحدة أخرى. سادت السكينة الأجواء. بدا كأنه يسترخي مع كل قضمة، ويستريح تدريجيًا من بعض التوتر الذي أثقل كاهله منذ أن استيقظت بعد عودتي من مملكة الظلال ومجيء مصاصي الدماء.

قال رات: «أظن نظريتك عن عدم موت فيستا صحيحة. لا أدري إن كان جريد مدركًا لهذا أم لا. أميل إلى كونه صدق الخدعة؛ ربما أرسل الجمجمة لنفسه، أو لعله طلب من أحد حراسه المقربين توفير أدلة لإدانة أختك. وبهذه الطريقة لن يضطر لأن يكذب بشأن الجمجمة».

«لهذا نحتاج للعثور على فيستا، أو جعل أختي تعترف بأي دور لها في هروب فيستا».

«إذا كانت أختك قامت بتهريبها بالفعل، فيجب أن تخبرني بشكل مباشر. سأشعر لو كذبت وآخذ الدليل لجريد».

كان هذا كفيلًا بمحو انتقام الدم الذي ألقي على كاهله، وإنقاذ أختي من أي أمير آخر. لم تكن مسألة جعل أختي تعترف سهلة؛ لكن عليَّ أن أحاول.

بعد أن شبعنا، وقفنا في صمت، وكل منّا يمسك كأسه. راح راث يدير كأسه ويحدق فيها، وهو مستغرق في التفكير، ثم قال: «موضوع الطهو هذا جديد».

فوجئت باعترافه حتى إنني كدت أختنق من رشفة النبيذ. سألته: «ماذا؟».

رد، وهو يلتفت إليَّ، قائلًا: «لم تهتمي بالطهو قبل تعويذة الربط. تبدين هادئة وأنت تبتكرين. لقد ارتكبت أسرتك البشرية الكثير من الأخطاء؛ لكن رغبتي في قتلهم تقل حين أراكِ تنظرين إلى الثوم المشوي وكأنه أكثر شيء مدهش في الكون».

«هذا بعدك بطبيعة الحال».

«هذا غني عن البيان». كان راث قد تقدم نحوي بهدوء. وكان قلبي يخفق مع كل خطوة محسوبة يخطوها، ثم راح انتباهه يتجه نحو شفتيَّ وقال: «وكيف أنظر *إليكِ* الآن يا سيدتي؟».

بدا تعبير الرغبة الجامحة يكسو وجهه. ولم يكن هناك أدنى شك في *أنني* سأصبح طبقه الرئيس. فوضعت كأسي، وتسارعت أنفاسي وأنا أترقب اقترابه. كانت عيناه الماكرتان تلمعان دون أن يفوت شيئًا من رد فعلي إزاءه.

«لا يبدو أنك تكرهني أيها الشيطان».

«إن الكراهية هي آخر ما أشعر به حين أنظر إليكِ».

كنت أريد أن يعترف بحبه، وقد بدا كأنه يريد ذلك أيضًا. كنت شبه واثقة بأنه على وشك النطق بأثمن الكلمات؛ لكنه دفعني نحو سطح المنضدة وقبلني بقوة.

شبك إحدى يديه بشعري المحلول، ولف ذراعه نحو خصري وضمني بقوة إلى جسده القوي. كانت كل قبلة تثير داخلي إحساسًا جديدًا وتجعلني أميل نحوه طالبة المزيد.

كيف يستطيع التقبيل بكل تلك العاطفة، بكل ذلك العنفوان، فيسرق أنفاسي ويردها؟ أقسم بأنه لم يستطع تقدير شدة خفقان قلبي ولا ترنح ركبتيّ، وكيف أنني لم أرد أن يزول عني هذا الشعور، لأنه راح يقبلني بمزيد من القوة، محلقًا بي في سماوات النشوة.

«أنتِ بارعة الجمال يا إيميليا».

وبينما نحن على هذه الحال طرق أحدهم الباب، فابتعد عني قليلًا وبدأ يسب:

«سأقتل كل المملكة وأمثل بجميع أعضاء بلاطي إذا أزعجنا أحدهم مجددًا. أرجو ألا تمانعي في حكم مملكة خاوية».

تطلعت نحوه بنظرة ماكرة وأنا أقول: «لعلهم يرحلون من تلقاء أنفسهم». أيتها الإلهة، كم كنت أرغب في التقرب منه!

فابتسم ورفع ذقني، وراح يتحسس شفتي السفلى وقال: «ربما». قبلني راث قبلة طويلة مجددًا. لكن صوت طرقة أخرى عنيفة أبعدنا تمامًا عن بعضنا. رفع راث بصره إلى السقف في سخط. ورحت أتساءل عما إذا كان يمزح بشأن مسألة قتل أعضاء البلاط بأسره أم لا بينما يقول بانفعال: «سأتخلص منهم جميعًا».

وفي ثوان كان راث قد عبر المطبخ وفتح الباب بعنف. اقتحم لاست المكان وهو يبتسم؛ إذ لاحظ هيئتنا وكيف كنا مشغولين بتبادل العاطفة.

ضرب ظهر أخيه بمرح وقال: «في المطبخ يا راث؟ قد ينتهي بك الأمر في مملكة خطيئتي، أيها الشهواني المنحرف».

زمجر راث بضيق وسأله: «لماذا أتيت دون دعوة؟ هل يتعين عليّ أن أطعنك الآن؟».

أمسك لاست ثمرة أجاص كانت في إناء التقديم، في الهواء، ثم مسحها في سترته قبل أن يقول: «أنت أحمق»، ثم راح يتفحص الثمرة

ويقـول: «لقد دعوتنا للمجيء إلى الحلبـة عند الفجر. لقد أتى الجميع، ويوشك أول نزال على البدء. الجميع ينتظرونك».

سألت وأنا أتطلع إليهما: «الحلبة؟ أتعني حلبة ملاكمة؟».

أجـاب لاسـت: «إنهـا أسـطورية وحصريـة، أفضـل حلبـة قتـال في الدوائـر السـبع. قلمـا يسـمح لنـا هـذا الوغد بالحضـور والمشـاهدة». ثـم أخـذ قضمة مـن الثمـرة، وعينـاه الرماديتـان تلمعان أمـام نظرتي الحائرة. وأردف: «يوفر زوجك لبلاطه طريقة لإطلاق العنان لخطيئته المختـارة، متيحًـا في الوقت نفسـه فرصـة الخلاص لـلأرواح الفانية، رغم أنني أجد هذه الجزئية مملة».

«وهل سيبدأ قتال قريبًا؟».

أومأ لاست وقال: «من الفجر إلى الغسق».

كان مجرد التفكير في التواجد بأي مكان لهذا الوقت الطويل يجعل ركبتـيَّ توهنـان. لم يفوت راث ذلك. وفـي لحظة وجدته واقفًا بجواري، فقبلني وقال: «سأعود بأقصى سرعة. استريحي».

ضحك لاسـت وانتهى من التهام الثمرة قبل أن يقول: «أرى من تلك النظرة أنكِ ستحتاجين إلى الراحة».



جافاني النوم بعد ذهاب راث ولاست، فقررت بدء عملية بحث صغيرة. فإلى أن أرى أختي مجددًا، لم يكن هنـاك سوى القليل لأعمله كي أعرف أي شـيء حول اختفـاء فيسـتا، فقررت تتبع أهم الأهداف المدرجة على قائمتي: كسر تعويذة الربط.

فبفضـل تعليـق دومينيكـو السـاحر حـول انشـغال أمي بأمـور أهم، علمـت أنهـا لن تكون هنـاك؛ لكنني ذهبت إلى برج سيليسـتيا، على أية

حال. فإذا كان هناك مَن يمتلك أي نصوص أو ملاحظات عن تعاويذ الربط، فهي أم اللعنات والسموم.

لا بد أن هناك طريقة لفك التعويذة دون التضحية بقلبي. رفضت تصديق أن اقتلاعه كان الخيار الوحيد لدى فيتوريا. فإذا استطعتُ كسر التعويذة بنفسي، فستقل همومي بعض الشيء، ومن ثم ستقل الأسباب التي تدعو الآخرين للتفريق بيني وبين راث.

طرقت الباب الخشبي بهدوء وأنا أقول: «هل أنتِ بالداخل؟ سيليستيا؟». وانتظرت لحظات قبل أن أستخدم المقبض. أدرته بسهولة، وانفتح الباب على غرفة معتمة خالية. كان ضوء ضعيف يدخل من النوافذ بأعلى البرج الذي صار صامتًا بعد انقضاء آخر عاصفة ممطرة. فدلفت لأجد بعض الشموع والقناديل، ثم وضعتها على الطاولة المكومة عليها حزم من الأعشاب وسلال من النباتات الجافة، وبدأت أتطلع حولي في الغرفة المستديرة.

لم تتغير الغرفة عن آخر مرة رأيتها فيها. كانت هناك جمجمة على رف المستوقد منقوشة عليها رموز غامضة، وجرار زجاجية مختلفة مملوءة بمواد حية تتقُر جوانبها، ومنحوتات، وأعشاب، وتوابل، وتويجات مجففة، وسوائل متعددة الألوان، ومراجل، وقوارير تبخير غير معلومة الأصل. بعد أن جمعت كومة جيدة، جذبت أحد المقاعد الخشبية إلى الخارج وجلست. قلت لنفسي إن أمي تحتفظ بملاحظات دقيقة حول العلاجات المختلفة ... وللحظة وجدت من الغريب أن أفكر في سيليستيا بهذا الشكل! ثم أعدت تركيزي على المهمة الحالية فرحت أقلب صفحات كتاب التعاويذ الذي يحوي رسومات للنباتات والكميات المطلوبة لمزج مقويات مثالية. كانت هناك سموم ومقويات للحب، وعلاجات لأوجاع القلب والمعدة والرأس، ووصفات للعن العدو بالبثور أو الجدري أو الطفح الجلدي الذي يأكل اللحم!

لفتت نظري وصفة فتمهلت لأقرأها. كانت جرعة سحرية للنسيان.

وصفة النسيان



- ثلاث شموع مصنوعة من شمع العسل.



- إناء خشبي مصنوع من شجيرة من غابة بلهدوود.
- ملء كأس من ماء النهر عند بداية الهلال الجديد.



- حفنة من رماد القبور.



- حجر قمر أسود.



- حفنة من زهور الزعرور.



- ملعقة صغيرة من عشبة القليسا المحمصة



- غصن من إكليل الجبل.



- قطعة قماش من الشخص الذي تتمنى نسيانه.

اخلط المليسا المجففة، وإكليل الجبل، وزهور الزعرور
معًا مع نصف ماء النهر. ضع الخليط ليغلي ببطء، وقم بنقعه.
أضف بقية ماء النهر إلى الإناء الخشبي، وأضئ الشموع
وضع حجر القمر الأسود في الإناء في جهة الشمال. رش
الرماد فوق الحجر. نظف الحجر مستخدمًا قطعة قماش
الشخص الذي تبغي نسيانه وكرر ما يلي:

أرسلي الذكريات إلى القمر أيتها الأرض، ويا أيتها النار
احرقيها ثلاث مرات.

أيتها المياه حرري مشاعري الحبيسة.

اشرب هذا المشروب دفعة واحدة، واعترف بالرحيل
على أيتها الذكريات.

تشرب المشروب دفعة واحدة، ويوضع الحجر تحت
المخدة كي ينسى الشخص حتى اكتمال القمر التالي.

أيتها الإلهة! خشيت لوهلة أن تكون هذه هي التعويذة التي استخدمتها الجدة معنا؛ لكننا كنا نجمع رماد القبور كي نبارك تمائمنا فقط. لم يحدث أن نظفنا أحجارًا ووضعناها تحت مخداتنا ونمنا فوقها. ومع ذلك فقد تذكرت أنني رحت أسخر من صديقتي كلوديا ذات مرة حين اعترفت بعمل شيء مشابه بعد أن رفضها حبيبها.

كانت تلك إحدى تعاويذها البسيطة. فقلبت صفحة تلو الأخرى من الملاحظات الخاصة باستخدام السحر الأقوى. كانت سيليستيا تمتلك دواء لأي داء أو تعويذة.

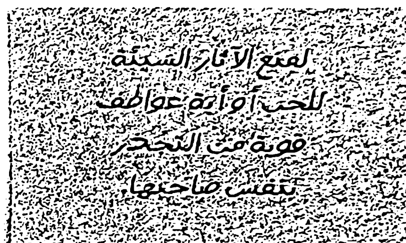
كان ابتكارها تلك الأشياء مذهلًا بحق؛ بل دُهشت أكثر لإدراكي أنني وفيتوريا ورثنا عنها أشياء بشكل ما حين كنا «فانيتين»: كانت أختي تهوى تجربة بعض العطور والخلطات، وكنت أهوى ابتكار أشياء في المطبخ. وبتنحية هذه المعرفة المزعجة جانبًا، جذبت دفترًا آخر ورحت أقلب فيه لأجد معلومات متكررة.

لم تكن هناك ملاحظات عن تعاويذ الربط، ولم تكن هناك أكاسير تعالج ما يؤرقني. كنت أرجو أن أجد شيئًا؛ لكنني لم أجد ما توقعته.

إذا كانت تعاويذ الربط سهلة الفك، لم تكن ستصبح بهذه الفاعلية. كما أن راث يعلم أنني مقيدة بتعويذة ربط، وكان هناك احتمال أن يكون قد كلف سيليستيا بعمل علاج إن لم تكن هي نفسها جربت صنع علاج. ومهما كان ما قالته فيتوريا عن أمنا وانصياعها لأهوائها، لم أظن أنها كانت ستترك الساحرات يقتلن بنتيها دون أن تحاول إنقاذنا. وأثناء تقليبي صفحات كتاب تعاويذ آخر، توصلت لصيغة غريبة ذات اسم مخيف. كان اسمها القلب الدامي.

مررت أصبعي فوق القارورة المرسومة ذات السائل القرمزي الباهت الذي رسمته الأم في الصفحة المقابلة، وراح خفقان قلبي يتسارع وأنا أتأمل تلك الصيغة المألوفة. كان راث يمتلك قنينة كاملة مملوءة بسائل مشابه؛ بل قد أخذت منه عينة حين تسللت إلى مكتبته في المرة الأولى.

لا يمكن أن يكون هو السائل عينه؛ لكنني حبست أنفاسي. بدا الأمر كأنني أطلع على سر أراد أن يخفيه بكل تأكيد؛ لكن كان يجب أن أعرف ماذا كان يشرب، ولماذا، وهنا سقط انتباهي على الوصفة السحرية، وبعكس تعويذة الذاكرة، كانت هذه مجرد قائمة مكونات بسيطة وطريقة استخدامها. فقرأتها على نفسي بصوت مرتفع.



قرأت الملحوظة المكتوبة باليد مجددًا، مستوضحة غرضها الوحيد. لا بد أنني مخطئة.

كانت نباتات القلب الدامي سامة للبشر الفانين؛ لكن راث لم يكن فانيًا. قرأت المكونات، وأمعائي تتلوى. تويجات القلب الدامي، وحبوب الفانيليا، وقطرة من زيت اللافندر، وبشر البرتقال المجفف بنيران التنانين تُصفى تحت ضوء البدر. كان جميع ما تعرفت عليه من نكهات تقريبًا في شراب اللافندر الكحولي. كان الشراب نفسه الذي راح راث يصبه لنفسه، في تلك الليلة المفعمة بالعواطف الملتهبة.

«أيتها الإلهة!»

بهذه الطريقة، لم تكن اللعنة لتضرب مجددًا. كان راث يخدر عواطفه بطريقة سحرية؛ إذ لم يرغب في الوقوع بالحب كي لا نفترق مجددًا.

غمرني مزيج من الفهم والرعب في آن واحد. تذكرت الليلة التي رأيته يشربه فيها. كنّا قد عدنا للتو من عند الأم بعد أن استحممنا في بحيرة المياه الضحلة.

كان يُبدي عواطف جياشة أكثر مما ينبغي. لقد لاحظت هذا حين طلبت منه الجلوس وعدم إثارة أعصابي، ثم سكب كأسًا آخر رفضت أن أحتسيه، واستعاد بروده بعد فترة قصيرة.

لقد تعرض لضغط شديد، في تلك الليلة، وكان غاضبًا بل على وشك الانفجار بعد انتزاعي حقيقة مهمة مصاصي الدماء؛ لكنه هدأ بعد احتساء الشراب. لقد أخطأت الظن حين أرجعتُ هذا الهدوء إلى القيمة الغذائية للطعام. ها قد علمت أنه لم يكن شرابًا كحوليًا أو وجبة خفيفة؛ بل مقويًا، بشكل جزئي على الأقل.

همست إلى الغرفة الخالية: «ماذا فعلتِ؟». تهدل كتفاي وأنا أحدق في المكونات. لو لم يكن راث اكتشف طريقة لكبح عواطفه بتلك القوة، كنت سأنتزع منه مجددًا. كنت أعرف أنه فعل ذلك من أجلنا، إذ كان هذا منطقيًا؛ لكن قلبي كان يتألم؛ إذ عرفت أن زوجي لم يسمح لنفسه بأن يحبني؛ بل إن الأمر بلغ به أن يمنع نفسه من ذلك بواسطة السحر.

دخلت فاونا فجأة مرتدية ثوب النوم القرمزي الذي ذكّرني بالقلب الممزق، وقالت: «إيميليا؟»، ثم توقفت كي تستوعب تعبير وجهي وتسألني: «ما خَطْبك؟».

نظرت إلى التعويذة مجددًا، لأتيح الفرصة لغضبي أن يحل محل حزني. لم أكن غاضبة من راث؛ بل من ظروفنا، ومن الناس المغموسين في الكراهية، الذين كانوا يريدون إخماد نار حبنا. تطلعت إلى فاونا ويداي تتكوران صانعتين قبضتين مشدودتين.

«أريد وضع حد لهذه اللعنة إلى الأبد. أريد كسر تعويذة الربط، واستعادة مملكتي بالكامل».

فانفرجت أسارير صديقتي بابتسامة رائقة ومتوحشة في الوقت نفسه وقالت: «لنبدأ العمل إذن».

السابع عشر

«**يجب أن نعمل** على كل لعنة على حدة». مرّرت بعض دفاتر الوصفات إلى فاونا التي كانت قد سحبت مقعدًا وجلست بجواري، وأعطيتها موجزًا عما توصلت إليه، فبدا العبوس والإصرار على ملامحها. عندئذ قلت: «لا تعد تعويذة الربط لعنة حقيقية؛ لكنني أود أن أرى ما نستطيع التوصل إليه حيال ذلك. هل هناك خيارات عن كيفية كسرها؟ هل هي قابلة للكسر دون اقتلاع القلب؟ وما التبعات المحتملة؟».

فقالت فاونا، وهي تقلّب في كتاب تعاويذ ضخم: «حسنًا، وماذا عن لعنة جلالته؟».

«إنها أولوية. ما معلوماتكِ عنها؟».

«لقد ألقتها سورسيا بعد أن قدمت قربان دم لإلهة».

لفت هذا انتباهي فسألتها: «أتعرفين أية واحدة؟».

هزت صديقتي رأسها نافية وأجابت: «حاول جلالته معرفة ذلك؛ لكنه لا يتذكر سوى إلقائها تعويذة بدم مسكوب».

كان السحر المظلم يحتاج لقرابين: لدماء وعظام، لكل ما حذرتنا الجدة ماريا منه، ومع ذلك كان هناك شيء غير منطقي... «لماذا تحتاج إلهة لقربان دم؟».

تراجعت فاونا، والدهشة بادية عليها، وقالت: «لأن هذا ما اعتادت الساحرات فعله».

وكان الدرس الذي تعلمته حتى الآن هو عدم الثقة بالساحرات.

سألتها وأنا أدبر خطة: «هل تودين اختبار نظرية معينة؟».

فالتمعت عيناها بالإثارة وقالت: «هل ستحتاج إلى دماء؟». فأومأت. ابتسمت ابتسامة عريضة وأخرجت خنجرًا رفيعًا كانت تخفيه تحت تنورتها. كنت أنسى في بعض الأحيان أن خطيئتها متوافقة مع خطيئة راث، وأن إراقة الدماء تنعش روحها. سألتني: «لمن أقدم القربان؟».

«لإلهة الغضب».

لم تتردد فاونا مدفوعة برغبتها في تقديم المساعدة، فوخزت أصبعها وأنزلت بضع قطرات من الدم فوق شمعة، وراح القربان يرسل دخانه فوق اللهيب المرتعش. «أدعو إلهة الغضب للحضور».

ثم جلسنا في صمت وترقب، وأنا أنتظر استشعار أية إشارة لحضور السحر، سواء أكانت جذبة أم هزة سحرية؛ استجابة للدعوة. بدا الضيق على فاونا وهي تنظر إليَّ وسألت: «ما من شيء؟».

أغلقت عينيَّ للحظة وحاولت استحضار *أي شيء*، وبعد لحظات قلت «كلا».

فأضافت قطرة دم أخرى وكررت صلاتها. أغلقت عينيَّ، وركزت بقوة لمدة دقيقة، ثم دقيقتين. لم يكن هناك دافع لإجابة دعوتها. شعرت كما كنت أشعر دائمًا. كانت شكوكي في محلها.

رحت أفكر في أمي الساحرة العجوز حين كان يستدعيها أي مخلوق أو كائن يسكب دمًا ويأمرها بالحضور. كان الأمر مضحكًا. كان الدم يُستخدم لاستدعاء شيطان؛ لكن بالاقتران مع أغراض أخرى يكون معظمها خاصًا بكل أمير شيطان، بالإضافة لتعويذة بعينها.

وقالت فاونا بتردد: «قد يُعزى هذا إلى عدم استعادتك بالكامل، أو ربما لأن القربان ليس كبيرًا بما يكفي».

هززت رأسي وقلت: «قبل أن تشرعي في التضحية بشيء أكبر، أود اختباره على أختي، فقد استُعيدت بالكامل، ولا بد أن تستجيب للدعوة إذا كان سحر قربان الدم يعمل بالفعل مع الإلهات».

وهنا بدت الدهشة الكبيرة على فاونا وقالت: «إذا علم صاحب الجلالة بهذا...».

فقلت حين وجدتها مترددة: «سأتحمل المسئولية كاملة. حاولي، أرجوكِ».

«أرجو ألا نندم على هذا لاحقًا»، ثم تنهدت بعمق ووخزت طرف أصبعها بالنصل بعمق وأردفت: « أدعو إلهة الموت لأن تحضر».

تسلل التوتر إلى الحجرة وجعل الهواء يبرد فجأة، وراحت الظلال التي تلقيها الشموع والقناديل ترتجف بشكل أكثر رعبًا. ربما كانت إلهة الموت متربصة، وربما كنت أرجو هذا في مخيلتي. انتظرنا بأنفاس محبوسة، ومضت لحظة تلو الأخرى يشوبها التوتر. لم تحضر فيتوريا. ولحسن الحظ لم يأتِ راث ليفض جلسة استدعاء الإلهة.

زفرت وقلت: «سأجرب مستخدمة دمي».

ووخزت أصبعي بالخنجر. وبدلًا من جعل قطرة دم تقطر في اللهب، وقفت ورفعت يدي فوق الجمجمة وقلت: «أدعو إلهة الموت للمثول أمامنا».

ظن بعض مني أن الرياح بدأت تهب بقوة في الخارج، وأن العناصر تتفاعل بطريقة هائلة لتلبية الطلب السحري؛ لكنني كنت أعلم في قرارة نفسي أن شيئًا لم يتغير، فلم يكن دمي نصف الإلهي كافيًا لاستدعاء إلهة كاملة، وكان هذا يعني أن الساحرات إما عرفن هذا وكُنَّ يضللن أعداءهن عن عمد، أو أنهن أنفسهن قد ضُلّلن.

«أحتاج للعودة إلى مملكة الظلال». وهنا التفتّ إلى فاونا التي كانت قابعة على حافة المقعد، وأردفت: «سوف أسأل أختي عما تعرفه عن التعاويذ الملقاة بالدم».

وبعدها سأجد سبيلًا لإلقاء تعويذة حقيقية أخرى عليها وأعرف ما تُخبئه من أسرار، ولا سيما ما تعرفه عن مكان أحد القادة.



استغرق بحثي في كتب التعاويذ وقتًا أكثر مما وددت قضاءه، ونجحت فاونا في إقناعي بأخذ فترة استراحة لزيارة الحلبة ومشاهدة إحدى جولات المصارعة؛ لكن في النهاية، عثرنا على التعزيم اللازم لاستدعاء مستذئب.

جمعنا كل المكونات، ثم راحت فاونا تراقب بهدوء تحضيري إياه وبدء الاستدعاء.

داخل دائرة الملح، ألقيت بعض الأعشاب السامة (خانق الذئب) ناحية الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، ثم همست بالتعويذة. وبعكس استدعائي راث، كانت نتائج هذه الدائرة شبه لحظية.

ظهر دومينيكو في انفجار سحري مدوٍّ كاد يطرحني إلى الخلف. وراح يطوف حولي، وهو يستوعب غرفة البرج بعينين لامعتين، وكذلك دائرة الملح وصديقتي الشيطانة التي لوحت له بابتسامة، ثم التفت نحوي وأخرج مخالبه.

«سوف تندمين على هذا، يا ساحرة الظلال».

«إذا حصلتُ على عملة في كل مرة أسمع فيها هذه الكلمة، لصار لجريد سبب كافٍ للقلق».

«لديه ما يكفي من الأسباب كي يخاف مني».

نظرت إلى المتحول نظرات باردة تشبه تلك التي سلطها عليَّ في وقت سابق ليلة أمس. كان من الصعب أن أصدق أن بضع ساعات فقط مرت منذ آخر مرة رأيته فيها. لم يكن مرتديًا قميصه، وكان سرواله مجعدًا. كما كانت بعض الندوب الشبيهة بعلامات المخالب تشوه جلده

الزيتوني الناصع. كان شعره الداكن مجعدًا بسبب النوم أو بسبب نشاط ليلي آخر انخرط فيه. كان مجرد التفكير في أنني أفسدت عليه موعده الغرامي يمنحني الكثير من المتعة.

«أريد التحدث إلى فيتوريا».

فتح دومينيكو فمه وكأنه سيجادل، ثم أغلقه فجأة. لم يشأ أن يرد بالإيجاب؛ لكنه لم يستطع الرفض، فقد صرحت فيتوريا بوضوح بأنها تريدني أن أتحدث معها.

فقال: «حسنًا»، ثم حوَّل انتباهه إلى فاونا وقال: «ستبقى هنا».

كان هذا يناسبني تمامًا. لقد اتفقت وفاونا على أنها ستقوم بحراسة جسدي أثناء سفر روحي إلى مملكة الظلال، فرفعت كتفي ثم أنزلته وكأنني أفكر في طلبه وقلت: «حسنًا. هل أنت مستعد؟».

رد بسرعة قائلًا: «لا أملك الكثير من الخيارات، أليس كذلك؟»، ثم أشار لي بالاقتراب، فأخذت خطوة مترددة ثم توقفت وأنا أنظر إليه مجددًا، فنظر دومينيكو إليَّ نظرة كريهة وقال: «أحتاج إلى أن أربط جسدينا معًا». وإذ لاحظ تعبير الرعب على وجهي، زمجر: «تكفي مخالبي لذلك. قفي أمامي».

تصرفت بما يخالف تحذيري الداخلي من السماح لأدوات الموت لدى المستذئب بالاقتراب من جسدي، وأجبت طلبه.

أدارني دومينيكو حتى التصق ظهري بصدره، ثم علق ذراعيه تحت ذراعيَّ، غارسًا مخالبه في كتفيَّ. جززت على أسناني؛ من فرط الألم، لكنني لم أسمح للمتحول باستشعار رجفتي.

وهنا اقتربت فاونا منا، وقد بدا عليها القلق حين انغرست مخالبه فيَّ أكثر، وقالت: «انتظري يا سيدتي». في السابق، كنت أُستدعى إلى مملكة الظلال؛ لكنني لم أكن مَن تبادر بذلك؛ لذا لم أكن أعلم ما أتوقعه من سحر مقابل.

لكن كان هناك شيء غير منطقي.

اصطكت أسناني حين استطالت مخالبه وكادت تلمس عظامي، فسألته: «لماذا يجب أن يتصل جسدانا كي أدخل مملكة الظلال؟».

قرَّب دومينيكو فمه من أذني وقال: «من الذي ذكر مملكة الظلال؟».

وفي ومضة سحرية سريعة، ظهرت بوابة. وقبل أن أستدير إلى فاونا، رفعني دومينيكو وقفز. فسحبني السحر وامتصني، وبدا الأمر كأننا دخلنا قلب إعصار، والشيء الوحيد الذي كان يربطني بجسدي هو مخالب المتحول. وبالسرعة نفسها التي بدأ بها الأمر، خرجنا من البوابة ودخلنا غرفة كنت أعرفها جيدًا. وهنا زال أي عدم اتزان شعرت به على الفور.

مضى دومينيكو بعد أن حررني، وهو يراقبني بينما أجول بعيني أستكشف المكان في قلق. فقد رأيت جدرانًا وأرضيات من الجير، وخزانة صغيرة موضوعة في ركن كنت أعرف أنه يحتوي على مستلزمات طهو، ولوح قطع، وسكاكين، وأوانٍ. لقد كنت في الدير؛ بل في الغرفة نفسها التي صنعت فيها خبز البروشيتا مع أنطونيو، قبل أن ينقلب عالمي رأسًا على عقب، فعصف بي الحزن حين خطر ببالي صديقي القديم وطريقة قتله الوحشية.

«اللعنة!» ضغطت على كتفي بيدي ونظرت إلى المستذئب نظرة حادة وسألته: «لماذا أتينا إلى هنا؟».

«ألم ترغبي في التحدث مع أختك؟ إنها هنا».

«يبحث عنها جميع أمراء الجحيم، فتمكث في أكثر الأماكن التي يُتوقع وجودها فيها».

«أولًا، لا يستطيع الشياطين ترك الدوائر السبع في الوقت الحالي. ثانيًا، سيكون منزلكما البشري آخر مكان يتوقعون العثور عليها فيه، بالنظر إلى رد فعلك الآن».

راح قلبي يخفق بسرعة. لقد عادت فيتوريا إلى المنزل، إلى عالم الفانين. كان بعض مني يود إزاحة المتحول عن طريقي والهروب؛ لكنني بقيت متجمدة.

كنت أتوق للإسراع إلى منزلي وجعل الجدة تصنع لي الريكوتا المُحلاة وتمشط شعري قائلة إن كل شيء سيصبح على ما يرام، وإن جميع الأشهر الماضية كانت كابوسًا أو حلمًا سببه حمى غريبة وجلبته قصصها الخرافية.

ولعل ذلك كان بسبب احتساء الكثير من النبيذ. وقد يكون وهمًا. وربما ما زلت في مطعمنا الصغير، وربما كانت تحذيرات الجدة من إثارة الشيطان للبحر صحيحة.

ربما *كان* الأمر كله وهمًا، أو نتيجة خيال نمّته قراءة الكتب. قد أكون شربت مع كلوديا حتى الثمالة وصنعنا هذه القصة غير القابلة للتصديق عن إلقاء لعنة على الشيطان.

ضحكت ضحكات قلقة. الغريب أن كوني جزءًا من تلك قصة بدا بشكل ما منطقيًا لي، حتى بعد أن وعيت حقيقتي الحالية.

كان باستطاعتي الذهاب إلى منزلي. كنت أعرف في قرارة نفسي أن الجدة ستسخطني بإحدى لعناتها إذا طلبت منها ذلك. بالتأكيد ستكون تواقة لأن تجاريني في أحلام الإنكار، وجعلي أكره الدوائر السبع وأخشاها مجددًا. كانت ستسرق ذكرياتي لأعيش حياة بشرية فانية عادية، وأموت في سن متقدمة وأنا مُحاطة بأحفادي وزوجي العجوز.

وربما كنت سأحلم من وقت لآخر بشيطان وسيم ذي عينين ذهبيتين جذابتين، وأظن أنه مجرد شخصية من رواية رومانسية قرأتها ذات يوم؛ لكن حتى لو كان نسيان ألم الخيانة وفقداني راث مريحًا بالنسبة لي، لما رغبت فيه.

سألت دومينيكو، مقابلة نظرته الحادة بعينين جادتين بينما أحاول فهم ما يحدث: «كيف نجحت في إحضارنا هنا؟ لم نستخدم البوابات».

ثم فهمتُ: «لقد أغلق سحر الساحرات البوابات الخارجية، لكنهن لم يمنعنك من إحضار أي شخص بطريقة أخرى».

لم يستطع إنفي *نقلنا* إلى هذه المملكة قبل أن نذهب إلى مملكة برايد؛ لأن ذلك، حسبما أتذكر، لم يكن ليتحقق إلا أثناء الأيام السابقة واللاحقة لاكتمال القمر.

وقال دومينيكو: «لا يتعامل المتحولون مع الساحرات، فهن أعلى درجة من الشياطين. ولا نحتاج للانتقال عبر البوابات لنصل إلى الممالك، كما يفعل غيرنا».

لكن حتى لو كانت الإلهة من الجحيم، فإنها كانت محصنة من ذلك العداء. وهنا تذكرت الطريقة التي كان الذئاب يعبدون بها السلطات الأعلى، ولعلَّ قوة السحر هي ما يحترمونها. أو ربما كان الذئب يهتم بأختي على طريقته، رغم أن المشاعر لم تكن متبادلة. لم تعبأ أختي بأحدث عشاقها، وهو ما جعلني أتساءل عما إذا كانت مهتمة بغيره، أو ما إذا كانت قادرة على هذا النوع من المشاعر، من الأساس، وكانت تستغل الذئب بكل الطرق الممكنة.

سألته: «هل تستجيب البوابات للأمراء؟».

«كلا، لقد عملت م .... لقد عمل ذئب على إبطال قدرة الشياطين على استخدامها الآن».

رحت أدقق النظر فيه. كان دومينيكو على وشك أن يقول شيئًا غير «ذئب». وقد جعلني هذا أفكر في مارسيللا الغامضة التي ذكرها بليد.

«سمعت شائعة من مصاص دماء مؤخرًا». كانت عبارة لم تتخيل ذاتي البشرية الفانية أن تنطق بها يومًا .. «لقد ذكر لقاءً بين فيتوريا ومخلوق نصفه شيطان ونصفه مستذئب».

تنهد دومينيكو وقال: «إن مصاصي الدماء كاذبون. لا يمكنك الوثوق بكلمة تخرج من أفواههم ذات الأنياب. لن يحط أي مستذئب من قدره ويعاشر شيطانة، على الأقل إذا أراد الاحتفاظ بقدر من احترامه وسط القطيع».

«لنتخيل أنه ممكن. هل يستطيع ذئب يحمل دماءً شيطانية الانتقال إلى مملكة الظلال؟».

فقال دومينيكو، وهو يجز على أسنانه: «قلت لكِ إن مصاصي الدماء مجرد كذبة».

لم يذكر راث أي شيء عن كذب بليد. وكان سيفعل ذلك لو كان هذا سيثبت صحة فرضيتنا أن فيستا على قيد الحياة. كان دومينيكو يخفي شيئًا، ولم يكن ليتكلم مهما ألححت عليه. كذلك لم يفُتني أنه أشار إلى مستذئب ذكر عاشر شيطانة أنثى، وليس العكس. كنت أستطيع استخدام تعويذة الصدق؛ لكنني كنت بحاجة للبقاء عند حسن ظنه كي يعيدني إلى منزلي؛ لذا سألته: «أين فيتوريا؟».

اتجه دوميتيكو نحو الباب وقال: «سأصطحبكِ إليها الآن».

لم نتحدث أثناء تنقلنا بين جنبات الدير الهادئة. كانت المومياوات تصطف على الجانبين في صمت، وأعينها الميتة تنظر إلينا وترقبنا دون أن ترى مسارنا فعليًا.

لمحت طائرًا يرفرف بجناحيه بين العوارض الخشبية. كان كل شيء شبيهًا بالمرة الأخيرة التي كنت فيها هنا، فابتلعت الغصة التي في حلقي. كنت أتساءل عن مكان الأخوة المقدسة، وما إذا كان أعضاؤها مختبئين يتحينون اللحظة المناسبة؛ لكنهم لم يكونوا وحدهم الأعداء الذين يزعجونني.

كنت أشعر بالحضور الأخروي نفسه، وكأن حُجّاب الجان يتربصون في الظلال ويرصدون كل حركة كي يبلغوا أيًا من أمراء الجحيم الذي طلب خدمتهم؛ لكنني هذه المرة وددت لو ذهبوا لإحضار سيدهم.

فإذا كان هؤلاء الجان المزعجون هنا بالفعل، فلا بد أن إنفي سيعلم بمكاني ويترك المصارعة في الحلبة ويظهر كعادته. لن أجد تدخله غير محمود هذه المرة؛ بل علامة على أن الأمور تغيرت بالفعل وبشكل جيد في عالمي.

ومع ذلك، لم يكن لكل ذلك أهمية؛ لأن البوابات كانت مغلقة ولم يستطع الأمراء الرحيل، حتى لو حاولوا ذلك.

«هل أنت...».

« اصمتي. لا نريد أن يتدخل أحد من الإخوة». دفع دومينيكو الباب وفتحه، فصدر عنه صوت صرير مرتفع، ثم مد رأسه وتنصت قليلًا. لقد تركنا الدوائر السبع في وقت متأخر بعد الظهر؛ لكن المساء كان قد اكتمل هنا.

ثم حل الليل بعطره، وتنسمت الهواء برائحة زهور البرتقال والياسمين الهندي المعهودة. كانت النجوم تتلألأ في السماء وكأنها تعرف سرًّا وتثيرها احتمالية كشفه. وبدلًا من أن أشعر بعودتي للبيت أخيرًا، شعرت بأن الدفء بات غير طبيعي؛ حيث ارتفعت درجة الحرارة بشدة؛ ما جعلني أتوق للثلج والجليد والشيطان الذي يأمرهما.

أثناء عبورنا الفناء، نظرت إلى الطريق الذي يقودني إلى سي آند فاين. كان معتمًا، وخُيِّل لي أن الناس يعبرونه، وأن مطعمنا الصغير مفتوح يخدّم على آخر ضيوفه في المساء. وكانت الجدة وأمي في المطبخ تتهامسان أثناء إعداد الطعام، وأن أبي والعم نينو يتعشيان في الغرفة ويدردشان مع الضيوف، وهما يسكبان الليمونتشيللو ويضحكان. تقت لأن أذهب إلى هناك وأنضم إليهم جميعًا.

ورغم انكشاف كل مساوئ تلك الحياة لي الآن، فقد كانت لا تزال حياة طيبة. وبغض النظر عما قالته فيتوريا، كنت أعرف أنها كانت حياة سعيدة أيضًا. كنا محاطتين بالحب والنور. كانت لدينا أسرة تهتم بنا، وكان لدينا مجتمع، كانت تربطنا علاقة قوية.

أما اللعنات، فلم تكن لعناتنا شريرة. وبعكس راث الذي اقتلع قلبه بلا رحمة، وكان مجبرًا على الشعور بالكراهية بدلًا من الحب، فقد نسينا كل شيء متعلق بالماضي، وكل مكائدنا، وكل تعطشنا للانتقام. لقد مُنحنا

مجموعة جديدة من الذكريات التي ربما تكون مملوءة بالخوف من الشيطان وإخوته الأشرار؛ لكنها لم تكن سيئة على الإطلاق.

ألقى دومينيكو نظرة سريعة عليَّ وقال: «يمكنك أن تتخلي عن هدوئك الآن، فقد ابتعدنا».

«لديَّ أفكار كثيرة في رأسي».

لأول مرة منذ أن تقابلنا في مملكة الظلال، وجدت المستذئب متفهمًا ومتعاطفًا. أظنه كان كذلك فعلًا. فلم يكن عالمه تغير بلا رجعة إلا منذ فترة قصيرة. لقد تكيف، ومع ذلك بدا غير متقبل للأمر. ربما كان سحر القيادة يؤرقه حتى ينضج، أو ربما كان مستاء من كونه متحولًا.

قال وهو يقودني نحو شارع جانبي كنت أعرفه جيدًا: «ستتعلمين في النهاية كيف تركزين على الحاضر وتتركين الماضي. إن الاستغراق في التفكير فيما سيحدث ولما يحدث غير مُجدي، فسوف يحول هذا بينك وبين ما أنتِ عليه الآن. من أصعب الأشياء التي يفعلها أي شخص هو العيش في اللحظة الحالية والمكان الحالي، دون القلق على المستقبل، أو الاستغراق في الماضي. عيشي حاضرك، فهذا سر تغييرك مستقبلك وعثورك على السعادة الحقيقية».

رحت أفكر في هذا مليًّا وسألته: «هل أنت سعيد؟».

رفع دومينيكو كتفًا ثم قال: «في بعض الأحيان، لقد صرت أحسن حالًا من وقت اكتشافي... كل شيء».

«كيف حال أبيك؟ بدا قلقًا وفخورًا في الوقت نفسه حين تحدثنا آخر مرة».

تجمد المتحول ثم واصل السير. كانت خطواته العريضة تلتهم الممر المرصوف بالحصى، وكأنه يتمنى أن يهرب من السؤال، لكنه أجاب: «مات».

وهنا تعثرت خطواتي. لم أشأ أن أنكأ جرحًا حديثًا؛ لكنني أردت أن أعرف: «هل أختي هي التي...».

فدار دومينيكو على عقبه، وعيناه تلمعان بضوء بنفسجي باهت وقال: «بالطبع لا»، ثم نظر حوله ليتأكد من عدم رؤية أي بشر له، ثم ضغط على نفسه بوضوح كي يكبح جماح عواطفه وتابع: «ليس لأختك علاقة بالأمر».

«ماذا عن الشياطين؟».

سأل دومينيكو: «ماذا عنهم؟».

«هل يتعلق الأمر بجريد؟».

حين ذكرت اسم جريد، برزت مخالب المستذئب.

«هذا شأن القطيع. لا تذكري الأمر مجددًا».

فرفعت يدي في حركة سلام، وواصل المستذئب السير قاطعًا الحي المتاخم لنا. لقد أعطاني دومينيكو إجابتين كنت أبحث عنهما دون أن يشعر. إذا كانت فيتوريا عازمة على إحداث شقاق أكبر بين الذئاب والشياطين، فإن قتل أحد أفراد القطيع يصبح فرصة عظيمة. وكان القائد يحمل رد فعل قويًا تجاه سماع اسم جريد. وهنا تحول انتباهي من أختي وأمور الذئاب إلى الطريق الذي اتخذناه لتونا. فتوقفت عن السير؛ فلم يعد باستطاعتي تحريك قدميَّ؛ إذ كان بيت أسرتنا قريبًا من نهاية الشارع.

كانت الكروم تلتف حول التعريشات، والبيت الحجري الباهت يلمع في ضوء القمر. كان جميلًا، وسليمًا، وكأنه بقي دون أن يتغير به شيء. فجأة، شعرت بجفاف في فمي. فدون جميع الأماكن التي كانت فيتوريا ستذهب إليها، كان هذا المكان محفورًا في أعماقي.

«إن أختي في بيتنا».

هز دومينيكو رأسه نافيًا وقال: «دققي النظر».

«لا أستطيع...». وهنا لاح نور من ركن المنزل، وشعرت بأنني أرى رسمة في كتاب، وأن الصفحة التي تحمل هذه الرسمة بدأت تطير فجأة في الهواء. تسارعت دقات قلبي، وتراجعت وأنا أهز رأسي برعب.

«كلا، كلا، كلا! ليس هذا أيضًا».

فجأة وجدت فيتوريا أمامي، وشعرها يطير بفعل الرياح السحرية التي راحت تهدم أجزاء من بيتنا. قالت: «اطلبي رؤية الحقيقة يا إيميليا».

«لا أستطيع...».

«بل تستطيعين، وستفعلين. انظري إلى الحقيقة».

شعرت بحرقة في عينيَّ؛ إذ وخزت الدموع جفوني. كانت هذه هي الضربة الأخيرة، ورفضت أن أسمح لدمعة واحدة بالسقوط.

كفى. انكسر شيء داخلي. أتعبني الحزن والدمار. كنت قد تجاوزت الأكاذيب، والألاعيب، والأيام والليالي التي قضيتها في البكاء، كانت أختي على حق، كنت أستحق أن أعرف الحقيقة وأراها للمرة الأخيرة.

استقام ظهري، وأنا أعاود النظر إلى بيتنا المتواضع. استدعيت مصدر سحري ووجهته نحو الجزء اللامع وقلت: «أرني الحقيقة».

كان صوتي مفعمًا بالقوة، وكأنني ألقي تعويذة الحقيقة، فانطلق السحر وغاص في الجدران الخارجية مثل المخالب، ممزقًا الوهم. شاهدت ما يحدث دون مبالاة، ورأيت كيف انخلعت الواجهة لتُظهر المعبد الحجري خلفها.

كان بيتنا وهمًا. لم أكن أعلم بذلك، ولم أشعر بالسحر المستخدم؛ لأن الجدة أبقتنا غافلتين عن الحقيقة. لم يحطم قلبي هذه المرة؛ بل صرت أغلي؛ من الغضب. لا يمكن تناسي مثل هذه الخدعة أو تجميلها. في تلك اللحظة رُسم خط فاصل بين إيميليا القديمة قبل أن يتحطم عالمها بأسره وإلهة الغضب الحالية بعد اكتشافها حقيقة كل شيء.

سألت، وقد ثبتت عينيَّ على بيتنا المزعوم: «ماذا أيضًا؟ ما الأوهام والأكاذيب اللعينة الأخرى التي لم أكتشفها بعد؟».

وهنا دلف دومينيكو إلى المعبد دون أن ينظر إليَّ أو إلى فيتوريا، وهو يقول: «سأترككما وحدكما». وقفت مستمدة لألم الخدعة الأخيرة التي استثمرت قدومها.

زفرت فيتوريا وقالت: «ليست هذه صقلية الحقيقية»، فتحول انتباهي عن البيت واستقر على أختي، فقد بدا عليها الألم للمرة الأولى. تابعت: «مرحبًا بكِ في الجزر المتحولة».

الثامن عشر

ارتجفت وكأنني تلقيت صفعة.

كنت سأظن أنني شعرت بأسوأ لدغات الخيانة حين علمت أن جدتي استخدمت السحر المظلم لقتل الساحرات البريئات كي تربطنا. أما *هذا* فكان العذاب الحقيقي، عذاب ألمه يمزق القلب بلا توقف. لم تقل فيتوريا شيئًا، بينما كانت أحاسيس الصدمة الأولية تتلاشى ببطء.

«الجزر المتحولة». *لهذا السبب* طلبت مني، في تلك الليلة، في مملكة الأرواح أن أقابلها هنا. نظرت إلى الشارع وأمعائي تتلوى. كان كل هذا كذبًا؛ بل كل جزء منه، وصولًا إلى العالم الذي ظننت أنني أعرفه. لا عجب أن راث لم يرغب في التصريح بالمزيد حين سألته عن الجزر. كان شيئًا يجب أن أكتشفه بنفسي. شعرت بالامتنان لعدم قدرة أي من الأمراء على المجيء إلى هنا الآن. كنت أحتاج للوقت والمكان كي أتصالح مع كل ما كان مخفيًا عني دون وجود الشياطين.

ذات مرة، سألت راث عن المكان الذي تذهب إليه أرواح البشر الفانين، فتحدث بطريقة غامضة عن جزيرة قبالة الساحل الغربي للدوائر السبع. وبالنظر إلى درس الجغرافيا الذي أعطتني إياه أختي

حين رأيتها في المرة الأخيرة، كان هذا المكان متوافقًا كل التوافق مع الوصف.

«هذا هو المكان الذي تذهب إليه أرواح البشر الفانين». لم أصغ عبارتي في صورة سؤال؛ لكن فيتوريا أومأت، على أية حال. تابعت أقول: «إنه سجن الهلاك».

ردت أختي بصوت هادئ ناعم: «أجل». بدت وكأنها تشعر بأن قوتي تبحث عن أي شخص تُنزل به العقاب، أو ربما تبقى شيء من الجانب البشري لديها وكان يتفهم مدى عمق هذا الجرح. وأردفت: «قد يرى البعض أن هذه أسوأ الدوائر؛ إذ تُغير الجزيرة الزمان والمكان، وتصبح الواقع الذي تختارينه لتكون عليه، أو الواقع الذي يختاره شخص آخر لوهلة».

«هل يعرف الفانون هنا أن هذه هي...؟».

ردت فيتوريا بهدوء: «كلا، لا يعي معظم الفانين أن هذه ليست المدينة أو البلدة التي يعتقدونها؛ بل بعض الكائنات الخارقة المختارة فقط، وبعض الأرواح التي هربت من مملكة الشياطين وتصارع للحصول على فرصة العودة هنا، هي التي تعرف الحقيقة».

قلت: «أفهمك». إنه الجحيم، فهذا هو الشعور الذي يثيره، لا الدوائر السبع التي يحكمها الشياطين، ولا قلعة الشيطان الفخمة، ولا أية مملكة من ممالك الخطايا التي تسيطر عليها الذنوب والفواحش سيطرة كاملة. هنا، في المكان نفسه الذي سميته بيتي ذات يوم، توجد الجزيرة التي يقع فيها الجحيم الحقيقي. ثم أردفت: «لم نكن جزءًا من العالم البشري على الإطلاق».

فقالت أختي: «لم نكن مطلقًا». أبعدت عينيها عني ونظرت إلى الأرض وكأنها لم تحتمل النظر إليَّ، وأردفت: «لم تكن ساحرات النجوم لتسمحن بهذا الخطر. لقد أرسلننا إلى هنا، إلى هذا الزمان والمكان

حيث يجب أن تختبئ الساحرات، فإذا أردتِ، يمكننا أن ندلف إلى واقع آخر الآن. سيساعدنا هذا على رؤية الحقيقة وهي تتكشف».

فقلت بنبرة أكثر جفاء مما انتويت: «*كلا*. لا أستطيع... أنا لست... لست مستعدة».

كانت رؤية واقع أو زمان أو مكان آخر ستقطع آخر خيوط العقل التي أتمسك بها. وهنا ابتسمت فيتوريا ابتسامة بسيطة قائلة: «حسنًا».

سألتها: «هل انتبهت الساحرات بشكل ما لوجودنا؟». هزت أختي رأسها نافية. كان هذا أمرًا إيجابيًّا. وأردفتُ: «هل يستطعن استدعاءنا بقربان دم؟».

«لسنا كالشياطين أو بقية المخلوقات الخارقة. لا يستطيع أحد استدعاء الآلهة».

فنسج عقلي السؤال التالي، وقلت: «كم مرة تتحول الجزيرة؟».

«حسبما أعرف، هناك العديد من أبعاد العالم السفلي المطوية بعضها فوق البعض. يصعب شرح الأمر؛ لكن هناك عددًا لا نهائيًّا من التحولات التي تحدث في الوقت نفسه، رغم أن النظام ليس مثاليًّا. ففي بعض الأوقات سيكون هناك خلل لا يلحظه إلا من ينتمون لزمان ومكان الواقع الحالي. وقد يتغاضى الكثيرون عن أي شذوذ يلحظونه، فالحقيقة أصعب من أن يفهموها، ومن ثم فإنهم يتجنبونها. يعمل السحر والعلم بجدية لضمان ألا تختلط أي من الأزمنة أو العوالم ببعضها».

لهذا السبب استغرق الأمر وقتًا من راث كي يجدنا؛ إذ كان عليه أن يبحث عن أي زمن ومكان حرفيًّا. كان نجاحه في تحديد مكاننا إنجازًا عظيمًا.

التفتُّ إلى أختي وقلت: «كان هذا هو أنتِ. لقد استدعيتِ شيطانًا، وقد نبه هذا راث إلى مكاننا». ثم تذكرت الورقة التي وجدتها على مكتب راث، فأردفتُ: «لقد استدعيتِ جريد تحت ستار عقد تحالف، ثم تركتِ

تماويذ الاستدعاء لي كي أجدها على سبيل الاحتياط». وهنا شعرت ببارقة أمل داخلي. ربما لم تكن أختي بهذا السوء. «لماذا؟».

جذبت فيتوريا يدي وضغطت عليها بلطف، ثم تركتها قائلة: «لأن كلتينا لا تستحق نهاية تشبه نهاية القصص».

احتضنت أختي بقوة وقلت: «لا يشبه هذا كلام ملكات فينجنس».

احتضنتني فيتوريا بدورها وأطلقت ضحكة ممزوجة بالحزن وقالت: «ماذا لو أخبرتِ أحدهم أنك ستقتلين ابنه البكر؟ ثم إن ضم مملكة جريد لقضيتي لم يكن قط عملًا خيريًّا».

أبديت الاعتراض؛ إذ كنت أعلم أن إلهة الموت لن تقتل ابني البكر. وددت لو توقف الزمن عند هذه اللحظة مع أختي؛ لكن لم يكن للأماني وجود في هذا المكان؛ بل الألم وانكسار القلب فحسب. قرّبت فيتوريا قليلًا، ثم أبعدتها. وفي أقل من لحظة تحولت عيناها للون البني الداكن.

«ألم تقتلي قائدة جريد؟».

تنهدت أختي وقالت: «نعم؛ لكنني كنت أتمنى أن أفعلها؛ لا لأنني أكرهها؛ بل كي أسبب مزيدًا من الشقاء لجريد».

زفرت وقلت: «ربما يجب أن تحتفظي بهذا الرأي لنفسك حين ترين جريد أو أيًّا من أمراء الجحيم في المرة المقبلة»، فرغم علمي بأن أساس عالمي كان خدعة، شعرت بأن حملًا كبيرًا قد زال عن كتفيّ. كنت أعلم في قرارة نفسي أن أختي ليست باردة المشاعر كما كانت تتظاهر. كانت دافئة ومفعمة بالحياة، ولم تكن لتضيع كل هذا حين تصبح خالدة مجددًا. وهنا قلت: «لم تُطعَن فيستا؛ بل... التُهِمت».

تعجبت فيتوريا، وقد بدت عليها الدهشة والرعدة في الوقت نفسه.

«أية بشاعة!»

«لديّ سبب كي أصدق *أنها* لم تمت. وأظنكِ تدركين هذا جيدًا. كما أعتقد أنكِ تعرفين من مات في تلك الغرفة». رحت أرقب أختي التي صار تعبير وجهها غامضًا، وأردفت: «يجب أن تخبريني بالقصة كلها، وسبب

رغبة فيستا في الرحيل، ومن حل محلها، وأين هي الآن. لقد دعا جريد لانتقام دموي ووافق راث على الأمر. إذا لم تثبتي براءتك أمام راث في أقرب وقت وتحضري دليلًا، فسوف يَقبض عليكِ بقية الأمراء».

فابتسمت أختي، متجنبة تقديم مزيد من الإجابات حول اختفاء فيستا والجثة التي عُثر عليها وقالت: «ستصبح الحياة مملة إذا لم يهدد أحد بمحو مملكة منافسة»؛ لكنها أعطتني بعض المعلومات المفيدة الآن. تابعتْ: «أنا مسرورة لأنني أثرت هذه المشاعر القوية داخل جريد. لا بد أنه تضايق جدًّا من فعلي مثل هذا الشيء بعد عقد التحالف». وهنا لكزتني بمرح في جنبي. كان كلٌّ منا تعلم أنها تكره هذا الأمير لأسباب لم تبُح بها بعد. «ربما هو الحب الحقيقي».

«ماذا عن برايد؟ هل ظل الأمر لعبة بالنسبة لكِ أم تراكما أصبحتما أكثر ارتباطًا؟».

تصلبت فيتوريا، واكفهر وجهها وقالت: «يجب أن يكون هذا الشيطان ممتنًّا لأنني لم أزره».

رحت أدقق النظر في أختي، فذات مرة تملَّكني الشعور نفسه حيث كنت أرغب في تسديد طعنة لراث، وقد صرت غير قادرة على التوقف عن التفكير في ابتسامته الماكرة وكل الأشياء الشريرة الممتعة التي يستطيع فعلها بمجرد ابتسامة واحدة. سلطت فيتوريا عينيها عليَّ وقالت:

«أفهم ما تفكرين فيه. توقفي وإلا أقسم بأنني سأبطئ نبضات قلبك حتى تفقدي الوعي».

تأبطت ذراع فيتوريا ورحت أسير في الطريق السمهد بالحصى الذي لم يكن سوى وهم: «أتعرفين؟ أخبرني أحدهم أن الكراهية شعور نابع من الشغف، ربما يجب أن تزوري برايد وتحلي مشكلاتكما معًا».

«أفضِّل الاستحمام بالقاذورات».

«حسنًا، إذا كنتِ تريدين أن أجد نهاية قصتي، فلماذا تواصلين تحذيري من راث؟».

شردت نظرات فيتوريا إلى البعيد، رغم ظني أنها كانت تنظر في الواقع داخلها، ثم أجابت: «إذا أصبحتِ جزءًا من تلك المملكة، فلن تستطيعي المشاركة في حكم مملكتنا. لقد تغيرت أشياء كثيرة، ولا أريد أن أخسر مزيدًا من الأشياء المألوفة. وفي جميع الأحوال أردت أن تكتشفي الحقيقة الكاملة قبل أن تربطي نفسك به بالكامل، كي تتخذي قرارًا حرًّا مدعومًا بالحقائق، وتختاري بين الحب ومملكتكِ».

كانت هذه هي أختي بروحها البشرية الفانية. قلت: «إن التغيير مخيف؛ *لكننا* المرعبتان، أو هكذا تواظبين على إخباري».

ابتسمت بسخرية وسألتني: «أتقولين إنني يجب أن أتحلى ببعض الكرامة؟».

«أنتِ من تقولين يا أختي العزيزة، لا أنا. أتعلمين أن راث قال إنه لا مشكلة في إعادة تأسيس مملكتنا».

فالتفتت فيتوريا إليَّ بسرعة وسألت: «هل قال ذلك؟».

أومأت وقلت: «إذا أوقفتِ حملتكِ لإثارة القلاقل وإحداث صراع داخلي، فقد أهتم بفعل هذا الأمر؛ لكنني لن أساعدك إذا واصلتِ تحريض كل واحد ضد الآخر. ليس هذا نوع الحياة التي أريدها بعد الآن».

ثم مضينا حتى نهاية شارعنا القديم. كان الهدوء مريحًا؛ لكن أفكاري تحولت إلى أمور أكثر أهمية مجددًا، أمور تحتاج للحل قبل أن نترك هذا الوهم ونعود إلى الدوائر السبع. كانت أختي مطلوبة في تلك المملكة، وكان يجب ضمان أمنها.

توقفنا في الشارع التالي، فرفعت وجهي نحو السماوات. كان الهواء عطرًا، ونسيم البحر المالح طيبًا؛ لكن الرجفة كانت تستبد بجسدي.

تركت ذراع فيتوريا وواجهتها قائلة: «إذا كنتِ تدعمين فيستا أو مارسيللا أو من كانت تدعو نفسها، فعليكِ أن تخبري راث. سيستكشف الحقيقة، وستتم تبرئتك من تهمتك. أرجوكِ، فأنا لا أستطيع أن أفقدكِ بعد كل هذا». قلت ذلك وأنا أشير إلى العالم المحيط بنا. «أرجوكِ يا فيتوريا أخبريني أنها على قيد الحياة وبحالة جيدة».

لاذت فيتوريا بالصمت وأشاحت بنظرها. إذا كنت محقة وكانت فيستا على قيد الحياة - وهو ما كنت أعتقد أنه الحقيقة - لم تكن أختي لتعترف لي بأي شيء. كان يجب أن أثق بأن لديها سببًا أقوى من الثأر الذي يدفعها.

طرحت عليها السؤال بشكل آخر: «من الشرير الحقيقي في هذه القصة الدنيئة؟ أهو نحن، أم الشياطين، أم الساحرات؟».

راحت فيتوريا تفكر بإمعان، ثم قالت: «يعتمد هذا على من تساندين. أظن أننا جميعًا أشرار. ومع ذلك أجد أن التهمة تقع على عاتق الشياطين والساحرات، فهم يكرهون بعضهم البعض منذ الأزل، ولم يكن يجب عليهم أن يزجوا بنا في مشكلاتهم».

أطلقت تنهيدة طويلة.

«لا عجب أن حل اللغز لم يكن سهلًا. لقد تآمرت معكِ على برايد وراث. لم يعبأ برايد بقلب مليكته القرينة، فأثار ذلك حفيظة الساحرة الأولى. ولعنت سورسيا راث حين رفض إبعاد ابنتها عن برايد، فعاملها راث بالمثل، وتمسكت ساحرات النجوم بواجبهن في حبس المرعبين والأشرار، حتى لو كان معنى هذا التضحية بذويهن».

أنهت فيتوريا الكلام بقولها: «وهكذا انتقل الذنب من فئة لأخرى. لا أظن أن معرفة ماهية الجاني الأول مهمة، فكلنا ارتكبنا أشياء فظيعة».

«لكن البعض ساعد فيستا على الهروب من بلاط جريد. ومات أحدهم بالفعل».

فشردت أختي للحظة أخرى وقالت: «علمت أن مصاصي الدماء أتوا لاختطافك. ربما يظهر خطر جديد أثناء اندلاع الفوضى».

«أنتِ من أشعل تلك النار تحديدًا».

«لم أظن أنهم سيأتون لخطفكِ؛ بل ظننتهم سيراقبون بلاط جريد».

«لماذا؟ ماذا بشأن جريد الذي يجعلكِ تقترفين كل تلك الأمور المروِّعة؟».

«لم أقترف أمورًا مروِّعة؛ بل فعلت به ما فعله بالآخرين. ربما لمصاصي الدماء أهدافهم الحربية، وقد منحتهم بالمصادفة أملًا في النصر».

امتلأ قلبي بالإحباط. تمنيت لو أن تسر لي أختي بالحقيقة، كان هذا سيصلح كل الأمور. قلت: «صحيح أنني لا أشك في كون مصاصي الدماء يودون إشعال حرب داخلية ليشوشوا على مؤامرتهم الداخلية؛ لكنني لا أظنهم مسئولين».

نظرت فيتوريا بعيدًا وقالت: «حسنًا، ربما الساحرات هن من فعلها. ربما عرفن بتحالفي مع جريد واستهدفن مملكته لإشعال الحرب. أنا متأكدة أنهن يردن أن يبعدن الشياطين عن الحلبة بشكل نهائي».

فقلت محذرة: «توقفي يا فيتوريا. أعرف أن من فعلها ليس الساحرات، ولا الشياطين، ولا الذئاب. أخبريني بالحقيقة. لماذا تخفين كل تلك الأسرار؟».

«ربما عليكِ أن تثقي بي أكثر من ذلك».

«بعد كل ما فعلتِه؟ بعد كل تلك الأكاذيب، وأنصاف الحقائق، والألاعيب؟».

وهنا اشتعل وجه أختي غضبًا وهتفت: «لطالما حاولت التغلب على اللعنة، وتحرير سحرك، وإعادة تأسيس الروابط مع هذا العالم. لقد بذلت قصارى جهدي. وإذا كان الأمر سيتحقق بالأكاذيب والاستغلال، فأنا آسفة يا إيميليا. لديَّ أسبابي؛ فإما أن تحترمي هذا، أو تواصلي

محاربتي. إذا لم تكن الساحرات قد فعلن ما فعلنه بنا، فلم يكن أي من هذا ليحدث. وإذا كنتِ تظنين أنهن سيسترخين ويسمحن لنا باستعادة قوتنا كاملة دون أن يحاولن ربطها مجددًا، فأنتِ مجنونة». التفتت فيتوريا نحوي، وقد بدا عليها الترقب قبل أن تتابع: «وهناك طريقة واحدة تضمن لنا عدم نجاحهن».

وضعت يدي على صدري، كان قلبي يخفق أسرع كلما أطالت أختي التحديق فيَّ. قلت: «ألا توجد طريقة أخرى لكسر تعويذة الربط؟».

أجابتني: «لم أكتشف أية طريقة أخرى. صدقيني فقد بحثت قبل أن يُقتلع قلبي».

سألتها: «من اقتلع قلبكِ؟ أهو دومينيكو؟».

«كان كثير من مخلوقات العالم السفلي ستسعد بترشيحها لهذه المهمة. لنتوقف في المناقشة عند هذا الحد». تجمدت نظرة فيتوريا قبل أن تلين مجددًا وتقول: «لا تقلقي بشأن هذا. سأكون معكِ».

بدأت أتحرك وأختي ترقبني دون أي تعليق وأنا أروح وأغدو، وقلبي وعقلي يتسابقان. لقد ربطتنا الساحرات. ومع ذلك، لم أستطع التوقف عن التفكير في رد فعل إنفي حين أرادت فيتوريا إزالة تعويذة ربطي. لقد بدا عليه الضيق الشديد.

لم يتحدث راث عن هذا كثيرًا، كنت أعلم أنه يشك؛ لكن أختي نجت. لقد عادت إلى ذاتها الإلهية بالكامل. جعلني هذا أتساءل مجددًا عما إذا كان هناك سبب آخر جعل راث يعزف عن الكلام. ثم رحت أفكر في هجوم الحيات، كيف لدغني الشيطان الشبيه بالأفعى، وكيف استخدم راث السحر الذي سحب السم إلى جسده. وتذكرت أيضًا شيئًا حلو المذاق قدمه لي لأشربه...

«أيتها الإلهة! لقد قدم لي رحيقًا».

الأمبروسيا .. طعام الآلهة.

توقفت عن المشي وشرد ذهني. لقد أعطاني أيضًا شيئًا مُحلى حين أصبت بحالة من انخفاض خفيف في الحرارة. كان مزيدًا من الرحيق، من طعام الآلهة الشافي. لم يكن راث يخشى موتي. فما الذي كان يدفعه لأخذ كل هذا الاحتياط؟ واصلت المشي مطلقة العنان لعقلي كي يفكر في مختلف النظريات والتصورات حتى خلصت إلى فكرة واحدة.

كان إنفي خائفًا يوم كنا في الزنزانة. وكان لاست وسلوث وجريد خائفين حين فقدت صوابي وأضرمت النار في تلك اللوحة. أما راث... فربما لم يكن يخاف مني؛ لكن جميع أمراء الجحيم أطلقوا علينا اسم المرعبتين. لم يخف زوجي على *حياتي*؛ بل خاف على مملكته. كان يخشى تحرري بالكامل. لم يسعَ راث لإيقافي؛ لكن من المؤكد أنه لم يكن يساعدني كذلك. كان القرار قراري وحدي.

رحت أدور حول نفسي، ثم قابلت نظرة أختي المتأنية بنظرة متقدة.

قلت بحزم: «أنا مستعدة».

فعلى مدى الأسابيع القليلة الماضية، علمني راث كيف أتحكم في عواطفي وأتجاوز غضبي. *كان* هذا هو الدرس الذي علمني إياه ليلة أجبرني على طعنه، ليلة أن تحدث عن استشعار الخطايا الأخرى ومقاومتها. نعم، لقد علمني كيف أحصن نفسي من الكِبر، والطمع، والشهوة، وكان هذا مهمًّا. لكن، طوال الوقت، كان راث يعلم أيًا من ممالك الخطايا أحكم، وإلى أي مدى قد تزداد رغبتي في الانتقام.

وإلى أن طعنته في تلك الليلة، كنت سأواصل السير في طريق أتعطش فيه للدماء. لقد كان مُحقًّا – لم أرغب في الاعتراف بهذا وقتئذ؛ لكنني كنت *أكره* أن أؤذيه في تلك اللحظة. كنت أكره فقدان السيطرة، وذلك الشعور الغامر بالاندفاع نحو الغضب. كنت أتحكم في تلك العاطفة، ولم أكن لأدعها تتحكم فيَّ.

وفي غرفة العرش، حين كان مبعوث مصاصي الدماء وسورسيا موجودَين، كاد غضبي يتملكني أيضًا؛ لكنه لم يفعل. لم أكن لأعتمد على

راث أو شخص آخر في انتشالي من ذلك الظلام مجددًا. *كان* يجب أن ينبع الأمر من داخلي. كان إثناء نفسي عن إطلاق العنان لقوتي الكاملة بعد الآن سيضمن شيئًا واحدًا؛ ألا وهو: أنني سأفشل إن لم أحاول.

كان الخوف سيجعلني أحجم؛ لكن ثقتي بنفسي ستحررني.

«هل ستتمكنين من... لو قمت بـ ...». تنفست بعمق، وأردفت: «لا أريد أن أفقد السيطرة».

أومأت فيتوريا وقالت: «هذا مفهوم. سأكون هنا. ليس هناك ما تخافينه في التغيير. سيصيبك بالارتباك في البداية؛ لكنه سيبدو كنسمة هواء منعشة بعد الغمر بالماء».

زفرت وأومأت، قائلة: «حسنًا. أنا جاهزة لكسر تعويذة الربط الآن».

قادتنا فيتوريا نحو منزل طفولتنا. وهنا عادت صفحة الوهم التي غشيتنا، جاعلة المكان يبدو كما كان طوال حياتي. رحنا نصعد السلم، ودلفنا من الباب الأمامي؛ وما كان ذات يوم المساحة المعيشية الصغيرة أصبح ذا أسقف شبيهة بأسقف الكاتدرائية وأمتعة عتيقة متهالكة. كانت رائحة العسل والزهور البرية تفوح منه. وكانت هناك أرفف الكتب على الجدار الواقع أقصى المكان، وفي ركن آخر كانت هناك قوارير تمتلئ بالقلوب. تجنبت النظر وسرت نحو المذبح في أحد الجوانب. وعلى جانبي المذبح، كانت هناك آنيتان عملاقتان تقرقمان بألسنة لهب بدت جميلة.

طرقعت فيتوريا أصبعين، فظهرت مستذئبة فجأة، حاملة ثوبًا بنفسجيًّا. بدت الفتاة في منتصف العشرينيات من عمرها. وكان هناك شيء مألوف في لون عينيها ووجهها. ولم تلبث أن أشاحت بنظرها وابتعدت. أشارت أختي إليَّ كي أصعد المنصة وقالت: « ارتدِ هذا، ثم ارقدي على المذبح، وذراعاكِ مسترخيتان على جانبيكِ، وساقاك مفرودتان».

لم يكن الاسترخاء شيئًا بوسعي تحقيقه؛ لكنني أخذت الثوب بحذر شديد، ووجدته فاخرًا. خلعت ملابسي وارتديته.

كان به شريطان طويلان على كل كتف يصلان إلى الصدر، وكان هناك حزام فضي عند الخصر. كان للثوب فتحتان، الفتحة الكبيرة كانت على شكل رقم 7 في الأمام تتصل بقلبي المربوط بتعويذة الربط، وتجعل قلبي البشري الفاني يخفق بشدة. رفضت التفكير في أنه سرعان ما سيتوقف. وهنا نزل عليَّ بعض الهدوء، وكأن ريحًا سحرية تدفعني. سيكون كل شيء على ما يرام. نظرت إلى المستذئبة التي أحضرت الثوب وتساءلت عما إذا كانت قد غيرت حالتي المزاجية. كان سحرًا نادرًا ومرغوبًا. كان أمراء الجحيم يستطيعون التأثير في الخطايا، لكن التأثير في المزاج كان شيئًا مختلفًا تمامًا.

تخليت عن هذا التفكير مؤقتًا، وانتصبت في وقفتي، ثم بدأت الصعود على المذبح. ورقدت، كما قالت فيتوريا التي وقفت إلى جواري، ثم راحت تستطلع الغرفة حيث كانت المتحولة تنتظر، كانت حارسة المكان، حسبما فهمت.

نظرت أختي إليَّ، وعيناها البنفسجيتان تلمعان وهي تستدعي قوتها: «لن يزعجنا أحد. وسينتهي الأمر بسرعة».

وقبل أن أستسلم للرعب المتصاعد داخلي، استطالت أصابع فيتوريا ونشبت مخالبها في صدري. لم أصدق للحظة أنها فعلت ذلك.

فتحت فمي لأصرخ؛ لكن صوتًا لم يخرج. كان صدري يتمزق؛ من الألم. شعرت وكأن عشرات السكاكين قد وضعت في النار ثم غُرست في جسدي. كان الألم حادًّا وغامرًا تمامًا، فلم أشعر بأي شيء آخر. وهنا تشقق كل شيء مثل بيضة: السيطرة المفروضة على عقلي وذكرياتي، وانكسرت تعويذة الربط بأسرها، ليأتيني كل شيء متدفقًا.

عادت لي حياتي.

ومملكتي.

وقوتي. رأيت بمخيلتي راث وهو يغمرني بحبه معي، ويتدرب ويحارب بالفطنة والإرادة، ثم جاءتني ذكرى أخرى: أختي وهي تتآمر معي في غرفة العرش. وبعدها رأيت سورسيا تأتي إلينا بخطتها. وكانت رغبتها في الانتقام تشعل خطيئتي، ثم رأيت نفسي في الحديقة، ورأيت النظرة على وجه راث قبل أن يتلاشى كل شيء.

وهنا دوت الصرخة التي لم أستطع إطلاقها داخلي ليُسمع صداها في المعبد. كانت شكلًا من أشكال الغضب والعذاب. سمعت المتحولين ينتشرون من حيث كانوا يختبئون. وأخذت أصرخ حتى تباطأت الذكريات.

اجتاحت الظلمة المكان بالسرعة التي اجتاحني بها الألم، ثم لم أشعر بشيء أو أفكر في شيء، على الإطلاق.



حين انقشع الظلام وزال معظم الألم، وجدتني راقدة بلا حراك مثل تمثال. على بُعد عدة غرف، سمعت حفيف تنورة، وخطوات حذاء هادئة، وأصواتًا مكتومة. وفي مكان أقرب كان هناك من يتنفس بحدة وكأن أحدهم أفاق فجأة. أبقيت عينيَّ مغمضتين، وأنا أتكيف مع حدود سمعي الجديد وحواسي التي صارت أكثر حدة؛ لكن شيئًا برز على الفور. لم يكن لديَّ نبض، فرحت أشهق وأزفر بعمق وبطء.

لم يكن غياب نبض قلبي مربكًا، كما ظننته. وربما كان هذا يُعزى إلى عدم شعوري بالخوف بالطريقة نفسها. فركت إحدى عينيَّ لأجد خطوطًا حمراء وذهبية تنساب من النوافذ وأسفل الباب. لقد بزغ الفجر. لا بد أنني كنت بالخارج لفترة أطول مما ظننت.

نهضت وهرعت لأخرج من الغرفة؛ إذ كان جسدي الخالد مفعمًا بقوة غير معقولة. كنت أعلم أنه لا يوجد في الغرفة سواي؛ لكنني رحت

أنظر بعينين جديدتين. كانت فيتوريا مُحقة. شعرت وكأنني كنت مغمورة بالمياه، وأخيرًا برزت رأسي من تحت سطحها. كانت الألوان أكثر زهاء وشدة؛ بل كنت أرى خيوط ثوبي خيطًا خيطًا. وكانت ذرات الغبار تلمع في ضوء الشمس الفضي على الطرف المقابل للمعبد.

شعرت بأنني مفعمة بالطاقة. صعدت المذبح بقفزة واحدة، ثم اندفعت في الهواء، وهبطت برشاقة على الطرف الآخر من الغرفة. بزغ شعور غريب ومألوف بداخلي؛ إذ حلت دبيب قوتي المنتظمة محل نبضات قلبي. بدا كأنني وصلت البيت بعد فترة طويلة من البُعد.

«*ليأت النور*».

وهنا اشتعلت ورود وزهور برية وصارت كألسنة لهب في الغرفة بأسرها. كانت النار تزأر بغضب، وتشعل غضبي وتذكيه. كانت تلك القوة هي ما جعلني إحدى المرعبتين. لم تكن لها نهاية. إذ كانت رغبتي في حجبها هي ما حبسها. رحت أفكر في الجدة ماريا، وتذكرت أكاذيبها، ووجعي، ورأحت الزهور تشتعل بمزيد من القوة واللمعان، ثم استدرت برأسي حين لفت صوت مألوف انتباهي.

تعرفت على خطوات أختي قبل أن أراها.

«أترغبين في قليل من الانتقام قبل أن أرحل؟».

وهنا انفرجت شفتاها في ابتسامة خفيفة، وقالت: «تسرني عودتك يا فيوري».

التاسع عشر

حين عدت إلى مملكة راث، استشعرت الكثير من التغيرات. كان الخدم يتحركون بصخب في الأدوار السفلى، وجنود الجان يؤدون تدريبات في أحد المعسكرات التي لم أزرها.

وكان بعض النبلاء الغاضبون يتجادلون، وغضبهم يشتعل مثل ألسنة اللهب في محيط وجودي.

لكن زوجي كان من استحوذ على كل اهتمامي، كانت طاقته كجحيم هادر مُحاط بأبراج من الجليد، كان مدهشًا. رأيت سحره يلمع كبريقه الأسود متعدد الدرجات مع نثار ذهبي، كان لامعًا وخطرًا مثله.

كان راث لا يزال في الحلبة. كنت أستشعر نبض قوته عن بُعد، فأنا أستطيع تمييزه في أي مكان؛ إذ كان هناك انجذاب دائم بيني وبينه. كنت أشعر بتوق للذهاب إليه؛ لكن عودتي إليه بكامل حقيقتي وقوتي كان من المحتم أن تؤجل قليلًا. وما دمتُ أستشعر سحره، فما من شك أنه استطاع استشعار سحري أيضًا. ولم أكن سأنتظر كثيرًا إذ سيحضر قريبًا باحثًا عن مليكته المستعادة؛ لكن انتباهي الآن تحول نحو برج الساحرة العجوز حيث كانت فاونا تعمل، واتجهت إلى هناك على الفور.

كان الوقت يمر بشكل مختلف في نطاقات الجحيم. لهذا لم أكن متأكدة من الوقت الذي مكثت فيه بالخارج؛ لكنه لم يكن طويلًا، وإلا شرع راث في البحث عني. رحت أبذل قصارى جهدي كي لا أرعب صديقتي، فطرقت الباب بلطف، أو هذا ما ظننته؛ إذ وجدت الباب ينفتح بقوة غاشمة. تجاهلته وناديت: «فاونا؟!».

نبهت الجلبة صديقتي التي التفتت لتواجه الباب. وقفت فاونا بسرعة كادت تسقط من مقعدها بسببها وقالت: «إيميليا! شكرًا للشيطان على عودتك، لقد وجدت...»، ثم قطعت حديثها وأخذت تدقق النظر في وجهي، لعلّها تجد ما عهدته فيه من ألفة ومودة؛ لكنها لم تنطق بما كانت موشكة على قوله، وقالت: «عيناكِ...».

رددت قائلة: «أعلم». فلم يعد لونهما بنيًّا داكنًا؛ بل صار ورديًّا مذهّبًا بسبب سحري.

وحولت انتباهها إلى صدري الذي لم يبدُ عليه الاختلاف. لم تكن به ندوب ولا آثار لما اقتلعته أختي منه؛ بل لم يكن هناك أي دليل على وجود تعويذة ربط. ورغم حواس فاونا الشيطانية، فإنها لم تعد تسمع قلبي البشري ينبض.

تسلل شيء شبيه بالحزن إلى ملامحها، شابه بعض الرعب. بدا ألم في عينيها أصابني بالارتباك. إذا كانت هذه هي الطريقة التي كان راث يستشعر بها العواطف، فلا بد أنها غير مريحة وتتطلب وقتًا كي أعتادها. لقد نسيت كيف يسير ذلك الأمر، وكان عليّ إعادة تدريب نفسي على التركيز على الأحاسيس في أوقات معينة، متى كان هذا مناسبًا لي، وإلا أصابني الجنون.

سألتني بهدوء: «هل أجبروكِ على هذا؟!».

فوجئت بسؤالها، فلم تكن استعادتي هيئتي الحقيقية لعنة. ومع ذلك بدت صديقتي وكأنها تتحدث مع مخلوقة ميتة. حاولت الابتسام لكنني رأيتها تبتلع ريقها من جديد في خوف، فتنهدت.

«كلا، لم يجبرني أحد على عمل أي شيء، عدا الساحرات حين أجبرنني على ممارسة خدعهن».

تقدمت داخل الغرفة بهدوء، فيما كان الشعور الذي أثرته لدى فاونا يتصاعد. صار الخوف يسيطر على صديقتي.

مرّرت أصابعي فوق كتب التعاويذ المفتوحة. شعرت بأن الورق صار أكثر خشونة، ورائحة الحبر أكثر قوة، وسألتها: «هل عرفتِ أنهن حبسنني في ذلك الجحيم الحقيقي المدعو الجزر المتحولة؟ إنه اسم ذكي لجزيرة مسحورة تُغير الزمان والمكان، وقد كانت هي المكان المناسب كي أعود لذاتي الحقيقية».

مرت برهة من الصمت، تلتها أخرى، وراحت فاونا تحاول استيعابي مجددًا وهي تتفحصني. لاحظتُ بعض علامات الدخان على ثيابي وشعري، ولاحظت هي أيضًا ذلك، فقالت، وصوتها مشبع بالشك: «هل هاجمتِهم؟».

أجبت بتردد: «ربما زرتهم».

«إن جلالته سوف...».

«لقد تحركت ضد من خانوني، وكان لهذا ما يبرره. ماذا وجدتِ؟».

تعقبت فاونا عيني اللتين هبطتا على كتاب التعاويذ الذي كانت تقرؤه. وهنا بدا شيء من توترها، وهي تشير إلى الصفحة وتقول: «أظنني وجدت طريقة لكسر اللعنة».

«اللعنة الملقاة على راث؟».

«نعم، لكن ليس هذا كل شيء». لم تكتمل الابتسامة على وجهها؛ لكن حالتها تحسنت عن ذي قبل؛ حيث انحسر خوفها قليلًا، رغم بقائه بشكل غير مريح.

«إن خنجر الدمار أكثر من مجرد شيء مسحور؛ إذ يمكنه تدمير اللعنات والأسحار بعض الشيء. لست متأكدة بالتحديد من طريقة عمله؛ لكنني وجدت شيئًا آخر قد يساعد على التفسير».

وهنا جذبت كتابًا آخر ودفعته نحوي. كان يحوي خريطة معقدة لمملكة راث تُبرز أنفاقًا، ومعابد، ومغارات سفلية شبيهة بمدن وعوالم تحت الأرض.

وأكملت فاونا قائلة: «هناك مكان على هذه الأراضي يُدعى بئر الذكريات. أعتقد أنه مفتاح معرفة المزيد عن خنجر الدمار». ثم أشارت إلى قسم من الخريطة بعنوان «الحدائق» وقالت: «يجب أن تدفعي عشورًا للإلهة كي تدخلي حجرة بئر الذكريات. إنه أمر مزعج؛ إذ يجب أن تحسبك البئر مستحقة، والذكريات التي تريكِ إياها تكون كوابيس تطهَّر منها الآخرون، أو أشياء تمنوا نسيانها».

«هل هذا كل شيء؟».

أجابت فاونا بضيق: «ليس الأمر سهلًا، كما يبدو، فقد تخدعك البئر لتظني أنكِ *داخل* الذكرى التي تعرضها لكِ. يقال إن البعض يظلون عالقين هناك إلى الأبد، ويعيشون مجددًا أسوأ ما في الذكريات من لحظات، حتى تلك التي لا تنتمي إليهم».

لم يكن هذا شيئًا أعبأ به؛ لكن إيميليا المربوطة بالتعويذة كانت ستتأثر بكل ذلك. تمكنت فاونا من إخفاء معظم علامات خوفها؛ لكنني استشعرته. لم تُصبها جرأتي بالفزع؛ لكنها جعلتها تشعر بانزعاج شديد. وكنت بحاجة لتهدئة روعها كي تركز.

سألتها: «كيف يمكن تجنب هذا؟».

ورغم ما بدا عليها من شك، رأيت أنها قررت عدم سؤالي عما إذا كنت قلقة بالفعل أم أحاول تهدئتها.

نظرتْ إلى الكتاب الذي كان بين يديها وأجابت:

«وفقًا لهذا النص، إذا ركزتِ على سؤالكِ وأبقيته نصب عينيكِ، فستتمكنين من التنقل بين الذكريات ريثما تجدين الإجابة. ففي معظم الأحوال تُغلَّف الذكريات بالكوارتز النقي، أو الهيماتيت، أو الأماتيست، أو اللازورد. وفي كل مرة تفكرين في سؤال، ستمسكين إحدى هذه

البلورات، ومن المفترض أن تجذب نحوك الذكرى الصحيحة أو العكس».

أطرقت مفكرة في السؤال الذي كنت في أمس الحاجة للإجابة عنه، وقلت: «أأنتِ واثقة من أن هذه البئر ستعرف مكان خنجر الدمار إذا سألتها عنه؟».

«من المفترض أن يتحقق هذا من الناحية النظرية. لا بد أن أحدهم يعرف مكانه، أو على الأقل يعرف شخصًا ذا صلة به. فحتى لو لم يتحدث عنه أحد بشكل مباشر، قد يظهر في ذكرى تم التطهر منها. قد لا يقودكِ هذا إليه مباشرة؛ لكنه قد يضعكِ على نقطة البداية». ثم زفرت فاونا وقالت: «لكنني لا أعرف أي شخص نجح في استخدام البئر».

لفت هذا انتباهي، فسألتها: «ولا حتى أمراء الجحيم؟».

«لا يستطيعون. لا يعلم أحد السبب. ومن المؤكد أن جلالته حاول حين بدأت اللعنة عملها؛ بل قد سمح لإنفي بمحاولة استخدامه؛ لكن المحاولتين فشلتا. لم يتمكنا من الوصول إلى أية ذكريات، لا من الفانين، ولا الشياطين، ولا أي كائن خارق».

كان هذا شديد الغرابة. «كانت البئر موجودة قبل بدء حكم أمراء الجحيم، أليس كذلك؟».

فأومأت فاونا وقالت: «بلى. إن تمثال الإلهة جديد؛ لكن السجلات تشير إلى أن البئر نفسها سبقت تأسيس ممالك الخطيئة ببعض الوقت، لكن...».

«لكنها لا تسبقني».

«كلا، ففيما عدا الساحرة العجوز ومجلس الأخوات السبع، لا يوجد العديد من الكائنات التي تواجدت هنا قبلكِ وقبل أختكِ».

لو كانت تعويذة الربط موجودة، لأزعجتني فكرة عمري الطويل؛ لكنني عدت بذاكرتي المحررة للتو إلى الخلف، وغصت في المغارة

الواسعة التي بدت وكأن وجودها يعود إلى دهور. تذكرت زمنًا سابقًا لما خلفه أمراء الجحيم عندي من ضجر وفجور، وقبل صعود الشيطان عرشه، حين تلاقت روحي وروح فيتوريا.

لم يستمتعوا بحفل الترحيب بنا.

كنا مخلوقتين قاسيتين ومتوحشتين. وكنا نتلذذ بهذا. بداية، كانت لديَّ فكرة واضحة عن سبب تزوير أمنا للذكريات، وسبب خلقها ستارًا بين الجبال يفصل مملكة فينجنس عن بقية الدوائر السبع. لم ترغب سيليستيا في أن يتذكر أي شخص زمن ما قبل حكم الشياطين، إذ كانت هناك مخلوقات أسوأ هي التي تحكم.

تحولت قوة راث فجأة، وجذبتني نحو الحاضر. لقد انبلجت من حيث كان، وظهرت مجددًا بصورة أقرب وأقوى. كانت حارقة كحرارة الشمس؛ إذ كان في حالة غضب عارم.

أيتها الربة في العلى! لقد جعل غضبه حنقي يصدح كنشيد المعركة، وكنت أعرف أنه يستشعر قوتي ويتتبع مصدرها. وفجأة سمعت صوت خطوات يرعد في الممر خارج البرج. وهنا ودعتني فاونا على الفور وانطلقت خارجة من الغرفة.

كانت شديدة التوتر. وكان مليكنا في حالة مزاجية سيئة.

وكان لديَّ دليل واضح على سر ذلك.

اتكأت على الطاولة، منتظرة ما بشّر بأن يكون استعراضًا كبيرًا للعواطف. لم تكن عودته مخيبة لتوقعاتي. خلع راث الباب وقذف به بعيدًا وكأنه معدوم الوزن. كانت عيناه الذهبيتان متقدتين بخطيئته وهما تستقران عليَّ. وزال بريق الراحة سريعًا ليحل الغضب الجامح محله.

فقلت: «لم يفعل الباب شيئًا يستحق عنه هذا».

«كان من الممكن أن تموتي».

تظاهرت بفحص نفسي وقلت: «كان إنفي مُحقًّا، فقد انتصر الخلود».

«كانت مخاطرة».

ابتسمت وقلت: «مخاطرة محسوبة». لم تثر ابتسامتي الخوف هذه المرة؛ إذ لم يحول راث نظره عن وجهي، بينما كان غضبه يستعر فيما بيننا. تابعت: «أعرف لماذا لم ترغب في كسر تعويذة الربط». فعقد ذراعيه على صدره ورمقني بكبرياء. كم كان شيطانًا جذابًا ومتغطرسًا. أكدت له: «أستطيع التحكم في غضبي. لن يخاف رعاياك أي شيء».

هز راث رأسه وقال: «حقًّا؟ أليس لرائحة الدخان العالقة بملابسكِ صلة بالانتقام؟ هل جلست وأختكِ حول النار وتحدثتما عن الأزمنة الغابرة كإلهتين مهذبتين».

رمقته بنظرة حادة، وقوتي تزداد لتواكب قوته؛ لكنني أحكمت السيطرة عليها في النهاية وقلت: «كان قليل من الانتقام مُستحقًّا، كما تعلم، ويجب أن تشكرني الساحرات على أنني اكتفيت بتدمير مطعمهن فقط وليس حياتهن بأكملها. يستطعن إعادة بنائه؛ لكن يجب أن يفكرن بإمعان قبل أن يغضبنني مجددًا».

تنهد راث وقال: «أنتِ محقة، سيفكرن قبل أن يهاجمنكِ؛ لكن هذا لن يثنيهن عن الرد بنيرانهن الخاصة». ثم حدق فيَّ، ونظرته تتحول إلى البرود كنبرة صوته، وقال: «استُدعي جريد إلى مملكته، فترك الحلبة. لقد لمح جواسيسه ساحرات يتجمعن في الجبال خلف دائرته. سوف يهاجمن، ثم يلقين الذنب عليكِ».

كان هذا سر غضب زوجي.

كان جريد سيطلب إثر ذلك الانتقام مني ومن فيتوريا، وكان أميري سيُجبر على خيار يئول إلى سفك الدماء. لم تكن هناك خدعة أنفذها مع راث لتجنب هذا مثل المرة السابقة، وقد صار جريد يثير المزيد من المشكلات. لم أشك في أنه كان مسئولًا عن جلب الجمجمة المسحورة

كي يلقي التهمة على أختي. وسواء أكان يعرف أم يشك في أن فيستا على قيد الحياة، لم يعد هذا مهمًّا. كان يريد الثأر، وكان سيستخدم هذا تبريرًا مثاليًّا للاستمتاع به.

ضممت قبضتيّ يديَّ وقلت: «أرسل خطابًا إلى بلاط جريد، طالبًا زيارة فورية. سنهاجم الساحرات قبل أن يضربن. وهذه المرة، لن أكون رحيمة. دع أخاك والساحرات يروا ما يمكنني فعله».

ثم درت على عقبيَّ واتجهت إلى جناحي، وثوبي البنفسجي يتموج حولي كغيمة عاصفة. لقد حان وقت الاستعداد للحرب.



العشرون

نشب الصقيع مخالبه الباردة في المتراس الحجري لمملكة جريد. كنَّا نقف في صمت بالممر الضيق، مثبتين أنظارنا على صف الأشجار في الأفق، ومتجاهلين برودة الماء الذي راح يقطر على ملابس القتال الجلدية. ثم لمح حارس بريقًا جهة الشمال الغربي. كان من المستحيل معرفة ما إذا كان الغرض من هذا هو التشويش أم أنه كان حادثًا عرضيًا. لم أصدق أن الساحرات يمكن أن يكُنَّ بهذا الاستهتار، بالنظر إلى حرصهن الشديد؛ لكن أشياء أكثر غرابة وقعت حين كن ينفعلن، وهو ما جعلني أتساءل...

رحت أتفحص الأراضي الهادئة؛ حيث كان السحر مُعبأ وجاهزًا، فحتى مع اشتداد هطول الصقيع، وعدم وجود حيوانات أو طيور في الغابة، خُيِّل لي أن الدائرة كلها حبست أنفاسها منتظرة؛ لكنني لم أستشعر أي خوف بعد. كانت مروج جريد تمتد لمئات الأمتار في جميع الاتجاهات، وهي طريقة ذكية لكشف أي زوار مزعجين أو غير مرغوب فيهم مثل الساحرات. ووقفت في وضع الاستعداد.

حين كنت أفكر في الساحرات، كان من المستحيل ألا أتساءل عن الجدة. فإذا كانت مع الساحرات هنا الآن، فلم أكن لأتردد في الدفاع

عن الشياطين، حتى لو كان هذا يعني أنني سأحاربها. وددت ألا يصل الأمر إلى هذا الحد؛ لكن لم يكن هناك ما يحدد ما كانت «جدتي» تستطيع فعله.

احتكت ذراع راث بذراعي، وكان الدفء المتصاعد منه نقيضًا لعاصفة الشتاء. هبت الريح على جدار القلعة، مصدرة زمجرة هادئة. كانت السحب الداكنة قد تجمعت فوق مملكة راث بعد أن وضعنا خطتنا بوقت قصير. لم يكن هناك شك في أن الطقس الحالي نتج عن اعتلال مزاج زوجي، إذ لم يلقَ أول طلب منه بأن ندخل دائرته، ترحيبًا قط. فبعد واقعة صالة اللعب، لم يكن أمير جريد ليرحب بمقابلتي في منزله مجددًا. كما تحامل دوق ديفون ضدي، مشيرًا على أميره بألا يسمح لساحرة منتقمة بدخول بلاط خطيئته مرة أخرى. لم يكن قد نما إلى علمه أن تلك الساحرة المنتقمة كانت إحدى إلهات العالم السفلي، وأنه يجب أن يحترس فيما يقوله. كانت الرسالة الثانية الصارمة من راث هي التي جعلت جريد يسمح لي على مضض بدخول بلاطه الملكي، ولا سيما مع وعد بالمساعدة ووعيد من زوجة راث التي استُعيدت للتو.

وفجأة انتصبت شعيرات عنقي، ولم يكن لهذا علاقة ببرودة الرياح. صوَّب الجان المشهورون أقواسهم سهامهم استعدادًا. وكان خوفهم يتصاعد ويخز جلدي مثل الإبر. لم يتحرك راث؛ لكنني استشعرت تحول انتباهه إلى الحديقة أسفلنا. كان يحس بما ينتابني.

أشار جريد إلى حارس يطل من الحافة، فتقدمت إلى الأمام، والوخز يزداد شدة، ثم أدركت أنني لم أكن أستشعر خوف الحراس؛ بل خوف أعدائنا. كانت الساحرات في المكان. تحققت من الحديقة التي بدت خاوية، ثم لاحظت الآثار في الحشائش المكسوة بالجليد. كانت الأنصال المكسورة قد سُحقت.

فصرخت: «انتظرا».

لم يعبأ الحارس بتحذيري، فمال على الحافة، ملاحظًا ما لاحظته بعد فوات الأوان. وقبل أن يتصرف أحد، اندفع الدم من عينيه، وانقلب وسقط على الثلج، فعلت الصرخات من الصف، وراح الحراس يطلقون السهام على عدو غير مرئي، ومن ثم لم تصب سهامهم هدفها. وإذا كانوا قد استمروا بهذه الطريقة، لانتصرت الساحرات.

لم أكن لأسمح بحدوث ذلك.

صرخت في جريد: «مُرْهم بالتراجع، تستخدم الساحرات السحر».

فأشار جريد للصف التالي من الحراس قائلًا: «لسن إلا فانيات بائسات، ونحن نستخدم أسلحة».

أي جاهل أحمق هذا! لقد ساق جنوده إلى الموت.

ورغم عاصفة الشتاء الهوجاء، كان سحري ينير السماء، ويهبط مثل النجوم الغاضبة الناقمة التي تندفع نحو الأرض. راحت كرات النار الذهبية الوردية تضرب بسرعة جعلتها تترك حفرًا في الأرض. شقت الصرخات الصمت وكأنها أصوات حيوانات تُساق إلى الذبح.

فاستدعيت مزيدًا من السحر والنار، ورحت أشاهد المنظر وأسكب غضبي دون أحرك ساكنًا.

فأيًا كانت التعويذة التي تستخدمها الساحرات للاختفاء، فقد انكسرت تمامًا، كما تخيلت. فلا يفل السحر إلا السحر، ولم يكن سحرهن سوى صورة مخففة من سحري. وقد آن الأوان لتذكيرهن بذلك.

«*ليأت النور*».

أمسكت النيران في الساحرات الملثمات، وراح لحمهن يذوب حتى ظهرت عظامهن، واشتدت رائحته المثيرة للغثيان. كن يقاومن بقوة مذهلة، ويطلقن سهامًا سحرية تندفع في الهواء، وتضرب الجان بقوة كافية لإسقاطهم. كان بإمكاني إنهاء كل هذا على الفور، والقضاء *عليهن* الآن؛ لكنني أجبرت نفسي على القتال العادل. أردت أن يتأكد راث من أهليتي للثقة، حتى حين كانت عواطفي تتأجج.

وهنا أصاب سهم سحري ذراعي، لافتًا انتباهي إلى الساحرة التي أطلقته. أزاحت الجدة لثامها، وبدا على وجهها تعبير قاسٍ. أظهرت نظرتها أنني بمجرد تخلصي من تعويذة الربط صرت أناصبها العداء.

حدقت فيها للحظة، سامحة لنفسي بأن أستوعب أنها من رمى السهم. كان بإمكاني قتلها تحقيقًا للعدالة والثأر لما اقترفته بحقي وبحق أختي...

لكنني صحت فيها: «اهربي».

كان هذا هو التحذير الوحيد الذي كنت سأطلقه؛ لكنها لم تكن أهلًا له.

لم أنظر إليها مجددًا، ولم أكن متأكدة من أنها سمعت. على أية حال، فقد اتخذت كلتانا قرارها.

راح الشياطين يتساقطون عن اليمين وعن الشّمال، ولم أعرف ما إذا كانوا قد قضوا أو أصيبوا بجروح بالغة. واصلت إطلاق سحري على الخط الأمامي، وبذل قصارى جهدي لدفع الساحرات نحو الغابات وإبعادهن عن بلاط جريد. وسرعان ما استسلمن؛ إذ كان سحرهن محدودًا. كل ما كان علينا فعله هو إثناؤهن عن إلحاق أي ضرر جسيم أثناء استنفادهن مواردهن. ولم تكن هذه المهمة صعبة التنفيذ.

استشعرت سحر راث الجليدي، ثم سمعت هسهسة ألم، فحولت انتباهي إليه لأرى أن سهمًا سحريًا اخترق كتفه.

فصرخت، والصقيع والرياح تزمجر: «هل أنت بخير؟».

جز على أسنانه وجذب السهم لينتزعه من ذراعه وأجاب: «لقد غمسوا السهم في سم التنين».

ثم طار سهم آخر في الهواء، متوجهًا إلى حلقه مباشرة، فالتقطته من السماء وكسرته بقبضتي. ثم طار سهمان آخران مغموسان بتلك المادة المشتعلة نحو راث. لا بد أن الجدة أخبرت الساحرات بالتصويب نحوه، إما لإرباكي أو لمعاقبتي على اختياره. فاستشاط غضبي.

كان زوجي يُستهدف، وهو ما وضع حدًّا لكل مظاهر العقلانية التي حاولت التعامل بها، ولتذهب خطتنا إلى الجحيم.

قلت بصوت يكاد يكون همسًا: «كفى»؛ لكنه وصل واضحًا إلى الحراس والساحرات. كان شبيهًا بهبوب رياح الأعاصير، ولا بد أن الساحرات استشعرن الخطر الداهم، فتوقفن عن إطلاق سهامهن السحرية، وأمسكن بأيدي بعضهن البعض، وبدأن الترتيل، لعلَّ سحرهن يتفوق على سحري، ولا سيما أن غضبي اشتد.

تنهدت، مستلهمة القوة من أعماقي، ومستغلة سورس أقصى استغلال.

كان هذا معينًا لا ينضب، لا نهاية له. فحين كانت تعويذة الربط موجودة، كانت قوتي وما أستطيع فعله مجرد شيء سطحي؛ لكن غضب الساحرات، وحنقهن بسبب عودة مملكة فينجنس، والهجوم على سي آند فاين، والخوف الذي صرت أستشعره قادمًا من جهتهن في موجات - أشعلتني. لقد تحولت إلى الصورة التي طالما تناقلنها في رواياتهن. اعتنقت ذاتي الحقيقية.

لقد صرت فيوري إلهة الغضب، كما ينبغي لها أن تكون، وأقسمت أنهن لن ينسين ما يعنيه أن يوجهن ضربات إلى إلهة.

سيقص مجلسهن حكايات عن هذه المعركة لقرون مقبلة. رحن يهمسن بتحذيرات مكتومة النبرة وينظرن إلى السماء، باحثات عن نذير يبين لهن ما إذا كن قد أججن خطيئتي. سيعيش راث، أما هن... فلا.

استدعيت مزيدًا من القوة، والنار، والغضب، وأنا أوجه سحري إلى الساحرات. كنَّ أربعًا وعشرين، بالإضافة إلى الجدة؛ لكنني لم أميز أية واحدة غيرها، رغم أنني لم أكن أنظر. لم أعبأ بما إذا كنت أعرفهن شخصيًا أم لا. لقد جئن للحرب، والقتل، وكنت سأعاملهن بالمثل. وهذه المرة، لم أكن لأسمح لأي شخص بأن يفرق بيني وبين راث.

كُنَّ سيؤذينه، ورغم أنه كان سيُشفى، فقد اكتفيت.

استدعيت كل ذرة غضب لديَّ؛ بل كل ذرة من استيائي من التلاعب والخيانة والأكاذيب، وأعوام أبعدت فيها عن سحري المطلق في جحيم مقيم. راحت الجثث تتساقط واحدة تلو الأخرى، والرياح العاصفة تحمل الرماد المتفحم بعيدًا. رحت أستمطر النيران كإلهة منتقمة بعد سقوط آخر ساحرة، وأنا مسرورة لمشاهدتي الدائرة كلها تحترق.

وفجأة التفت حول يدي أصابع دافئة جاذبة إياي نحو الزمان والمكان الحاليين.

كان الصمت المخيف أول شيء لاحظته. لم تعد النار تفرقع، كما هدأت عاصفة الشتاء، لدرجة جعلتني أسمع صوت الجان يتنفسون بجواري. نظرت إلى راث، الذي بدا عليه الضيق والفخر في الوقت نفسه، وقال: «لقد لقين حتفهن جميعًا، سيدتي».

رحت أشعر بوخزات كثيرة في جسدي مجددًا، ثم أشحت عينيّ عن زوجي ورحت أنظر حولي. كان جميع الحراس ينظرون إليَّ، والخوف محفور على وجوههم. حسنًا، ليس *كل* الحرس. كان الكثير من الجان ينظرون إلى الأرض، رافضين النظر في عينيَّ تمامًا. شرعت أتطلع إلى صفوف الحراس والجنود حتى وقع انتباهي على أميرهم. لم يكن جريد خائفًا؛ لكنني استشعرت شيئًا من القلق وهو يخفض رأسه. كانت يده مستقرة على مقبض سيفه.

قال جريد: «تشكر مملكة جريد مملكة راث على مساعدتها».

مساعدتها. لقد أنهيت معركة قبل أن تبدأ أية حرب فعلية.

تطلعت إلى الحرس الجرحي، بجانب الحارس الأول الذي كان ينظر إلى الحافة، لم يمت أي منهم. لم يكن غضبي قد هدأ بعد، وبين وخزات الخوف التي تزعجني وضيقي من العجرفة الذكورية، أطلقت العنان لبعض النيران.

«لماذا يُستهدف بلاط جريد باستمرار؟ أرى أنه من الغريب أن الساحرات والمتحولين قرروا الهجوم على دائرتك. فمهما كانت

الفتن التي تحاول أختي إشعالها، فهي تصيبك أنت دائمًا، لا راث، ولا إنفي، ولا برايد؛ بل أنت وحدك. ماذا فعلت لتجعل كل هؤلاء أعداء لك؟».

أجاب جريد بتردد: «ربما يسعون لأخذ ثروتي، فالنقود التي تُحصّل من صالة لعب واحدة كافية لتمويل حرب». ثم ابتسم ببطء وأردف: «تفضلي في جناح الضيوف، فسيكون عدم إقامتي حفلًا على شرفكما تقصيرًا من جانبي».

بهذا القول، سار جريد وحراسه نحو القلعة. فكرت في إلقاء بعض البراعم النارية في أعقابهم، إذ بدت فكرة رؤيتهم يتقافزون مسلية بعض الشيء؛ لكنني أحجمت. كان راث لم يزل يرقبني وكأنني سأفقد السيطرة وأحرق المملكة حتى تصير رمادًا.

قلت بهدوء: «أخبرتك أنه لا يوجد ما يخيفك مني».

رد راث وهو يتطلع إلى الميدان: «أعلم هذا؛ لكن هل تعلمينه أنتِ؟».

تطلعت إلى المتراس، محدقة في البستان المشتعل؛ إذ لم تكن جثث أعدائنا أكثر من مجرد بقع رماد!

كان يجب أن يزعجني ذلك، أن يرعبني أنني أملك من القوة ما يكفي لمحو أربع وعشرين ساحرة دون بذل جهد. وقد تكون الجدة ضمن هؤلاء الموتى؛ لكنني لم أشعر بشيء. كل ما شعرت به هو الرضا لأنني تمكنت من حماية من أحب، وهو ما جعلني أتهم سبب عدم رغبة زوجي في تحرير إلهة الانتقام الكامنة بداخلي.

ثم حولت انتباهي إلى راث وقلت: «أود الاستحمام كي أتخلص من رائحة الدخان قبل أن نستعد لحفل الليلة».



لم أفاجأ حين وجدت غرفة حفلات جريد تجسيدًا للانحلال. فكما كانت الحال في صالات اللعب، كان كل ما ينم عن الثراء، والفخامة يحيط بنا، وأجود ما يُشترى في كل مكان. كانت الألوان زاهية، والمعادن نفيسة، وأنواع الحرير والقطيفة شديدة الوفرة، علاوة على عدد ضخم من اللوحات الفنية المعروضة المؤطرة ببراويز رائعة. كانت غرفة تبرهن على شره الأمير للثروات المادية.

رحت أسير مع راث بعفوية نتفقد صالة الرقص الواسعة. لم يتحدث كثيرًا أثناء استحمامنا وارتدائنا ثيابنا الرسمية. كان مزاجه صعب التحديد؛ لكنني لم أكن غبية. كنت متفهمة أن رؤيته لي في أوج مجدي وإفساحي المجال لغضبي المستعر شيء مزعج؛ لكنه كان ملمًّا بخطتنا. لقد ساعدني على وضعها قبل أن نترك بلاطه. وبعكس أخيه وجيش جريد، لم يُفاجأ راث بما حدث، هذا المساء. كان يعرف أن أيًّا منا يجن حين يُهدَّد الثاني، وأنني إذا تعرض لخطر فسأطلق العنان لقوتي بكاملها. لقد أقسمت أن أحدًا لن يفرقنا عن بعضنا البعض مرة أخرى.

وكنت أعني ذلك.

لكن لم يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كان نادمًا على شيء من تلك الخطة أم لا. كان أمير الحرب يفضل القتال والتلاحم مع العدو؛ لذلك قد تكون رغبتي في السحق والتخلي عن التهذيب هي ما سبَّب له إزعاجًا.

كان راث يستخدم سحره سلاحًا إضافيًّا حين حاربنا الذئاب؛ لكنه كان يستخدم خنجره بالقوة نفسها. شعرت بشيء من عدم الارتياح. كان من المستحيل أن أحدد ما إذا كان ضميري البشري هو الذي يظهر مجددًا على السطح أم وخزات الخوف من السيدات والسادة الواقفين بجوارنا.

اقترب أحد الخدم منا حاملًا كئوسًا بها نبيذ فوار ذو ألوان ذهبية ووردية وأرجوانية لنختار منها وقال: «سيدتي إيميليا». كانت رقاقات من الذهب تلف داخل كل كأس، معبرة عن شكل آخر من أشكال

الشهوة. اخترت النبيذ الوردي وأخذت رشفة بحذر. أما راث فقد اختار الأرجواني، ثم شرعنا في استكمال تجولنا ببطء حول غرفة الاحتفالات.

وكلما مر بنا مجموعة من السادة والسيدات، اشتد الوخز في ذراعي. كان الجان الأكثر جرأة يحنون رءوسهم ويتمتمون بأدب: «الأمير راث، السيدة إيميليا،» ثم يبحثون عن مكان آخر يقفون فيه. كان هناك شعور مريب يتغلغل بداخلي.

لم أتوقع منهم عبارات شكر؛ لكنني فوجئت بنظرات متفادية ووخزات من الخوف. كان أمرًا غير مرغوب فيه. كان من الصعب التمييز بين ما إذا كان خوفهم موجهًا نحوي أم أنهم كانوا يحتاطون من راث. حين كان هنا آخر مرة، دمر صالة لعب بغضبه الأسطوري. ربما كان كل منا يثير رعبهم.

ورغم أن زوجي لم يجد صعوبة في جذب بقية الذكور نحوه، راح قليل من السادة يبادلون أطراف الحديث بأدب عن المعركة التي لم تحدث ويرتشفون مشروباتهم، مفسحين لأنفسهم المجال للهروب حين يُذكرهم راث كيف أنقذهم سحري الناري.

ضغط راث على يدي بلطف وقال: «أتودين الرقص، سيدتي؟».

«نعم».

اقتادني زوجي إلى المرقص. كانت الأرضية من البرونز اللامع الذي عكس صورتينا بشكل مشوش، أو لعله كان يعكس شعورنا الداخلي بالتشويش. لم أعتد محاولة دمج العواطف البشرية الفانية في حواسي الخالدة. بدا الأمر كأنني منقسمة إلى نصفين يحاولان التلاقي؛ لكن أحدهما كان زيتًا والآخر كان ماء. ومهما اجتهدت في محاولة مزجهما، ظلا متنافرين؛ بل متناحرين.

قربني راث منه أثناء عزف الفرق الموسيقية مقطوعة الفالس، مثبتًا يده على ظهري. جعلني هذا أشعر بالدفء يسري في عروقي.

ويبدو أنها كانت محاولة ناجحة منه لتشتيت انتباهي عن وخز التوتر الذي ملأ الغرفة.

وسرعان ما لفت انتباهي دوق ديفون، فشعرت بغضبه، ثم تحول على الفور إلى المرأة التي كان يراقصها ولعلّه قال شيئًا جعلها تضحك، ربما كنت أنا مادة هذا الضحك. لم أرغب في أن يثير هذا غيظي؛ لكنني كنت أيضًا أشعر بمثل هذا الحنق إذا اكتنفني غضب راث الشديد وآل بي الأمر للتبول على نفسي!

وحتى الشركاء الذين كانوا يرقصون غير واعين بأي شخص سواهم، كانوا يتجمدون حين نمر بجوارهم؛ لكنني سمعت الهمس هذه المرة. كانوا يتحدثون عن صعود المرعبتين، وكيف أن إلهة الموت مطلوب القبض عليها بتهمة القتل، وكيف أتت فيوري لتسوية ديون أختها. لم يكونوا خائفين من زوجي الغضوب؛ بل مني.

أرحت رأسي على كتف راث وتجاهلت الهمس. يمكنهم أن يثرثروا بكل ما يريدون، فلم يكن أي منهم يدري من أنا أو ما أشعر به، وكيف كنت أود مساعدتهم بالعثور على خنجر الدمار وكسر اللعنة. وحتى لو عرفوا، لم يكن معظمهم ليعتبرني صالحة. كانوا سيجدون دائمًا مبررًا ليكرهوني أو يخافوني؛ إذ كان هذا هو الطريق الذي أرادوا أن يسلكوه. ومع الوقت صار الهمس أكثر حدة وقسوة.

رفعت رأسي ونحن نرقص حول الغرفة. ووجدت أن المرقص فرغ من مرتاديه لتتحول الوخزات الدالة على الخوف إلى طعنات. لذتُ بالصمت وأبقيتُ ملامحي محايدة. ربما كان هذا بسبب الأعوام العشرين التي قضيتها إنسانة فانية؛ لكنني لم أكن أرغب في بث مثل هذا الخوف.

كانت القوة أحد الأسباب؛ لكنني لم أكن لأعتذر عن قدرتي على الدفاع عن نفسي وأحبتي؛ بيد أن هذا... لم يكن ذلك ما أردته. تسللت إحدى ذكريات حياتي القديمة إلى عقلي، فرغم كل ما استدعيته من سحر ناري، كنت باردة المشاعر تجاه الجميع، فيما عدا أختي.

لقد نسيت العزلة التي يسببها خوف الآخرين مني. لم أعرف سواها، ولـم يكن لديَّ ما أقارنها بـه. والآن، عرفت معنى دفء الصداقة، ومتعة الضحك، والراحة التي يجدها المرء في تقبل الآخرين له.

كان راث يُحترم لقوته، لا يعاقب عليها. كان الجان؛ بل إخوته يفكرون مليًا قبل أن يغضبوه. ومع ذلك راحوا يتطلعون إليَّ وكأنني جلاد مستعد لحرقهم حال استشعاري أية إهانة.

لـم يكن من العدل أن أُعاقَب على الشيء نفسه الذي يُجِلّ الآخرون زوجي من أجله. ربما كنت، من وجهة نظرهم، مخلوقًا يبث في نفوسهم رعبًا حقيقيًّا. لـم تكن مملكة فينجنس لتُحكم ببساطة بخطيئة واحدة مثل بقية الممالك؛ بل يمكن أن يحكمها الجميع، وهو ما كان الشياطين يخشونه.

«... لقد خدعته ليتزوجها».

حدجني ثنائي بنظرة كريهة، فتجمدت. لم يكن هذا ما حدث.

سمعت راث يقول بصوت ناعم كالحرير: «تجاهليهما. لم تخدعيني لأفعل. كنتِ رائعة اليوم. لقد أوقفتِ المعركة قبل أن تبدأ. لقد جلب سحركِ السلام. كان دون شك تحركًا إستراتيجيًّا مهمًّا».

قلت بهدوء: «لا يبدو أن هناك إجماعًا على الأمر في هذا البلاط. ظننتك تشك في خططنا أيضًا».

«أثق بكِ يا سيدتي، وقد وثقت في تقديرك الأمور اليوم». وهنا راح يجذبنا حول المرقص، ويلمسني برقة. ثم استأنف: «لم تكن الساحرات ليحاربن معركة عادلة؛ بل كنَّ سيستخدمن مزيدًا من السحر والخدع. وفي حال كهذه، أساند خيارنا للحرب. لقد استخدمتِ سحركِ سلاحًا اليوم، لكنه لم يستخدمكِ يا إيميليا، وكان نصرًا مبينًا، وأنا فخور بما حققتهِ. لم يكن أي من رجال البلاط هؤلاء ليدافع عن بلاطه».

فقلت معترفة: «كنت أتصرف معظم الوقت لمصلحتي. لـم أرِد أن يطلب جريد انتقام دم آخر. وحين استهدفنك، *أردت* قتلهن جميعًا».

قرب راث شفتيه من أذني، وشعرت بأنه يبتسم.

«جملكِ هذا أكثر جاذبية يا سيدتي».

جذبت يده بامتنان ونحن ندور في المرقص وقلت: «كاذب». كنت أعرف أنه صادق فيما يقوله، لكن الغرفة كانت تعج بالجان المرعوبين؛ لذا شعرت بشيء آخر.

ليس إحراق عدوك ومحوه أمرًا بطوليًا؛ بل وحشي، أو ربما كنت لأشعر بهذا قبل كسر تعويذة الربط. كان الأمر مربكًا، بل خاطئًا، فأنا إلهة، وليس للإلهة أن تشعر بمثل هذه الأمور وتتصرف دون تمييز؛ لكنني كنت أعرف حقيقة واحدة: لا يعني تمتعي بالقوة اللازمة لعمل شيء أن أفعله.

أي نموذج نقدمه لرعايا هذه المملكة؟ جميعنا سجناء دائرة الخطايا المغلقة. كانت سورسيا تستغلنا، وكنت وفيتوريا نخدع راث وبرايد، وكانت الساحرات يربطننا، وكنت وفيتوريا نقاومهن. كان هجومهن على مملكة جريد، وهذا التوتر السائد بين الجميع سيستمر إلى الأبد إذا لم نضع له حدًا. كان يجب أن يقف أحدهم ويقول: كفى. لم يكن ذلك الجبروت صحيحًا على الدوام، وإلا لكان المخلوق القوي التالي سيبرز ويفعل ما يراه مناسبًا بأي شخص أقل قوة منه.

وهنا بادرني راث متسائلًا: «هل أُعطيكِ قبلة لأعرف أفكاركِ؟».

قابلت طلبه غير المتوقع بابتسامة، فرفعت وجهي، متيحة الفرصة لشفتينا لأن تتلامسا، فقال: «أخبريني».

همست له باعتراف لا يمكن أن يسمعه سوى أميري الشيطان: «لم أعد أشعر بما تعودته. أنا سعيدة باستعادة قوتي كاملة، وذكرياتي؛ لكن لم يكن بث مثل هذا الذعر هو ما أرغب فيه. لا أريد أن أدلف إلى حجرة وأجد من فيها صامتين مترقبين. لا أريد أن أشعر بهذا القدر من الخوف يوجَّه نحوي. لقد نسيت كم كنت وحيدة قبل أن أقابلك،

وكم شعرت بالبرد وأنا أجلب الخوف والفوضى لأجعلهما مكان الدفء والحب».

صمت راث لحظة ثم قال: «ماذا تريدين؟».

وهنا فكرت في النبوءة، وبينما لم تكن تتعلق بنا فحسب، شعرت بإحدى سماتها بقوة. *الأعلى من الأسفل والأسفل من الأعلى*. إنه التوازن. فبعد أن صرت شبه متأكدة من أن فيستا على قيد الحياة ومختفية بإراداتها، صار لديَّ هدف أركز عليه تمامًا.

«أريد تصحيح هذه الأخطاء. لا أريد كسر التعويذة فحسب؛ بل أريد أن أعطي الجميع فرصة التعايش في سلام».

«قد لا يكون السلام ممكنًا».

«أعرف؛ لكنني أريد أن أفعل شيئًا واحدًا صحيحًا على الأقل. لم يزل هناك الكثير من الغضب والاستياء. أريد أن أستيقظ دون أي خوف من هجوم متوقع أثناء اليوم، بسبب الغيرة، أو الغضب، أو الجشع، أريد أن أركز على الخير، أريد أن أحيط نفسي بالحب. ولن يتحقق هذا إذا ظللنا ملعونين». وهنا تنفست بعمق وزفرت، ثم أردفت: «أريد الذهاب إلى بئر الذكريات، وكسر هذه الحلقة المفرغة، الليلة».

مال راث إلى الأمام، وقبلني برقة قبل أن يقول: «تمسكي بي جيدًا، سيدتي».

ودون أن يودع أخاه ولا أيًا من أعضاء بلاط جريد، نقلَنا راث بسحره من وسط المرقص، متجاهلًا شهقات الخوف التي تركناها خلفنا.



الحادي والعشرون

«*يجب أن تدفعي عشورًا للإلهة كي تدخلي حجرة بئر الذكريات*».

رحت أردد ما لقَّنتني إياه فاونا في وقت سابق بينما أتأمل تمثال الإلهة والثعبان في حدائق راث.

لم تكن هناك ملامح منحوتة على وجهها؛ لكن شعرها كان مزينًا بالورود بالطريقة التي كنت أضع بها الورود في شعري. بدت خناجرها المقوسة شديدة الحدة وسفّاكة للدماء. تسلقت حافة البركة وضغطت على أحدها بطرف أصبعي، فبرزت قطرة دم، ثم التأم الجرح دون أي دليل على الإصابة، فتذكرت متعجبة أنني لم أكن أتمتع بهذه القدرة على الشفاء الفوري منذ ليلتين اثنتين فقط! لقد غيرتني تعويذة الربط حقًّا؛ لكن لم يكن هذا الأمر ليشغل تفكيري الآن.

رحت أحقق وأدقق في التمثال، لعلّي أجد أية لمحة للتغيير بعد قربان الدم؛ لكن شيئًا لم يحدث. كان من الأنسب أن تدب الحياة في التمثال كي ينكشف أن الخنجر المقوس غير الموجود في قبضته هو خنجر الدمار وتنصلح الأمور. وكان راث قد نبهني، قبل أن أذهب، إلى أن التمثال، على حد علمه، لم يكن يُخفي الخنجر الأسطوري. وكان لديَّ

بعض الظن أن دمائي الإلهية قد تمحو تعويذة معينة ألقيت على التمثال لا يعرفها حتى الشياطين.

لكن للأسف لم يكن الأمر كذلك.

رفعت يدي فوق مياه البركة العاكسة، ورحت أرقب قطرة الدم وهي تسقط فيها. كان من المفترض أن تتبخر القطرة حال التحامها بالماء؛ لكن كان للسحر تأثير؛ إذ راحت قطرة الدم تكبر وتتسع وتدور في البركة ثم تصنع دوامة وتضيق لتشق طريقها نحو المنتصف.

وهنا ارتسم درج بلون الياقوت داخل الدوامة، ثم اختفى في ظلمة واسعة أدنى من مستوى سطح الأرض. كان راث قد نبهني إلى أن هذا سيحدث. لم يستطع راث المجيء معي - إذ كان عليَّ القيام بهذا وحدي - لكن هذا لم يمنعه من البوح بكل ما يعرف، وكأنه قائد يعد جنديًا للمعركة.

لملمت تنورتي وخطوت نحو الدَّرَج القرمزي، ورحت أتبع السلم دون خوف، متجهة تحت الأرض. لم تمسني مياه البركة العاكسة؛ بل كانت بالأحرى تُفسح الطريق كلما نزلت درجة. وبعد أن غمرت نفسي بالكامل، تاركة ورائي الشتاء ببرودته، صار الهواء بالأسفل منعشًا. لم تضايقني درجة حرارة المياه، كما اعتدت. لم يكن الأمر مريحًا؛ لكن أسناني لم تصطك، ولم تنتبني القشعريرة.

لم يكن هناك نور؛ بل ظلام دامس بدا كأنه يتكاثف ويتراكم مع كل خطوة أخطوها؛ لكن جسدي وحواسي الخالدة جعلاني أرى بوضوح وكأنني بالقرب من الشاطئ في ظهيرة يوم مشمس. وبعد بضع دقائق من المشي السريع، انتهى الدرج فجأة، لأجد نفسي واقفة على تربة صخرية داخل مغارة صغيرة.

وإذا بشعاع نور مائل للزرقة يضيء بئرًا مصنوعة من شيء شبيه بأحجار الكوارتز الوردي على مقربة من قاعدة الدرج. كان تلك هي بئر الذكريات. اقتربت منها لألاحظ رموزًا غامضة ولاتينية منحوتة

على بعض الأحجار الكريمة على حافتها. مررت أصبعي فوق الفجوات، مستشعرة قوة البئر وهي تطن في جلدي.

أطللت النظر إلى البئر، لأجد ماءها شفافًا نقيًا، كاشفًا آلاف البلورات في قاعها. كان كل حجر كريم يمثل ذكرى، أو كابوسًا، أو شيئًا مروعًا لم يكن من تخلى عن الذكرى ليشعر بأي حنين إليه.

رحت أتساءل عما إذا كان راث قد أتى باحثًا عن ذكرى أو قاصدًا التخلص من ذكرى أم لا. لم يكن هذا مهمًا، المهم الآن هو اكتشاف ما باستطاعتي عن هذا الخنجر الذي قد يزيل لعنة زوجي، حسب رواية فاونا. لم أكن لأغفل هذا وإلا تبدد أملي في النجاح.

تسلقت الجدار الصغير وغمرت نفسي في الماء، متجاهلة لسعة البرد الخفيفة التي تسللت إلى ملابسي. وهنا تساءلت في نفسي: «أين خنجر الدمار؟».

أغلقت عينيَّ وأملت رأسي نحو البئر، مفسحة المجال لعقلي كي يركز على إجابة السؤال التي كنت أبحث عنها. تحسست عدة بلورات بأصابعي قبل أن أتوقف عند أكثرها دفئًا. لم تذكر فاونا شيئًا كهذا. ربما كانت هذه علامة إيجابية لعثوري على الذكرى الصحيحة. كانت هناك سبيل واحدة للعثور عليها: أطبقت أصابعي على البلورة وجذبت الذكرى نحوي، وكأنها تخصني.

نشب الخوف مخالبه في الذئبة الصغيرة، وجعلها تصرخ ملء حلقها الممزق، كانت مجرد جروة، لكنها كانت تستشعر السحر المظلم الذي يمارسه الإنسان الشيطان الذي أغلق فمه بحدة ليصبح كخط رفيع، ثم تحولت نظرة عينيه المعدنية اللون إليها. لقد سمعته وهو يدخل بيتهم، وسمعت همساته مع والدها، وتحولت على الفور، وهو ما أخبرها أبوها باستحالة حدوثه. كان خطأ ندمت عليه فور قبض الشيطان على مؤخرة عنقها ورفعها للأعلى.

«أهذا ابنك البكر؟ أهذا هو المحارب الهجين؟».

كانت نبرته مملوءة بالشك، وهنا زمجرت الجروة، كاشفة عن أنياب صغيرة.

فاتسعت عينا والدي وقال: «نعم يا صاحب السمو. إن اسمها يعني الموهوبة لـ مارس إله الحرب، كما...».

«لا أعبأ بآلهة الفانين. سنطلق عليها اسمًا شيطانيًا مناسبًا حين نعود إلى البلاط».

راحت الجروة تتلوى في رعب وهي في قبضة الغريب. لم تكن تعلم أي شيء عن أي بلاط؛ بل لم تهتم بأن تعرف. مال عنق والدي، وراحت الذئبة الصغيرة تتوسل إليه في صمت كي يستعيدها من قبضة الغريب. كانت أمها، تلك المرأة التي لم تحبها لسبب ما، قد خلدت للنوم. لو لم ينقذها أبوها، فلن يفعل أحد.

استقام الأب، فشعرت الجروة بالأمل. قال: «يا صاحب السمو، قد يكون هناك شيء آخر أعطيك إياه كي أسوي ديوني. إنها مجرد جروة هزيلة وتافهة. دعني أجمع ما يكفي من العملات، أو لعلي أنجح في العثور على خنجر الدمار».

فرفع الغريب الجروة وراح يدقق النظر فيها وقال: «لم تجد الخنجر بعد ولن تجده. لقد تحولَت قبل موعدها بعشرين عامًا، وفقًا لروايتك. أجد هذا مهمًا وخطيرًا. ثم ماذا عن بقية قدراتها الشيطانية؟ أي نوع من السحر تملكه؟».

«أنا... لست واثقًا من إجابة هذا السؤال يا صاحب السمو».

حدق الشيطان فيه وقال: «إذا كذبت عليَّ مجددًا فسأقطع لسانك المزعج هذا».

«أرجوك». *كان صوت الأب بالكاد همسًا، مجرد توسل صادر عن رجل محطم. وهنا استخدمت الجروة بعض سحرها كي تهدئه، رغم تحذيرها من القيام بذلك.*

«أرجوك يا صاحب السمو. اطلب مني أي شيء آخر. أرجوك لا تأخذ ابنتي».

«كيف تشعر زوجتك وهي تربي ابنة غير شرعية أنجبتها من جنية؟».

«سوف تحب الطفلة. لا يجب أن تدفع ابنتي ثمن خطاياي. أرجوك، أرجوك، اعقد صفقة جديدة».

لاذ الشيطان بالصمت، وأبدى انزعاجه حين بدأ أخوها الصغير *البكاء في مهده، وقال:* «هل تحول ابنك مبكرًا كذلك؟».

نظر الأب إلى المهد، وهو يشعر بغصة في حلقه وأجاب: «كلا يا صاحب السمو، لم يُبدِ علامات التحول المبكر».

«إذن، سينتهي عملنا هنا. أعطني ابنتك وابتعد عن طريقي».

ثم حرك الغريب ذقنه بشكل مفاجئ، ليظهر رجل بفراء غزال وعينين لامعتين من الظلال. راحت الجروة تئن أثناء اقتراب الوحش الشيطان ليأخذها. تحولت أناتها إلى صرخات وهو يلقي بها في جوال ويغلقه.

وأثناء صرخاتها المدوية، سمعَت الغريب يقول: «كان من الحماقة أن تعقد صفقة مع بلاط جريد. أشير عليك بأن تفكر في العواقب حين تقامر المرة المقبلة على شيء ثمين كهذا».

انهمرت الدموع على وجهي، وجززت على أسناني بسبب العواء الحزين الذي لم أنفكّ أسمعه أثناء انتزاع الذئبة الصغيرة من أسرتها. شعرت بالأسى، واليأس، والرعب الذي كانت تمر به، لكن لم يكن بيدي ما أفعله كي أساعدها. رحت أبحث بيأس عن مفتاح في ذاكرتي يرشدني إليها كي أبحث عنها بعد إتمامي مهمتي هنا.

بدا الأب مألوفًا؛ لكن ملامحه كانت مطموسة بفعل ظلام الغرفة ودموع الجروة. كنت شبه متأكدة من أن لهجته تنتمي للهجة موطني في الجزر المتحولة؛ لكن لم يكن هناك ما يدل على زمان التخلص من تلك

الذكرى. قد يرجع هذا إلى أشهر أو عقود، أو ربما مئات السنين. كنت أشعر بالعجز، كما ازدادت كراهيتي لجريد.

كيف أمكنه أن يأخذ طفلة شخص آخر مهما كانت الصفقة ...

«طفلة هجينة». كانت الطفلة نتيجة زواج ذئب وشيطان: تمامًا كما شككت في أصل فيستا. فلو كانت لا تزال على قيد الحياة - وكانت هذه الذكرى دليلًا على صحة شائعات البلاط التي أسر لي الدوق بها - فهذا يعني أنها تعيسة جدًّا.

إذا كانت فيستا تتذكر أي وقت قضته مع أسرتها الحقيقية التي أُخذت منها عنوة، فلا بد أنها كانت تختبر العذاب بعينه؛ إذ كانت تعيش مع خاطفها، وتعمل كأحد قادته. كنت آمل أن تكون قد هربت منه، وأن تكون أختي قد ساعدتها بشكل ما.

أردت أن أندفع خارج هذه البئر وأزور بلاط جريد كي أثأر للذئبة الصغيرة؛ لكن كان عليَّ أن أركز على سؤالي فحسب. كان إنجازًا أكثر صعوبة مما تخيلت، بالنظر إلى الغضب الذي اجتاحني، ورحت أتساءل: «أين خنجر الدمار؟».

أعدت حجر ذكرى الذئبة الصغيرة إلى مكانه، وشبكت أصابعي في بعضها، وسرعان ما اجتذبتني ذكرى أخرى...

سمعت سورسيا صوت الملك وهو يقترب من غرفة العرش وخطواته تدوي كالرعد. كان معتل المزاج، وكلما اقترب منها، ازدادت الظلمة. حسنًا. لقد آن الأوان لأن يعير مطلبها اهتمامًا ويأخذ الأمر على محمل الجد. كل ما عليه فعله هو أن يأمر برايد بترك ابنتها، وأن يمنعهما من الزواج. بالطبع كان يتمتع بالسلطة التي تؤهله لإيقاف هذه الرابطة المدنسة.

إذا أراد طرد سورسيا من مملكته إلى الأبد، فستوافقهما هذه الخطة. كل ما عليها أن تفعله هو إشعال كراهيته حتى تتوافق مع كراهيتها. لقد

فكرت في إحضار خنجرها المسحور الشهير إذا رفض؛ لكنها كانت تريده حيًّا على الأقل الآن.

دفع الشيطان الأبواب المزدوجة، فانفتحت، وشعرت سورسيا بشدة حرارة جناحيه. لم تنظر إلى أعلى؛ إذ أبت أن تشبع رغبته في النظر إلى جناحيه، كما كان الآخرون يفعلون. لقد رأتهما من قبل حين نفى مصاصي الدماء إلى مملكة الجنوب، متخطيًا الجبال المملوكة للإلهات وكأنها مسحورة. كان جناحاه لهبًا ذا حافة فضية، كانا مميتين وجميلين في الوقت نفسه، وكانا أغلى أسلحته، وفقًا لرواية جواسيسها. لم يكن هناك ما يهتم به أكثر منهما.

وكقائد حربي، كان سيعمل الكثير من الأشياء ليحتفظ بهذا السلاح الثمين.

وإذ رفضت الساحرة التطلع إليه، راحت تدلك ساقيها العاريتين. كانت تعلم أن هذا لن يثيره؛ بل بالأحرى كانت تعرف أن تصرفها لن يغويه بقدر ما سيثير غضبه.

خاطبها بصوت قاسٍ وحشي: «اخرجي». ورغم كون هذا ما أرادته، فقد تضايقت بشدة.

حاولت سورسيا جذب انتباهه، فقالت: «لم يفلح الكلام، ولا المنطق، ولا التفكير، معك. والآن لديّ عرض مغرٍ لك». وهنا راحت تتحسس قماش ثوبها الرقيق ببطء. وما إن نظر الشيطان إلى أسفل حتى ضربت خطيئته الغرفة بالبرودة.

عقد ذراعيه، وبدا عليه العداء، ولمعت عيناه الذهبيتان بوميض الغضب وكرر قوله: «اخرجي. اتركي الغرفة قبل أن أجبرك».

«حاول». وبحركة خفيفة غير بشرية، غيرت وضعها واتخذت وضع الوقوف، وثوبها الفضي يلمع كسيف يخترق السماء. لقد حان وقت بدء معركتهما الحقيقية. كان مغتاظًا، وكانت تعرف شيئًا واحدًا وهو أن الانفعال يمكن أن يسيطر على أي شخص، بمن فيهم الشيطان المتحكم

في الغضب. «إذا لمستني، فسوف أدمر كل ما هو عزيز عليك يا صاحب الجلالة».

تحولت نبرة سورسيا إلى التهكم؛ إذ أرادت الإمعان في استفزازه. فضحك بصوت مخيف كالخنجر الذي ضغط به على عنقها.

ثم زمجر وقال: «يبدو أنكِ مخطئة. لا يوجد ما يعز عليَّ. أريدك أن تتركي هذه المملكة قبل حلول الليل. فإذا لم تفعلي، فسأطلق عليكِ كلابي. وحين تنتهي من الإجهاز عليكِ، سنلقي ما تبقى في بحيرة النار». *كانت قد مكثت مع أمراء الجحيم فترة تكفي لمعرفة أنه كان منتظرًا اشتمام رائحة خوفها. وحين لم يستشعر أي شيء، انتابه الشك. وكانت بحاجة لأن تظل في مركز قوة.*

مالت إلى الأمام فجأة وضربت عنقها بالخنجر بحركة وحشية. فانهمرت الدماء على ثوبها اللامع، وتناثرت على الأرضية الرخامية الناعمة، فاتسخ كماه. كانت تعلم أن هذه هي آخر إهانة.

لم يفزعها جرحها المخيف، فابتعدت عنه وقد أصبحت ابتسامتها أشر من أسوأ إخوة الشيطان. كانت تعرف هذا جيدًا. فباستثناء برايد، حاولت إغواء الجميع دون جدوى؛ إذ كانوا زمرة من الشياطين الخبيثة التي كان أفرادها يحمون بعضهم البعض حين كان الأمر يتعلق بالمسائل العاطفية. ثم التأم الجرح أمام نظرته الباردة الحذرة.

«أأنت واثق من ذلك؟ ألا يوجد شيء تعتز به؟».

استشاطت غضبًا حين لم يُجِب؛ إذ كانت قد تعبت من رفض مثل هذا المطلب البسيط. لم يثق الشياطين في الساحرات، مثلما لم تثق الساحرات في الشياطين. كان نفي ابنتها هو الأفضل للجميع. ولم تكن هناك إمكانية لسماحهم لساحرة بالمشاركة في حكم إحدى ممالكهم الثمينة.

«ربما صحَّت الشائعات، على أية حال، فلا يوجد قلب في صدرك المحصن هذا». *وهنا دارت حوله، وتنورتها تلطخ الأرضية النظيفة بأثر الدماء.* وتابعت: «ربما يجب أن نتعرف عليك من الداخل، تعالَ وانظر».

ثم انتبهت إلى جناحيه النـاريين بلونهمـا الأبيض الفضـي العجيب وتحولت ابتسـامتها إلى تعبير وحشـي. لقد تركت لـه ما يكفي من الوقت للتفكير، ثـم ضربت ضربتها: فبحركة سـريعة من أصبعهـا، تحول لون سلاحه الماضي إلى اللون الرمادي، ثم اختفى.

راحت سورسـيا ترقبه بتلذذ؛ إذ تملّكه الرعب. لقد كان شـعورًا نـادرًا مـا يصدر عن شـيطان معـروف بالهـدوء والتعقل. راح يحاول اسـتدعاء جناحيه مرارًا لكنه فشل.

«هـا هـي خدعـة كريهـة كالشـيطان نفسـه». قالت ذلـك وهـي تلقي تعويذتها بصوت شـابة وعجوز في الوقت نفسـه. أخذ يسـب ويلعن بينما تتابع: «مـن اليوم فصاعدًا، سـتجتاح لعنـة هذه الجزيرة. لـن تتذكر إلا الكراهية. سـينتهي الحب، والود، وكل ما هو حسـن في العالم؛ لكن هذا سيتغير ذات يـوم، حيـن تجد سـعادتك الحقيقيـة. وحينها أقسـم بأنني سآخذ كل ما تحبه أيضًا».

راحـت سورسـيا ترقبـه وهـو يحـاول جاهـدًا اسـتدعاء جناحيه دون جدوى، وكلهـا أمل أن يشـتد احتيا جه إليهما فيلبي لها طلبها، ولا سـيما أنـه لُعـن. كان كل مـا تريده هو أن تحرر ابنتها من زير النسـاء السـكير، وتؤمّـن سـعادتها، وتنقذهـا مـن هـذه المملكـة الفظيعة. كانت سورسـيا تشهد ابنتها وهـي تخطو نحو التعاسة. لم يهتم برايد إلا بنفسه، ولم يكن ليُخلص لحبيبة واحدة. ولم يكن هذا مضرًا لو كانـت ابنتها ذات طباع مشابهة لطباعه.

نفـد صبـر سورسـيا، وشـعرت بخيبـة الأمل مـن عدم إطـلاق الملك العنان للوحش الذي بداخله كي يقاومها، إذ تراجع. وبدلًا من مطاردتها، راح يتحدث بصوت شبيه بصوت السفاحين قبل أن يقطعوا عنق أحدهم، قائلًا: «أنتِ مخطئة». توقفت سورسـيا وألقت عليه نظرة سـريعة؛ إذ لم يجـرؤ كثيرون على أن ينعتوهـا بالمخطئة، خصوصًا بعد رفضهم تقديم خدمة لها. كانت أقوى الحلفاء؛ لكنها أسوأ الأعداء.

«حقًا؟».

«قد يكون الشيطان كريهًا؛ لكنه غير مخادع». ابتسم ابتسامة بطيئة ساخرة، وأردف: «بل يفاوض». دققت سورسيا النظر فيه، شاعرة بأن تهديده يحرك السحر بداخلها. كان الجو بينهما مشحونًا بالكراهية. كان سيقتلها دون تفكير إذا لم تكن تملك شيئًا يريده بإلحاح. وهنا بادرها: «أتودين إبرام صفقة؟».

كانت تريد إبرام صفقة من البداية. والآن، وبعد أن صار دون أجنحة، امتلأت بسعادة شريرة. كانت تمقت برايد، وتكره أمراء الجحيم، وكان قليل من الانتقام سيريحها؛ لكنها كانت ستشعر بالتقصير إذا لم تستمع إليه. كانت سعادة ابنتها هي كل ما يعنيها، فأعارته انتباهها.

سألته سورسيا: «هبْ أنني قبلت فكرة الصفقة؛ لأنها فرصتك الوحيدة لكسر اللعنة واستعادة جناحيك، فما شروطك؟».

فأجاب ملك الشياطين بصوت منخفض ومخيف: «ست سنوات، وستة أشهر، وستة أيام». لم تكن تتوقع سماع ما هو أقل من هذا من مخطِّط حربي. وقبل أن توافق أو تطرح مزيدًا من الأسئلة، أضاف: «سيُقاس الوقت وفقًا لأبعاد الدوائر السبع، لا أي بعد آخر من أبعاد الجحيم. أثناء تلك الفترة، لن تطأ قدمكِ أرض مملكتي ولا أيًا من ممالك إخوتي ما لم تتم دعوتكِ. وإذا فعلتِ فسوف تُلعنين. ولن أتحدث عن تلك اللعنة إلا بعد فوات الأوان».

نظرت سورسيا إلى الشيطان نظرة شك. كانت الصفقة شديدة البساطة؛ لكنها لاحظت لمعة الشر في عينيه. كانت تعرف ما تنطوي عليه تلك الصفقة من خداع. فليس راث غبيًا، ولا هي. كانت الموافقة على الصفقة تنطوي على مخاطر جسيمة؛ لكن فرصة الحصول على إثابة أكبر باتت أكثر جاذبية من أن تُفوّت. فقالت: «أريد ضمانًا ألا يحاول أي من معاونيك أو معاوني إخوتك قتلي أو الإضرار بي بأي شكل. وإن لم تستطع كسر اللعنة خلال ذلك الوقت، فلن تتمكن أبدًا. فلا

سحر، ولا خدع، ولا صفقات ستهم وقتها. ولن تتمكن من الحصول على ما تحبه إلى الأبد».

«حين أكسرها، وحين أقرر ألا تدنسي هذه المملكة، سأنفيكِ من الدوائر السبع. ويجب أن تُمحى ذكرى هذه المحادثة».

راحت سورسيا تقلب الأمر في ذهنها. لم تكن تهتم بانتصاره ما دامت قد حصلت على ما تريده. كانت فترة ست سنوات، وستة أشهر، وستة أيام ستكفي لتمحيص خطتها. فرغم كون هذه الفترة تعادل عشرين عامًا في ممالك أخرى، وبغض النظر عن الوقت الذي كان عليها أن تتحمله؛ إذ كان يعني أنها لن تضطر للتعامل مع أمراء الجحيم مجددًا، فهذا يعد ثمنًا ضئيلًا مقابل الأبدية.

لم تكن بحاجة لتذكر هذه المحادثة بالكامل؛ بل كانت بحاجة لتذكر هدفها المتمثل في حماية ابنتها. كانت هناك فكرة تدور في ذهنها، فقد سمعت شائعات أن الساحرة العجوز تستخدم السحر كي توجه ذاكرة أي شخص يحاول عبور سلسلة معينة من الجبال باتجاه الجنوب؛ لكنها وجهت سحرها نحو إحدى ممالك الخطايا الغامضة التي كانت بمعزل عن بقية الممالك. لم تكن تحت حكم الشياطين؛ بل من هم أسوأ منهم. كان هذا هو الشرط الوحيد الذي نسي ملك الشياطين تضمينه في الصفقة. ربما آن الأوان لزيارة مملكة فينجنس.

سألته: «ماذا عن الجزر المتحولة؟ الزمن فيها لا يمكن تحديده».

بدا الملك كأنه يتدارس هذا الأمر. لقد سمِعَت شائعات عن كراهيته تلك الجزر؛ لكنها كانت تريد برهانًا. وهنا قال: «إذا أردتِ أن أنفيكِ إلى تلك الجزر التي تعد الجحيم الحقيقي، فتفضلي».

فقالت، متصنعة الملل: «أتعلم أن البعض يعتقدون أن ستة - ستة - ستة هي علامة وحوش الجحيم. إذا أزلت هذه الذكرى، فكيف أثق بأنك لا تنقض وعدك؟».

«بل تعلمين جيدًا أنها علامة التوازن والنظام الطبيعي. لا تتظاهري بالجهل يا سورسيا، فأنا أشتمّ أكاذيبكِ الكريهة».

ثم استدعى أحد خدمه وأخرج قطعة ملساء من الكوارتز من جيب معطفه. بذلت سورسيا قصارى جهدها كي تخفي دهشتها. لقد أتى الشيطان متأهبًا للمعركة. وبعد مرور لحظة ظهر الخادم نفسه بعقد وريشتين دمويتين. تملك القلق الساحرة وهو يعطيها الخنجر ويقول: «أزيلي هذه الذكرى وسوف نوقع عهدًا».

وهنا انتهت الذكرى بشكل مفاجئ، فعدت بسرعة إلى المكان والزمان الحاليين. كانت ملابسي مغمورة بالماء البارد؛ لكن نارًا بداخلي كانت تلتهمني؛ بل جعلت الهواء يلمع؛ من فرط حرارتها. نظرت إلى يدي لأجد البلورة انسحقت فيها. لم تكن الذكرى قد توقفت؛ بل كنت قد سحقتها بقبضتي.

ست سنوات، وستة أشهر، وستة أيام. لم يذكر راث ساعة تحسب الوقت المتبقي بالعد التنازلي لكسر اللعنة، لكنه أرادني أن أعقد معه عهدًا دمويًّا لمدة ستة أشهر. كما ذكر أنير أنه سيستعيد كامل قوته بعد ستة أشهر. ثم جاء تعليق سورسيا الساخر على الوقت وحركته السريعة في غرفة العرش.

وهنا أطلقت سبة بكل ما أتيح لي من ألفاظ بذيئة، فبالنظر إلى شماتة سورسيا، لم يكن أمامنا متسع من الوقت.

أردت أن أسرع إلى القلعة وأسأل عن الوقت المتبقي لنا، لكن كان يجب إرجاء هذا الأمر، إذ لم أكن قد وجدت ضالتي بعد، كنت أريد أن أعرف مكان خنجر الدمار أكثر من أي وقت آخر كي أكسر اللعنة قبل فوات الأوان.

«أين خنجر الدمار؟». أمعنت التركيز على سؤالي وشحنته بما أوتيت من غضب وسحر، ثم دفعت يدي بقوة تحت الماء، جالبة حفنة من البلورات. كنت أسحق كل بلورة تحاول سحبي إلى كابوس، فلم يكن

لـدي وقـت ولا صبر للتعامل مع مخاوف أي شـخص آخـر . فأنا *الخوف*. وكان بإمكانـي التحـول إلـى كابوس. وهنـا تحرَّك بئـر الذكريـات وكأنه يرتجف مع تدفق عواطفي البدائية حين قلت: «اكشف الآن آخر من رأى خنجر الدمار».

وهنـا نظـرت لأجد أصابعي وقد أحاطت ببلورة خشـنة أسـالت دمي، فأطلقت همسة ألم قبل أن أسحب إلى الذكرى التالية.

وإذ لاح المشهد أمامي، حاولت استيعاب المفاجأة. يبدو أن الأسرار التي كان المحيطون بي يخفونها لم تتكشف بالكامل.

حتى الآن!

الثاني والعشرون

«**الشياطين لا تعرف** الحب. أخبرتكِ بهذا مرارًا».

كانت تلك النبرة المتغطرسة المتعالية تغضب لوتشيا من أمها التي لم تنفك تخطط لوضع حد لعلاقة لوتشيا على مدى سنوات، ولم تُخفِ سعادتها الغامرة بالأحداث الأخيرة. تمنت لوتشيا أن تتكور بجانبها وتبكي؛ لكنها أبت أن تثبت صحة كلام أمها.

قالت أمها إن الأمير برايد كان أكثر أمراء الجحيم خلاعة، وإنه انخرط في علاقات غرامية كثيرة وحطم قلوبًا كثيرة. ولم يكن الأمر سيختلف معها حيث سيصرف انتباهه عنها عاجلًا أو آجلًا، فما هي إلا إحدى الساحرات الخالدات التي لم تكن له مصلحة في الارتباط بهن؛ لكنها لم تكن ساحرة عادية كما اعتادت أمها تذكيرها؛ بل هي الابنة الكبرى لسورسيا الساحرة الأولى وسليلة إلهة الشمس.

وعلى مدى سنوات، راحت سورسيا توبخ لوتشيا وتحثها على أن تصبح قدوة، وألا تظهر حمقاء أمام بقية الساحرات اللاتي كنّ ينتظرن توجيهاتها في التعامل مع سكان الدوائر السبع. وكانت مواعدة شيطان، أو الزواج به وهو الأسوأ، أقبح مثال تقدمه، ولا سيما إن كان شيطانًا سيئ السمعة مثل برايد.

لم تكن لوتشيا بالسذاجة التي تجعلها تظن أن برايد سيتغير، ولم ترغب في أن يفعل ذلك، حتى ولو لمصلحتها؛ لكن شيئًا لم يجعلها مستعدة لتحمُّل ألم وقوعه تحت طائلة تعويذة أخرى. فلم تصدر أفعاله عن خبث، وكانت لوتشيا تصدق ذلك بكل ذرة من قلبها المحطم، فكانت تعلم أن حبه لها وحنوه عليها لم يكونا مزيفين. كانت أمها تظنها حمقاء؛ لكنها سمعت تلك الشائعات قبل أن توافق على الارتباط به. كانت تعرف أنه قد يقع في الحب، اليوم، لكن غده غير مضمون. كان احتياجه للاهتمام والهيام كاحتياج الأزهار للمطر وضوء الشمس كي تزهر. لقد أثارتها نزواته الطائشة بعد أن أضجرها التكرار والرتابة، ففي دورها حارسة للممالك هناك الكثير من الروتين المضجر، وكان إيقاعه الرتيب يثبط حيويتها يومًا بعد يوم.

حين تقابلا أول مرة، فُتن الأمير الساحر باسمها؛ إذ كان مشتقًّا من كلمة «لوكس»؛ أي النور، باللاتينية، وكان برايد هو لوسيفورس؛ أي نجمة الصبح. كانت جالبة النور. وكان يدعو ذلك قدرًا متشابكًا، مدعيًا أنهما كانا طرفيّ نقيض، وهو ما كان سيجعلهما يكرهان بعضهما البعض؛ لكنه لم يستطع إنكار حبهما المُقدر. لم تكن لوتشيا تؤمن بالقدر؛ لكنها كانت تستمتع بالهزل معه. كان أنفه يتكرمش بطريقة ظريفة جدًا حين كانت تستفزه بحسن نية. أما برايد فكان يعشق هذا الجانب منها.

بدا الأمر رومانسيًا بشدة: كان من الرائع أن تستولي على انتباه شخص كهذا، شخص لم يكن يجب عليها التحدث معه في المقام الأول، فما بالك بالوقوع في حبه؟ كان برايد محقًّا في أمر واحد: كان حبهما محرَّمًا، وككل المحرمات، كان مرغوبًا بشدة. كان الخطر يحدق بهما كلما تسللا للقاء خلسة؛ إذ كان يمكن أن يكشف أمرهما أحدهم في أية لحظة ويسبب فضيحة للساحرات والشياطين على حد سواء.

وكساحرة هي الأولى من نوعها، كانت لوتشيا تحرس المملكة كي تضمن حسن سلوك أمراء الشياطين. كانت وظيفتها الوحيدة ضمان

بقائهم في الدوائر السبع ليلعبوا ألعابهم المشتعلة بالخطايا، كل في بلاطه الشرير، تاركين البشر في سلام؛ لكنها التقت به. لقد دخل حياتها ليملأها توهجًا كنجمة الصبح، ويشعل عواطفها ويأخذها من عالمها الباهت المملوء بالعمل والرتابة إلى عالمه المملوء بالحياة والبهجة.

حتى حين طلبها للزواج، كانت تعلم أن الأوضاع لن تبقى على ما هي عليه. كان وجهه يلمع ببريق وقوة شديدين، كان أقوى من أي نيران. وفي الحقيقة، لم تكن ترغب في أن يتغير، لكنها أدركت أنها مَن يجب أن تتغير، وكانت هذه هي المشكلة. بدأ سخطها صغيرًا شأنه شأن معظم المشاكل التي تبدأ كبذرة صغيرة ثم تنمو وتكبر بمرور الوقت. كانت تريد شيئًا لن يستطيع برايد أن يقدمه أو يكونه، على الأقل معها. وكان هذا أساس أوجاع قلبها.

ظل برايد وفيًا لنفسه، وكانت لوتشيا هي مَن خدعت نفسها أو خدعته بشأن رغباتها. فقد واجهها بأكاذيبها، وتوسل إليها أن تخبره بالحقيقة؛ لكنها رفضت.

بل إنهما تشاجرا في تلك الليلة، وطلب منها برايد مرارًا أن تثق به، وأن تخبره بسبب غضبها. لقد أقسم بأن يفعل كل شيء ليسعدها. ووعدها بأن يترك المأدبة ويبقى بجانبها ويخلصها مما يتعبها؛ لكن لوتشيا كانت تعتقد أن السعادة لا تأتي من الآخرين، ويجب العثور عليها بالداخل أولًا. كانت تعلم أن برايد سيفعل أي شيء من أجلها. لم يكن يغازل أخرى؛ بل كان سيقاسمها تعاستها؛ لكن مهما كان من حب بينهما، أدركت لوتشيا أن البعض لم يُخلقوا لهذا.

اكتوت عيناها بالدموع؛ لكنها أبت أن تدعها تنهمر. راحت أمها ترقبها عن كثب، والاستياء يرتسم على ملامحها الخالدة.

«إن ذاته هي حبه الأول والأخير، فهذه طبيعة خطيئته. كان تركك إياه أفضل ما فعلته يا لوتشيا. وسوف ترين وتدركين أن هذه هي الحقيقة في الوقت المناسب».

تحدثت أمها وكان لوتشيا لم تكن هي من اختار الابتعاد. كان الأمر أشد إيلامًا من كل ما مرت به من قبل، لكنها فعلت. وبينما كان برايد يواعد نيكوليتا من مملكة فينجنس على الملأ ليلة المأدبة، تظاهرت لوتشيا بالإصابة بالصداع لتبقى في بلاط برايد. وبعد أن وافق زوجها على توسلاتها ومضى، أخذت الحقيبة التي كانت قد حزمتها في وقت سابق وأسرعت إلى بوابة أراضيهم.

كانت أمها في الجزر المتحولة. وقبل أن تقنع نفسها بأن الفكرة سيئة، راحت لوتشيا تتخيل بيت أمها - ذلك الكوخ الساحر المسقوف بالقش فوق منحدرات الجزء الشبيه بأيرلندا من الجزيرة - ثم خطت نحو البوابة.

والآن، وأثناء جلوسها بخجل قبالة طاولة حجرة العشاء الصغيرة، تحتسي كوبًا من شاي الأعشاب، أضحت شبه نادمة على مصيرها. وراحت تتساءل عما إذا كان كبرياؤها يشوش على تقديرها للأمور.

ربما كان يجب أن تجد من الشجاعة قدرًا يجعلها تصارح زوجها بكل شكوكها ومخاوفها. لم يدم هذا الشك وقتًا طويلًا. فقد ذكرت نفسها بأن تسأل عن سبب مجيئها إلى هنا وهي تلملم أغراضها. كانت أمها ستعطيها أي شيء كي تضمن عدم عودتها للدوائر السبع.

ثبتت لوتشيا عينيها في عينيّ أمها وقالت: «أريد أن أنسى. أعلم أن الساحرة العجوز أعطتكِ تعويذة. أريدها، وأريد أن أظل بمفردي حتى أكون مستعدة للعودة، هذا إن كان لديَّ استعداد لهذا».

يُحسب لأمها أنها لم تبدِ دهشة؛ بل قالت: «إلى أين تريدين الذهاب؟».

تنهدت لوتشيا بامتنان، فلم ينشب بينها وبين أمها شجار ولا جدال. كانت قد أمعنت التفكير في المكان الذي تود الذهاب إليه، حيث سيلتئم جرح قلبها وتعيش الحياة التي تريدها، فقالت: «صقلية».

بدا على أمها الاستغراق في التفكير، وكانت لوتشيا مدركة أن هذا يعني أن أمها تدبر مكيدة في الخفاء، لكنها لم تعبأ بالأمر. تستطيع أمها أن تلعب اللعبة التي تريدها. وهنا وقفت وجذبت حقيبة صغيرة من لوحة مخفية في الجدار، ثم وضعتها أمام لوتشيا وضغطت على المشبك الذي يربطها وقالت: «يحتوي هذا الطرد على ما تحتاجين لنسيانه، لا وجع القلب فحسب؛ بل كل ما تريدين تركه وراءك».

«وهل حصلت على هذا الشيء للتو؟»

«بل كنت مستعدة لهذا اليوم منذ أول مرة وقعت فيها عينك على ذلك الشيطان ونشب مخالبه في قلبك الثمين».

وإذ كانت تعرف أن هذه المناقشة لن تُجدي نفعًا، حلت لوتشيا الشريط الجلدي وفتحت الحقيبة، ثم راحت تتفحص محتوياتها الغريبة، لتجد قطعة خشنة نادرة من حجر الكوارتز الأزرق من نصف الكرة الأرضية الجنوبي، ولفة من الجلد بها تعويذة نسيان، وخنجرًا تعرفت عليه لوتشيا على الفور.

كان الخنجر أسطوريًا، وقد سحرته أمها كي يقتل أي مخلوق، حتى لو كان من أمراء الجحيم. كما أشيع أن الخنجر يكسر التعاويذ؛ لكن لوتشيا كانت تعلم عنه سرًا لم يعرفه أي شخص آخر، باستثناء أمها. كان السر إما سينشط الخنجر أو يدمره إلى الأبد إذا استُخدم بطريقة غير صحيحة.

«أهو خنجر الدمار؟ فيم سأحتاج إليه؟»

فقالت *أمها باستياء:* «إنه لحمايتكِ أيتها الطفلة السخيفة. أتظنين أن كبرياءه سيسمح له بالجلوس مكتوف الأيدي وزوجته تخدعه؟ ألا تعتقدين أنه سيسعى للانتقام؟».

فحدقت لوتشيا في أمها بذعر وقالت: «لن يؤذيني أو يتمنى لي الأذى. أما زلتِ تحتقرينه بعد كل هذه السنوات؟».

«قد لا يؤذيكِ يا لوتشيا؛ لكنني لا أظنه سيدع زوجته تختفي دون أن يبحث عنها. هل تركتِ خطابًا تشرحين فيه الأسباب؟ هل يعلم أنكِ لن تعودي؟».

أغلقت لوتشيا عينيها بعد أن احمرت وجنتاها خجلًا. لقد حاولت أن تكتب خطابًا؛ بل إنها جلست وأمسكت ريشة، ووضعتها في المحبرة؛ لكنها لم تجد الكلمات المناسبة؛ بل لم تجد أي كلمة. لم يكن هذا بسبب الجبن أو القسوة؛ لكنها خافت من قول الشيء الخطأ أو البوح له بكل رغباتها ومخاوفها على نحو يجعله يرفضها في النهاية؛ لذا مضت دون توديع أو تبرير.

فقالت أمها بنبرة لا تقل قساوة عن تعبير وجهها: «سيجدك ذات يوم، وسيتذكر كل ما لم تتذكريه. وأقسم لكِ بأنه لن يدخر جهدًا كي يستعيدكِ. سيضمن له كبرياؤه هذا؛ لكنه لن يخسر إلا إذا نسيته. هل تظنين أنه سيصبح زوجًا وفيًا بعد ذلك؟ ستكونين قد جلبتِ له العار وجرحتِ ذاته الأسطورية علانية أمام بلاطه كله؛ بل أمام المملكة كلها؛ لكنكِ لن تتذكري هذا».

هزت لوتشيا رأسها. كانت تعرف ما لم تنطق به أمها؛ إذ كانت الأولى غير موافقة على تجرع المقوي كي تنسى. لم تكن خطة حربية ذكية بالنسبة لها، وكانت أمها تعتبر الساحرات والشياطين في حرب دائمة؛ لكن وجع قلب لوتشيا، وحزنها الشديد المضني، كانا أكبر من أن يُحتملا. إن لم تنسَ برايد فلن تستطيع الابتعاد عنه.

«سآخذ الخنجر. اضمني لي فقط أنني لن أقع في غرام أي من أمراء الجحيم مجددًا».

فاستحالت نظرة عين أمها إلى قسوة شديدة شبيهة بالخنجر الذي أمسكت به في يدها، والذي حُد في الجحيم، وقالت: «حين أنتهي من

الشياطين، سأضمن للساحرات عدم الانخداع بأكاذيبهم. سيكرهوننا مقابل ذلك، لهذا لن يجرؤ أحدهم على الوقوع في حب ساحرة مرة أخرى. أقسم على هذا بدمي يا ابنتي». *ثم راحت تهمس تعويذة استدعاء لتظهر ساحرة أخرى في غضون لحظات. كانت إحدى الساحرات الحكيمات، وبالكاد تعرفت عليها لوتشيا. وهنا قالت الأم:* «سأعهد لكِ بمهمة يا ماريا. تعيشين في الجزر المتحولة الشبيهة بباليرمو، أليس كذلك؟».

وبينما كانت الأم تتآمر مع ماريا، راحت لوتشيا تقرأ التعويذة. كانت مجرد خلطة أعشاب سهلة الصنع. فحتى لو نسيت سبب صنعها لها، ستتمكن من خلط المكونات ببعضها. ثم وضعت التعويذة وأمسكت البلورة الخشنة، فظهر أمامها قدح ساخن. رفعت عينيها لتجد عينين حانيتين لساحرة أخرى.

«اشربي يا بنيتي، فسيساعد هذا على تسكين أوجاعكِ».

ومن أول رشفة أدركت لوتشيا أنها أعشاب مسحورة، وأيقنت أن تقريب الكوب من شفتيها سيُنهي كل ما بينها وبين برايد. لم تنطق أمها؛ لكن لوتشيا شعرت بأن انتباهها تحول إليها، وكأنها تتحداها. التقطت لوتشيا الكوب وانتظرت قبل أن تشرب الجرعة الأولى المشئومة التي سترسم نهاية ما فات وبداية ما هو آت.

وأخيرًا حولت لوتشيا تركيزها إلى أمها وقالت: «أريد اسمًا جديدًا، وعائلة جديدة. أريد نسيان كل شيء ما عدا كوني ساحرة. ولا أريد رؤيتكِ حتى أطلب ذلك».

وهنا ظهر على وجه أمها وميض من الألم وصدر عنها بعض الأنين للحظة، ثم قالت: «حسنًا، ستراقب ماريا الموقف عن بعد وتعد لكِ عائلة بين معشر الساحرات».

فأومأت الساحرة الأخرى وقالت: «سيعتنون بكِ».

أومأت لوتشيا وقالت: «حسنًا». ثم حركت ذقنها بسرعة وشربت الأعشاب دفعة واحدة. استغرق الأمر بضع ثوان؛ لكن الحمل الثقيل الذي كان جاثمًا على صدرها خف، وارتخت عضلاتها، وتلاشى الحزن واليأس؛ بل إنها لم تعد تتذكر ما كان يؤرقها منذ لحظة واحدة. ربما كان حلمًا مزعجًا. فنظرت إلى البلورة في يدها والخنجر الموضوع على الطاولة نظرة فاحصة وقالت: «فيم تُستخدم هذه الأغراض؟».

ابتسمت ماريا ابتسامة حزينة وقالت: «أخفي هذا الخنجر عن الجميع، ولا تتحدثي عنه؛ إذ لا يجب استخدامه إلا مع الأشرار».

بدأ قلب لوتشيا يخفق بعنف وقالت متسائلة: «الأشرار؟» إذا لم تكن على أتم علم، كانت ستظن أن أحدهم يستغل مشاعرها؛ لكن مثل هذه القوة كانت محرَّمة.

«من هؤلاء؟».

وهنا دارت ساحرة غير مألوفة لها ذات عينين نجميتين حول الطاولة الخشبية الصغيرة ببطء، والقوة تشع منها؛ ما جعل لوتشيا ترتجف. قالت الساحرة: «إنهم مخلوقات متعطشة للدماء يُدعون أمراء الجحيم. إنهم يسعون لتدميرك؛ بل لتدمير جميع الساحرات».

وهنا أضافت ماريا: «إذا رأيتِ أحدهم، فاختبئي. وإذا أتوا باحثين عنكِ...».

نظرت لوتشيا إلى الخنجر المميت وقالت: «يجب أن أحمي نفسي»، ثم تنفست بعمق، مستشعرة استيعابها الحقيقة، فالأشرار هم أعداؤها الفانون. راحت تتوسل للإلهة ألا تقابل أحدهم أبدًا؛ لكنها كانت ممتنة لوجود الخنجر على سبيل الاحتياط، ثم أمسكت البلورة الزرقاء النادرة وقالت: «هل هذا حجر ذكرى؟».

فأومأت الساحرة ذات العينين النجميتين وقالت: «لكي تكوني آمنة، يجب أن تتخلصي من ذكريات هذه الليلة الآن. سأعطيك شرابًا منومًا، وحين تستيقظين، ستكون ماريا قد أخذتكِ إلى المنزل».

سألت لوتشيا الساحرة، وكلها كراهية للخوف الممتزج بصوتها قائلة: «هل أنا في خطر؟».

«ليس بعد الآن».

أمسكت لوتشيا البلورة المسحورة وبدأت تملؤها بذكريات تلك الليلة، وفي تلك الأثناء كانت البلورة تأخذ شيئًا لم تستطع أن تتذكر ما إذا كانت تريد التخلص منه أم لا. فبدت عليها الدهشة؛ إذ صارت حرارة الحجر ترتفع وتأخذ مزيدًا من أفكارها خلال الساعات القليلة الماضية. «من... ما اسمي؟».

لم يبدُ أن الساحرة نجمية العينين مندهشة لعدم تذكرها اسمها؛ إذ كان هذا يشير إلى رغبتها في التخلص منه، أو كان هذا ما فكرت فيه الساحرة غير ذات الاسم على الأقل، فقالت: «اسمك كلوديا. أنتِ من باليرمو. أنتِ ساحرة قوية، وتستطيعين ممارسة السحر المظلم، وقد مُنحتِ نعمة الاستشراف، وموهبة استخدام الخنجر، ولستِ متحسسة من الموتى. إن أسرتكِ تنتظر مجيئكِ».

فأومأت؛ إذ بدا اسم كلوديا مناسبًا، رغم أن بقية القصة لم تكن مقنعة. لاحظت كلوديا أن الساحرة قالت: أسرتكِ تنتظر مجيئكِ، لا عودتكِ؛ لكنها شعرت فجأة بثقل في جفونها، ولم تستطع رفعهما. ومع ذلك، نجحت في طرح سؤال آخر قبل أن يغلبها النوم: «من أنتِ؟»، *فردت الساحرة:* «أنا حليفة قوية للبعض، وكابوس للبعض الآخر».

وانجرفت كلوديا في نوم غير مريح، راجية ألا ترى الساحرة ذات العينين الغريبتين مرة أخرى.

الثالث والعشرون

هناك في بئر الذكريات، رحت أحدق في البلورة الخشنة في كفي. فلأول مرة منذ صرت خالدة مجددًا، أقسم بأنني شعرت بشبح قلب بشري ينبض داخلي. لم أستطع التصديق. لقد وجدت ما كنت أبحث عنه؛ لكن الحصول على الخنجر لن يكون سهلًا. كانت كلوديا، أعز صديقاتي، هي لوتشيا ابنة الساحرة الأولى، وزوجة برايد المفقودة التي اعتبرها الجميع، بمن فيهم راث، في عداد الأموات.

وبعكسي، فقد قررت نسيان أميرها، وهو قرار سبَّب لها ألمًا مبرحًا؛ لكنها وجدت القوة لتتخذه؛ لأنها رأت أنه الأفضل لها. اللعنة! لم أرد أن أكون الوحش الذي يجعلها تتذكر أوجاع قلبها، ولم يكن لديَّ الرغبة في إرشاد أي من أمراء الشياطين إلى صديقتي بعد أن أفلحَت في الاختفاء. كانت معجزة لم يشهدها أي منهم حين كانوا في نسخة الجزر المتحولة الخاصة بنا.

كان من الواضح أن كلوديا لم ترد أن يجدها أحد، ولا سيما زوجها، وقد مضت قدُمًا، كانت سعيدة وراضية بالحياة الجديدة التي صنعتها لنفسها.

لكن خياراتي كانت محدودة. كانت كلوديا تملك خنجر الدمار؛ وهو السلاح الوحيد القادر على كسر اللعنة. وكان هناك سر مخبأ في عقلها حول كيفية استخدام الخنجر دون تدميره. رحت أذكِّر نفسي بهذه الجزئية من الذكرى بعناية، لعلّي أجد طريقة أخرى للعثور على المعلومات وترك صديقتي تنعم بالسلام الذي تعيش فيه.

كما أشيع أن الخنجر يكسر اللعنات؛ لكن لوتشيا كانت تعلم عنه سرًّا لم يعلمه أحد غير أمها. كان هذا السر إما سينشط الخنجر أو يدمره إلى الأبد إذا استُخدم بطريقة خاطئة.

لم يكن لديَّ شك في أن صديقتي ستسلمني الخنجر إذا طلبته منها؛ لكنني كنت أشك في حسن استخدامي إياه. لم أكن واثقة من أن هناك حدودًا لعدد مرات التخلص من الذكريات، فإذا استعادت ذكرى تلك الليلة، الآن، فقد لا يمكنها التخلص منها مجددًا. ففي مملكتنا كان عقدان قد مضيا على نسيانها ومُضيها في حياتها؛ لكنني لم أجد لهذه الطريقة بديلًا كي أتجنب إيلامها. كان ثمنًا باهظًا يُطلب من أي شخص دفعه بل إنني كنت سأفعل أي شيء كي أدفعه بنفسي.

«أيتها الإلهة، يجب أن يكون هناك...».

كانت لوتشيا تعرف سرًّا لا يعرفه أحد سوى أمها.

«المجد للأشرار».

شعرت بالتوتر، فكما يقول البشر، كان الشيطان يكمن في التفاصيل. كان راث، ملك التفاصيل الدقيقة، سيسعد بسمعته التي تسبقه. كان هناك شخص آخر يعلم سر الخنجر، شخص لا أعبأ بإيلامه حين آخذ منه المعلومات.

كنت أتحرك بدافع الانتقام لزوجي وصديقي. وضعت حجر الذكري بعناية في صدريتي واتجهت إلى الزنزانة. لقد حان وقت

إذابة سورسيا واستدراجها لمعرفة ما تخفيه من معلومات مهمة عن خنجر الدمار.

فسواء شاءت أم أبت، ستخبرني بما أردت أن أعرفه.



راحت الزهور البرية النارية تطفو فوق سورسيا التي صارت شبيهة بتمثال متجمد، وكان الدفء المنبعث من سحري يرفع حرارة كل ما هو متجمد في الحجرة. جلست على مقعد أحضره الحارس ورحت أرقبها دون مبالاة. كان الجليد يذوب ويقطر على الأرضية الحجرية.

كانت إذابتها عملية مملة استغرقت وقتًا أطول مما توقعت؛ لكن كان يجب تنفيذها بالطريقة الصحيحة، وإلا أفاقت بشكل «خاطئ» حسب نصيحة زوجي.

لم أكن لأهتم بأي آثار سلبية كانت تعانيها؛ لكنني كنت بحاجة لأن تخبرني عن طريقة تنشيط الخنجر، ولم أكن لأضيع تلك الفرصة في سبيل ثأر تافه. كانت أختي ستعرب عن ضيقها وضجرها إذا رأتني الآن؛ لكن كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي أريد أن تتعامل بها مملكتنا بعد إعادة تأسيسها.

دخل راث الحجرة السفلية، وحين رأى سورسيا في هذه الحالة لاذ بالصمت كمن يريد أن يخفي شيئًا. كانت كراهيته للساحرة شديدة الوضوح. فإذا لم تكن من الخالدين، وإذا لم يكن يريد استعادة جناحيه لقتلها منذ فترة طويلة. وهنا انخفضت الحرارة بضع درجات، وهو ما كان سيُعرقل عملية الإذابة.

وهنا سألت راث، مستعيدة انتباهه الذي كان قد هبط في جب مظلم: «بعد أن تذوب ويصبح بإمكانها التحدث، هل هناك مدة محددة يجب أن أنتهي خلالها من التحقيق؟». فعادت الحرارة للبرودة الطبيعية التي كانت تطغى على الهواء في تلك البقعة البعيدة عن سطح الأرض.

«خذي الوقت الذي تريدينه، وبعد أن تنتهي من التحقيق معها، أرسليها إليَّ. لا يجب تركها بمفردها إلا بعد تجميدها مجددًا».

ابتسمت لزوجي ابتسامة سريعة. فحين أخبرته بما أحتاج إليه، لم يتردد في تحقيقه، حتى حين طلبت منه عدم الحضور أو طرح الأسئلة. فبعد أن صار بمقدوري استشمار الأحاسيس، عرفت أنه لم يشك أو يتردد للحظة في تنفيذ طلباتي، فقلت له: «شكرًا لثقتك بي».

فقبَّل جبهتي وقال، وهو يتجه نحو الباب: «حاولي ألا تمعني في تشويهها».

انحرف أنير عن مساره وتوقف خارج الزنزانة وأحنى رأسه لي، ثم تبع راث خارج الحجرة حيث راحا يتحدثان بصوت منخفض، فلم تزل ممالك الخطيئة الأخرى في حالة طوارئ بعد الاعتداء الفاشل على مملكة جريد. وبسبب المراسلات المتواصلة واستمرار مقاطعات المبعوثين، ونقاشات غرفة عمليات الحرب، لم أسأل راث عن الوقت المتبقي لكسر اللعنة. فلم أقضِ معه سوى دقيقتين منذ عودتي من بئر الذكريات؛ إذ هرعتُ إلى هنا لتنفيذ خطتي.

لم أرد أن أرفع توقعاته بمعرفة ما ينمو إلى علمي؛ إذ قد تحدث مشكلة أثناء تحقيقي مع سورسيا؛ لكنني كنت بحاجة للتحدث معه؛ وفي أقرب وقت. هذا إن ذابت تلك الساحرة العنيدة خلال هذا القرن. كنت سأقسم بأنها السبب في إبطاء الوقت، وأنها ستتلاعب بالخنجر عندما تسنح لها الفرصة. أطبقت بأصابعي على ساعديَّ، والمياه تقطر من الجدار السميك المحيط بسورسيا، *نقطة تلو الأخرى*.

أضفت زهرة نارية أخرى للباقة المشتعلة فوقها، ثم حولت انتباهي إلى وجه سورسيا، مدققة النظر في ملامحها، لأجدها شديدة الشبه بكلوديا. كان لوجهيهما الاستدارة نفسها، ولحواجبهما الشكل نفسه. كان شعر سورسيا الداكن مموجًا، وكان شعر كلوديا أكثر تجعدًا، لكنه كان بدرجة اللون البني نفسها. وبعد أن استعادت ذكرياتي سلامتها من

جديد، أدركت أنني لم أقابل كلوديا حين كانت هي لوتشيا، وكنت أنا فيوري. كانت تلك الرؤية في بئر الذكريات صادمة.

وجهت عقلي نحو زمن ما قبل ربطي بالتعويذة كي أتذكر ما استطعت. فبدءًا من مؤامرتنا، لم تظهر فيتوريا ولا أنا في الحفل نفسه أثناء لعبنا دور نيكوليتا. كانت تحضر العديد من الحفلات أو الاجتماعات مع برايد، وكنت أفعل الشيء نفسه مع راث. وقررت سورسيا أنه لن يُقبض علينا إلا في الوقت المناسب؛ لأنها كانت تريد ضمان وقوع الأميرين في حبنا.

رحت أتذكر جميع الحفلات والفعاليات؛ لكنني لم أجد فعالية تجمع بيني وبين كلوديا. أمعنت الغوص في ذكرياتي، لأجدني وفيتوريا نتبادل حكم مملكة خطيئتنا، بفارق أسبوعين كي نجعل برايد وراث يشكان في مكان وجود نيكوليتا، شخصيتنا المشتركة، حين لم نكن معهما. كنا قد أخبرناهما جزءًا من الحقيقة بالطبع. كنا سنعود إلى مملكة فينجنس التي لا يعرفان سوى القليل عنها بفضل تكتمنا وما تمارسه أمنا من سحر.

تذكرت دِقتنا في مراعاة كل تفصيلة، وفقًا لتعليمات سورسيا؛ بل إننا حددنا وقت زيارة ممالكهما كي تُتاح الفرصة لنيكوليتا لزيارة بقية الأمراء أثناء عدم وجودها مع أحدهما؛ ما أنشأ القطيعة بين الأخوين اللذين اتضح أنهما يواعدان المرأة نفسها.

كانت الفعالية التي حضرتُها وفيتوريا هي تلك الليلة المشئومة التي طلبت منا الساحرة الأولى فيها القيام بأول تحرك مصيري: ليلة مأدبة الذئب. ففي تلك الليلة، حين اجتمع الأمراء السبعة، كانت قد وضعت خطة انتقام بسيطة. كان من المفترض أن تقوم فيتوريا بخداع راث كي يراها وهي تغوي برايد. وحين يشهد الفضيحة، سيطلق العنان لغضبه ويحارب أخاه، وبهذا يفقد برايد زوجته، وربما بلاطه، إذا أطلق راث العنان لقوته. وكان هذا سيضمن تحقق انتقام الساحرة الأولى من برايد.

ورغم عدم لقائي كلوديا طول ذلك الوقت، كان يجب أن تعرف فيتوريا حقيقة هويتها. كانت أختي هي المكلفة بإغواء برايد؛ لكنها لم

تذكر أي شيء عن الأمر، ولم تبُح بسر صديقتنا. لم أكن متأكدة مما إذا كان هذا من باب الطيبة أم أنها لم ترغب في تنبيه الأميرين لأسباب تخصها. وإذا صحت فرضيتي بأن أختي لديها مشاعر تجاه برايد، ولم تكن ترغب في معرفة أي شخص سر كلوديا، ولا حتى كلوديا نفسها.

لكن، حين فكرت في فرضيتي عن فيستا، وعن مساعدة أختي لها على الهرب من البلاط الذي تسبب في تعاستها، لم أتخيل أن أختي بتلك الأنانية أو البشاعة التي تريد أن تصدقها المملكة عنها. فرغم ما لها من نصيب من الأفعال الشريرة، مثل قتل بنات الساحرات اللاتي ألقين علينا تعويذة الربط، كان هذا هو الانتقام الوحيد الذي سمعت إليه.

كما أنها قتلت أنطونيو؛ لكنني بتّ أشك بأنه كان سيُفشي معلومات متعلقة بفيستا. لم يكن هذا تبريرًا لفعلتها؛ لكنه مؤشر على أنها قد ترتكب جرائم نكراء دون تفكير، وقد كانت شديدة السعادة بجعلي وأمراء الشياطين نصدق هذا.

في تلك اللحظة، انشرخت قطعة جليد وانزلقت من وجه سورسيا؛ ما أعاد انتباهي إلى الحاضر. كانت الساحرة الأولى قد ذابت بالكامل، وراحت ترمش حتى حررت رموشها من الجليد ونظرت إليَّ نظرة متوهجة.

وعلى الفور قذفت باسمي الحقيقي في وجهي: «فيوري! كنتِ دائمًا الوحيدة الأكثر شبهًا...».

ثم أغلقت سورسيا فمها كمن يغلق بابًا، فابتسمت وقلت: «الأكثر شبهًا بلوتشيا؟».

«لا أفهم ما تقصدين. كنت سأقول رات؛ لكنني لم أرغب في إفساد مزاجي المعتل فعلًا بنطق اسمه اللعين».

وبدلًا من مواجهتها بكذبها الصريح، وقفت ودرت حول كتلة الجليد التي تحوي بقية جسدها المتجمد وسألتها: «هل كنتِ تعلمين أنني وكلوديا كنّا صديقتين مقربتين حين كنت تحت تأثير تعويذة الربط، وأنها كانت

صديقة لفيتوريا كذلك؟ يمكنني الذهاب إليها فورًا، وسترحب بي في منزلها، وستصدق أن فيتوريا قامت من بين الأموات».

حدجتني سورسيا بنظرة غاضبة؛ لكنها بقيت صامتة، فأردفت: «أريد خنجر الدمار؛ بل سأفعل كل ما بوسعي للعثور عليه؛ بل قد أؤذي صديقة عزيزة حين أقص عليها قصة مشوقة، إلا إذا قررتِ مساعدتي ومساعدة ابنتكِ».

لم يتغير تعبير وجه سورسيا؛ لكنني استشعرت عقلها وهو يدبر شيئًا، ثم قالت: «ليست مساعدتكِ في صالحي».

«لقد حققتِ أهم أهدافكِ وحصلتِ على ما تريدين. لقد انفصل برايد ولوتشيا. يجب أن ينتهي انتقامكِ من راث، فقد دفع ثمن لعنتكِ لوقت طويل، ودفعته أنا أيضًا. لم يكن هذا جزءًا من *صفقتنا*».

«كانت لعنة راث شديدة الوضوح، فحين يتذوق الحب والسعادة الحقيقيين، ستُمحى وتحل محلها الكراهية. ما كان يجب عليكِ أن تمنحيه حبكِ، هذه هي مشكلتكِ».

فاستدعيت برعمًا برتقاليًّا كبيرًا وأمسكت زهرة نارية في كف يدي، موجهة إياها إلى أحد الجوانب ومشاهِدة بإعجاب اللهب الوردي المُذهَّب ثم قلت: «أأنتِ واثقة من هذا؟ لست واثقة مما إذا كان من الحكمة أن تشعلي غضبي. احترمي آلهتكِ».

ثم قذفت الزهرة في وجه الساحرة الأولى لتحرق حاجبيها. فصرخت، واللهب قريب من جلدها يوشك على إذابة لحمها. كان هذا استعراضًا لما لديَّ من قدرة على السيطرة على سحري وعلى دقتي في التحكم باللهب المسحور.

«ليس لديّ الوقت ولا الصبر على إطالة هذا الاجتماع. إن لم تخبريني بما أريد معرفته، فسأحرق رأسك كله. ستصرخين وتختنقين من رائحة لحمك المحترق حتى تذوب حنجرتك، ثم أذهب لزيارة كلوديا وأعطيها هذا». وهنا جذبت حجر الذكرى من صدريتي ورفعته. لم يجعل التهديد

بالتعذيب وجه الساحرة يبهت بقدر ما فعلته بها رؤية هذا الحجر. «كيف أنشط الخنجر لأكسر اللعنة؟».

ارتجفت إحدى عضلات وجه سورسيا قليلًا؛ إذ لم تكن راغبة في كسر اللعنة، حتى بعد حصولها على ما أرادت، فقد حررت ابنتها من برايد. كانت تكره راث أيما كراهية؛ لعدم إجابتها إلى طلبها، وهو ما عبرت عنه تلك المخلوقة الخالدة الفاسدة عريقة الأصل في نوبة غضب ووقاحة.

هززت رأسي ثم ملت نحوها وهمست قائلة: «إن الانتقام هو أقبح مسعى، وينطوي على العديد من الخطايا؛ احترسي يا سورسيا لأن كبرياءك سيتسبب في سقوطك. أمامنا مفارقة ساخرة إن أمعنا النظر فيما يحدث من أمور؛ فها أنتِ تخضعين للخطيئة التي تكرهينها أيما كراهية؛ إذ تسرعت بمعاقبة راث على رفضه أهواءك، واحترامه أخاه وقرار زوجته. لقد تدخلتِ وتآمرتِ، واخترت الكراهية، في حين كان كل ما عليكِ فعله هو تقديم الحب غير المشروط لابنتكِ. دعيها تقرر لنفسها وتكن نفسها».

تنهدت سورسيا، وقسماتها تتلوى؛ من الغضب وقالت: «إن دم ابنتي وحده هو الذي ينشط الخنجر؛ لكن يجب أن تعطيكِ إياه برضاها. فمثل كل أنواع السحر، لا يمكن فرضه أو الحصول عليه بالخداع». وهنا خالجني شعور بشري، ولم تفوت سورسيا هذا التغير اللحظي، فابتسمت بسخرية.

«بغض النظر عن تدخلي، فإن لوتشيا لا تستحق أن تُعاد إلى عالم الخطايا هذا. أرجو أن تتعايشي مع قراركِ بتحطيم السعادة التي حاربَت بكل قوتها حتى تجدها».



اصطحبني راث إلى غرفته الخاصة في صمت؛ إذ استشعر احتياجي للموازنة بين خياراتي. توقف على عتبة الباب وراح يرقبني ثم قال: «لم تكن لدينا أية فرصة لمناقشة الأمر، وليس الآن هي اللحظة المناسبة كذلك؛ لكنني أريد أن نتقاسم الغرفة نفسها التي يمكن أن تكون أحد جناحينا، أو قد نهدم الجدار بين الاثنين ونحولهما إلى دور واحد لمعيشتنا. وإذا أردتِ، فيمكننا إضافة مطبخ صغير».

كانت هذه هي المرة الأولى منذ أيام التي يتوقف فيها عقلي عن الدوران. حدقت في زوجي الذي لم ينفكّ يذهلني برعايته وتصرفاته اللانهائية الدالة على الحب، فدرت على عقبيَّ وجذبت وجهه نحوي، وقلت: «لنهدم الجدار ونُضف المطبخ. إن فكرة جعل هذا الدور مقر معيشتنا بحيث نختفي عن البلاط كله رائعة. ثم إنني لا أتفق معك: فهذا أنسب توقيت لمناقشة الأمر».

قبلني راث قبلة حانية وفتح الباب، وهو يقول: «اعتبريه حدث يا سيدتي». تبعته ثم ألقيت بنفسي على أحد المقاعد الضخمة قبالة المدفأة. تلاشت النشوة اللحظية وحلت الجدية محلها؛ إذ رحت أفكر في الخطوة التالية.

راح راث يرقبني، وتعبير وجهه يتحول إلى التجهم، ثم سألني: «هل حصلتِ على ما تريدين من إجابات؟».

«في الغالب». كان اللهب يتراقص في المدفأة وكأنه ذيول جراء سعيدة. حولت انتباهي إلى زوجي وقلت: «إن الصفقة التي عقدتها مع سورسيا كانت ست سنوات، وستة أشهر، وستة أيام». فجلس راث على المقعد المجاور وهو يتفحصني. وقبل أن يبادرني بأي سؤال، أضفت: «كم يتبقى من الزمن؟».

فحدق في النار، واللهب يزين وجهه بلون ذهبي دافئ وقال: «يوم واحد».

«يوم واحد؟». لم أكن أظن أن لدينا وقتًا طويلًا، لكن مسألة اليوم الواحد كانت سخيفة. وفي محاولة قوية للسيطرة على نفسي، كبحت غضبي كي أحتفظ بصفاء ذهني وقلت: «إذا لم نكسر اللعنة قبل الغد، فلن نستطيع كسرها».

فقال راث بنبرة دالة على شعوره: «لقد أفادكِ بئر الذكريات». كان تعبير وجهه صعب التفسير، فنهض وصب مشروبًا من القنينة الموضوعة على الخزانة الجانبية بجوار الرف، ثم استدار نحوي ورفع السائل البنفسجي وقال: «سيضمن هذا عدم فقدي إياكِ مجددًا، وسواء أكانت هناك لعنة أم لا، سنجتاز هذا الوقت».

رشف الصبغة التي كانت تمنعه من الشعور بالحب؛ لكن الاستياء الذي كنت أشعر به بسبب ظروفنا والساحرة الأولى قد فاض.

«لن نجتازه بهذه الطريقة. أريد قلبك يا ساماثيل، وأريد حبك دون التعاويذ والصبغات التي تحجبه. فمجرد امتلاك نصفك لعنة. يستحق كلانا المزيد، نحن نستحق السعادة الحقيقية، تلك السعادة التي لا تقيدها سلاسل ولا قيود، ولا تُعلق بها خيوط. مهما كانت خطايا ماضينا، فنحن لا نستحق أن نُعذب إلى الأبد. كانت جريمتك الوحيدة هي مساعدة أخيك وزوجته على اختيار حياتهما. فهل يجب عليك أن تتنازل عن حبك الآن؟ ولأي غرض؟ أهو بسبب انتقام ساحرة كريهة؟ لن أقبل هذا؛ بل إنني لا أستطيع. يجب أن تعطي قلبك لمن تختاره، وفي الوقت الذي تختاره، وبالطريقة التي تحددها».

رد راث بنبرة تخلو من القسوة وعينين بهما مسحة حزن: «قد لا يتحقق هذا أبدًا. قرري الآن قبل أن نستكمل رابطتنا ما إذا كان هذا سيناسبكِ. إذا لم يكن بمقدوري أن أحبكِ، إذا لم أستطع منحكِ قلبي في المقابل، قرري ما إذا كان هذا شيئًا تستطيعين التعايش معه. إن لم تستطيعي...».

كان راث يعطيني الفرصة ليحررني، حتى لو كان هذا سيحطمه.

«لهذا السبب لم نتحدث عن استكمال رابطتنا من قبل».

تنهد ومرر يده على شعره وقال: «كنت أرجو أن أجد طريقة لكسر اللعنة قبل أن نتطرق إلى هذه المناقشة».

ثم عم الصمت المكان مجددًا.

راحت النار تقرقع، وثورتها تتصاعد، ولهبها يستشري بفعل امتزاج غضبي بغضبه. لم أكن غاضبة من راث؛ بل كنت متفهمة سبب وضعه خطة ثانوية حال بقاء اللعنة دون كسر. كان هذا دليلًا على حبه، حتى دون أن يعبر عنه؛ لكنني كنت طامعة في المزيد، كنت أريده كله، كل كيانه، بما فيه من خير وشر وكل ما بينهما.

وكان قبولي بنصف حبه سيتساوى مع مصير مظلم لكلينا.

اقتربت منه وأرحت رأسي على صدره وقلت: «لقد وجدت طريقة لكسر اللعنة في بئر الذكريات». تصلب راث مكانه، فقلت له: «يجب أن أتحرك فورًا كي أتمم هذا، ويجب أن تظل هنا».

ربت على ظهري وقال: «لا تبدين سعيدة».

استشعرت رغبته في طرح مزيد من الأسئلة؛ لكنه كان يعلم أنني شاركته بما في استطاعتي. فملت عليه آخذة كل ما منحني إياه من راحة ومنحته إياه في عناق طويل، وأردفت: «قد أُضطر لإيلام شخص يهمني، شخص لا يستحق ذرة ألم».

فقبَّل راث جبهتي وقال: «آسف».

لم يطلب مني إيجاد طريقة أخرى؛ إذ لا توجد أية طريقة. كما لم يعرض أخذ مكاني لأنه كان يعلم أنني بحاجة لعمل هذا وحدي. لم تكن هناك كلمات أواسيه بها؛ لأنني كنت سأفعل شيئًا أكرهه كي يتحرر كلانا.

رفع راث وجهي نحوه، وكأن نظرته ستخترق روحي إذا سمحت له بهذا. وحين قرب شفتيه من شفتيَّ، أطلق العنان لكل ما لا ينفع أن تنطق بها الكلمات، وباح بكل آمالنا وآلامنا دون أن ينطق بحرف.

وقبل أن أعرف ما يحدث، استخدم راث قوته وسرعته الخارقتين فوجدت نفسي راقدة فوقه على البساط الفاخر، وابتسم ابتسامة شيطانية جعلت أصابع قدميَّ تلتويان في توق. صحيح أنني كنت فوقه أتطلع إلى عينيه المملوءتين بالغواية؛ لكنني كنت تحت سيطرته.

سألته: «ماذا تفعل؟ ليس لدينا وقت...».

«قد ينتهي العالم قبل أن نعرف، ولدي أحلام أحققها إذا أردتِ يا سيدتي».

كنت متفهمة احتياجه للتواصل والشعور بشيء مغاير لخوفنا بينما نسرع الخطى كي ننهي سباقًا لم نكن متأكدَيْن من اقتراب نهايته. كنت بحاجة إليه أيضًا. قد لا يستطيع البوح بحبه؛ لكنه يستطيع إظهاره لي، فأومأت إليه قائلة: «سعيدة لتلبية طلبك».

سألته: «هل هذا درس جديد في الغزو أم في الاستسلام؟».

«أنتِ من يقرر هذا يا سيدتي».

«أنا. *لتلعنني الإلهة*».

كنت أعرف طلبه دون كلمات. ومن أكون حتى أحرمه وأحرم نفسي من المتعة؟

لم يكن هذا اللقاء القصير كافيًا؛ لكن الوقت كان يداهمنا، وكنت قد أهدرت منه ما يكفي. رأى زوجي التردد في عينيَّ، بينما رأيت الشوق في عينيه. كنا بحاجة إلى هذا، حتى لو كان يمني وقتًا أقل للحصول على الخنجر. سأتعامل مع الموقف بطريقتي. وغبنا في دوامة من النشوة مذكرين أنفسنا بما كنا نقاتل في سبيله: الحب.



الرابع والعشرون

زمجر دومينيكو حين استدعيته وقال: «هل تظنينني عربتكِ الخاصة؟».

رددت بنبرة مرحة: «كلا؛ لكنك ستصير شبيهًا ببساط جديد من الفرو إذا لم تتوقف عن التذمر».

«لستِ ظريفة كأختكِ».

«ربما ليس بالنسبة لك؛ لكنني مميتة مثلها، غير أنني عكسها، إذا قتلتك فلن تعود. لا أستطيع عمل هذه الخدعة الشيطانية». أشرت إليه بأصبع آمرة: «لنتحرك».

أصدر المستذئب صوتًا شبيهًا بضحكة مختنقة، ثم نشب مخالبه في ذراعيَّ ووثب إلى البوابة اللامعة. كانت البوابات مغلقة من الخارج؛ لكن السفر بمتحول كان أفضل شيء. لم يستطع راث الانتقال بهذه الطريقة، وحتى إن استطاع، لم أشأ أن أعرفه بمكاني. فقد يشك في أنني كنت متجهة إلى نسخة الجزر المتحولة الخاصة بي. ولم أشأ تأكيد أو نفي أي شيء.

إذا اكتشف برايد مكان لوتشيا، لم يكن هناك شك في أنه سيأتي باحثًا عنها. كانت رؤية ذكريات لوتشيا جانبًا واحدًا من الحكاية؛ ولكن شأنها شأن جميع الحكايات، كانت ذات أوجه كثيرة. إذا كان برايد يهتم

بالجانب الخاص بها كما كان راث يهتم بي، كان سيدمر المملكة ليتأكد من سلامتها.

وإذا كان راث محقًا بشأن عدم انشغال برايد بأية امرأة عدا زوجته - وأن الأمر كله سوء فهم بشع مبني على كبريائهما - كنت أعرف بأي قوة سيقاتل كي يستعيدها.

حين قابلت برايد أول مرة قبل مأدبة الذئب، كان يزرع جذور السبات، ويقوم بدوريات حراسة على أراضيه بجيش لم يكن أي من إخوته يعرف شيئًا عنه. كنت أخشى أن يكيد لراث؛ لكنني بتُّ أتساءل عما إذا كان يدرب حراسه لأغراض أخرى أم لا. ربما كان يستعد للحرب لاستعادة زوجته المفقودة منذ اختفائها.

لقد أصابت الجدة في شيء واحد عن أمراء الشياطين؛ وهو أن شيئًا لن يمنعهم من الحصول على ما يريدونه، ولا سيما إذا تعلق الأمر بقلوبهم. فماذا لو كان من يحبون في خطر محتمل؟ كانوا سيطلقون العنان للجحيم كي ينقذوهم.

سمعت دومينيكو يتمتم متذمرًا من أفعال الإلهات، قبل أن يدخل بي زقاقًا بالقرب من منزل طفولتنا. كان معبدًا مخفيًا. أخذ يحدق في الشارع الهادئ، ثم رفع رأسه واستنشق الهواء الذي بدا «صافيًا» للبشر والكائنات الخارقة على حد سواء.

استشعرت هذا بحواسي؛ لكنني سررت بتأكيده ذلك. كانت قدرته على الشم تفوق قدرتي. قلت له: «ابقَ هنا. سأعود بأسرع ما يمكنني. يجب أن ندخل ونخرج بسرعة فائقة».

عقد دومينيكو ذراعيه حول صدره وراح يحدق فيَّ. كنت أعرف أنه طويل؛ لكن قامته بدت أطول من الأيام الماضية. كما بدا أعرض، وعضلاته أكثر تحديدًا. لا بد أن هذه سمة أخرى من سمات المستذئبين. قال: «لن أكذب على أختكِ لو سألتني».

ربتُّ على صدره فكشر، وقلت: «لهذا يجب ألا تعرف المكان الذي سأذهب إليه. تأكد من عدم اتباع الشياطين أو الساحرات إيانا».

«لا يروقني هذا».

«أعلم. شكرًا لأنك ستُنفذ، على أية حال».

ارتسم السخط على وجهه؛ لكنه لم يجادلني. فباعتباره متحولًا، كانت مشاعره سهلة القراءة، لم يكن يخفي مشاعره مثل الشياطين. كانت الذئاب أقرب للطبيعة ولا تمارس ألاعيب البلاط.

وبعد ما مررنا به، فهمت ما وجدته فيه أختي من جاذبية. فبعكس مصاصي الدماء، والساحرات، وأمراء الشياطين، كان من المريح أن تتعامل مع مستذئب. لم يكن هذا وقت طرح الأسئلة؛ لكنني كنت بحاجة لمعرفة رده.

«لقد قابلت فيستا قائدة جريد».

«ماذا تقصدين أيتها الإلهة؟».

«يُشاع أنها نصف مستذئبة. وإذا صح هذا وكانت قد اختارت الفرار، فهل كنت ستقاتل من أجلها إذا أرادت، حتى لو عرف جريد المكان الذي تعيش فيه؟».

التمعت عيناه بضوء بنفسجي باهت؛ إذ كان قد أوشك على التحول، كما أنه كان ثائرًا. «سأقطع عنق أي شخص يهدد عائلتي، ولا أهتم بالشياطين ولن أساعدهم بأية طريقة، ولا سيما إذا قرر أحدهم الابتعاد».

«هل يُعد جميع أفراد القطيع عائلة؟».

رفع دومينيكو رأسه وهو يتنفس بعمق وقال: «اذهبي، فأحدهم آتٍ».

ترددت للحظة؛ إذ كانت هناك نظرية جديدة تتشكل في عقلي؛ لكنني لم أكن لأضيع فرصة كسر اللعنة أثناء تتبعي هذا الخيط، فالوقت أوشك على النفاد، ويجب أن أحل هذا اللغز حلًا جذريًا.

أسرعت نحو الزقاق واندفعت متدثرة بالظلال ومتنصتة كي أستدل على أية علامة أتتبعها. كان الوقت متأخرًا، ومن ثم كانت معظم الأضواء قد أطفئت في البيوت التي مررت بها. لم يكن هناك أحد يسير في الشوارع، باستثناء بعض المتشردين الذين أسرفوا في الشراب. كانت كلوديا في سريرها؛ لكنها ستستيقظ لو طرقت الباب أو قذفت حصاة على نافذتها.

وأثناء التفافي حول الناصية وتساؤلي عما سأفعله لو كانت عمتها كارولينا مستيقظة، رأيت العمة فجأة تتسلل خارج المنزل، وقد ارتدت عباءة داكنة ذات غطاء رأس. اتجهت كارولينا مباشرة نحو امرأة تنتظرها في الجهة الأخرى من الشارع، وترتدي عباءة داكنة أيضًا. لم يدهشني ارتداؤهما ملابس تخفي هويتيهما بعد الخسارة التي حلت بهما في مملكة جريد.

توقفت عن السير فجأة واقتربت من المبنى المجاور. توقفت كارولينا، بينما أخذت المرأة الأخرى تتلفت حولها. ودون قصد، أتاح لي ضوء القمر فرصة كشف ملامحها. كانت المرأة هي الجدة ماريا. لم أفاجأ برؤيتها تتجول مع ساحرة ظلامية. كانت الجدة هي الساحرة التي استدعتها سورسيا في الذكرى التي تخلصت كلوديا منها. كانت هي من اصطحبت كلوديا إلى هنا وأعطتها أسرة جديدة. كانت جدتي تعمل مع الساحرة الأولى عن كثب طوال الوقت. وكان هذا كفيلًا بجعلي أكرهها.

لم أشعر بارتياح؛ لكنني سررت بنجاتها من المجزرة التي حدثت في مملكة جريد. لقد ظَلَمت الكثيرين؛ لكنني لم أشأ أن تموت. فبغض النظر عن أي شيء، لم أزل أشعر بأنها جدتي وأظن أن الحب الذي كانت تكنه لنا حقيقي. لقد كانت الجدة حنونة معنا، وكانت تعتني بنا، وكانت تساندنا في أحلك اللحظات.

اجتهدت كي أسمع صوتها؛ لكن لا بد أن الساحرتين ألقتا تعويذة أو رسمتا دائرة لحجب همساتهما. ومهما اجتهدت للتنصت عليهما، لم

ضممتها إليَّ برفق ثم رجعت إلى الوراء. فقد صرت على علم بما تنوي جدتي وكارولينا فعله، وقلت: «لا تثقي بما تقوله الساحرات. لسن سيئات بالضرورة؛ لكن لديهن خطة».

بدت الدهشة على كلوديا وقالت: «الساحرات؟ تتحدثين كأنكِ لست واحدة منّا».

تنفست بعمق ورفعت يدي مستدعية زهرة نارية، ورحت أرقب ما ارتسم على وجه صديقتي من تعجب وارتباك. حاولتْ جذب الزهرة؛ لكنها سحبت يدها بسبب لسعة نار، ثم راحت تتفحص وجهي.

«أيتها الإلهة! لا يمكن أن تكوني ...»، ثم انخفض صوتها وهمست: «كيف؟».

«إنها قصة طويلة ومزعجة».

حدقت كلوديا فيَّ، ثم راحت تحدق في الزهرة النارية للحظة، وهي صامتة. ارتسمت الرهبة على ملامحها وبدت كأنها ستنفجر من كم الأسئلة التي ازدحم بها عقلها.

«أظن ذلك، بالنظر إلى سحركِ الناري وكونكِ إلهة»، ثم استدارت وأشارت إليَّ كي ألحق بها.

«لنجلس».

بذلت جهدًا كبيرًا كي لا أتعجلها، وحاولت ألا أركز على الساعة التي تدق في رأسي. تبعتها إلى المطبخ الصغير حيث فتحت خزانة وراحت تصب لنا مشروبات من مجموعتها الخاصة. وهنا لاحظت وجود أعشاب تجف لمشروب النسيان، فشعرت بغصة في حلقي، ووضعت مشروبي أمامي، ثم راحت تسألني في ذهول.

«أخبريني. أريد أن أعرف ما يجري».

«باختصار، ألقت الساحرات تعويذة ربط عليَّ وعلى فيتوريا لحجب سحرنا وخلودنا؛ ما جعلنا ساحرتين فانيتين. أما اللعنة التي ذكرتِها،

تلك اللعنة الخاصة بالشيطان، فقد أثرت في العديد من الكائنات، بما فيها أنا وفيتوريا».

استندت كلوديا إلى سطح المنضدة ووضعت مشروبها وقالت: «أعز صديقاتي إلهتان! لا أستطيع استيعاب الأمر. أشعر بأنني يجب أن أنحني أو أقدم قربانًا». ثم بدا الخوف على وجهها وقالت: «هل أقيم مذبحًا؟ أيتها النجوم! يا للعجب!».

ضحكت رغم كل ما كان يكتنف حياتي من ظلام. لم تكن أسئلتها تنم عن السخرية؛ بل القلق. فأجبت: «أرجوكِ لا تنحني، ولا سيما لفيتوريا. تعلمين أنها لا تُطاق».

فاغرورقت عيناها بالدموع.

«هل فيتوريا على قيد الحياة؟».

جعلني الأمل الذي ارتسم على ملامحها أشعر بانقباض في قلبي. فأومأتُ وقلت: «نعم. لقد كان موتها بداية كسر جميع تعاويذ الربط. لقد عَرَفت ما حدث من كتاب تعاويذ همس لها بأسرار. لقد دبرت مقتلها كي تحرر نفسها وتدبر انتقامنا». لم أشأ الإثقال على صديقتي، فقلت بسرعة: «هناك خنجر يُدعى خنجر الدمار، إنه السلاح الوحيد الذي يستطيع كسر اللعنات».

تنفست كلوديا بحدة وقالت: «كلا يا إيميليا، إن الأغراض المسحورة باهظة الثمن».

رحت أرقبها بحذر وقلت: «أعلم. أرجوكِ، أريدكِ أن تنشطيه من أجلي وتخبريني ما يجب فعله كي أستخدمه في كسر لعنة. إن الوقت يداهمني. ليس لديَّ سوى نصف يوم».

هزت صديقتي رأسها وقالت: «لا أستطيع... تعلمين أنني أفعل أي شيء من أجلكِ؛ لكن أرجوكِ، لا تطلبي مني فعل ذلك».

«ألا تتذكرين الطريقة؟».

ابتسمت في حزن وقالت: «لقد رسخت عمتي هذا الأمر داخلي منذ حضوري للعيش معها. لا أظنك تدركين ثمن هذا بالنسبة لكِ».

زفرتُ وأجبت: «إنني مستعدة لدفع أي ثمن، أخبريني فقط بما يجب عليَّ فعله».

كان هناك صراع داخلها بين التردد والرغبة في مساعدتي.

وأخيرًا قالت: «يطلب الخنجر مقايضة متساوية. إذا أردتِ كسر لعنة، فسيطالبكِ باستخدام قوتكِ كلها في فعل ذلك». وهنا انحنت كلوديا وجذبت بلاطة أرضية من الحجر الجيري، ثم أخرجت خنجرًا ملفوفًا بقطعة قماش وقالت: «يجب أن يستخدمه الشخص الملعون برغبته».

غمرني الرعب وسألتها: «ماذا تقصدين؟».

«يحتاج الشخص الملعون لتغذية الخنجر من سحرك حتى يجمع كل قطرة».

حدقت في الخنجر الذي تُمسك به. بدا خنجرًا عاديًا، وكان النصل يلمع في ضوء الشموع. كان المقبض مصنوعًا من الجلد الأسود الباهت. كان يبدو عاديًّا بالنسبة لكونه غرضًا سحريًّا شديد القوة؛ بل إنه بدا غير قادر على اقتراف جريمة شنعاء كقتل أحد أمراء الجحيم أو كسر لعنة. لهذه الأسباب، بالإضافة لإخفاء صديقتي إياه تحت الأرضية، ظل مختفيًا لعشرات السنين.

كررت: «الثمن هو السحر بالسحر»، فأومأت كلوديا.

«حين قلتِ يجمع كل قطرة، كنتِ تعنين أنه يجب أن أُطعَن؟».

«نعم».

«هل يجب أن يسدد الشخص الملعون الطعنة؟».

تنهدت كلوديا بعمق وأجابت: «نعم، فكسر اللعنة عملية معقدة. إن دمي هو الذي ينشطه؛ لكن باقي الأمر يعتمد على اتباع القواعد بدقة. يجب أن يضحي الشخص بملء رغبته. كما يجب على من يسدد الطعنة أن يفعلها بكامل رغبته».

كان يجب على راث تسديد الطعنة. كنت أشك في أن زوجي سيقتنع بهذا بسهولة؛ لكن كان هناك شيء لم أركز عليه، إنه الجزء الخاص بالتخلي عن *كل* قوتي إلى الأبد. لقد استرجعتها للتو، وكانت المرة الأولى التي أشعر فيه بالاكتمال على مدى زمن بدا طويلًا كالأبدية. كانت الآلهة تسخر مني حين أجبرتني على التنازل عنها مجددًا وبكامل رغبتي دون تردد أو ندم.

كانت طريقة جديدة تنتقم بها الساحرة الأولى مني، وتعمقت كراهيتها داخلي.

وأردفت كلوديا: «وهناك عائق آخر». وهنا، فارقني كل ذهول؛ إذ كان هذا الشيء المسحور أداة مروعة ابتكرتها ساحرة ناقمة، وبالطبع، كان هناك خيط مقيت آخر مشبوك بها. لم تكن سورسيا تعمل بطريقة سهلة ولا معطاءة، فأعددت نفسي لما سيُقال.

«بعد أن أقوم بتنشيطه، لن يتبقى لكِ سوى ساعة واحدة لاستكمال تبادل القوة؛ إذ لا يعطي الخنجر سوى فرصة واحدة لكسر أية لعنة».

«وكيف يعرف؟».

«بعد أن أغذيه بدمي، ستفعلين الشيء نفسه، ثم تبدأ ساعتكِ».

كان هذا يعني أن لديَّ ساعة واحدة أعود فيها إلى الدوائر السبع، وأقرر ما إذا كنت سأتخلى عن قوتي، وأقنع زوجي بطعني، وأكسر اللعنة قبل أن تضيع علينا الفرصة إلى الأبد، إلا إذا... اللعنة!

كلا. لن آخذ كلوديا معي.

وهنا قالت، وكأنها تقرأ أفكاري؛ إذ ارتسم القلق بوضوح على وجهي: «يمكنني أن آتي معكِ. يمكنني الذهاب معكِ إلى حيث تذهبين للتأكد من حصولك على ساعة كاملة».

لم يحمل تعبير كلوديا الجاد أي خداع، ولا دوافع خفية. كانت صديقة مخلصة وإنسانة رقيقة ترغب في مساعدة صديقة محبوبة وقت الضيق.

لم أكن لأضعها في موقف تكشف فيه عن هويتها الحقيقية لنفسها أو لمن كانوا يتتبعونها. قد أكون تآمرت عليها في السابق؛ لكنه خطأ لن أكرره. وإذا كان التخلي عن قوتي سيساعد في محو أي أثر لما سببته لها من ألم بسبب تعاوني مع الساحرة الأولى، فلم يكن أمامي خيار سوى ذلك.

كنت سأصحح هذه الأخطاء بأي ثمن.

أخرجت حجر الذكرى من صدريتي ووضعته على الطاولة أمامي، فالتفتت كلوديا إليه واصفر وجهها.

«يحتوي حجر الذكرى هذا على السبب الذي لا يجعلني أطلب منكِ الحضور معي. إنه مِلككِ، فهذه الذكرى شيء قررتِ التخلص منه ونسيانه إلى الأبد. سأتركه هنا، إذا أردتِ الحصول على إجابات».

تمنيت أن أحكي لها المزيد؛ لكن على الحجر أن يفعل ذلك. أخرجت حقيبة جلدية صغيرة من زناري، ووضعت الحجر داخلها بعناية كي تقرر كلوديا ما تريد فعله دون أن تلمسه، وقلت: «أخبرني شخص عزيز أنه حين تعرفين الحقيقة، لن تستطيعي العودة إلى ما قبل ذلك. اختاري بحكمة، فلا يوجد ما يستعجلكِ، ولا أحد سيدينكِ».

قالت كلوديا بصوت هادئ يغمره الحزن: «هل ندمتِ على اكتشاف الحقيقة؟».

فكرت في وجع القلب، والخداع، والخيانة وقلت: «تكون الحياة أكثر بساطة؛ بل أكثر ألفة، حين لا نعرف الحقيقة؛ لكنني لا أرغب في العودة حتى لو أُعطيت الفرصة. هذا قراركِ وحدكِ. فإذا كنتِ سعيدة وراضية الآن، فهذا هو المهم».

ركزت انتباهها على حجر الذكرى وهمست: «في بعض الأحيان أحلم بحياة أظنني عشتها، ورجل أظنني أحببته؛ لكن الحلم ينتهي دائمًا بكابوس؛ إذ يمزق هذا الرجل قلبي. وفي أحيان أخرى أقتلعه أنا من صدري، أو أقتلع قلبه هو».

حين نظرت إلى أعلى بدا عليها الامتنان؛ بل الارتياح، وقالت: «شكرًا على الحجر وعلى حرية الاختيار. هل أنتِ مستعدة لتنشيط الخنجر؟».

لم أكن مستعدة؛ لكنني كنت مضطرة، فأومأت. «شكرًا يا كلوديا لأنكِ دائمًا أكثر صديقاتي إخلاصًا».

وهنا قالت بابتسامة ماكرة: «أنا متأكدة أننا سنواجه العديد من المشكلات أثناء ارتحالنا للمستقبل. أعطني كفكِ الآن، أيتها الإلهة. إن أكثر ساعات حياتك أهمية على وشك البدء».

الخامس والعشرون

حدق رائد في الخنجر الأسطوري سبديًا إعجابه بي لاستعادتي خنجر الدمار؛ لكن ما إن أخبرته عن الطريقة التي تُكسر بها اللعنة حتى بدا كأنني أحضرت ثعبانًا إلى مكتبه ووضعته في حجره. دفع الخنجر نحو مقدمة المكتب بقوة جعلته يرتج وقال: «كلا».

«لقد قررت التخلي عن سحري، ولا أرى سببًا أكثر وجاهة يبرر فعل ذلك».

عقد الشيطان ذراعيه، وتحول تعبير وجهه إلى تجهم فاق اعتلال مزاجه وقال: «أحترم هذا، لكن طعن زوجتي قراري *أنا*».

رحنا نحدق في بعضنا البعض، وكلانا غير راغب في التراجع. لم أكن لأجادله في أي وقت آخر ولا أي موقف آخر؛ إذ كان يحق له اتخاذ قراره دون أي تدخل. وكان هذا الموقف أكبر منه؛ بل أكبر من كلينا، وكان علينا أن نتصرف بسرعة.

قلت له: «إن الوقت يداهمنا، وليس أمامنا خيارات أخرى. لدينا أقل من ساعة كي نستكمل تنشيط الخنجر، وإلا أضعنا الفرصة. لا تجادلني في هذا الأمر، أرجوك. إنها أفضل فرصة لكسر هذه اللعنة، وأنت تعلم ذلك».

وقف بجوار مكتبه الضخم، وهو ينقر الخنجر بأصبعه ويقول: «ماذا لو كانت الساحرات يكذبن؟ أتصدقين سورسيا؟». كان هذا هو السلاح الوحيد الذي لن يستخدمه القائد المحارب. ومن السخرية أن يكون هو أكثر سلاح يحتاج إليه! لقد أتقنت سورسيا اللعبة. «إنها عتيدة الكذب. فماذا يضمن عدم موتكِ لو طعنتكِ وأزلت قوتكِ؟ ما يدرينا أن الخنجر يريد سحركِ كله أو يريد الاستيلاء عليه؟ ليست لدينا معلومات كافية، ولن أخاطر بتسليمكِ أو بتسليم سحركِ كله لعدو، ولا سيما أن سورسيا ضالعة في الأمر».

لُذت بالصمت؛ إذ لم أشأ أن أخبره عمن أعطاني المعلومات أو ساعدني، فقلت: «أثق بمصدري، ويجب أن تثق بي».

ابتعد راث ويداه تتثنيان على جانبيه وقال: «ليست ثقتي بكِ هي المشكلة. وقد يكون مصدركِ أهلًا للثقة؛ لكن ليس هناك ما يضمن أن أحدهم أوعز له بتلك المعلومات. قد لا يكون على علم بأنها معلومات كاذبة. لو أخبرتِني من صاحب المعلومات، قد أتحرى الأمر».

كان قد جال بخاطري بالفعل أن أحدهم عبث بذاكرة كلوديا وقرر التمادي في اللعبة. نظرت إلى الساعة المجاورة للرف. لم أكن متأكدة من الوقت الذي سيستغرقه سحري، ولم أرغب في مواصلة الجدال. كنت أحب زوجي؛ لكنني لم أكن لأخون صديقتي مرة أخرى. كان يحق لكلوديا اختيار ما إذا كانت تريد التعامل مع أمراء الجحيم مجددًا أم لا.

كذلك لم أشأ وضع راث في موقف يخفي فيه هذا السر عن أخيه، فإذا اكتشف برايد أن زوجته على قيد الحياة، وأن راث يعرف مكانها، فلن يكون الأمر سهل التجاهل أو المغفرة. وسيكون السبب وجيهًا.

توسلت إليه ضارعة وقلت: «قد يقتلني الخنجر؛ لكنه قد يفعل ما تقوله أنت، وإخوتك، وسورسيا، ومصدري: أي أن يكسر *اللعنات*. حين استدعيتك المرة الأولى قلت لي: يومًا ما ستدعونني (الموت). كان

يجب أن تدرك احتمالية ذلك، ولم يكن ذلك ليوقفك وقتئذ. لا تضعف الآن أيها الشيطان، فنحن في أمس الحاجة لخطيئتك».

التقت عيناي بعينيّ راث الناريتين، وهنا قال: «كفى!».

«كلا». قلتها مستشعرة لهيب خطيئته، فاقتربت منه ورحت أتطلع إليه؛ من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. «كرهت أن أطعنك. كرهت أن تجعلني أفعل شيئًا وحشيًا كهذا؛ لكن الأمر كان ضروريًا. لا أريد جنب الانتقام والكراهية إلى العالم؛ بل أريد تصحيح خطأ بشع. إنه الشيء الصحيح، وأعلم أنك تهتم بالعدالة والإنصاف، حتى لو كان الأمر شاقًا أو شخصيًا. حين تتمكن من منحي حبك كاملًا، ستصبح حرًا في أن تبوح به». وجهت عيني نحو قدميّ وقربت شفتي من أذنيه وقلت: «ثم ستضعني هنا على مكتبك وتبرهن لي على ذلك».

أطبق راث فكيه بشكل جعلني أتعجب كيف لم يكسر أيًا من أسنانه، ثم تراجع وراح يحدق فيّ، ومزيج غريب من العواطف يبدو على وجهه، وكأنه يحفظ ملامحي، وفي الوقت عينه يبحث عن مخرج من هذا المأزق؛ لكن شيطان الحرب الجبار عرف أنني كنت محقة.

سألته: «هل لديك تميمتي *القرن* الخاصة بي وبفيتوريا؟».

وهنا انخفضت الحرارة؛ إذ بادرني بسؤال: «أتعتقدين أن جناحيّ سيغويانك؟». كان صوت راث منخفضًا ومخيفًا وهو يصول ويجول في الغرفة، ثم أردف: «وهل يجعلني هذا أعرضك للخطر كي أستعيدهما؟».

«كلا؛ لكنني أريد التأكد من نجاحنا حين تتكسر اللعنة، فإذا استعدت جناحيك، فسيكون هناك دليل مادي على انكسارها». كان زفيري يخرج كسحب صغيرة بيضاء بفعل برودة الهواء، حتى إن الصقيع كسا الثريا المعلقة فوقنا. أردفت: «سوف نتجاوز هذا يا سامائيل». وهنا لاحت في ذهني فكرة جديدة. كان زوجي يريد ندًا له. لهذا، ربما يكون فقداني سحري عبئًا آخر لم يشأ تحمله، فسألته: «هل تتقبل فكرة أن أفقد سحري؟».

فنظر إليَّ نظرة شك وقال: «وفقًا لحساباتي لطريقة عمل الوقت في الجزر المتحولة، فأنتِ لم تصلي إلى قوتكِ الكاملة منذ عشرين عامًا، وكل ما كان بإمكانكِ فعله هو إلقاء تعاويذ محدودة بوصفك ساحرة ظلال، فبجانب أي غضب من فعلهم ذلك بكِ، ومن كونكِ غير قادرة على معرفة الحقيقة، لم أعر هذا أدنى اهتمام».

«لكن الأمر سيختلف. لن أمتلك كثيرًا من السحر ولا القوة بعد ذلك. هل يقلقك مثل هذا الأمر على مملكتك؟ أنا متأكدة من أن هناك كثيرين من أمثال اللورد مكادين، الذين قد يثيرون المشاكل ويثرثرون، وينعتونك بالضعف. هل اختيار قلبك أمر سيجلب الدمار على مملكتك؟».

راح يتعقبني، وهو يستشيط غضبًا ويقول: «لا أعبأ ببلاطي اللعين يا سيدتي. فليس السحر ما يجعلكِ قوية؛ بل شجاعتكِ، وقلبكِ، وعقلكِ؛ بل إن روحكِ نفسها تجعلك قوة يُحسب لها حساب. كل ما أخشاه هو عدم نجاتكِ. سآخذكِ بلا سحر أو ألقاب ملكية لعينة، ولن أعبأ بأي شيء سوى سعادتكِ، فحين أستعيد كامل قوتي، سأمتلك من السحر ما يكفي كلينا. ثقي بهذا».

وددت لو استطاع مشاركة ذلك السحر. أمسكت يده ورحت أدلك جلده بإبهامي كي أهدئه، وقلت: «إن الوقت يداهمنا. أين أقف؟ هل بجانب المكتب؟ أم سيكون الأمر أسهل حين أجلس؟».

هز رأسه وقال: «سأرسل في طلب الساحرة العجوز. يجب أن أجد سبيلًا لحل هذه المشكلة».

ضغطت على يده برفق وقلت: «لا نعرف مكانها، وإذ أطلنا الانتظار، فقد لا تُتاح لنا مثل هذه الفرصة مجددًا. لا تمنع قلبك عني بدافع الخوف».

تركت يده واتجهت نحو المكتب وجذبت خنجر الدمار من حيث غرسه وأشهرته، موجهة مقدمة المقبض نحوه، وقلت: «خذه». كسا الصقيع الغابة، وغطى التجاويف في كل بيت من بيوت الجان؛ لكنني تجاهلت الأمر. لم ترتفع الحرارة؛ لكن راث اقترب مني أخيرًا وأخذ

الخنجر. لكن وقت الراحة لم يكن قد حان بعد. غير أنني تخطيت أول عقبة. وهنا قلت: «أحضر التمائم وارتدها. سنبدأ حين تصبح مستعدًا».

أخرج راث حقيبة من مكان سري مجاور للمدفأة وأفرغ محتوياتها في كفه. راح الذهب والفضة يلمعان في ضوء النار. كانت هذه هي تمائمنا.

لم أشعر بشيء حين نظرت إليهما. لم يخالجني أي شعور بالحنين، ولم تعصف بي ذكريات تبريكهما كلما اكتمل القمر بإرشاد الجدة. لقد رأيتها على حقيقتها، فهي أغراض سببت ألمًا وعذابًا لزوجي دام لسنوات. كانت أغراضًا تربك ذاكرتي وذاكرة فيتوريا، وتجبرنا على البقاء في الظلام. وقد حان الوقت ليعودا إلى مكانهما. عقدهما راث على رأسه، ثم عاد إليَّ حيث كنت أنتظره وفكاه مطبقان بتوتر.

وقف أمامي، والخنجر في يده ثم خفض بصره. كان تعبير وجهه باردًا كالهواء المحيط بنا. ارتدى زوجي ذلك القناع مجددًا، ليصير الملك الذي تريده مملكته، حتى بعيدًا عن البلاط. كان يتحول إلى الشريك الذي أحتاج إليه.

لقد مررنا بظروف شديدة الصعوبة ثم تجاوزناها، وكان من شأن هذا أن يضع عالمنا في نصابه الصحيح. سيطرت على عواطفي، رافضة إظهار الشك، ولو للحظة واحدة؛ لأنه إذا استشعر أي ذعر فقد نضيع إلى الأبد.

وأخيرًا انتقل انتباه راث إلى ثوبي. كنت أرتدي ثوبًا ذهبيًا ورديًا بسيطًا مطرزًا بأزهار لونها أزرق وأخضر. لم أشأ إبقاء أي أثر للمكان الذي كنت فيه، ولم أفكر كثيرًا في الثوب الذي جذبته من الخزانة.

لكنني أدركت خطئي الآن في ارتدائي الثوب الذهبي الوردي بدلًا من الأسود. كان زوجي سيراني أنزف وهو يرشق الخنجر، تمامًا كما شاهدت قميصه الأبيض يتحول إلى الحمرة حين طعنته. بأصابع رشيقة فتحت مقدمة ثوبي، ممزقة إياها بما يكفي لتعرية الجلد فوق قلبي. نظرت في

عينيه، مانحة كل الحب والمشاعر التي أكنها له. تخيلت شعوري وأنا أقبّله، ومدى روعة قربي منه وكأننا شخص واحد.

لقد أبعدتنا الكراهية، والخوف، والثأر عن بعضنا البعض؛ لكن الحب سيشفينا.

ذات مرة أخبرتني الجدة ماريا أن أطيع قلبي، ورغم كذبها عليَّ قبل ذلك - ورغم أنني لم أعد *أمتلك* قلبًا فانيًا - صرت متأكدة من حقيقة هذا الأمر. كان الحب هو السحر الأقوى. ومهما كانت كثرة العثرات والمشكلات التي واجهتها طول الطريق، فقد وجدت بيتي في النهاية. فلا بشر، ولا لعنة، ولا قوة في *هذه* المملكة أو المملكة التالية يمكن أن تأخذ الحب مني بعد ذلك.

«أحبك».

لم يستطع راث أن يرد؛ لكن البرودة تركت ملامحه، فقرب شفتيه من شفتيَّ، وقبّلني قبلة حانية مملوءة بالشوق. لقد شعر بما غذيته به من عواطف، وعرف أنني أريد فعل ذلك بكل ذرة من روحي. قبلته بقوة. كان يريد مزيدًا من القبلات؛ لكنني أبعدت شفتيَّ لأشعر بلسعة المعدن تندفع في صدري. عض راث شفتيَّ كي يلهيني عن الألم أثناء غوص خنجر الدمار بداخلي.

«*ابدأ*». نطق راث تعويذة التنشيط إزاء شفتيَّ، وأنا أصرخ؛ لكن الصوت تلاشى؛ إذ قبلني زوجي مجددًا بحماس وألم، وكأن قُربنا سيربطني به ويحول دون غرقي في مملكة الموت.

وما إن نشَّط راث التعويذة حتى اشتعل سحري، مستشعرًا سيدًا جديدًا يتحكم فيه. كان السيد هو خنجر الدمار. لم ترغب قوتي في أي شيء منه، ولم ترغب في طاعة سيد جديد. كان جحيم مُستعِر يُقتطع مني ويقاوم قوة الخنجر الجاذبة؛ لكنني كنت قد تخليت عن قوتي بمحض إرادتي، ولم تكن لتتغلب على هذا النداء.

صرخت إذ اكتوى جسدي بفعل حرارة الخنجر. كان المعدن يمزق جسدي، ولم أعرف معنى شدة العذاب إلا في تلك اللحظة. استمر راث يقبلني ويضمني وكأنه يحاول إبعاد الألم عني.

قال بين القبلات: «اهدئي، كل شيء على ما يرام. سينتهي الأمر قريبًا».

حاولت التركيز على قبلاته الحانية والتشبث بالأمل الذي يعطيني إياه؛ لكنه لم يُجدِ نفعًا. زاد الألم وجذبني في دوامته. كانت حالي أسوأ مما كانت عليه حين اقتلعت فيتوريا قلبي انفاني. لم تكن هناك نهاية ولا شعور بالوقت، والخنجر يواصل اقتلاع السحر مني.

انبلجت نيران وردية مُذهَّبة بيننا، وراح الخنجر يلعقها قبل أن تلمس راث، فأغمضت عيني بقوة، واصطكت أسناني؛ إذ صارت الحرارة لا تُحتمل. بدأت أتصبب عرقًا، وراح العرق يقطر من جبهتي إلى صدري، محدثًا أزيزًا على الخنجر.

انهمرت الدموع على وجهي، وبلت أصابع راث التي كانت ممسكة مقبض خنجر الدمار. وكانت غريزة البقاء والاحتفاظ بقوتي تجعلني أقاوم باستماتة. تطلَّب إبقاء ذراعيَّ على جنبيَّ جهدًا لم أعرف أنني أمتلكه؛ إذ كان هذا في سبيل التخلي عن سحري. استمر عذاب نقل السحر لدقائق طوال بدت كساعات.

كان هناك فراغ يزداد اتساعًا بداخلي، وراح الفراغ يحل محل القوة التي فاضت مني ذات يوم. وكلما تركتني ذرة من السحر ازداد جسدي ضعفًا وإنهاكًا، وانسحبت منه غريزة المقاومة، ثم تباطأت صرخاتي، وراحت ركبتاي ترتجفان، لينفصل الخنجر فجأة ويسقط على الأرض، ويرفعني راث ويضمني إلى صدره. كان قلبه يدق بفزع، ووقع النبضات يرتد أثره في دمي!

لم أمت؛ لكنني شعرت بأن جزءًا مني مات. وأخذت أنتحب دون أن أدري ما إذا كان هذا تعبيرًا عن الارتياح لما فعلناه، أم الحزن على ما

فقدته. ربما كان كليهما. أغلقت عيني بقوة وكأنني أود منع دموعي من الانهمار.

احتضنني راث بقوة، وراح يهدهدني لدقائق عدة حتى انحسر شعوري بالفقد قليلًا. لم أشأ أن يندم على قرارنا وقاومت كي ألملم شتات نفسي.

بدأ الدفء يعم المكان، ونجحت أخيرًا في فتح إحدى عيني لأبصر جناحين من اللهب يمتدان خلف راث. كانا قويين ولهما حواف من فضة، فسقطت دمعة أخرى على صدغي، لا بسبب الحزن أو الأسى هذه المرة؛ بل بسبب رؤيتي هذا البهاء بهذا القرب. كنت وفيتوريا إلهتين من العالم السفلي؛ لكن راث كان أميرًا مهيبًا، وكانت قوة الحب التي تشع حوله قد غلبتني.

لم يزُل ذلك الشعور الطاغي بالفقد أو الأسى الناجم عن التخلي عن سحري؛ لكنني سمحت للشعور بالمهابة بأن يطهر حزني. لقد انكسرت اللعنة بالفعل، وزال هذا الجزء من كابوسنا.

كما بالأسفل كما بالأعلي. لقد حققنا التوازن معًا، وانتصرنا، لكن...

همست وأنا أنظر إلى الجناحين وقد كبرا بشكل غير عادي: «إنهما مبهران». لم أرَ شيئًا بمثل هذه الروعة والمهابة في حياتي، فحتى حين عرفنا بعضنا البعض في الماضي، لم يُرني راث جناحيه. كانا سلاحًا يخفيه. «*أنت مبهر*».

ضمني راث بمزيد من القوة وأراح ذقنه على رأسي. لم يكن جسده قد نفض التوتر بعد؛ بل ربما كان متوترًا أكثر من ذي قبل.

كما أنه لم ينطق بكلمة واحدة منذ كسرنا اللعنة.

وهنا اندفعت قطرة عرق من مفرقي إلى رقبتي، فارتجفت. اهتز راث برفق، وخبأ وجهه في شعري، فأدركت أنه لم يكن عرقًا؛ بل دموع. استجمعت ما يكفي من الطاقة كي ألف ذراعيَّ حوله وأحتضنه وهو يبكي.

همست أهدئه: «نحن بخير. كل شيء على ما يرام. انتهى الأمر».

رفرف جناحاه القويان، لأجد بين لهيب الريش الداخلي آلاف النقاط الذهبية، فتحول انتباهي من النقاط الذهبية إلى الحواف الفضية. كنت دائمة التساؤل عن ذلك. ظننتها تعني مجدًا ممنوحًا من إلهة الشمس أو إلهة القمر. كم كنت مخطئة!

تنهد راث وزفر ببطء، وقبّل جبهتي، ثم أوقفني. لم أستطع التوقف عن التحديق في الجناحين الناريين؛ إذ كانا يذكرانني بسحري؛ لكنهما لم يكونا مألوفين. كان هذا سحره قلبًا وقالبًا. ومع ذلك انجذبت إليهما كما تنجذب الفراشة للضوء. حاولت أن ألمس ريشة؛ لكنني جذبت يدي ونظرت إلى راث بخجل قائلة: «نسيت أن النار قد تحرقني الآن».

عصف بي الحزن مجددًا وأنا أبحث دون قصد عن سحري. لقد انشق صدع داخلي بفعل الخواء الذي خلفه السحر. كان هذا هو المكان الذي عاش فيه مصدر سحري داخله منتظرًا أن أستخدمه. لقد صار خاويًا الآن. شعرت وكأنني فقدت أحد أطرافي، وكأن جسدي يبحث عن الطرف المفقود، ويعتريه الارتباك حين يلمس الفراغ. رحت أرمش حتى أتمكن من منع دموعي من الانهمار. فرغم الفقد، كنت سعيدة بكسر اللعنة. كنت أريد الخلاص من الدور الذي لعبته كإلهة انتقام؛ لكنني كنت حزينة على ما فقدته، رغم ما فعلته من خير. لقد شعرت بحدة الأمر. لن أعرف بعد الآن كيف أستخدم السحر الناري.

فقال راث وهو يرقبني عن كثب، مستشعرًا حالتي المزاجية: «المسيهما. أستطيع التحكم في جناحيَّ، وإن لم أستطع، فأنتِ زوجتي. لن يحرقاكِ؛ بل ستشعرين بدفئهما فقط».

مددت يدي بتردد، ورحت أمرر أصابعي بين ريش الجناحين الناريين المسحورين. كان راث مُحقًّا؛ إذ لم يحرقاني. كان الأمر شبيهًا بوضع يدي في بقعة مستدفئة بضوء الشمس، أو تمرير أصابعي في البحر صيفًا.

كان هذا، على الأقل، شبيهًا بالسحر. كانا مُطمئِنين لكنهما قادرين على إحداث دمار شامل. ورغم افتقادي القوة، لكنني شعرت بأن جزءًا صغيرًا مني مستمر بداخلها.

فقلت له: «الجناحان المصوران في غرفة عرشك لونهما أبانوسي. لم أتوقع رؤية هذين الجناحين».

«لقد غيرت لون الزجاج المعشق بآخر لون رأيته».

فتذكرت المشهد الذي رأيته في حجر الذكرى الخاص بسورسيا، وكيف تحول الجناحان إلى اللون الرمادي حين سحب سحرهما. كنت مسرورة بانتصارنا، وبهزيمة شخص مدفوع بكل تلك الكراهية.

تطلعت بدهشة إلى أعلى وأنا ألمس ريشة أخرى، واللهب يدفئ جلدي بلطف، ثم مررت أصبعًا آخر على الحافة الخارجية لجناحه، وفي تلك اللحظة أحسست باللمسة نفسها على ظهري. وهنا التفتُّ لزوجي لألحظ تعبير وجهه الماكر.

سألته، والدفء يسري فيَّ إثر لمس الريشة ظهري: «ماذا كان ذلك؟».

«ربما نسيت أن أخبركِ بقدرة فقدتها حين سُلب مني السحر الناري».

وراحت ريشة أخرى ذات دفء لطيف تلمس رقبتي، ثم انحدرت إلى مكان الجرح الذي سببه خنجر الدمار ولمسته برفق. وبلمساتها أخذت تمحو كل ما تبقى من مشاعر الأسى أو الخواء وتغمرني بالدفء.

«ليلعنني الشيطان». وهنا أمسكت كتفيّ راث بقوة، وشعرت بالسعادة تدب في جسدي.

ضحك راث ضحكة عميقة مغرية قبل أن يعلق: «لا أفضِّل هذا يا سيدتي. لقد أخذتُ كفايتي من اللعنات».

«ليس لاسنت هو الوحيد الذي يجسد رغباته. هذه ليست رغبتي فحسب؛ بل رغبتك أنت أيضًا».

ما بدأ رقيقًا ناعمًا تحول إلى لهب، وابتسم راث بينما يفرد جناحيه الرائعين، ويغطينا كلينا بغطاء ناري يتقد بالعاطفة والدفء.

انحنى حتى وصلت شفتاه إلى أذني وقال: «هل تريدين أن تعرفي الشرور التي يمكن أن نفعلها بهما يا سيدتي؟».

السادس والعشرون

راح جسدي ينبض بالدفء. كان سحر راث ناعمًا مخمليًا. وسرعان ما فارق ذهني شعور الطعن بخنجر، بفضل سرعة الالتئام التي وهبني إياها خلودي. ركزت على زوجي واللمعة الماكرة في عينيه، والخصوصية المغرية التي منحتني إياها جناحاه، ورحت أفكر في كل الأشياء التي يمكننا فعلها هاهنا.

كان فقداني سحري يؤلمني بشدة؛ لكن تخيلي راث وهو يضمني في مكان مرتفع بعيد عن مملكتنا، بين القمر والنجوم، وقد منحني قلبه بالكامل دون خوف أو لعنات، يزيل بعض هذا الألم. ثمن يفكر مليًا سيجد سحرًا في الأشياء العادية. كانت اللعنة قد انكسرت، ولم تكن هناك حدود لما نستطيع بلوغه. رحت أتطلع للسلاسل المتدلية من سقف القبة، ورأسي يمتلئ بأفكار مبهجة.

قال راث، وهو يضمني: «لا أستطيع معرفة ما تفكرين فيه تحديدًا؛ لكنني أستطيع الإحساس ما تشعرين به الآن». فأغلقت عينيَّ وأردف: «يا مليكتي.. يا حبيبتي».

لقد أطلق راث على نفسه اسم صاحب السمو الملكي للرغبات غير القابلة للإنكار، وكنت أظن أنني عرفت هذا المستوى من الغواية بالفعل؛

لكن لم يكن هنالك أي شيء؛ *بل ما من شيء يُقارَن* بما صار قادرًا عليه بعد أن استعاد جناحيه.

فلا سحر لاست ولا جريد، ولا حفل جلاتوني الغارق في الخطايا الذي شهد ثنائيات من أناس ضائعين في سكرات النشوة الخالصة، يعد نقطة في بحر لهيب عاطفة راث!

لم يكن السحر هو ما يستخدمه ليزيد متعتي، ولم يكن يستخدم قوته الجبارة فحسب؛ بل كان بالأحرى يستخدم الاهتمام والعناية والرغبة اللانهائية في إسعادي؛ وكان إرضاء المخلوقة التي يحبها بكل الطرق التي يمكن تخيلها هو ما يُذكي التجربة. كانت رغبة راث في إظهار حبه إياي تفوق أي احتياج لجسدي. كان يريده أيضًا؛ لكنه كان يتوق لقلبي قبل كل شيء، وهو شعوري أنا أيضًا.

لاح على وجهه وميض غامض؛ لكنه حطم كل شك أو قلق كان يستشعره، وقال: «أحبكِ».

اغرورقت عيناي بالدموع، فضممته بقوة، محيلة هذه اللحظة إلى الذاكرة، فرغم أنه بين لي حبه، لكن سماعي الكلمات كان مختلفًا، فبها صارت المآسي التي مررنا بها أكثر قابلية للتحمل.

«أحبك». قلتها، ثم أمسكت وجهه وقبلته بلطف، متذوقة سعادة هذه اللحظة. ابتعد راث وتلاقت عيناه بعيني. لم يتحرك للحظة، وبدا جسده مشدودًا.

كان يحصن نفسه ضد اللعنة؛ لئلا تثأر منه مجددًا. كانت هذه المرة ستأخذني منه إلى الأبد بعد أن اعترف بحبي صراحة.

لتلعنكِ الشياطين يا سورسيا. سأتحطم إذا سمحنا لها بإفساد هذه اللحظة، فلم أتخلَّ عن سحري كي أرى نظرة الرعب ووميض الشك في عينيه. لقد اعترف بمشاعره أخيرًا، ولم يخدر مشاعره بشراب مقوٍّ، ولم أكن لأسمح للشكوك بالظهور في كل مرة ينطق فيها بتلك الكلمات.

جذبته إليَّ معيدة إياه إلى اللحظة الحالية، فنحن في الزمان والمكان معًا، ولن يغير ذلك شيء، فهو مِلكي وأنا مِلكه إلى الأبد.

قلت وأنا أمرر يديَّ على ذراعيه، متوسلة إليه ومهدئة روعه: «كرر ما قلت، أرجوك». رفرف بجناحيه كما لو كانا سلاحين، وكانت حرارتهما تدفئ الهواء. لم يكن راث - ملك الشياطين - يخشى أي شيء سوى ضياعي منه، وأردفت مؤكدة: «ما زلت هنا: نحن بخير».

راح يتحقق من ملامحي ويكرر: «أحبك».

«وأنا أحبك أيها الشيطان». مددت يدي وتحسست ريشة دافئة، وأنا أعجب من الرعدة التي شعرت بها تسود جسده فجأة، فتوقفت عن اللعب بجناحيه وجذبته نحوي. حمدًا للإلهة أن عقله استقر أخيرًا على أفكار أكثر بهجة. وهنا بادرته قائلة: «بما أن الأمور استقرت، أرني كل ألاعيبك الجديدة».

وسرعان ما زالت عنه آخر مظاهر التوتر، ليحل محلها وميض خبيث في عينيه، ويقول: «لنجرب القليل منها في الوقت الحالي يا حبيبتي، فرغم خلودك لكنني أشك في أنكِ ستستطيعين تحمل شدة قوتي».

أمير مغرور بحق! فاجأته بقفزة أطلق على إثرها زمجرة سرور، وقلت له: «حاول معي أيها الشيطان».

«تذكري أنني حذرتكِ يا زوجتي».

ثم التمع جناحا الشيطان بوميض فضي وهو يضمهما حولنا. وغدا سحره أقوى وغمرني بالكامل.

أطلق زوجي العنان لنفسه ولسحره، وسرعان ما حلَّق بنا عاليًا. استمررنا نهمس بالكلمات التي سُرقت منا مرارًا، وكأننا نريد تعويض كل ما فاتنا دفعة واحدة.



السابع والعشرون

عصر راث كل قطرة ماء من القماش الكتاني، ليقطر منها ماء بالصابون وفقاعات. فاستندت إليه وأغلقت عينيَّ، مستمتعة بأول لحظة استرخاء حقيقية نختبرها.

احتضنني راث، فأرحت رأسي على كتفه، وراح يمرر قطعة الكتان على جسدي، محررًا إياه من التوتر الذي سيطر عليه على مدى الأشهر القليلة الماضية. ومع ذلك، كان يجب تدبير بعض الشئون، مثل ما يجب عمله مع الساحرة الأولى، وإبراء ساحة أختي. كما كان يجب أن أثبت أن فيستا على قيد الحياة وبخير، وأنها اختفت بإرادتها ولم يكن لأختي علاقة «بمقتلها»، ولا بما كانت ساحرات النجوم يدبرنه من مكائد. كنت أرجو أن يكون استعراضي السحر كافيًا لإبقائهن في الجزر المتحولة لفترة. أما مصاصو الدماء فكنت أعتقد أنهم سيبقون في منطقتهم، ويعيدون النظر في أي تفكير في الحرب، ولا سيما بعد استعراض راث المخيف.

أما الآن، وبعد انكسار اللعنة، فكانت لدينا لحظة نهدأ فيها ونستمتع بصحبة بعضنا البعض دون أن يزعجنا أحد أو تؤرقنا دقات أية ساعة. كنت أفضّل إرجاء كل تلك الشئون الصغيرة لأشهر.

غلبني النوم، فاستسلمت لسلطان الأحلام. كانت رحلة طويلة متعبة. لقد انتقلت من إزالة خطر الساحرات اللاتي اقتحمن دائرة جريد، إلى حضور الحفل، إلى بئر الذكريات، ومن هناك هددت سورسيا، وزرت كلوديا كي أستعيد الخنجر، ثم كسرت اللعنة.

كانت الراحة أمرًا رائعًا.

ثم أيقظني صوت راث بشكل مفاجئ قائلًا: «يجب أن نرسل دعوات حفل التتويج في غضون ساعة. يجب أن نتوجكِ بحلول الليل. فبعد كسر اللعنة وزوال سحرك، قد يتحين أحدهم الفرصة للهجوم».

وهكذا تلاشت كل مظاهر السكينة، فالتففت بين ذراعيه وقلت: «ذكِّرني بألا أرتكب خطأ التفكير في أن الاسترخاء معك يمكن أن يمر بسلام *على الإطلاق*. بدأ الأمر بالحديث عن خنجر الدمار، والآن تحدثني عن هذا». ابتسمت وهززت رأسي وأردفت: «من الجيد أنني أحبك، وإلا وضعت رأسك تحت هذا الماء لبضع ثوان».

فقبلني وقال: «على الأقل لم تقولي لبضع دقائق، وهذا دليل على التقدم يا سيدتي».

ثم رش الماء عليَّ وقال: «سأضمن تلبية طلباتكِ جميعها يوميًّا، وإلا وجدت نفسي على الجانب الخطأ من خنجركِ».

ربتُّ على صدغه برفق وقلت: «شيطان ذكي». ثم حلت الجدية محل اللهو، فبادرته: «من تظنه سيهاجم؟ أهي الساحرات؟».

«إن سورسيا أسيرة؛ لكنني أشك في أن مكانها ما زال سريًّا. ربما يخطط معشر الساحرات لشيء بعد تجميعهن مجددًا. لقد خططن لهجمة على مملكة جريد دون خوف من سحركِ. وقد يهاجمننا بعدها».

«كي يحررن سورسيا».

أومأ راث، وهو متجهم، ثم قال: «إذا ضبطن توقيت الهجوم، ونجحن في خرق الدفاعات، فقد يحررنها أثناء انشغالنا بالتتويج».

«قد يكون إلهاء مثاليًا وفرصة جيدة؛ لكن هل تراهن سيحاولن مجددًا بهذه السرعة بعد فقدانهن الكثيرات؟».

«أظنهن يتحلين بالذكاء الكافي لئلا يفعلن ذلك، ولا سيما بعد أن منيت قواتهن بخسارة فادحة؛ لكن كيف نتأكد؟».

تفحصت زوجي وقلت: «حتى لو لم تكن هناك احتمالية لذلك، فما زلت تخطط على أساس تعرضنا للهجوم».

«إذا أتيحت لهن مثل هذه الفرصة الذهبية، فلن يفوتها معظمهن، حتى لو اعتقدن أنه فخ. هناك دائمًا احتمالية ألا يكون فخًّا أو أن الحظ سيحالفهن».

«قد يكون هذا حقيقيًا، خصوصًا أن كلًّا منا سيكون مشغولًا».

«لن نكون مشغولَيْن فحسب، فسيتم التتويج في ممر الخطايا أمام جميع إخوتي».

جعلني التوتر، لا الخوف، أشعر بانقباض في أمعائي.

«قد يهاجمن جميع ممالك الخطايا في ظل عدم وجود أمرائها».

«أو قد يركزن على ممر الخطايا».

فإذا نجحن في تحرير سورسيا، فلن يزعجهن عدد الساحرات المفقودات. كنّ متعطشات للانتقام دون شك، وقد يدمرن كل شيطان، وفوقهم أنا إذا أُتيحت الفرصة لهن. زاد توتري، فحتى لو اجتمعت قوة أمراء الجحيم السبعة، لا يزال الخطر كبيرًا.

سألته: «لماذا لا نعقد المراسم هنا؟».

«يُعقَد تتويج الأمير القرين أو الأمير القرينة في مملكة الخطيئة التي يحكمها؛ لكن تتويج الملكة يجب أن يتم في الممر؛ إذ يعبر عن عدالة حكمكِ لمملكة الخطيئة، حال احتياج أي أمير للمساعدة. لم يعد إخوتي قادرين على رعاية دوائرهم؛ لكن القانون يظل مطبقًا».

لمعت عينا راث بالحماس؛ ما ذكَّرني بمعركتنا مع المستذئبين. كان زوجي بديسًا في همجيته. لم تكن احتمالية شن الهجوم تؤرقه؛ إذ كان

يتوقعه. كان الانتصار على أعدائه تحديًا؛ بل فرصة لوضع إستراتيجية واستخدام خطيئته. كانت معرفتي الجيدة به تؤكد لي أنه بالفعل وضع خطة.

«إذا كنّ يعتقدن أن الساحرة الأولى هنا فسيهاجمن، لهذا قررتَ نقل سورسيا». نظرت إليه نظرة فاحصة، وأردفت: «بدلًا من نفيها حسب اتفاقك معها، سترسلها إلى مملكة برايد، أليس كذلك؟».

التمعت عيناه بالإعجاب وقال: «كان أخي تواقًا لتنفيذ طلبي. لم تتفق سورسيا على موعد نفيها، بل على مبدأ نفيها فقط. وبعد ما فعلته لإفساد زيجته وسرقة زوجته، كان يتحين فرصة كهذه».

جال بذاكرتي كون كلوديا ولوتشيا شخصًا واحدًا، فانتقلت إلى الجانب الآخر من الحوض وواجهت الشيطان وسألته: «أما زال أخوك يحبها؟».

سأل راث: «أتعنين لوتشيا؟». فأومأت. أطرق مفكرًا ثم قال: «يستطيع هو وحده الإجابة عن هذا السؤال. يظن أنها على قيد الحياة وتعيش في مكان ما، وأن أمها ربما وضعت تعويذة ربط عليها أيضًا». ثم تحول انتباهه إلى صدري؛ حيث كان قلبي البشري الفاني، وقال: «بعد استرجاعكِ وفيتوريا، صار أكثر إصرارًا من ذي قبل على العثور على لوتشيا، والتأكد من صحة فرضيته».

«لكن، هل كان يحبها بحق أم أن كبرياءه هو الذي جعله يشتهيها؟ لعلها مثلت له انتصارًا باعتبارها ابنة الساحرة الأولى، تلك الساحرة التي افتُرض أن تقود الأخريات في حراسة المملكة وإخضاع أمراء الجحيم».

مال راث للخلف، وراح يفكر، ثم قال: «اشتُهر أخي بغرامياته. يُعزى هذا في الغالب إلى محاولته الحفاظ على صورة معينة. لم يحدث أن تقدم للزواج بإحدى معشوقاته، ولم يقضِ أكثر من ليلة واحدة مع أية امرأة منذ ابتعدت عنه لوتشيا».

سألته متذكرة حديثنا السابق: «أواثق أنه لم ينم مع فيتوريا؟».

ابتسم راث بخبث وقال: «إن أختك هي الكائن الوحيد الذي يشبهه بطرق كثيرة، لهذا آلمته خيانتها أيما ألم؛ لكنني لا أظنهما أتما علاقتهما، ففي تلك الأثناء كان يحاول إصلاح مشكلات زواجه؛ لكن لوتشيا نأت بنفسها. وفي رأيي الشخصي أظنها أحبته بالقدر نفسه؛ لكن ربما كانا شديدي الاختلاف؛ ما جعل علاقتهما لا تدوم. ليت الأمور اختلفت، وليته قابل فيتوريا منذ البداية». رفع كتفه وأنزلها وأردف: «أعرف ألا شيء سيهمه حتى يجد لوتشيا. وبغض النظر عما يظنه أي شخص، برايد حبيب مخلص».

«أتظنه كان سيتوقف عن غرامياته لو طلبت منه لوتشيا ذلك؟».

فكر راث للحظة ثم أجاب: «أظنه قد توقف بالفعل في ذلك الوقت. وإن لم يكن، لفعل كل ما طلبته منه، فليست العلاقات الغرامية مشينة ولا مُحتقَرة في بلاطه، كما يحدث في ممالك الفانين؛ لكنه لم يعرف، ولا سيما إذا كان ذلك هو سبب تعاستها، لا من باب القسوة؛ بل الجهل».

دققت النظر في أميري وقلت: «هل هذا رأيك في اتخاذ العشيقات؟».

ابتسم لي ابتسامة شيطانية وقال: «كلا يا سيدتي، فأنا قانع كل القناعة بزوجتي».

«أحسنت الرد يا زوجي». وهنا عدت بذاكرتي إلى ذكرى صديقتي، ومدى تعاستها بسبب قرار رحيلها دون ترك خطاب، وقلت: «أتظن أن لوتشيا قُتلت؟».

«لم أجد لها أثرًا حين بحثت، وحين انتشرت جرائم القتل، ظننت أن أحد أعداء برايد وجدها». تنهد وتابع: «بعد عثوري عليكِ مجددًا، أظن أنها على قيد الحياة وبحالة جيدة. لقد بحث برايد عن ساحرات ذوات أنساب شديدة التوافق معها، بحكم سحرهن القوي؛ لكنه لم يعثر على أي سليلات مباشرات. لديه حجرة مخصصة لكتب التعاويذ وتاريخ الساحرات. كان يرجو أن يعثر على لوتشيا إذا وجد النسب الصحيح».

راح راث يدلك قدميَّ، وأنا شاردة الذهن؛ إذ رحت أفكر في شبكة الأكاذيب، والخدع، والمؤامرات التي تورط فيها الجميع مع بعضهم البعض أو متفرقين. فلا عجب أن تعذر كشفها. لقد صح ما قالته فيتوريا حول بحث الشيطان عن عروس. وكان هذا ينطبق على كسر اللعنة؛ إذ كان ينطوي على زواج الشيطان خلال إطار زمني بعينه. ولم يكن لدى راث سوى ست سنوات، وستة أشهر، وستة أيام قبل ضياع كل شيء، بينما مر عشرون عامًا في الجزر المتحولة.

كانت رابطتنا - وتضحيتي الناتجة عنها - سببًا في كسر اللعنة *بالفعل*. غير أن مقتل الساحرات تشابك، بكل أسف، مع بحث برايد عن لوتشيا، فقد كان يبحث عن إحدى سليلات ساحرات النجوم؛ أملًا في العثور على زوجته السابقة.

ودون أن يعلم، راحت فيتوريا تبحث عن ساحرات النجوم هي الأخرى؛ لكن لمصلحتها الخاصة؛ إذ كانت تطاردهن بسبب إلقاء أمهاتهن تعاويذ ربط علينا منذ عهد بعيد.

كان راث يحقق في جرائم القتل تلك ليعرف القاتل المرتبط بلوتشيا. وهنا تذكرت الليلة التي استدعيت فيها برايد. وبعكس راث، لم يستطع برايد الظهور. بادرني راث متسائلًا: «فيم تفكرين الآن؟».

«لقد فهمت أخيرًا سبب محاولتك إيقاف جرائم القتل. لقد سلبتك اللعنة جناحيك، وفي الوقت نفسه حبست برايد في الدوائر السبع، أليس كذلك؟».

«بلى، حين نفذت اللعنة، أخذت من كل أمير شيئًا: فقَدَ برايد قدرته على الخروج من مملكتنا، وهو ما أحبط محاولته في العثور على لوتشيا».

بمعرفة ما فعلتُه الآن بشأن الليلة التي غادرت فيها زوجة برايد، أدركت كم كان ذلك أمرًا فظيعًا. كادت مطاردة برايد لراث تدمر إخوته، وبعدها اكتشف أن زوجته اختفت دون أن تترك أثرًا، ليجد نفسه حبيس الدوائر السبع دون أن يجد سبيلًا للعثور عليها... كان هذا أحد

أشد أشكال العذاب، ولا سيما إن لم يكن فعل الأشياء التي ظنت لوتشيا أنه فعلها. كان الأمر مأساويًا لكليهما.

«ماذا عن إخوتك؟ ماذا فقدوا؟».

هز راث رأسه وقال: «لم يحدثوني عن هذا الأمر».

«أليس هذا غريبًا؟».

«ليس تمامًا. إن الاعتراف بفقدان شيء، حتى لو كان القليل من القوة، قد يدل على الضعف. لن يخاطروا ببلاطهم. لقد عرفت ما فقده برايد لأنه تفهَّم شعوري حين فقدتكِ. لقد نحى خطيئته جانبًا؛ على أمل أنه لو وجدتكِ، لن تكون لوتشيا بعيدة».

والآن، وبعد أن انتهت مشكلة اللعنة، وددت إعادة الأمور إلى نصابها؛ لكن لم تكن لديَّ القدرة على اتخاذ قرارات بعينها. لقد اتخذت كلوديا قرارها قبل تنشيط اللعنة. كنت وفيتوريا نلعب لعبة مخيفة استُعين بمملكة فينجنس في القيام بها. وكانت التعاسة قد ألمت بصديقتي *قبل* مؤامرتنا. لقد دب الوهن في علاقتهما قبل أن تفرق أمها بينهما بعهد بعيد. ففي بعض الأحيان، نُظهر حبنا للآخرين بتركهم، لا بالتمسك بهم. ومع ذلك، لم يسعني سوى التساؤل كيف تكون نهاية قصتهما إذا كانا قد تحدثا.

جذبني راث من الحوض وأجلسني بجواره وقال: «هل أنتِ بخير؟ أهو فقدانكِ سحركِ؟».

«بعض الشيء». وهنا ربتُّ على كتفه لألاحظ أنه لم يعد متوترًا، بعكس ما كنت أشعر به، وأردفت: «أريد أن أساعد إخوتك أيضًا. لا تروقني تلك البقايا من الفوضى؛ إذ يظل لدينا الكثير لنفعله».

أجاب راث وهو يملس على فكي بمعصمه: «لقد ساعدتِهم».

«أعلم أن كسر اللعنة ساعد إلى حد ما؛ لكن الباقي يتعلق بهم، أليس كذلك؟».

«إن الرجوع للوراء كي يتمكن أحدهم من استكمال طريقه بمفرده هو أصعب جزء، ولا سيما حين تهتمين». وهنا مال راث إلى الأمام وقبَّلني، ثم راح ينظر إليَّ متسائلًا: «هل *تريدين* أن تصبحي ملكة؟».

فوجئت بسؤاله، ورحت أفكر فيه.

«أريد أن أقف بجانبك. فرغم ما للحكم من جوانب مزعجة، مثل تحمُّل الأعباء، والتحول إلى قوة متحدة، لكنه شيء أريده فعلًا». ثم ابتسمت ابتسامة حزينة وقلت: «قد لا أستخدم سحر فيوري بعد ذلك؛ لكنني ما زلت أحكمه. أنا سعيدة بانضمامي إلى بلاطك. أشعر بأن هذا هو الوضع الصحيح».

صمت راث للحظة؛ إذ راح يدقق النظر فيَّ بشكل يدل على أنه يرى أكثر مما كنت أبوح به.

وهنا تحول انتباهي لعبارة باهتة نقشت بالحبر على ترقوته: *أفعال لا أقوال*. قد لا يصدق أنني أريد أن أصبح ملكة؛ لكن لعله يصدق شيئًا مغايرًا. ابتسمت وقلت: «هل نحتاج لإرسال الدعوات الآن أم أن لدينا بعض الوقت؟».

فنظر إليَّ نظرة حانية، وعاد يسألني بخبث الشياطين: «فيم تفكرين، يا سيدتي؟».

«وكأنك لا تعرف».

تتويج السيدة إيميليا إلهة
الغضب وأميرة مملكة رات

أمر ملكي

يأمركم الملك بحضور مراسم
صاحبة الجلالة الملكة إيميليا
هذا المساء في ممر الخطايا

ننتظركم في الموعد المحدد.

الثامن والعشرون

«**سأتولى الأمر** من هنا». سقط للحظة قناع الغرور والخلاعة الذي كان برايد يرتديه، كاشفًا عن الشيطان المدبر المختبئ تحت ستار الجاذبية. لقد تلاشت معظم آثار خطيئته؛ إذ خلع عن نفسه السحر والأنانية، كما يخلع معطف الشتاء. كان الشيطان المتواجد معنا في الغرفة فخورًا بالندبة التي شقت شفته.

تنحى أنير جانبًا حسبما طُلب منه؛ لكنه لم يترك سورسيا؛ إذ لم يعطه راث الأمر، كان وفاء أنير للبلاط لا يُضاهى. وقفت بجانب زوجي أرقب برايد وهو يتحقق من الزنزانة الباردة التي سُجنت فيها الساحرة الأولى.

قبل حضوره، كان راث قد أخبرني بأن هذه هي المرة الأولى التي يقابل فيها برايد حماته منذ اختفاء زوجته. ساد التوتر الزنزانة، وكأن عود ثقاب أُشعل بجانب حاوية زيت، وفي أية لحظة ستندلع نيران مميتة.

كان مطلب برايد الوحيد هو ألا يتحدث أحد عما سيدور في الحجرة، الليلة. وأخيرًا وجه انتباهه نحو سورسيا، وركز عليها بعينين باردتين غامضتين. فإن لم تكن متجمدة بالفعل، كان سيُطلق العنان للوحش الكامن داخله، والذي كان يسعى للخروج.

لم يكن هناك من يشهد الأمر سوانا وبضعة حراس مقربين. لم يكن هناك رجال بلاط يتباهى أمامهم، ولم يكن هناك سادات ولا سيدات يشاهدونه وهو ينغمس في خطيئة مختلفة عن خطاياه. كانت تلك هي رغبته؛ إذ طلب من جميع الحاضرين الصمت. كان برايد قد قرر أن يخضع لغضبه.

شمر برايد كمي قميصه، ورفعهما فوق مرفقيه، ثم أمال رأسه جانبًا. وكلما أمعن التحديق في الساحرة الأولى، زادت علامات الوحشية على وجهه. كانت قبضته مشدودة استعدادًا للضرب إذا بدت أية علامة للحياة على سورسيا. تصلب فكه وهو يحوّل انتباهه إلى الحراس المحيطين بالساحرة. كانوا ينظرون إلى الأمام؛ لكن أيديهم كانت قابضة على أسلحتهم.

قال برايد وهو ينظر إلى راث بضيق: «لقد *استدعيتني*، فهل ستجعلني آخذ السجينة أم يجب عليَّ التوسل إليك؟».

حدَّق راث في أخيه للحظة، ثم أمال رأسه وقال: «لا تنسَ هدفك الأهم. لو أذيت سورسيا، ستفعل ما بوسعها لإخضاعك».

«ألديك المزيد لتقوله يا أخي؟».

«لقد أفسد كبرياؤك بلاطك من قبل. تذكر هذا قبل أن تُقدم على أية خطوة. اعرف الشيء المهم وخطِّط لهجومك وفقًا له».

أشار راث للحراس المنتظرين في الظلال، ودخل الجان المرتدون ألوان مملكة برايد الزنزانة حاملين معاول جليدية حادة. لقد جاءوا مستعدين لحمل كتلة الجليد المتجمد التي تحمل ألد أعدائنا. كان من الجيد أن تخرج من مملكتنا، ومن المريح أن تصبح تحت رقابة شخص آخر. كان وقت غروبها عن وجهي قد أوشك. وإذا كانت محظوظة فستظل متجمدة إلى الأبد.

وقبل أن يواجه أخاه مد راث ذراعه لي ثم قال: «أمامكِ ساعتان قبل بدء التتويج. لا أريد أن نتأخر».



وقفت أمام المرآة الضخمة في غرفة الملابس الجديدة المخصصة لي، ورحت أدور متأملة بإعجاب ثوب التتويج الذي ابتكره الخياط الملكي. لم يكن ثوبًا عاديًا؛ بل تحفة فنية. لم يلجأ الخياط إلى الألوان؛ بل إلى قماش التُّل، وأضاف السلاسل الذهبية الرفيعة، وأحجارًا كريمة سوداء لامعة، وألماسًا متلألئًا. كان ثقيلًا كالدرع؛ لكنه كان رقيقًا بشكل عجيب، لا يوحي به قماش الجلد ولا السلاسل المعدنية.

مررت أصابعي فوق التفاصيل. كان التصميم يحمل رموزًا تمثل كل مملكة من ممالك الخطيئة، بالإضافة إلى قصيدة عن الزهور. كان مزيجًا مثاليًا بيني وبين الشياطين، يرمز إلى حكمي العادل للممالك السبع، والتي قد تصبح ثماني إذا سار كل شيء وفقًا للخطة الموضوعة. نظرت إلى الساعة الموضوعة فوق المنضدة الصغيرة، ثم إلى النافذة المقوسة. كان الشفق في السماء منظرًا معتادًا في هذه المملكة؛ لكن السماء أظلمت، والليل حلّ.

اقتحمت فاونا الغرفة، ولمعت عيناها بالدموع حين رأتني. توقفت وضغطت بيدها على فمها بإعجاب قبل أن تقول: «تبدين إلهة حقة، سيدتي إيميليا».

هدأ ارتباكي وجذبتها كي أحتضنها، قائلة: «شكرًا لحضوركِ».

«عفوًا سيدتي». احتضنتني فاونا مرة أخرى، ثم تراجعت، وهي تمسح عينيها وتقول: «هل تحتاجين لشيء؟».

أسرعت إلى المنضدة الصغيرة المغطاة بحلي من كل الأنواع، والتي سأختار منها قطعًا أرتديها، الليلة، وجذبت خطابًا مختومًا كنت قد خبأته فيها وقلت: «هلا أوصلتِ هذا لأختي؟».

تحول انتباه فاونا إلى الختم الشمعي الذي كان على شكل خنجر مقلوب مزين بزهور نارية. كان يرمز لمملكة فينجنس. كان هناك وشم مشابه على ساق زوجي ليذكّره بمملكة الخطيئة الثامنة التي خالفته بأكثر من طريقة.

لم تُبدِ فاونا الخوف الذي كنت أخشاه؛ بل بالأحرى الدهشة. كان هناك سبب يجعلني أنسى أنها من رعايا هذه المملكة؛ إذ لا تصيبها الحروب ولا المعارك ولا الغضب بالتوتر؛ بل تنعشها. «سيُفاجأ الأميران جريد وبرايد، هذا المساء».

فضحكت بتوتر وقلت: «وراث أيضًا».

فاتسعت ابتسامة فاونا وقالت: «تتناسبان بعضكما. إن صاحب الجلالة محظوظ بالعثور عليكِ ولأنكِ ستتحملينه إلى الأبد».

قلت، متظاهرة بالصدمة: «هل تسخرين من مليككِ يا فاونا؟ لو لم أكن أحبكِ، لأنهيت صداقتنا». وهي صداقة أدركت كم من المرات خذلتها سابقًا. سألتها: «كيف تسير الأمور مع أنير؟».

وهنا انتبهت للساعة فجأة وقالت: «يجب أن أذهب كي أسلم هذه الدعوة ثم أعود للتتويج في الموعد. لقد شدد جلالته على عدم التأخير».

كان الفضول يأكلني؛ لكنني لم ألحَّ في السؤال. فحين يتاح لنا مزيد من الوقت، سأجلس معها ونتحدث مليًّا. كنت أمقت تلك الفوضى العارمة وعدم وجود وقت للاستمتاع بصحبة بعضنا. بدت صديقتي كأنها بحاجة للكلام والتعبير عما يجيش بداخلها ويظهر على وجهها من مشاعر. وعاهدت نفسي أن تكون أول مهامي بصفتي ملكة جديدة هي تخصيص وقت لها.

«شكرًا فاونا. سأقابلكِ عند ممر الخطايا قريبًا».

ألقت فاونا تحية صغيرة وأسرعت بالخروج من الغرفة، لأصير وحدي مجددًا. عدت إلى المنضدة العامرة بالحلي، ليلفت انتباهي

خاتم. كان إطاره عبارة عن كروم من الذهب الوردي بأشواك ملتفة حول حجر بنفسجي.

«لقد طلبت منهم صنعه خصوصًا».

تجمدت إذ سمعت صوت زوجي دون أن أتوقع، فالتفتُّ لأجده داخلًا الحجرة. جعلني إعجابي بمظهره أحبس أنفاسي.

كان يرتدي تاجًا من الذهب فوق رأسه، وزيًّا أسود موشى بالذهب؛ إذ كانت تلك هي ألوان بلاطه؛ لكن ياقة سترته كانت تحمل زهورًا وردية مُذهّبة، ما أعطاه مظهر من يرتدي وشاحًا ملكيًّا، وكان دبوس على هيئة أفعى يكمل الإطلالة، كما كان سرواله متناسبًا مع هيئته بشكل رائع.

ابتسم ابتسامة عريضة وقال وكأنه يقرأ أفكاري: «لاحقًّا يا حبيبتي. أعدك بألا يمنعك شيء من إبداء إعجابك بردائي».

شبّكت ذراعي في ذراعه وقلت: «هيا بنا. لقد أمرنا شيطان مشاكس بعدم التأخير».

«يجب أن أقتل هذا الأحمق».

قلت وأنا أقبّله: «كلا، أرجوك، فأنا متيمة به».

اجتهد كلانا في تجنب الاستغراق بمغازلة الآخر حتى وصلنا إلى المدخل؛ حيث كانت مفاجأة في انتظارنا. تركت ذراع زوجي، ولملمت تنورتي، وهرولت إلى المُهرة البنفسجية الجميلة وقلت: «صغيرتي تانزي!».

مسحت على عُرفها مبدية إعجابي بالزهور المضفورة فيه. كانت تانزي تحب التدليل وراحت تتبختر بينما أملس عليها وأدللها. نظرت إلى زوجي الذي بدا مسرورًا وقال: «كان جلاتوني واثقًا بأنكِ ستتذكرينها رغم تعويذة الربط. كنت تركبينها...».

«بل كنت أتسلل إلى أراضيه وأركبها حتى أطلق وراءنا تنانين صغيرة جليدية». ضحكت حين تذكرت وأردفت: «نسيت كم كنت أهوى مضايقته».

«كان يفتقدكِ». صفر راث ثم استدار نحوي وتابع: «لم يعبأ بما تم الاتفاق عليه مع مملكتكِ لفعله؛ إذ كان دائم الاتهام لسورسيا، وكان محقًّا».

«كان بإمكاننا رفض طلبها».

هز راث رأسه وقال: «كلا، هذا بإمكانكِ أنتِ، فأنتِ إلهة الانتقام، وما أنا إلا أمير الغضب».

وقبل أن أجادله، اهتزت الأرض مجددًا تحت وقع خطوات ثقيلة مدوية. فمددت يدي نحو الخنجر الذي خبأته تحت ردائي. وهنا برزت كلاب راث من المنحدر الثلجي في جهة اليمين. اتجه الكلب ذو الرءوس الثلاثة إلى سيده، وراح يهز ذيله بينما كان راث يفرك أذنيه.

رحت أنقل بصري بين كلبه وحصاني وأهز رأسي. قرر زوجي أن يمتطي كلبًا عملاقًا أثناء دخوله حفل تتويجي. تخيلت نظرة الغيرة في عينيّ إنفي وكتمت ضحكة أخرى.

«هل أنتِ مستعدة يا مليكتي؟».

خرج أنير وفاونا من القلعة مرتديين أفخر الثياب. أومأت فاونا إليَّ إيماءة خفيفة تخبرني من خلالها بأن الدعوة وصلت، فزفرت. إذا حالفني الحظ، فستنفذ أختي ما طلبته بحذافيره.

بعد أن أخذ برايد سورسيا معه صار لديَّ وقت لنفسي، ورحت أفكر في آخر حديث لي مع دومينيكو وأختي. كنت شبه متأكدة من أنني سأحل لغز فيستا. والليلة، كنت سأشارك أفكاري أمام كل أمراء الشياطين. وحتى لو شنت الساحرات هجومًا، الليلة، كنا سنجد بعض الإثارة بخلاف التتويج.

تطلعت إلى زوجي، لعلّ وجوده يهدئني، وقلت: «إنني مستعدة».

ساعدني راث على ركوب حصاني. كان الرداء جميلًا؛ لكنه لم يسمح لي بتعليق ساقيّ. قررت أن أتحدث مع الخياط بشأن مراعاة ذلك في الملابس المقبلة.

ثم تقدم حصانان أبنوسيان إلى أنير وفاونا، وبعد أن امتطياهما، امتطى راث كلبه، وسرنا ببطء نحو ممر الخطايا. وحين وصلنا إلى مقدمته وبدأنا المنحدر، بدأت أشعر بالنبضات القوية لكل خطيئة.

ومن المدهش أن صعود الجبل واجتياز الممر المغطى بالثلج لم يستغرقا وقتًا طويلًا. ومع ذلك كان الخوف يعتريني مع كل خطوة يخطوها الحصان والكلب. كان كثير من الأمور يعتمد على ظهور أختي، وكنت قلقة بشأن صحة نظريتي. ولو كانت صحيحة، فكيف سيكون رد فعل جريد تجاه كشفي الدور الذي لعبه؟

نظر راث إليَّ بقلق عدة مرات؛ لكنه كان يظن أنني متوترة بسبب تتويجي أمام إخوته. كان يفكر في أمور كثيرة حول احتمالية هجوم الساحرات، ولم أرغب في تشتيت ذهنه.

كنت أرجو أن تسير الأمور وفقًا للخطة الموضوعة.

وصل موكبنا إلى قمة منحدر، وسرعان ما لاحظتُ إلهة الأشجار، رغم تغييرها مكانها كما ادعى إنفي. استشعرتُ قرب الساحرات السبع. كذلك، فإن سيليستيا لم تأتِ لاستعادة كتاب تعاويذها، وكنت أود ألا تختار هذه اللحظة لطلبه، فسيعم التوتر بما يكفي إذا ظهرت أختي متبعة تعليماتي.

لكز راث كلبه كي يقترب من تانزي التي راحت تتشممه بفضول. قال راث: «سيدتي؟».

قلت: «إنني جاهزة».

نظر راث إليَّ بإمعان؛ لكنه لم يلح. استشعرت شكوكه فنظرت إليه محاولة تهدئته. كان الأمراء الستة حاضرين ينتظرون وصولنا بصبر. ساعدني راث على الترجل، وما إن لمست قدماي الأرض حتى اصطف الأمراء - كل ثلاثة بجانب بعضهم البعض - صانعين لنا ممرًا.

كان أحدهم قد وضع منصة صغيرة لنقف فوقها أنا وراث. ولاحت خلفها بوابات الجحيم الطويلة التي كانت تشبه شبحين مخيفين.

ركزت انتباهي على الأرض المكسوة بالثلوج. فبخلاف المجتمعين، لم تكن هناك آثار جديدة، ولم تكن هناك علامات على أن الساحرات أو غيرهن يتربصن. اعتبرت ذلك علامة إيجابية.

كما أنني لم أرَ...

ثم حدثت قرقعة رعدية في الهواء تلتها زمجرة. فاستدرت وأنا أشعر بالراحة. خرجت أختي من بوابة انتقال زمني، وكانت تبدو ملكة أصيلة. حدجت فيتوريا المستذئب الداخل معها إلى المملكة بنظرة ضيق وقالت:

«تأدب يا دومينيكو. إذا أفسدت ليلة أختي فسوف أقتلع قلبك».

رمقني راث بنظرة لكنه لم يقل شيئًا؛ لكن برايد وجريد صاحا: «ما الذي تفعله هنا؟».

أطلقت زفرة. لم أصبح ملكة بعد، لكن كان عليَّ تهدئة صراع بين الممالك، فقلت: «إنها إلهة الموت، وأخت مليكتكم الجديدة والحاكمة الوحيدة لمملكة فينجنس التي أعيد تنصيبها».

قال جريد بلهجة حادة: «إنها قاتلة».

رددت عليه: «هذا لقب نشترك فيه جميعًا».

ألقى عليها برايد نظرة نارية بعينين تملؤهما الكراهية؛ لكنني أقسم بأنني رأيت فيهما شيئًا آخر يشبه الألم. رفع يديه وتراجع قائلًا: «أبعدوها عني».

أشهر جريد خنجر مملكته وصوبه نحو أختي قائلًا: «شكرًا على الهدية يا أخي. حسب الأوامر، سآخذ حقي في الانتقام الدموي».

فقال راث مُحذرًا: «لا تتحرك يا جريد».

شققت طريقي بين الأمراء، ونظرت إلى دومينيكو.

«أين أختك؟».

كان الصمت سائدًا منذ فترة؛ لكنني أقسم بأن كل الأصوات هدأت، بما فيها صوت الرياح. فتح دومينيكو فاه وقال: «أريد تعهدًا من أميركِ بأنها يمكنها الخروج من هنا لو اختارت ذلك».

فأملت رأسي ونظرت إلى راث قائلة: «هلا لبيت له طلبه؟».

حدّق زوجي في وجهي قبل أن يحول انتباهه إلى المستذئب؛ إذ كانت ثقته بي كبيرة. لم يكن بقية الأمراء ليفوتوا هذا التصرف.

«لن تؤخذ أختك إلى أي مملكة خطيئة دون رغبتها».

أخذت فيتوريا ذراع دومينيكو. لم يفوت برايد ولا جريد هذا التصرف. وفجأة تقدم دومينيكو مشهرًا خنجر مملكته في وجه راث وهتف: «لقد منحتني انتقام الدم. يحق لي أن أهاجمه».

قلت ببرود: «لقد مُنحت انتقامًا لمقتل قائدتك، وهو ما لم يحدث. وعليه، لا يدين لك أحد بشيء. أغمد خنجرك الآن».

راح جريد ينقل انتباهه بيني وبين راث ويقول: «لقد ماتت فيستا، وقد رأيتم بقاياها».

«تنتمي فيستا إلى قطيع ذئاب. لقد عقدت صفقة مع عائلتها لأنك طمعت في تحالف مع الذئاب. كنت تريد سحرها وقوتها. جعلك طمعك لا ترى تعاستها ومدى توقها للعودة إلى عائلتها».

تذكرت الذئبة الصغيرة التي رأيتها في بئر الذكريات، والرعب الذي ملأها حين انتُزعت من عائلتها وهي صغيرة، والعواء، والخوف. كان كابوسًا حقيقيًا. كما تذكرت ومضة الطاقة المهدئة التي أرسلتها إلى أبيها، والتي جعلتني أفكر في المستذئبة المجهولة في الجزر المتحولة التي أحضرت لي الثوب قبل أن تزيل فيتوريا تعويذة ربطي. كان لتلك الذئبة قدرة على نقل المشاعر أيضًا، وقد هدأت روعي حين كنت شديدة الخوف.

أومأ راث مشجعًا وقال: «أخبرينا بما عرفته». فبدأت أروي القصة واضعة كل الأدلة أمام جريد وإخوته.

«استغرق ربط الأجزاء ببعضها البعض وقتًا؛ لكن الرجل الذي لم أرَ وجهه في بئر الذكريات بدا مألوفًا، وبعد أن اختمرت الذكرى في عقلي، تعرفت على صوته، كان والد دومينيكو. أما الطفل الصغير الراقد في

المهد، فكان دومينيكو، أخا فيستا غير الشقيق. بعد ذلك، صار كل شيء أكثر منطقية. حين شرعت في البحث عن قاتل أختي في صقلية، وجدت دومينيكو الأب في وكر قمار جريد ثملًا ويلعب القمار. بدا هذا كأنه حدث منذ دهر. وبدا كأنه يعاقب لا يستمتع. لم يكن حزنه لتحوّل ابنه فحسب. وكان انغماسه في السكر والمقامرة منطقيًا؛ إذ ذكّره تحول ابنه دومينيكو الصغير بابنته الكبرى مارسيلا. كان دومينيكو الأب يعاقب نفسه على مقايضته الجروة الصغيرة. لم يسامح نفسه قط، ولعله سعى إلى وكر مقامرة جريد كي يراها أو حتى يعيدها خلسة؛ لكن جريد شغلها بجعلها قائدته وأبعدها عن الجزر المتحولة وقطيعها. ثم وصلت أختي وسعت لعقد تحالف معه ومع الذئاب. وأراهن أن الجثة التي وجدها جريد في مملكته، والتي تحتوي على دماء مشابهة لدماء فيستا هي جثة دومينيكو الأب. لقد مات بسبب شئون خاصة بالقطيع، حسب رواية دومينيكو؛ إذ كان يحرر ابنته. لا بد أنهما تعرضا للهجوم أثناء محاولتهما الهرب، وكانت التضحية هي التصرف الذي يقوم به أي أب من أجل ابنته».

وأردفت: «لا أعرف ما حدث بين جريد وقطيع دومينيكو؛ لكنني أشك أن للقصة تفاصيل كثيرة. لكن يبدو أن فيستا ودومينيكو تعرفا على بعضهما البعض أثناء الاجتماعات التي سبقت التحالف بين فيتوريا وجريد».

وقف راث بجانبي مدققًا النظر في المستذئب.

«أهذا ذكر ألفا حقيقي؟».

بدا دومينيكو مستعدًّا لضرب أعناق الجميع. «نعم. وهذه *شئوننا*».

نظرت إلى أختي وقلت: «أرجوكِ، اطلبي من مارسيلا أن تظهر».

حولت فيتوريا نظرها إلى دومينيكو وأومأت، فاختفى، ثم ظهر مجددًا مع مستذئبة أخرى. كانت تلك هي فيستا أو مارسيلا. كانت طويلة ورشيقة؛ لكن كانت هناك نظرة مخيفة في عينيها لم تكن موجودة

ليلة إزالة تعويذة الربط. كان هناك ما يهدد أمنها هنا، وبدت متأهبة للدخول في معركة إذا تطلَّب الأمر ذلك.

وقفت بجوار دومينيكو؛ ما جعل إنكار صلتهما أمرًا مستحيلًا. جالت مارسيلا بنظرها في الحشد، ليستقر على جريد، ثم قالت: «ستدفع ثمن ما فعلته بأسرتي يومًا ما».

حدق الأمير جريد في قائدته وقال: «لقد منحتكِ بيتًا، ومركزًا، وسلطة. لم يكن من حقكِ أن تخدعيني».

«بل اختطفتني، لا تخلط الأمور بتبرير أي شيء حدث بعد ذلك»، ثم نظرت إلى فيتوريا وقالت: «مع احترامي، أريد الذهاب يا سيدتي».

فأمالت فيتوريا رأسها ورفعت يدها وقالت وجريد يتقدم: «لو كنت مكانك لما فعلت هذا يا صاحب السمو. لقد اتخذت مارسيلا قرارها، ويجب أن تحترمه».

تحركت ووقفت بجانب أختي ومارسيلا وقلت: «بما أن جريمة القتل لم تحدث، أطالب ببطلان انتقام الدم من فيتوريا».

وهنا نظر راث إلى أخيه باحتقار وقال: «حسنًا، في ضوء هذه المعلومات، لم تعد فيتوريا نيكوليتا من أعداء الدوائر السبع، ولا يسري عليها انتقام الدم، وإذا قرر أي شخص...». وهنا، وجه نظره إلى جريد وأردف: «إذا قرر *أي شخص* مهاجمتها، أو مهاجمة الذئاب أو مارسيلا، وإذا شرع أي شخص في الانتقام، فسأتعامل معه أنا شخصيًّا. والآن، إذا كنا انتهينا من تلك الترهات، أريد تتويج مليكتي».

أحكم جريد قبضته على الخنجر الذي لم يغمده؛ لكنه أنزله في النهاية. مرت لحظة توتر كنت فيها محبوسة الأنفاس قبل أن يغمد خنجره.

«حسنًا».

تنفست الصعداء، ممتنة لعدم اضطرارنا للقتال. ومع ذلك جعلتني نظرة جريد المستعرة غضبًا أتساءل عما إذا كان الأمر قد انتهى بالفعل أو تراجع مؤقتًا ليدبر الحركة التالية.

ابتسمت فيتوريا لجريد بتهكم قبل أن تتسلل إلى جوار إنفي. كان الأميران في حالة حنق بالغة، لكنهما لم يقولا شيئًا.

حمدت الإلهة على وصولنا للحظة التتويج دون إراقة دماء. وسرعان ما شكرتنا مارسيلا، ثم مضت مع دومينيكو إلى مملكة الظلال، ما أثبت صحة فرضيتي أنها لا تستطيع الانتقال إلى هناك بمفردها.

وبعد لحظة، عاد دومينيكو ووقف بجانب أختي. وبعد استقرار الأمور، انتقلت مع راث إلى المنصة وواجهنا بعضنا البعض. خلع زوجي التاج من فوق رأسه، ورفعه أمام الجمع الصغير الواقف خلفنا وقال: «أقدم هذا التاج لمليكتي رمزًا للحكم المشترك». شطر راث التاج إلى نصفين بيديه مستعرضًا قوته بشكل جعلني شديدة الإعجاب به. كان مبهرًا بحق!

ابتسم لأقل من ثانية، ثم قدم لي التاج المشطور، وهو يومئ مشجعًا، فأمسكت التاج الذهبي.

«بهذين النصفين، نجمع قوتنا، ونوحد قلبينا، وروحينا، وقوتنا لمصلحة المملكة». ووضع راث نصف التاج الخاص به فوق رأسه وقال: «إيميليا، إلهة الغضب، وشريكتي في حكم مملكة فينجنس، اركعي يا حبيبتي».

نظرت إليه وركعت ببطء، غير عابئة بإخفاء ابتسامتي وأنا أتذكر آخر مرة كنت فيها بهذا الوضع، والقوة والسيطرة اللتين شعرت بهما. لا بد أن راث تذكر الشيء نفسه، فانزلق القناع الملكي البارد، وركز انتباهه عليَّ، ثم سمعت أحدهم يطلق صافرة إعجاب.

اختلست لحظة رأيت فيها إنفي يركل ساق لاست بخفة، ثم أعدت انتباهي إلى مليكي، وحبيبي، وخلاصي، ونـدِّي. كان سماعي كلمة

«حبيبتي» من شفتيه، ومشاركتنا قلوبنا وأرواحنا علانية كفيلين بأن يجعلني أجتاز الجحيم مرارًا.

كانت نظرة راث تشتعل بالرغبة والكبرياء وهو يقول: «ضعي نصف التاج على رأسك وانهضي - على مرأى من جميع الشهود - باعتبارك ملكة الدوائر السبع، وأميرة مملكة راث، وإلهة العالم السفلي ومملكة الظلال».

وضعت التاج على رأسي ووقفت، ثم نظر راث إلى الحشد وقال: «إخوتي، فيتوريا، لقد آن أوان تقديم كل مملكة التبريكات لنا».

أخرج الجميع خناجرهم ووخزوا أصابعهم التي قطرت منها الدماء على الأرض المغطاة بالثلوج. كانت أختي هي الأخيرة، وركزت عليَّ وهي تعتصر دمها وتقطره. لطالما تم تحذيرنا من سفك الدماء. تحركت شفتاها في صمت، بينما كنت أتنفس بتوتر. فأطلقت زفرة إذ قرأت شفتيها تنطقان عبارة «*أحبكِ*». كنت سأنطق بها؛ لكن الأرض ارتجت من تحتنا؛ إذ انطلقت خيوط سحرية تحمل ألوان كل مملكة، بخلاف شريط أختي البنفسجي حولي وراث، لتُعقد بقوة حول جسدينا وتلتف حول رءوسنا.

وفي ومضة من القوة، التحم تاجا كلينا المشطوران ليصبحا واحدًا. رحت أمرر أصابعي عليه، متحسسة المعدن البارد. كان التاج يناسبنا تمامًا. ثم علت صيحات أفراد عائلتنا، مؤشرة بنهاية التتويج. لم أستطع تصديق الأمر، فقد صرت ملكة بحق.

رفع راث يدي وقبَّلها وهو يقول: «صاحبة الجلالة».

تقدم جلاتوني وربَّت على كتف أخيه، ثم قبَّل وجنتيَّ وقال: «مرحبًا بكِ في أسرتنا، أيتها الملكة إيميليا. لعلكِ مستعدة للمأدبة والإجهاز عليهم جميعًا».

وعندئذ شقت جنية شابة ذات شعر أزرق ثلجي طريقها بين الأمراء. كانت الصحفية التي رأيتها أول مرة في مأدبة الذئب. لم ألحظها من

قبل. ربما وصلت أثناء كشف الجريمة التي لم تقع. نظرت إلى جلاتوني نظرة بها مودة زائفة وقالت: «إن الأمير جلاتوني محق في شيء واحد؛ لأن مأدبتك ستجعل الضيوف يتمنون لو أنه أجهز عليهم جميعًا».

وهنا اختفت ابتسامة جلاتوني الودودة وقال: «يا عزيزتي، لو كان لعفلاتي القدرة على القتل، لأوصلت دعوتك بنفسي».

ابتسمت ابتسامة مستفزة وقالت: «كان وضع جذور السبات في النبيذ فكرة ذكية؛ إذ فقد جميع ضيوفك الوعي. على الأقل لم يناموا بسبب الضجر. بعد استقرار جلالتكما في الحكم المشترك، أود أن أعقد مقابلة معكما؛ لأن اللعنة أثارت فضول الجان في جميع الممالك وجعلتهم قلقين بشأن عودتها. كما يريدون أن يعرفوا ما إذا كان للحب قوة ينتصر بها على كل شيء».

قال جلاتوني وهو يطردها ويرمقها بنظرة مخيفة: «صدقيني، إن الجان لا يتساءلون عن عودة اللعنة؛ بل يعيشون في توجس من أن تقوم صحفية متغطرسة بتعكير صفوهم»، ثم استدار نحونا بابتسامة صادقة وقال: «سيُقام حفل التتويج في بلاط لاست. لقد قررنا توحيد جيوشنا».

هز راث رأسه متألقًا زفرة ارتياح وقال: «سنلقاكم هناك».

حرك جلاتوني يديه وظهر تعبير شيطاني على وجهه إذ قال: «أتعرفون؟ لقد أوحت لي تلك الحية بفكرة جديدة... أظنني سأقدم لنا كأسًا من النبيذ الممزوج بجذور النوم ثم أطردها وصديقاتها، وبغض النظر عن الغبي، على الأقل لن نقلق من تداول صحف النميمة أخبار حفل تتويجكما».

قال راث بهدوء: «من المؤثر أن أرى مدى اهتمامك بخصوصيتي».

رد جلاتوني، وهو يتظاهر بإزالة وبرة عن ياقته: «حسنًا، إذا أمسكت بكما كما فعل لاست، فلن تتصرف بحكمة».

«لاست!» رحت أبحث عن ذلك الشيطان البائس؛ لكنه كان قد ترك ممر الخطايا بالفعل، لقد أخطأت إذ اعتقدت أنه لم يخبر أي شخص

بواقعة القارب في مملكة جريد، وربما بواقعة مطبخ مملكة راث أيضًا. يا لنميمة الأمراء! ضحك جلاتوني، فعبرت عن استيائي من غبائه وقلت: «هيا اضحك، لقد فعلتم ورأيتم ما هو أسوأ. وأنا واثقة بأنني سأرى الأسوأ، الليلة».

«هذا إن كنا محظوظين». غمز جلاتوني واستدار، ثم أحاط فمه بيديه وصاح ليوقف الأحاديث الهامسة: «هلا أعارني الجميع انتباههم؟ ستتقابل في بلاط لاست في غضون ساعة».

وقال راث بصوت منخفض جذب انتباه الحشد الصغير: «مهلًا، هناك أمر واحد يجب تدبيره». وإذ نظرت إليه بشك، أردف: «هل تودين إقامة عهد دم وتصبحين الحاكم المشارك لمملكة راث؟».

نظرت إلى أختي التي ابتسمت لي ابتسامة صغيرة وأومأت.

كانت فيتوريا ستُحسن حكم مملكتنا وحدها. فازددت حماسًا، وأنا أحدق في زوجي مجددًا، ثم أزلت الخنجر الذي كنت قد خبأته تحت ردائي وقلت: «نعم، أنا مستعدة لأن أصبح أميرة راث بشكل رسمي».

التاسع والعشرون

دخل راث المطبخ. لم يتبقَ أمامنا إلا أقل من ساعة كي نذهب إلى بلاط لاست. وقد قال راث وإنفي إنه من اللائق أن يتأخر الزوجان قليلًا في الوصول إلى الحفل، فقررنا العودة إلى البيت. وبينما كان راث يعتني بالكلاب، دخلت المطبخ كي أصنع الحلوى، احتفالًا بانتصارنا.

لقد حللنا لغز «مقتل» فيستا، وأبرأنا ساحة أختي، وكسرنا اللعنة. كنت شديدة السعادة.

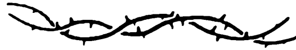
«أرسل جلاتوني خمسة من الجان كي يبحثوا عنا. لقد هدد بالحضور إلى هنا إن لم نذهب إلى الحفل في أقرب وقت، وأقسم بأنه سيصطحب الصحفية المتطفلة بنفسه». كان تعبير وجه راث يُلمح إلى أنه كان يفضل محاربة قطيع من المستذئبين على استضافة حفل ودعوة جميع إخوته الفاسقين لمملكتنا. أعطيته صحنًا من الريكوتا المسكرة وقلت: «لديك وقت لتذوق قطعة صغيرة».

«أنتِ محقة. لديّ وقت بالفعل». وهنا وضع الصحن وجذبني نحوه كي يقبلني قبلة جعلتني أذوب. وبأسرع مما تخيل أي منا، تراجع وعيناه تشعَّان بنظرة تماثل نظرتي المتقدة بالعاطفة، وقال بصوت عميق

رفيق: «أشعر بما تشعرين به، فأنا شديد الاشتياق إليكِ؛ لكن يجب أن نذهب».

ابتعدت عن ذراعيه وقلت: «لا يليق بالملك والملكة أن يتأخرا».

لكن كان لراث رأي آخر.



كان الأمير لاست يتحكم في جميع أشكال الرغبات؛ لكن الجانب الخارجي لمملكته كان مخصصًا للخطيئة التي اشتُهر بها، وما إن توقفت عربتنا خارج الممر الدائري حتى تبين لي من كل ما أراه أنه يحكم تلك المملكة بحق.

اصطفت أمامي تماثيل مرمرية لعشاق منخرطين في لقاءات غرامية بطول الدرج الكبير المؤدي إلى مجموعة من الأبواب الضخمة، ثم انتقل انتباهي إلى إفريز فوق المدخل نُقشت عليه عبارة «الدخول للجميع».

ابتسمت إذ فهمت المعنى المزدوج. كان التلميح فنًّا يرفض لاست تعلمه، ثم اصطحبني أحدهم مع راث وأعلن قدومنا للبلاط، فدخلنا غرفة الاحتفالات الكبيرة حيث انحنى السادة والسيدات. وكانت إحدى المرات الأولى والأخيرة التي يفعل فيها بلاط منافس ذلك أثناء وجود أميره.

قال راث: «ارفعوا رءوسكم، سنحتفل الليلة بصاحبة الجلالة الملكة إيميليا. أشكر أخي الأمير لاست على كرم ضيافته».

عزفت وترية رباعية لحنًا أعاد المحتفلين إلى بهجتهم. كانت غرفة الاحتفالات مغايرة لاستعراض الرغبات الفظ بالخارج؛ إذ كان ذوقها رفيعًا على المستويات كافة، بدءًا من الظل الأرجواني لورق الحائط المطرز، وصولًا للنسيج الحريري والمخملي المستهدف إثارة الحس. كانت الوسائد المحشوة متراكمة في الأركان، وكأنها تدعو سادة وسيدات

هذه الدائرة للرقاد والاسترخاء والانغماس في الملذات البسيطة مثل: الطعام، والشراب، والدردشة.

ولولا استعراض الرغبات بشكل شديد الواقعية، لما كان هذا بلاطًا لتلك الخطيئة. كانت الأراجيح تتدلى من السقف، وراح الجان الأكثر ولعًا بالمغامرة يتأرجحون مع بعضهم البعض فوق الراقصين الذين يدورون حول الأرضية المصنوعة من المرمر والحجر الجيري.

لم أكن قد زرت تلك الدائرة قبل تعويذة الربط؛ لذا بدا كل شيء جديدًا.

وبعكس الانغماس المُبالغ فيه عند جلاتوني، كانت غرفة احتفالات لاست وجميع جان بلاطه تشع بخطيئتهم المتغلغلة فيها.

سرنا في الغرفة بين الجان الذين يثرثرون بأدب، مستمتعيْن بروعة الحفل. وهنا سمعت صوتًا يقول: «إذا أردتِ قناعًا يا صاحبة الجلالة، فيمكننا ترتيب الأمر بسهولة». استدرت فرأيت لاست يبتسم ابتسامة عريضة. تابع: «هناك كلمة مرور تشير إلى الموافقة. هل يريد أي منكما قناعًا؟».

رشف راث قطرة من الشراب، الذي أخذه في وقت سابق، ثم قال دون تكلف: «أريد أن أعود إلى المنزل مع مليكتي، بدلًا من تحمل مجالسك التافهة».

قال لاست بسخرية: «أتفهم غضبك. تريد العودة إلى البيت كي تختلي بزوجتك».

«ربما فكرتك عن الاختلاء هي السبب في عدم زواجك يا أخي».

لمحت إنفي في الزحام، فرفع كأسه في اتجاهي. كان العون يأتي في بعض الأحيان من حيث لا نتوقع؛ لكنني لم أعبأ، وقلت: «أستميحكما عذرًا».

أسرعت تاركة الأخويْن يتجادلان، وأخذت كأس شراب التوت الشيطاني، ثم بادلت إنفي نخبًا.

«شكرًا لأنك أنقذتني من الشجار».

«تفهمت أنهما منخرطان في إحدى مجادلات المراهقين المتعلقة بالارتباط».

«لست مخطئًا».

وهنا ابتسم قائلًا: «قلما أكون مخطئًا».

«ومتواضعًا أيضًا».

«أنا أمير، والأمراء لا ينشغلون بالتواضع، فهذا شأن العوام».

ضحكت، ليرسم صوت ضحكتي ابتسامة أخرى على وجه الأمير.

كان من الصعب أن أصدق أننا نقف هنا بملء رغبتنا ونتبادل الضحكات معًا بعد كل ما مررنا به.

«احترس، لا تُبالغ في التعبير عن عواطفك، وإلا ظن أحدهم أنك تحترم مليكتك حقًّا».

فقال: «قررت ألا أتعب نفسي بطعنكِ، وهذا في حد ذاته تقدم».

وهنا جاء دوري في الابتسام، فرددت: «وأنا قررت ألا أتعب نفسي بحرقك».

رفع حاجبًا وقال: «من الواضح أنكِ لن تستطيعي استخدام السحر الناري بعد ذلك؛ لكنني أقدّر مشاعركِ. هل صرنا صديقين؟».

بدا إنفي لا مباليًا؛ لكنني شعرت بأن إجابتي مهمة له، وأكثر أهمية مما يُبدي، فمنحته نظرة اشمئزاز مزيفة وقلت: «يبدو ذلك».

«أية مأساة!».

وقلت كاذبة: «صحيح! هذا يثبطني بشدة».

لم يتماش تجهم إنفي مع اللمعة الجديدة في عينيه. لم تكن بهما سعادة؛ بل يبدو أنه لم يُشفَ بعد مما به من فظائع؛ لكن تعبيره بدا قريبًا من الاطمئنان الذي سرعان ما تلاشى، وربما أخطأت الفهم، لعلّي أخطأت. كان كل من راث، وأختي، وجميع أصدقائنا يستحقون أن يجدوا سعادتهم.

وهنا انفتحت الأبواب، وعمَّ الصمت.

«فيتوريا، إلهة الموت، وأميرة مملكة فينجنس». كان هذا صوت حاجب البلاط الذي دوى، فخفتت الموسيقى وتوقفت للحظة. دخلت فيتوريا غرفة الاحتفالات كإلهة مرعبة في كامل هيبتها، وكان زيها الأسود مزدانًا بعناية بالأحجار الكريمة والزخارف.

تحولت جميع الأعين إليها وعلقت بها. بدت مبهرة بشعرها الداكن المنسدل على ظهرها في تموجات ناعمة، وشفتيها الملونتين باللون الأحمر الفاقع، وثقتها كامرأة معتدة بنفسها وغير عابئة تمامًا بانطباع الآخرين عنها.

نظرت إليها بإعجاب. من المؤكد أن مملكة فينجنس ستواجه بعض الصعوبات أثناء إعادة التأسيس؛ لكن أختي كانت تستطيع التعاطي مع الصعوبات، وكنت واثقة من أنها ستنجح بتفوق في مسعاها.

قبّل إنفي يدي وقال: «صاحبة الجلالة»، ثم استقام وقال: «أظن من الأفضل أن أكون عند حسن ظن ملكة الدوائر السبع».

فحدقتُ فيه وقلتُ: « هذا ينذر بالسوء».

«انظري، هناك ضيف آخر يجب الترحيب به». قال إنفي هذا دافعًا برايد أمامه ومبتسمًا: «استمتعي بالاحتفال، سيدتي إيميليا».

انتهى إنفي من شرابه، وفرَّ خارجًا من غرفة الاحتفالات، متهربًا من مقابلة فيتوريا. فعقد برايد ذراعيه على صدره، وهو يراقب أختي بينما تستعد لمراقصة أحد الجان. حرص برايد على عدم إظهار تعبير على وجهه؛ لكنه طلب كأسًا أخرى من الشراب الفوار، حتى قبل أن ينتهي من الكأس التي في يده.

قال، ونظره مثبت على فيتوريا: «لعلَّكِ تعرفين ما تفعلينه؛ لأن نيكوليتا»، ثم جزَّ على أسنانه معدلًا كلماته: «لأن *فيتوريا* تهوى إثارة المشكلات». فقلت: «يبدو أن التحدي يروقك، ولا يسَعك عدم قبوله».

أبعد برايد انتباهه عن أختي وركز عليَّ قائلًا: «أتشابه مع أختكِ في أمور كثيرة، أو على الأقل أشبه الشخصية التي تظاهرت بها في كثير من الاهتمامات. لا أعلم من هي، ولم يعد الأمر يعنيني. لم تكن نيكوليتا حقيقية على الإطلاق؛ لكن زوجتي كانت حقيقية. لقد أفسدت ذلك بشكل هائل، كما قال أخي في السابق. كان يجب أن أحاول فهمها. كان كل منا يعرف أن طريقه مختلف، وكان يجب أن نحاول رأب الصدع الناشئ عن تربيتنا وثقافتنا».

انتقيت كلماتي بعناية وقلت: «بخلاف حبك إياها، هل تظن أنك ولوتشيا كنتما متناسبين؟»، فنظر إليَّ برايد نظرة غاضبة، ودون أن أنظر عرفت أنه يرقب فيتوريا مجددًا. وسواء أكانت نظرة كراهية أم غير ذلك، لم أجرؤ على السؤال. هز رأسه وتجرع بقية الشراب.

«سامحيني يا صاحبة الجلالة، فهذه ليلتكِ، وقد تطرقت إلى شئوني مجددًا. معذرة، فلستُ صحبة جيدة». ومثلما فعل إنفي، قبَّل برايد يدي وقال: «عاملي أخي بلطف».

ثم انحنى وسار بسرعة نحو الطاولة التي رُصَّت عليها زجاجات الشراب. يبدو أنه لن يتظاهر بالثمالة، هذه الليلة. تسلل الحزن إليَّ، ولم يكن بيدي شيء لأفعله. كان يجب على فيتوريا، وبرايد، ولوتشيا تسوية أمورهم العاطفية، هذا إن أرادت لوتشيا الدخول في الأمر.

تقدم سلوث، مشابهًا إخوته في الوسامة، رغم أنه بدا على استعداد للتكور في الركن وقراءة كتاب كنت شبه واثقة من أنه قام بتهريبه في جيب سترته! كان لاست سيمعن في إغاظته إذا رأى هذا الكتاب.

رحبت به قائلة: «شكرًا لحضورك، أيها الأمير سلوث». فابتسم ببطء وقال: «لا يسَعنا تجاهل أوامر رات؛ لكنني سعيد بالتعاون. فرغم ما حدث في الماضي، أعلم أنكِ ستصبحين ملكة عادلة ومنصفة. قد لا يقول إخوتي ذلك، لكن الجميع يقدِّرون تضحيتك المتمثلة في كسر اللعنة».

ارتعشت حين وجدت أن تذكيره لي بفقدان سحري لم يؤلمني كثيرًا مثل كل مرة أتذكر الأمر فيها. وقلت ممسكة يده: «أشكرك شكرًا جزيلًا. أخبرني، ما خطتك بعد كسر اللعنة؟».

راح ينقل نظره حول الغرفة المزدحمة، متوقفًا على البقعة التي وقف فيها جلاتوني والصحفية على بُعد قدم واحدة في صمت، وقال: «تتمثل خطتي في عدم وضع أية خطة. سأعيش كل يوم كما هو. فنحن نعيش في الدوائر السبع حيث تتغير الأمور بسرعة. أحب مشاهدة ما يحدث بعد تجميع أجزاء اللغز. فما يحدث بعد الفصل الأخير هو جزئي المفضل من الرواية، ومن التالي في الصعود؟ أهو البطل أم المجرم؟ فهناك قصص كثيرة لم تُحك بعد». وهنا انحنى وقبّل يدي وقال: «صاحبة الجلالة».

بمجرد أن مضى، تقدم نحوي العديد من الجان ذوي الرتب الرفيعة من مملكة لاست. وبين كل هؤلاء السادة والسيدات، والأمراء والدوقات، رأيت فاونا بالقرب من أنير، وكنت سأدفع أموالًا طائلة لأعرف ما قالته له كي تعتريه كل تلك الدهشة.

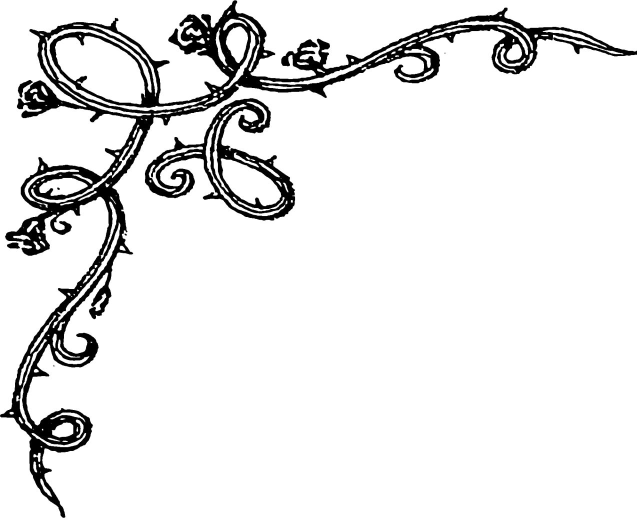
وسرعان ما وضع أنير كأسه واصطحبها إلى الغرفة المغلقة ستائرها. فابتسمت وقلت في نفسي *حسنًا فعلت يا صديقتي*. كان ذلك الكائن الفاني يهتم بالتفاصيل؛ ما أهّله ليكون الثاني في المملكة بعد راث. وكان متدربًا تدريبًا عاليًا على فن الحرب والقتال؛ لكنه كان يفتقر لفن الغواية الماكر. كنت فخورة بمبادرة فاونا بالسعي وراء ما تريد، وتمنيت أن تكون ليلتهما رائعة.

وهنا شعرت بشيء لم أشعر به منذ دهور، فغمرني الدفء. إنها *السعادة*. قد تكون الجدة وساحرات النجوم يتآمرن ضدنا بشكل ما. وقد لا يتغير هذا على الإطلاق. وقد يقوم علينا مصاصو الدماء ذات يوم؛ لكن سورسيا خرجت من حياتي الآن، واستعادت أختي مملكة خطيئتها،

واجتمع شملي مع راث، وعادت ذكرياتي إليَّ مجددًا. لم يكن التخلي عن سحري مساويًا لكل ما نتج عنه من خير.

تقدم زوجي الفاتن مني وهمس في أذني: «هل تريدين الذهاب إلى مكان أكثر خصوصية يا حبيبتي؟». وهنا تذكرت لمحة من الحفل الذي حضرناه في المرة الأخيرة، لكن هذه المرة، لم أتذكر مجرد لمحات؛ بل تذكرت تفاصيل تلك الليلة بحذافيرها.

لمعت عينا راث وأنا أمسك يده، فابتسمت بدوري ابتسامة ماكرة وقلت: «أعرف أين نذهب بالتحديد، يا مليكي».



الثلاثون

كانت مملكة فينجنس قلعة غوطية محصنة بين جبال شاهقة مغطاة بالثلوج جنوبًا؛ ما أخفاها عن ممالك الشياطين السبع في الشمال.

وكما بينت لي أختي في تلك الخريطة المسحورة، كان موقعها البعيد وساتر الذاكرة المسحور قد ساعدا في الحفاظ على غموضها بالنسبة لأمراء الشياطين ورعاياهم. ولم يكن ليُسمح بدخول المملكة التي تحكمها إلهة الانتقام إلا بموجب دعوة مني ومن فيتوريا؛ إذ أُشيع أن الشابة، والأم، والعجوز يسكُنَّ تلك المملكة.

وبعد أن عادت ذكرياتي إليَّ، تذكرت أن المملكة منعزلة ولائقة بلقب مملكة المرعبتين.

وفي الصباح التالي لحفل التتويج، وقفت في شرفة قلعة مملكة الانتقام، الواقعة أمام الحدائق الشرقية، وراح الهواء البارد يضرب شعري المنسدل، وأنا أتأمل المنظر المألوف. كان هذا موطني وموطن قوتي لمئات السنين. كان هذا هو المكان الذي تلعب فيها إلهتا الموت والغضب ألعابهما. والآن، لم أعد إليه ربة بلا سحر فحسب؛ بل شريكة في حكم إحدى الممالك المتنافسة. ربما فقدت سحري؛ لكنني كسبت

قلبًا وروحًا. كانت تلك هي التي تهمني أكثر من الانتقام البارد المجرد. فذات يوم بدا الانتقام عدلًا. لعله كان كذلك أيضًا في عالمنا المزدحم بالرذائل. والآن، بعد أن عشت بين البشر الفانين، أدركت أنني كنت مخطئة أيما خطأ. كانت الحياة أفضل من الثأر والانتقام. وإذا سمحنا للانتقام من كل من أساءوا إلينا، فلن نُقدر ما في حياتنا من خير.

وبعد أن أدركت ما فعلته، واختبرت ما يعنيه التركيز على ما في الحياة من خير، والشعور بالسلام الحقيقي، لم أكن لأعود لما كنت عليه من قبل. وبقدر ما ستطول حياتي؛ كنت أود تذوق كل ذرة من النور أصادفها في طريقي.

قالت فيتوريا بعد أن لحقت بي: «أنتِ هادئة. كان الجو هادئًا من دونكِ».

تطلعت إلى الذئاب المتناحرة فوق الحديقة المكسوة بالثلوج؛ إذ كان دومينيكو يدرب مستذئبين حديثي التحول. ومثل الجان، كان قد خلع قميصه رغم البرد القارس. فقلت: «يبدو أنكِ ستتأقلمين بشكل جيد».

راحت فيتوريا تشاهد القائد يسدد سلسلة من الركلات واللكمات، وقد تعمدت رسم تعبير بارد على وجهها، وقالت: «لا يمكنهم البقاء. يجب أن يظل القطيع على الجزر المتحولة مع بقية عائلاتهم، ويجب أن يتأكدوا من حفاظ ساحرات النجوم على التوازن وحراسة السجن. لقد حان وقت رحيلهم عن المملكة بمفردهم».

«يمكنكِ الذهاب معهم».

راحت فيتوريا تتفحصني ثم قالت: «لقد حاربت بضراوة كي نعود إلى هنا، إلى موطننا الشرعي. إن مملكة فينجنس موطني الذي سأبقى فيه». ارتسمت على ملامحها ابتسامة، وأردفت: «كذلك يجب أن أكون قريبة من أختي التي ربما تحتاج إليَّ. فقد لا يُحكم مليككِ السيطرة على النواحي الأكثر اضطرابًا من الحكم. لهذا سأكون موجودة».

هـزت رأسـي قائلـة: «فلتسـاعدي الشـياطين، أيتهـا الإلهـة». ردت فيتوريـا وهـي تنظر إلى الذئاب: «والسـاحرات. شـكرًا لبحثـك عن أدلة إبراء ساحتي، وعلى ثقتكِ بي حين تعذَّر ذلك على الجميع».

«كان هـذا سيحدث بشكل أسرع لو قلتِ لي الحقيقة».

«لـم يكـن سـري حتى أبوح به. كذلـك، لم أكن متأكدة ممـا إذا كانت فيسـتا - أو مارسـيلا - من القطيع؛ لكنني كنت أعلم أن دومينيكو يخفي شـيئًا. فأثنـاء أول لقـاء لنا، وبعـد أن أقنعته بمرافقتي كـي أعقد تحالفًا مع جريد، تسـمَّر للحظة حين دخلا الغرفـة معًا. كنا نحن الأربعة هناك فـي تلـك الليلة، ولم تكن اسـتجابته تلـك موجهة لي أو لجريد. فشـككت أن دومينيكـو وضـع خطـة ونفذهـا بناءً علـى توقيت مقتل فيسـتا ووصول مارسيلا إلى القطيع؛ لكنني لم أرغب في لفت النظر إليه».

«ألم تتعرفي عليها؟».

«فـي البدايـة كانت تـؤدي دورهـا بإقناع، كمـا أن قدرتها علـى تغيير مشـاعر المحيطين بها جعلتنـي أحجم عن الشـك فيها لفترة، ثم بعد أن توصلت للحقيقة، توقفتْ عن إخفاء هويتها. ولم يكن بوسعي أن أجبرها علـى العـودة. كذلـك، لـم أكن لأخـون دومينيكـو، حتى لو كان هـذا يعني إخفاء الحقيقة عنكِ».

بوصفهـا إلهـة يُفترض أن تنتقـم، تحملت أختي اللـوم في حين كان يمكنها تسليم دومينيكو لجريد. سـألتها: «هل تحبين هذا المتحول؟».

رفعـت كتفًـا وقالت: «ليـس حبـي إياه هو مـا يهم. سيعيش أطول من غيـره؛ لكنـه ليس خالـدًا. وذات يـوم سـيدرك أنه يتغيـر، وأنـا لا أتغير. يحتـاج دومينيكو لأن يكون مع شـخص يهرم معـه، بينما أحتاج لأن أكون مـع شـخص أشـاكسـه إلـى الأبـد، هـذا إن اختـرت شـريكًا، لا إن قـررت الاستمتاع بشروطي الخاصة».

«هل هذا الشخص الخاص يحكم مملكة الحسد، أو ربما الكِبر؟».

زمجرت فيتوريا وقد لمعت عيناها وقالت: «يود إنفي أن يستحوذ على انتباهي إلى الأبد. قد تثير الشائعات التي أُطلقت حول *مواهبه* في الغواية، فضولي؛ لكن ما *هذه* إلا نزوة عابرة».

«لقد سمعت أن له...».

«أرجوكِ، لا أريد سماع أية شائعات عن إنفي، فقد سمعت بالفعل عن الصورة المرسومة فوق *سريره*، والتي تكشف عن موهبته».

طوحت فيتوريا شعرها من فوق كتفها وضحكت قائلة: «اللعنة على الشيطان». كانت تلك هي المرة الأولى التي تُظهر فيها ذاتها البشرية السابقة، وقد أعطاني هذا أملًا في المستقبل. وهنا قالت: «ظننته يمزح بشأن اللوحة. كان يجب أن أقبل عرضه باستخدام حجرة نومه».

لاحظت أنها لم تقل أي شيء عن برايد؛ لكنني لم أُشر إلى هذا؛ إذ بدا جرحًا لم يندمل بعد. فحتى لو كان يريدها حبيبة، كنت أشك أن فيتوريا تشعر بشعور مختلف. وهنا ظهر شيء آخر أثار فضولي مجددًا، فقلت: «هل تعرفتِ على لوتشيا حين استعدتِ سحرك الإلهي؟».

اعترى التوتر أختي دون أن تدرك وقالت: «هل أخبرتِها؟».

«كلا؛ لكنني أعدت إليها حجر الذكرى. يجب أن تكون هي مَن تقرر مستقبلها بيدها».

ساد صمت بيننا لم يكسره سوى الصدى الخافت لصوت التدريب الذي يحدث بأسفل. وبدلًا من سماع صوت قعقعة السيوف المعدنية، كان صوت خدش المخالب الأحجار واللحم هو الذي يتصاعد. وإذ لم تُجب أختي، واصلت الحديث.

«إذا كنتِ قد أقمت علاقة مع برايد، وإذا كانت لوتشيا لا تريد البقاء معه، فعليكِ أن تخبريه بالحقيقة، دون أكاذيب أو ألاعيب».

«لا أريد أن أصبح زوجة له».

«لم يقل أحد إنكِ تريدين؛ لكن ما الذي *تريدينه* بعد أن استعدتِ مملكتكِ؟».

فكرت أختي للحظة دون أن يتزحزح انتباهها عن القائد المدرب بأسفل، ثم أجابت: «أريد التركيز على إعادة بناء مملكتنا. أود أن يستقر البلاط ويكسب ثقة الرعايا من جديد، ولا أريد الإجابة عن أية أسئلة عن هذا الأمير التعس. فالتفكير في برايد يجعلني أريد اقتلاع قلوبنا ودهسها». ابتسمت كلتانا لثورتها؛ لكنني لم ألحّ في الموضوع. فقالت: «ماذا عنكِ يا أختي العزيزة؟ ماذا بحق كل شيء طيب وشرير استحوذ عليكِ وجعلكِ تتخلين عن سحركِ؟».

«كان إما هذا أو أن تبقى اللعنة إلى الأبد».

قالت فيتوريا بشيء من الغضب: «كلا. كان قتل سورسيا خيارًا مجديًا، وكان يجب على أميركِ أن يذكّركِ به».

«إنها من الخالدين».

«*وأنا* إلهة الموت. لقد خضع زوجكِ للسم المميت رغم قوته حتى تدخلت أمي بشرابها المقوي». انثنت شفتا فيتوريا بابتسامة ساخرة قاسية وتابعت: «على أية حال، أمنا هي الساحرة العجوز. ألا تعتقدين أنها كانت ستساعدنا على قتل ساحرة أقل منها رغم خلودها؟».

فقلت مذكرة أختي: «إنها ابنة أخيها. لم تكن سيليستيا لتقتل أحد أفراد عائلتها».

«لقد نسيتِ أن أمنا نفسها لديها أزمة كبرياء، فلن تسمح لأي شخص بأن يدمر ابتكاراتها المفضلة؛ إذ نعيش وهذه المملكة في عالم مِن صنعها؛ بل هو أكبر من أن يقتصر علينا نحن الاثنتين»، ثم لمعت عينا فيتوريا البنفسجيتان وأردفت: «وقد تخليتِ عن قوتكِ في سبيله».

فوجئت بمشاعرها؛ لكنها لم تستوعب ما فعلتُه جيدًا. أعطيت نفسي بضع لحظات كي أستجمع أفكاري وأجعلها تفهم أن اختياري *منحني* قوة.

أعدت انتباهي إلى الذئاب الذين كانوا قد تحولوا بالكامل ويستكملون تدريبهم، ثم قلت: «لقد قررت إنهاء لعنة كانت *ستسجنني* إلى الأبد. لقد

تخليت عن قوتي من أجل الحرية وتصحيح خطأ ساعدتُ على ارتكابه، سواء عن قصد أم دون قصد. لم أتخلَّ عن سحري من أجل شيطان واحد، رغم أن اتباع قلبي كان الطريق الصحيح، على الأقل بالنسبة لي. فحين فكرت في الطرق المفتوحة أمامي، وجدت أنني أستطيع التخلي عن سحري؛ لكنني لم أتخيل التخلي عن كل شيء أحبه مقابل ذلك السحر. لقد اخترت الطريق الذي يقدم لي الحياة التي أريد أن أعيشها».

هزت أختي رأسها؛ لكنها لم تواصل الجدل. لم تكن هناك مشكلة في أن تشعر بأي شعور آخر وتختار طريقًا آخر. لم أكن مضطرة للموافقة على جميع قراراتها، ولم تكن هي مضطرة للموافقة على جميع قراراتي كذلك؛ لكن هذا لم ينفِ حبنا واحترامنا الشديدين لبعضنا البعض. كنا توأمتين؛ لكن كلًّا منا حاكمة نفسها.

وقلت في النهاية: «لقد فضلت السعادة على الخوف، وسأختارها مجددًا دون أي ندم».

تنهدت فيتوريا تنهيدة طويلة جعلت الهواء البارد يصنع سحبًا صغيرة أمامها، وقالت: «إذن، فأنا سعيدة من أجلكِ، يا إيميليا».

ثم نظرت إليَّ بعينين ماكرتين وقالت: «سأكون موجودة إذا احتجت لأي شيء في أي وقت».



الحادي والثلاثون

راح جناحا راث الناريان يلمعان في ضوء الغروب. وقفنا قبالة بعضنا البعض في حدائق مملكة راث بجوار التمثال، الذي شككت، وأخيرًا تأكدت من أنه يمثل إلهة مرعبة لم يسمح راث لنفسه بأن ينساها. كنت أشبك يدي اليسرى بيده، كفًّا بكف؛ ما جعل وشمَيّ *«إلى الأبد ملكك»* يتطابقان وكأنهما يذكّراننا بأننا أعطينا قلبينا لبعضنا البعض إلى الأبد.

كان ملك الشياطين يرتدي سترة سوداء، وقد أضاف إلى رابطة ياقته برعمًا برتقاليًّا، مثل الزهور التي شبكتها بشعري المنسدل. كان ردائي اللؤلؤي اللون بلا أكمام، وكان مصنوعًا من الحرير الجميل ومزينًا بشريط رقيق؛ لكن البرد القارس لم يلمس بشرتي. كان تمتع زوجي بالجناحين الرائعين امتيازًا حقيقيًّا؛ إذ شعرت كأن المدفأة تنتقل معنا، حتى أثناء العاصفة. ومن حسن حظي أن الثلوج توقفت عن الهطول أثناء مراسم ارتباطنا، رغم تجمع السحب الداكنة فوق رءوسنا منذرة بعدم استمرار الدفء.

تقدم أنير وفاونا باعتبارهما شاهدينا أمام الآلهة القديمة، وكلاهما يحملان طرف كرمة به أشواك. وبدآ يربطان بها معصمينا رمزًا لارتباطنا ببعضنا البعض.

بعد التأكد من ثبات العقدة، رجع صديقانا إلى الخلف. دمعت عينا فاونا، وراح أنير يرمش بانفعال. جعلتني حماقتهما العاطفية أكاد أبكي.

انتظر راث ريثما تتلاقى أعيننا ثم قال: «كرهتكِ في أول مرة قابلتكِ فيها».

انفجرت ضاحكة وهززت رأسي وقلت: «يا لرومانسيتك يا زوجي العزيز! إن موقفك يشبه ما يفعله أبطال القصص الرومانسية الذين يعرفون كيف يفوزون بالحبيبة».

فقال أنير: «هكذا تعرفين أنه شيطان أفعال لا أقوال».

ارتجفت شفتا الشيطان وقال: «لقد كرهتكِ لأنني تذكرت في تلك اللحظة، كما قالت الساحرة، أن ذكرياتي ستعود مندفعة. وبدلًا من الشكر أو الارتياح، استشعرت خوفكِ، ثم غضبكِ، وأدركت أن اللعنة لم تكن قد انكسرت، وأنه لم يكن هناك سوى صدع واحد صغير. كرهتكِ لأنكِ ستصبحين من المخلوقات التي تفرق بيننا. لقد حذوتِ حذوهم، واحتقرتني. كنت أشعر بهذا في كل مرة تقتربين فيها. تعهدت بترك حرية القرار لكِ، وأن أتنحى جانبًا أثناء بحثكِ عن طريقكِ، حتى لو كان هذا يعني أن تصبحي ساحرة نجوم».

علا التجهم وجه زوجي قبل أن يتابع:

«حين قابلتُ الصبي أنطونيو في الدير، كنت مستعدًّا لأن أتركك إلى الأبد؛ لكنكِ نطقتِ باسمي الحقيقي، فصرت آمل أن تتذكري يومًا ما. قلت لنفسي لعل هناك شيئًا لم تفسده اللعنة». تحول تعبير وجهه مجددًا وكأن اعترافه كلفه الكثير: «قلت لكِ ألا تناديني سامائيل مجددًا؛ لا لأنكِ نطقتِ باسمي؛ بل لأنني لم أرغب في أن تستخدمه أسرتكِ من

المساعدات ضدنا. كنت أخشى أن يعرفن أننا وجدنا بعضنا البعض مجددًا رغم كل المشكلات، فيخططن للتفريق بيننا».

«كنت أشعر بالحيرة تجاه ذلك».

«لقد منحتني اللعنة من البوح بأشياء معينة، كما تعلمين، وهو ما أعدّانا الفرصة للتعرف إلى بعضنا البعض منذ البداية. كنا مختلفين في بعض الأمور. ولم أكن متأكدًا من تطابقنا كما كنّا في السابق، ولكنك تسللت بداخلي تدريجيًا».

ابتسمت لسماعي هذه العبارة وقلت: «حين وجدت نفسي في عقلك بعد شجوم الأفعى، استشعرت خوفك، وصار لديّ انطباع بأن ثمة شظية تحفر تحت جلدي».

ضحك راث ضحكة دافئة غير متوقعة وقال: «كان هذا هو شعوري. لقد أردت الانتقام من سورسيا واستعادة جناحيّ أكثر من أي شيء». وهنا رفرف الجناحان الراثعان، وكأنهما يؤكدان المسألة. «ولكن في موضع ما في مساري، بدأت أشعر بأنني أريد شيئًا آخر أكثر. كنتِ أنتِ من أريد. لم أرغب في جسدكِ فحسب؛ بل قلبكِ وعقلكِ. أردت شريكة مقربة أتحدث معها وأسير معها في الجحيم، وتريني هي الفردوس، لا تخشى أن تتحداني أو تواجهني بعيوبي. كنت أريد ندًّا لي يا فيوري».

تحول انتباهي إلى الجناحين الناريين اللذين بدأ لهيبهما وحرارتهما يزدادان حين نطق باسمي الحقيقي، فقلت: «ما زلت فيوري حبيبتك فقط بنيران أقل».

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: «حين يقبل الطرفان هذه الرابطة، سنتشارك كل ما في الحياة. أقبل الارتباط بكِ، وأمنحكِ قلبي، ونفسي، وقوتي».

وهنا انغرست الكرمة التي كانت تحيط بيد راث في جلده، وراح السحر يلمع كنجمة تندفع في جنبات الكون. كل ما كان عليّ فعله أن

أنطق بالكلمات نفسها حتى نرتبط إلى الأبد. ستكون الرابطة هذه المرة خيارًا نختاره نحن الاثنين، دون أن يلعب السحر أي دور.

«لقد وقعت في حبك ببطء، رغم جاذبيتك الشديدة». فابتسم أنير وفاونا لسماع اعترافي. «أنا واثقة بأنه شيء استشعرته، فحين أتيت هنا واكتشفت ممر الخطايا والسحر الخفي لهذا العالم، انبلجت لمعة الإثارة داخلي. لم أكن مستعدة للاعتراف بهذا لنفسي، فضلًا عن أن أعترف به لك؛ لكنني شعرت بالامتنان لحصولي على فرصة للتصرف وفقًا للمشاعر التي حاولت جاهدة تجاهلها».

تنفست بعمق، ثم تابعت: «قد يكون هذا جبنًا؛ لكنني كنت بحاجة إلى وقت للتفكير في كل شيء. لم تتعجلني أو تحاول إجباري. كنت مغرمة بك؛ لكنني أدركت كم كانت مشاعرك قوية بعد أن طعنتك».

أجاب راث مستخدمًا كلماتي السابقة: «أية رومانسية يا حبيبتي!».

«كانت أول مرة نضع فيها حدودًا. وكان الأمر مهمًّا لي. أردت أن أرى رد فعلك، وما إذا كنت ستكرر تلك الفعلة؛ لكنك لم تفعل. حتى لو كان لديك مزيد من المعلومات، وحتى لو استطعت رؤية انحناءات لم أرها في الطريق، لم تتخطَّ حدودًا مجددًا، واحترمت الحدود، واحترمت القاعدة التي وضعناها بيننا، وكنت أعرف أنني سأحصل على شريك مخلص إذا قررت إقامة علاقة معك. لست شريكًا مثاليًّا؛ لكنك لم تكن ترى أخطاءك ولا تحاول إصلاحها؛ بل كنت تجعل تصحيح الخطأ أفعالًا لا أقوالًا منذ ذلك الحين كي تجعلني أثق بك وأواصل المسيرة معك».

وهنا قال أنير بنبرة ممازحة: «كان علينا مراجعة إعلان حبكما»، فلكمته فاونا بمرفقها في جنبه، فسكت على الفور.

«أحبك يا ساماثيل، بكل جوانبك السيئة والجيدة، وما بينهما، كل جانب فوضوي...». رفع راث حاجبه حين سمع كلمة «فوضوي»، فنظرت إليه بمكر وتابعت: «أختارك اليوم، وغدًا، وكل يوم. أقبل رابطتك وأعطيك قلبي، ونفسي، وقوتي».

لمعت الكروم التي تحيط بيدي، تمامًا كما حدث مع راث، وانغرست تحت جلدي. كان كل منا يحمل وشمًا آخر. كانت الكروم والأشواك تبرز ارتباطنا ببعضنا البعض، وأننا أكثر من مجرد زوج وزوجة. كنا نفسًا واحدة باختيارنا.

ضمني راث وقبّلني ثم ابتسم وقال: «أتذكرين حين قلتِ إننا سنتشارك في *كل شيء*؟».

دققت النظر، وقد صارت ابتسامته عريضة وقلت: «نعم، ما خطتك؟».

فهمس بشيء بلغة قديمة لا أتحدثها. وبعد أن انتهى من خطابه، مال وهمس: «كما بالأسفل كما بالأعلى. لقد صرنا متوازنين بكل الطرق. ثلوجي نظير نيرانكِ».

«لكنني لم أعد...».

اشتد لمعان جناحيّ راث، وأخذت النيران تشتعل جاعلة الهواء المحيط بنا يلمع بفعل دفئها. وراحت البقع الصغيرة الذهبية والفضية في أجنحته تنبض، وأنا أراقبها بصمت وهي تومض كالنجوم. كانت جميلة و....

وفي لحظة انسحب اللون والنار من جناحيه، وكأن أحدهم قلب زجاجة حبر وراح سائل أبانوسي يقطر من الريش، مستبدلًا بالنار الظلمة. وبينما راحت النار تخمد، لاحظت شيئًا غريبًا ومألوفًا، في الوقت نفسه، وقد بدأ كرجفة صغيرة بداخلي في الموضع الذي كان السحر يسكنه.

«ماذا...؟».

أمسكت معدتي؛ إذ ازدادت الرجفة.

كانت ومضة جديدة من القوة، وراحت ومضة من البرق تشق السماء الداكنة، بينما خمدت نيران جناحيّ راث تمامًا. انثنت ركبتاي حين

اندفعت القوة بداخلي وغمرتني. فاحتضنني زوجي بقوة حتى استقرت آخر ذرة من القوة بداخلي.

بللت الدموع التي لم أعرف أنها تنهمر من عيني، ياقته. صرت أشعر بالسحر حيث كان يسكن. فتراجعت، محدقة في جناحيه اللذين كانا يشتعلان بلهب أبيض وفضي؛ لكنهما صارا يلمعان بلون أسود. ظهرا كأنهما يومضان وميضًا خافتًا.

سألته بصوت لا يتعدى الهمس: «ماذا فعلت؟». قبَّل راث جبهتي وقال: «ما لي هولكِ يا حبيبتي. أخبرتكِ أن لديَّ من السحر ما يكفي كلينا». لقد أعطاني نصف سحره. انهمرت الدموع بغزارة، وراح يقبِّل كل دمعة ويقول: «استدعِ قوتكِ يا فيوري».

فمسحت دموعي ورحت أختبر نبع السحر الفائض وقلت: «*ليأت النور*».

وهنا انبلجت زهور نارية في السماء فوقنا. وكانت أكبر وأقوى من أي وقت مضى. توقعت أن يكون السحر ذهبيًّا وفضيًّا؛ لكنه كان لا يزال ورديًّا مذهَّبًا. ربما جاء السحر من زوجي؛ لكنه كان بالفعل ملكي.

همست له: «أشكرك»، فضمني بين ذراعيه، محدقًا في الزهور اللامعة في السماء. كانت نجومنا الخاصة. فقلت له: «شكرًا لأنك تخليت عن جناحيك من أجلي».

وهنا انفرد جناحا راث على الجانبين، وصارا يرفرفان بقوة؛ ما جعل الثلج يتناثر، ثم قال: «لم أتخلَّ عن أي شيء. فها هما جناحاي. وها هي زوجتي. ولديَّ أفكار جديدة مثيرة بشأن تصميم حجرة نومنا. ومع ذلك، أود اختبارها أولًا».

قال أنير: «سنعتبر هذا إشارة لنا بالمغادرة. تهانينا لكما».

قبَّل أنير وجنتيَّ، ثم ربت على ظهر مليكه، فاحتضنه راث. انحنت فاونا أمامي؛ لكنني جذبتها واحتضنتها أيضًا. وهنا نظرت إليَّ وقالت: «يجب أن نتحدث قريبًا يا سيدتي».

سـألتها: «هل لديكِ وقت غدًا؟». أومات فاونا، فقلت: «سنلتقي إذن. اريد أن أعرف *كل شيء* حدث في احتفالية التتويج».

لمعت عينا فاونا وقالت: «سأعد الشاي وكعكة البراندي». وبعد أن ترك صديقانا الحديقة، نظرت إلى راث مجددًا. كان شيطانًا ماكرًا وفاتنًا في آن، وكنت أحبه حبًا جمًا. بادرته بسؤال: «هل يحتوي تصميم غرفة النوم على طرق لاستخدام هذين الجناحين؟».

لمعت عيناه ببريق خبيث وقال: «ليس بالضبط؛ لكننا نستطيع إضافة هذا لقائمة المواصفات».

سألت: «ما الأغراض الأخرى في قائمتك؟».

مد يده وقال: «دعيني أُرِكِ يا سيدتي».

وحين وضعت يدي في يده، نقلَنا راث بطريقة سحرية إلى مكتبته. رحت أتفحص الغرفة الخالية. كانت النار تفرقع فرقعة لطيفة، وكانت شموع الثريا شبه مُطفأة؛ ما أضفى شعورًا ناعمًا على الغرفة الخاصة.

تحرك راث من خلفي ممررًا يده على ذراعيّ، وكانت كل لمسة كالسحر؛ إذ جعلت شوقي يزداد إليه.

ووعدني: «زوجك على استعداد كامل لتحقيق أمنياتكِ».

أردت أن أمازحه فرددت عليه بنبرة ماكرة: «بل يجب أن أرجو هذا، فأنا أكره كل ما هو ممل أو متوقع بيننا».

ضحك راث ضحكات شريرة، ووجهه يتوعد بتعذيبي بأفضل الطرق لهذا التعليق الوقح.

«سأضمن أن يظل كل شيء باعثًا على الحماس لوقت طويل جدًا».

وضع راث تعويذة حجب على مكتبته ثم استدار نحوي. لقد قرر أننا اليوم لن يسمعنا أحد.

راح قلبي يخفق بشدة وكأنه حصان يعدو في صدري بينما ينظر إليّ بإعجاب، متفحصًا إياي؛ من قمة رأسي إلى أخمص قدمي ثم قال: «نحن محظوظان. سأعطيكِ كل ما *تشتهين*».

الحادي والثلاثون

«تصريح خطير».

سألني: «إلى أي مدى تريدينني أن أكون خطرًا؟».

«افعل أسوأ ما بوسعك يا صاحب الجلالة، فأنا جاهزة لكل ما تحلم به!».

وهنا قال لي بنظرة ماكرة: «أعدكِ بشيء واحد. أستطيع أن أكون شريرًا تمامًا يا حبيبتي».

لم يكن لديَّ أدنى شك في ذلك.

وهنا، سمحت لعينيَّ بأن تتجرف نحو الوشم المرسوم على ترقوته. *أفعال لا أقوال*. كان هذا تذكرة مثالية لأن وقت العمل، لا الكلام، قد حان.

ابتسمت له ابتسامة مثيرة وقلت: «لقد آن الأوان *لتريني*، أيها الشيطان».

فرد راث جناحيه على اتساعهما، ليبدو كخطيئة متجسدة، قبل أن يحيطني بهما ويذيبني بسحره. وشكرت الإلهة أنه صار لي.



شكر وتقدير

لقد كُتبت هذه الثلاثية، واختتمت، وأُطلقت أثناء الجائحة؛ لكن أنت مَنْ أفسح لها المجال. أشكرك يا قارئي العزيز على حبك لهذه الشخصيات وهذا العالم المشتعل بالخطيئة، فأنا من محبي الدوائر السبع مثلك، وأشعر بالامتنان لمتابعتك رحلة راث وإيميليا المثيرة في العالم السفلي. أشكرك شكرًا جزيلًا؛ لدعمك ومؤازرتك هذه الكتب. وأشعر بسعادة غامرة؛ لأنها أبعدت ذهنك عن هذا العالم الذي يعج بالفوضى، ولو لبضع ساعات.

أشكر فريق النشر؛ لتحويل أحلامي إلى حقيقة. أشكر باربارا بويل الوكيلة والصديقة المتميزة على قيامكِ بعدة أدوار، وعلى كل ما فعلته خلف الكواليس. أشكر كل فريق آيرين جودمان إيجنسي: هيذر بارور-شابيرو على ترجمة هذه الكتب إلى لغات لم أكن أحلم بها. كما أتوجه بالشكر إلى بيرارد في جراندفيو، ومشجعيّ في ليتل، براون بوكس فور يونج ريدرز. وأشكر ألكسندرا هايتاور المحررة التي عملت معي على مدار الساعة كي يصل الكتاب إلى أيدي القراء، رغم مشكلات سلاسل الإمداد وضيق الوقت. لقد جعلت ملحوظاتها هذا الكتاب يفوق توقعاتي.

تحياتي للفريق الرائع: أليكس، وألفينا لينج، وكاسي مالمو، وسافانا كينيلي، وستيفاني هوفمان، وإيميلي بولستر، وفيكتوريا ستيلتون،

وماريـزا فينكلشـتاين، وتريسـي كونتـز، وتريسـي شـو، وفرجينيـا لوثر، ودانييـل كانتاريلـلا، وشـون فوسـتر، وكليـر جامبـل، وكاريـن توريـس، وباربـارا بلاسوتشـي، وكارول ميدوز، وجانيل دولويز، وشـيينا كونشـول، والناشـرين ميجـان تنجلي، وجاكي إنجل. شـكرًا جزيـلًا على كل الدعم والحماس داخل دار النشر.

أشكر فريق عمل المملكة المتحدة في هودر آند ستوتون: مولي باول، وكيـت كيهـان، ولـورا بارثولوميو، وناتاشـا كوريشـي، وكالي روبرتسـون، وسـارا كلاي، وإيمـان خابـل. يشـرفني العمـل معكـم. أرجـو أن أكون قد أضفت ما يكفي من التشويق.

كما أشكر أسرتي، فمن الصعب أن أصدق أن هذه هي المرة السابعة التـي أكتـب فيهـا شـكرًا وتقديـرًا في نهايـة روايـة ألفتها. لا أسـتطيع أن أعبـر عـن مـدى حبـي لكم. أحيـي أختـي كيلي تحيـة خاصـة، وأعبر عن خالـص امتنانـي لمتجرهـا (دوجوود لين بوتيـك) على كل هـذا الإلهام (وكذا توفيرها لي وسـيلة للعلاج بالتسـوق). أشـكر كذلك بائعي الكتب، وأصحـاب المكتبات، والتجار المسـتقلين، وبرامج الاشـتراكات، وجميع مؤسسات النشر الكبيرة والصغيرة على دعمهم الذي لا ينتهي.

تحيـة خاصة لبـوك تـوك ولأيمـن شـودهاري (@Aymansbooks) وبوليـن (@thebooksiveloved) علـى فيديوهاتهـم الرائعـة ودعمهـم المبكر لهذه السلسـلة. أشـكر أيضًا سـتيفاني جاربـر، وإيزابيل إيبانيز، وسـميرة أحمـد، جميعكـم مؤلفون رائعـون؛ لكن الأهم أنكم شـخصيات رائعـة. أمـا أنتِ يا أنيسـا دي جومري فصداقتكِ تنيـر أيامي! أنا فخورة بكوني صديقة لكم جميعًا. أشـكركم جميعًا على رسائلكم، ومكالماتكم، وحبكـم، فأنتـم أفضل ما لديَّ في الأيام العاديـة، ووقت الجائحة، وأثناء مواعيد التسليم النهائية. أشكركم على القراءة حتى الصفحة الأخيـرة، وأتطلع إلى المغامرة الشريرة التالية...

مع حبي.



لمحة عن المؤلفة

نشأت كيري مانيسكالكو في منزل شبه مسكون في ضواحي مدينة نيويورك، حيث بدأ شغفها بالتراث القوطي. وفي وقت فراغها كانت تقرأ كل ما يقع تحت يديها، وتطهو كل أصناف الأطعمة بصحبة أفراد عائلتها وأصدقائها، تحتسي الكثير للغاية من الشاي بينما تناقش أمور الحياة الدقيقة مع قططها. كيري هي المؤلفة الأولى وفقًا لجريدتي نيويورك تايمز ويو إس إيه توداي، وذلك عن كتابيها الأكثر مبيعًا: رباعية جاك السفاح، ومملكة الأشرار. وهي تتطلع دائمًا إلى مشاركة المقتطفات والإعلانات التمهيدية على إنستجرام @KerriManiscalco. ولمتابعة الأخبار والتحديثات يُرجى الرجوع إلى kerrimaniscalco.com.



منذ عدة شهور، ما كان لي إلا أن أدعي أن ما حدث الليلة أمر مستحيل. كان هذا قبل أن أعترف بأن لحكايتنا مزيدًا من الفصول. كان شوقي لراث يعادل في عنفوانه تلك الزهور النارية ذات اللون الذهبي الوردي التي كنت سأستدعيها من أطراف أصابعي بإرادتي. كان الشيء الوحيد الذي وددت التفكير فيه الآن هو الزواج بمليكي الشيطان

"قصة فائقة التشويق، إذ لا تستطيع تركها قبل الانتهاء منها ... إنها رواية مثيرة، وعجيبة، وتبعث مشاعر خاصة في القارئ".

بوكليست




ISBN 628-1072-14-034-2
6 281072 140342
282208747

